ناجي علوش

أبو الطيب المتنبي

دراسة في هويته وشعره
والمختارات

أبو الطيب المتنبي

ناجي علوش

أبو الطيب المتنبي

دراسة في هويّته وشعره
والمختارات

جَمِيع الحُقُوق محْفوظَة

الطبعة الأولى

١٩٩٣

بيروت، المنارة، شارع عبلا بناية
باركلين أوتيل - الطابق الرابع
ص.ب: ٥٢٠٦/١١٣ تلفون: ٨٠٤٣٤٩

الإهداء

إلى سميرة شفيق عسل (أم إبراهيم)،

الى التي أحببت واحترمت وقدّرت، منذ تعارفنا صيف سنة ١٩٦٠.

الى الرفيقة الوفية التي لا تقبل نكران الجميل، المخلصة التي لا تعرف الرياء، الصريحة التي ترفض كل مواربة، مهما كانت النتائج.

الى العاملة التي تحب العمل، وتحرص على الاتقان، وعلى أن تنتج إنتاجاً مبدعاً، حيث عملت، ومهما كان العمل.

الى الإنسانة الشفافة التي تفيض حباً، وتشعر مع كل متألم شعوراً عميقاً، وتبحث عن الفرح لكل الناس.

والى المناضلة التي تملك شجاعة لا تعرف الخوف، ولا تقبل التردد، ولا تتهادن مع التراجع والخضوع، والتي أثبتت الشجاعة، كل الشجاعة، والإقدام كل الإقدام، في كل الميادين والمعارك، منذ أيام صباها، وحتى لحظات صراعها الأخير مع الموت، يوم ٩٢/٦/١٨.

الى سميرة الملتزمة بالقضية والوطن والشعب والنضال، والتي لم تكن تعرف للتضحية حدوداً.

الى التي كان شعارها، كل حياتها، ما قال أبو الطيب:

غير أن الفتى يُلاقي المنايا كالحاتٍ ولا يلاقي الهوانا

الى التي أحبّت الفن عموماً، والموسيقى والشعر خصوصاً، والتي كان مثلها الأعلى قيم البطولة والجمال، بكل معانيها.

الى روحها المتوهجة الشامخة أُهدي هذا الكتاب الذي أنجزتُه بعد وفاتها، وإن كانت قد عاشت انبثاق فكرته، وكل الأعمال التحضيرية له، وإنجاز القسم الأول منه، تعبيراً عن الوفاء والحب والاحترام، وتقديراً للقيم والمثل التي جَسّدتها، والتضحيات التي قَدّمتها، والدروس الكبيرة التي علمتها لي شخصياً ولآخرين.

ناجي علوش

مقدمة

وقال قائل: ولماذا أبـو الطيب الآن. إن الأمـة في خطر داهم، والقضيـة الفلسطينية تصفى، والعسف يخرس كل لسان، ويخضع كل باحث عن كرامة، وكل حالم بوطن..!

وأقول، لهذا كله، نقدم أبا الطيب، فهو يمثل وجدان الأمة، في رفض المذلة والهوان. ولذلك قاتل ضد الروم، وكتب أروع الشعر عن هذه الحرب. وهو لم يكتف بذلك، بل عبّر عن إرادة الأمة، في مقاومة سلطان العجم والخدم، وأعلن القيام في وجه الطغيان.

ثم إنه فوق ذلك كله، كان يتدفق ببيان عربي مبين، يربط صراع الأمة بثقافتها، ويغني هذه الثقافة بشعر خـالد، يجسـد كل القلق المصيـري والنقمة العميقة، والثورة الكامنة.

وهو مع هذا وذاك، كان لا يخاف الصحارى، ولا يرهب الطغاة، ولا يصبر على ضيم. ولذلك لم يستقر، حتى حين حصل على المكانة والثروة، ولم يضعف أمام اغراءات السلطان، وبطش المتغلبين الذين لا يعرفون رحمة.

ولقد ظل فارساً مقاتلاً، وقضى في معركة باسلة.

ونحن اليوم، نواجه ما واجه أبو الطيب، فأين نحن من الصراع؟. وأين شعرنا في هذه المواجهة؟.

لذلك توجهت الى أبي الطيب، أقدمه للقارىء العربي، من جديد، لأنه لم يقدم كما كان يجب أن يقدم. وهناك من حاول أن يشوه شخصيته. ومن حاول أن يشوه شعره، لسبب أو آخر.

فرأيت، والظلم يشوه كل القيم، ويحبط أصلب الرجال، أن أسهم مع الذيـن حاولوا من قبل في إبراز شخصية أبي الطيب الحقة شخصياً وشعرياً، وأن اكشف بعض الغشاوات عن وجه أبي الطيب الذي ظل مشرقاً، رغم تواطؤ كثير من الشراح والنقاد، وأن أكشف عن جمراته التي ظلت متـوهجة، رغم رمـاد السنين، وتراب المعادين الذين أهالوه، ليطفئوا ذلك الوهج المتأجج.

وسأواصل المساعي لأسهم في كشف ما أرى كشفه ضرورياً، وما قادتني الدراسة اليه، مثل حقيقة ضبة الذي هجاه أبو الطيب، وقيل بأنه قتل بسببه، ومثل بعض الشخصيات التي مدحها، والوقائع التي عاشها ولم تكشف.

ولـذلـك، سـأعمـل عـلى انجـاز كتـاب آخـر، عنـوانـه: أبـو الـطيب المتنبي ـ دراسة في التاريخ السياسي والاجتمـاعي والثقافي. كـما سأحـاول أن أشرح ما وصلت اليه من نتائج، خلال دراسة شعره.

وسأعمل على انجاز جزء جديد من رائد الدراسة عن أبي الطيب الذي انجزه الباحثان كوركيس وميخائيل عواد، في السبعينيات لتغطية ما لم يغطياه، ولرصد الكتب والدراسات والأخبـار والتعليقات والبـرامج التي ألفت عن أبي الطيب، بعد صدور المرجع المهم الذي أشرنا اليه.

ويتكون هذا الكتاب من كتابين:

اولهما: يضم قسمين:

الأول: دراسة في هوية أبي الطيب.

والثاني: دراسة في شعره، ونقد شعره.

وثانيهما: يضم مختارات من شعره، اختيرت، على أساس الدراسة التي قُدِّمت في الكتاب الأول.

فقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المراجع التي استطعنا الحصول عليها، ذات العلاقة، وخاصة نسخ الديوان وشروحـه، والكتب المتعلقة بـأبي الطيب وشعره، ولكنا، فيما يتعلق، بالاحالة الى القصائـد، اعتمدنا المرجعين التاليين:

١ ـ ديوان المتنبي: نشر دار بيروت للطباعة والنشر، سنة ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٢ ـ أبـو العلاء المعـري: شـرح ديـوان أبي الـطيب المتنبي: تحقيق د. عبد المجيد دياب، نشر دار المعارف، في أربعة مجلدات. لأن هذه الطبعة وافية وحديثة، وقد رقمت فيها القصائد والأبيات.

واعتمدنا أحياناً على الواحدي والعكبري واليازجي وغيرهم.

وقد حاولنا أن نخفف فيها، طول الهوامش، فاعتمدنا الرموز التالية:

ج اختصار لجزء، وص اختصـار لصفحة، وق اختصـار لقصيدة، وب اختصار لبيت، وط اختصار لطبعة، وت لتحقيق، ود لدراسة وج لجمع.

وفي الهوامش أيضاً اعتمدنا الاقتصار على اسم العائلة، في المرة الثانية، من ورود اسم المؤلف كاملاً، وعنوان الكتاب، الاّ في حالات رأينا من الضرورة فيها اعادة ذكر الاسم والعنوان.

وأما بالنسبة للكتاب الثـاني: المختارات، فـإن الملاحـظات المتعلقة بـه، وضعت في المقدمة الخاصة بالمختارات.

ونتمنى أن نكون بالجهد الذي بذلنا، قد اسمهنا، ولو قليلاً، في إيضاح صورة أبي الطيب الشخصية، وفي تبيان أهمية شعره، بين الشعر العربي قديمـاً وحديثاً.

وعلى كل، فإن ملاحظات الكتاب والقراء، ستعيننا على مواصلة الجهود لكشف جوانب أخرى من شخصية أبي الطيب وشعره.

ولنعترف أن الغوص في بحر أبي الطيب، ليس سهلاً، وأن تقديم جديد في دراسته ليس طوع البنان، فإننا وبعد هذه المحاولة، نشعر أننا حاولنا، أما التـوفيق في تحقيق بعض المهمة، فـإنه يبـدو صغيراً، أمـام شجرة أبي الـطيب الباسقة.

ولذلك، فإننا نتـرك الحكم في هذه الحـالة للقـراء، آملين أن نستطيـع مواصلة الجهد للاسهام بدراسة أبي الطيب وشعره، بمقدار ما نستطيع.

ناجي علوش
٩٢/١٢/١

الكتاب الأول

القسم الأول

في هويته

ولقد شغلني أبو الطيب، كما شغل كثيراً من المعنيين بالشعر. وقادني هذا الانشغال، إلى التفكير، سنة ١٩٧٥ بالتعمق في دراسته، والتعرف على شخصيته، ومحاولة فهم شعره فهما مختلفا عن القراءة العابرة.

ولذلك، فإني خلال هذه السنوات، حرصت على قراءة كل ما صدر عنه، في القديم والحديث، من شروح ديوانه، إلى الكتب والدراسات التي كتبت عنه، إلى الفصول التي تعرضت لشخصيته وأدبه.

وكنت، كلما رأيت في شعره أو تاريخه إشارة، ذهبت أبحث عنها في كتب التاريخ والنقد والفلسفة، وفي المخطوطات المختلفة.

ولكن المتابعة طالت، والحصيلة تراكمت، حتى وجدت نفسي مقتنعاً بالقيام بأمرين:

الأول: اختيار مجموعة من شعره، تمثله جيداً، وتقديمها بدراسة تاريخية أدبية، تتناول شخصيته وشعره تناولاً جديداً، بمقدار ما استطيع.

الثاني: محاولة اعادة كتابة تاريخه، سياسياً واجتماعياً، بما يسد بعض الثغرات التي لم يسدها البحث المتعدد الأشكال، الذي قام به باحثون ومؤرخون مختلفون، منذ اغتيال أبي الطيب، حتى الآن.

فمن هو أبو الطيب؟ ولماذا تعمدت كتب الأدب أن تطمس شخصيته؟؟ ولم يجرؤ، حتى أنصاره الكبار مثل ابن جني وأبي العلاء المعري، على جلاء أمره[٦]؟.

ولماذا شغل أدبه النقاد، وما يزال يشغلهم، حتى الآن؟. وما هو هذا الأدب الذي يظل معاصراً في كل العصور منذ، ٣٣٧ هـ، حتى ١٤١٣ ـ ١٩٩٢؟.

- ٢ -

من هو أبو الطيب المتنبي؟

إختلفت المراجع حول اسمه، رغم شهرته الواسعة، وعلاقاته الرسمية، وحياته في العواصم، وإشكالاته مع الأمراء والأدباء والشعراء. فهو احمد بن الحسين الجعفي مرة، وهو احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد، أو احمد

بن الحسين بن مرة، أو احمد بن محمد بن الحسين بن عبد الصمد. ولكن معظم المراجع المتداولة، تذكر انه جعفي كوفي، ولد في كندة احد أحياء الكوفة[٧].

والرجل، كما نعرف، معروف مشهور، عاش مع سيف الدولة، وكافور، وعضد الدولة، وابن العميد، وبدر بن عمار، واختلف مع رجال دولة، وحاور أدباء، ومات ابن احدى وخمسين سنة. ورغم ذلك ظل اسمه الحقيقي غير مؤكد. فكيف نفسر ذلك؟.

لا نستطيع أن نفهم هذه القضية، إلا إذا عرفنا أن القرن الرابع الهجري، هو قرن الصراع السياسي والفكري المحموم، وبالتالي قرن الحركات السرية العديدة. وفي أواخر القرن الثالث، إختفى آخر الأئمة الشيعة (٢٦٥هـ)، مما احدث خلافات حول النسب، ساعدت المتشيعين، من غير العلويين خاصة والهاشميين عامة، على ادعاء النسب[٨]، وتسنم القيادة[٩].

وفي هذا الوقت تقريباً، ولد احمد بن الحسين، ٣٠٣ هـ الذي سُمي فيما بعد أبا الطيب.

ولقد درس في كُتّاب لأبناء العلويين، ثم نقل إلى بادية السماوة (٣١٢ ـ ٣١٥/٩٢٤ ـ ٩٢٧). وما لبث أن انتقل إلى الجزيرة ٣٢٠، وتنقل في أراضي الشام، من طبرية إلى اللاذقية، ومن حمص إلى حلب، ومن حلب إلى دمشق، فالرملة، ومن ثم إلى مصر سنة ٣٤٦.

وهرب سنة (٣٥٠ ـ ٩٦٢) إلى الكوفة، وما لبث أن انتقل إلى بغداد، ثم إلى أرجان وشيراز، ليقتل خلال عودته، بالقرب من بغداد[١٠].

وكان، منذ نشأته، ثائراً مطالباً بحقه، يفاخر بنسبه، ويكشف زيف الأدعياء، ولكنه يفخر بنفسه أيضاً.

ولقد مدح عديدين، إلا أنه كان يمدح نفسه، ويهدد بعض من مدحهم:

مَدَحْتُ قَوْماً، وإن عِشْنا نَظَمْتُ لَهُمْ
قصائداً من إنَاثِ الخيلِ والحُصُنِ[١١].

وفي قناعتنا أن الرجل عَلَوي هاشمي قرشي، حسب ما يؤكـد شعره وحياته، وإنه من نسل أحد الأئمة، كما سنبين في دراستنا الخاصة حول شخصيته وعصره. وإنه اختار أبا الطيب لقباً، لأن كلمة الطيب صفة للإمام، حسب بعض المصادر الإسماعيلية[١٢].

إن هذه الحقيقة، قادت إلى كل الغموض المحيط بحياته. ومن ذلك:

١ ـ إن حياة الأئمة السرية، قادت إلى زواجات غير معلنة، وبالتالي ولادات لا يعرفها إلّا المقربون جداً. ولكن هذه الزيجات والولادات، قادت إلى إشكالات نسب ووراثة[١٣].

وقصة جدته التي خلدها في قصيدته المعنونة:

أَلا لا أَري الأحْداثَ مَدْحاً ولاَ ذَمّاً[١٤]

مهمة، تكشف عن واقعة لها مثيلاتها في التاريخ الشيعي[١٥].

٢ ـ إن معرفة بعض المراكز الشيعية بذلك، كانت تدفع إلى تقريبه. كمـا حدث مع طاهر العلوي[١٦]، ومع سيف الدولة، وحتى مع كافور غيـر الشيعي. ولكن هذه المعرفة، كانت تدفع إلى الخشية منه. فالأسر الشيعية الحاكمة، تقربه، لتكسب الرأي العام المتشيع، ولكنها تخشى نسبه وطموحه، فتبعده. وهذا السبب لاطموحه فقط، هو السبب الرئيس في استمرار الحذر منه. وهذا السبب هو الذي قاد معز الدولة، حين دخل بغداد، للعدول عن فكرة اختيار علوي للخلافة[١٧]. وهناك اشارات إلى أن كافوراً، كان يتقرب إلى العلويين، عندما قدم المتنبي إلى مصر[١٨].

٣ ـ أن كونه من أولاد الإمام أو أحفاده، هو وحده الذي كان يمنـع اعلان نسبه، في عصر سرية الأئمة، وعدم جواز الإعلان عنهم، وعن ابوابهم، وكل من له علاقة بهم[١٩]. لأنهم كانوا معرضين جميعاً للخطر والموت.

ولهذا، فإن الإشارة إلى جدته، بأنها همدانية صحيحة النسب، وأنها كانت تسكن كندة بالكوفة، توحي بأمرين:

الأول: أن الجدّة كانت معروفة. وهذا طبيعي، لأن اختفاء الأب، لا يمنع بروز الأم أو الجدة، وقصة الأب الذي سُمّي «عيدان السقاء»، والذي كان يسقي الماء في الكوفة، من القصص المعروفة في تاريخ التخفي الشيعي [٢٠]. وساقي الماء أو السمان، حسب التقاليد الشيعية، أحد الوسطاء أو الحجاب، وقد يكون علوياً قحاً[٢١].

والإشارة إلى الجدة الصالحة، كما فعل أبو الحسن بن يحيى العلوي الترمذي، تزكية للمرأة والحفيد والعائلة، وتأكيد للحقيقة، بمنطق التقية، في ذلك الزمان، وتزكية لأمهات الأئمة. لأن أمهات الأئمة منزهات عن الطمث، وأشرف نساء العالم بعد فاطمة[٢٢].

الثاني: إن التركيز على الجدة، من تقاليد الشيعة، لأنها والدة الإمام.

وعليه، فإن هذه المرأة، ليست جدة المتنبي لأمّه على الأرجح، بل لأبيه. إذ لو كانت جدته لأمه، لما قال فيها:

وَلَـوْ لَـمْ تَكـونـي بَـنْـتَ أعْـظَـمِ وَالِـدٍ لكـانَ أبَـاكِ الضَخْم كَـوْنُـكِ لِيْ أمّا[٢٣]

وهذا البيت يعني أن نسبها ليس مهماً، مادامت أماً للإمام، لأن عظمتها تأتي من ولادة الإمام. وعليه فإنها قد تكون همدانية، صحيحة النسب، ولكن مصدر أهميتها أنها تزوجت أحد العلويين. وقد تزوج العلويون علويات نسباً، وهاشميات، وبنات قبائل وجواري مختلفات[٢٤].

إذا قبلنا هذه الأطروحة، كان سهلاً أن نعرف:

١ ـ لماذا أخفى احمد بن الحسين نسبه. ولماذا ظل اسمه مجهولاً. ولماذا اختفى وراء لقب مثل الجعفي الكوفي، لأنه إن كان علوياً أو فاطمياً فهذا يعني أنه قرشي، وليس جعفياً. وقد تكون جدته همدانية أو جعفية، وأنه تغطى بأخواله.

٢ ـ لماذا دعا إلى القيام، وطالب بحقه، وأطلق على نفسه لقب أبي الطيب[٢٥].

٣ ـ ولماذا توبع، وحوصر، وقتل.

وسنحاول إبراز ذلك في كتابنا الثاني (المتنبي: دراسة في التاريخ السياسي والإجتماعي والثقافي)، لأننا سندرس في ذلك الكتاب البيئة السياسية والدينية والثقافية، كما سندرس علاقات المتنبي وأسفاره.

وسنكتفي في هذا الكتاب بدراسة هويته، وأدبه فقط، ونحن نقدم لهذه المختارات.

وأبو الطيب الذي ندرسه، ليس طالب حق فقط، إنه مع ذلك ثائر وفارس وشاعر. ولا يعرف تاريخ الشعر العربي، منذ امرىء القيس، شاعراً بارزاً، يكون فارساً، ويكون ثائراً، كما كان أبو الطيب.

لقد كان امرؤ القيس (٥٠٠ ـ ٥٤٠م) طالب حق، ولكنه لم يكن ثائراً، ولا فارساً. ولقد استنجد بقيصر الروم لانتزاع حقه.

أما أبو الطيب، فقد سلك مسلكاً آخر، لأنه لم يلجأ إلى ملك الروم، في طلب حقه، بل قرر أن يلجأ إلى بناء القوة اللازمة.

سَأَطْلُبُ حَقّي[1] بالقنا ومَشايخٍ
كَأَنّهُمُ من طولِ ما التثموا مُرْدُ[26]

ثِقالٌ إذا لاقوا، خِفافٌ إذا دُعوا
كَثيرٌ إذا شَدّوا، قَليلٌ إذا عُدّوا

وهو يكرر ذلك في اكثر من قصيدة:

وإنْ عَمُرتُ[2] جَعَلْتُ الحربَ وَالدةً
وَالسَمْهَريّ أَخاً والمَشْرَفيّ أَبا[27]

بِكُلِّ أَشْعَثَ[3] يَلْقى الموتَ مُبْتَسِماً
حتّى كَأَنّ لَهُ في قَتْلِهِ أَرَبا

---

(١) حقي: أي مُلْكي الذي هو حقي. القنا: الرماح، والمشايخ: الرجال المجربون الذين يبدون مرداً لكثرة التثامهم.

(٢) عَمُرتُ: أي طال عمري، والسمهري: الرمح، والمشرفي: السيف.

(٣) أشعث: أي أغبر من ممارسة الحرب.

قُحٌّ يكادُ صَهيلُ الخيل يَقْذِفُهُ
عَن سَرْجِه سَرَجاً بالعزِّ أوْ طَرَبا

والبحث عن هؤلاء، هو الذي دفعه إلى التحرك في البوادي، والتنقل بين القبائل، والانتقال بين العواصم. ورغم أسفاره، وتقلب أحواله، وتعدد علاقاته، فإنه ظل يعلن ثورته.

ومن أول شعره، بيتان قالهما، وهو يدرس مع أبناء العلويين في الكوفة:

لَا تَحْسُنَ الوفرةُ[1] حتّى تُرى
مَنْشورةَ الضفرين يومَ القتالْ[28]
عَلى فتىً مُعْتَقِلٍ[2] صَعْدَةً
يُعِلُّها من كلِّ وافي السبالْ

ومما قاله في صباه:

مُحِبي قِيامي[3] مَا لِذلِكُم النصلِ
بَريئاً مِن الجرحى سَليماً من القَتْلِ[29]
أرى مِنْ فِرنْدي[4] قِطْعَةً مِنْ فِرَنْدِه
وجودة ضَرْبِ الهَام في جُودَة الصَقْلِ
وَخُضْرَة[5] ثَوْبِ العيشِ في الخُضْرَة التي
أرتك احمرار المَوْتِ في مَدْرَج النَمْلِ

---

(١) الوفرة: ويُروى الشَعْرة، جملة الشعر،«والضفرين»:الضفيرتان. ومن عادة العرب في الحرب، أنهم يكشفون رؤسهم وينشرون شعورهم.

(٢) مُعْتقل: الاعتقال أن يضع الفارس رمحه بين ركابه وساقه، ويمسكه بفخذه. والصَعْدة: القناة المستوية. وقيل ما صغر من الرمح. ويُعِلُّها أي يسقيها ثانية.

(٣) القيام: الثورة والقيام بالأمر، والنصل: حديدة الرمح.

(٤) الفرند:جوهر السيف، والهام جمع هامة: الرؤوس. وجعل مضاء السيف من مضائه.

(٥) خُضرة ثوب العيش: أي الرفاهية، والخضرة الثانية، لون السيف.

أَمِطْ[1] عَنْكَ تَشْبِيهِي بِما وكَأَنَّه
فما أحدٌ فَوْقي ولَا أَحَدٌ مِثْلي
وَذَرْني[2] وايّاهُ وطِرْفي وَذَابلي
نَكُنْ واحداً يَلْقى الوَرى وانْظُرَنْ فِعلي

ويتكرر ذلك في شعره. ولعل قصيدته الدالية التي قالها في صباه، بيان ثوري يعبر عن خطه هذا[30].

وقاد هذا إلى اتهامه. بالإعداد لثورة حوالى سنة ٣٢٢، وإلى اعتقاله في حمص[31].

وفيما وصلنا من شعره في السجن، وهو قليل، نلمس امرين:

الأول: أنه ظل ثابت الجأش في السجن. ولذلك فإنه كتب إلى أبي دلف بن كنداج، الذي قدم للثائر المسجون هدية، ثم ثلبه عند الوالي، هذه الأبيات:

أَهْوِنْ[3] بطولِ الثَّواءِ والتَلَفِ ... والسَّجْنِ والقيدِ يا أَبا دُلَفِ[32]
غيرُا اختيارٍ قَبِلْتُ بِرَّكَ بي ... والجوعُ يُرضِي الأَسود بالجِيَفِ
كُنْ أيّها السجْنُ، كيفَ شِئتَ فَقَدْ ... وَطّنتُ للموتِ نَفْسَ مُعْتَرِفِ
لَو كانَ سكناي فيكَ مَنْقَصةً ... لَمْ يَكُنِ الدُّر ساكِنَ الصَدَفِ

ويبدو أن ابن كنداج هذا، لم يكن ليستطيع أن يتجاهل وجود أبي الطيب في السجن، فأرادَ أن يَخْدمه طَمَعاً في كسب معين. ولكن أبن كنداج هذا، حرّض عليه الوالي، ولم يصبر السجين على ذلك، فكشف لابن كنداج فِعْلته، وأكد لابن كنداج وللجميع أنه غير خائف، وأنه مستعد للموت.

الثاني: أنه لم ينكر أنه فكر بالقيام والثورة، ولكنه أنكر أنه فعل ذلك. وجاء هذا واضحاً في القصيدة التي أرسلها للوالي، ورجاه فيها أن يطلق سراحه:

---

(١) أَمِطْ: أي أزل، وأكشف.
(٢) ذَرْني: أي دعني، وايّاه: أي السيف، والطِرْف: الفرس، والذابل: الرمح.
(٣) أَهْوِن: أي ما أهون. والثواء: الإقامة، والتلف: الهلاك.

وَكُنْ فَارِقاً[1] بَيْنَ دَعْوى أَرَدْتُ
وَدعوى فَعَلْتُ بِشَأْوٍ بَعِيدِ[33]

ومع أنه خرج من السجن، بعد أن استتيب، كما تشير المراجع[34]، فإن ذلك لم يغيّر من لغته. وهذه قصائده، تثبت ذلك، منذ خروجه من السجن، كما حدث عند مدحه علي بن إبراهيم التنوخي[30]، إلى أن هرب من كافور سنة ٣٥٠[36].

ولكنه، بعد الخروج من السجن، أخذ يطوف في القبائل والعواصم، ليبني حزبه بين الناس، وليتعرف إلى أصحاب القوة، ممن يمكن الاعتماد عليهم في مشروعه.

وبعد أن مدح عديدين، تعرف بفارس شجاع، مقاتل عربي، هو بدر بن عمار، والي طبرية وما جاورها، فأحبه، وركن اليه، معتبراً أنه بدأ حياة جديدة بالتعرف إليه:

أَحُلْمَاً نَرى أَمْ زَماناً جَديداً
أَمِ الخَلْقُ في شَخْصِ حَيِّيٍّ أُعيدا[37]
تَجلّى لَنا فَأَضَأْنا بِهِ
كَأَنّا نجومٌ لَقينَ سُعوداً

ولكنه، ورغم ذلك، أفهم بدراً، أنه لا يقيم على ضيم، وأنه لا يحتمي إلا بسيفه، وأنه قادر على مفارقة الذين لا يستطيع التعايش معهم.

وَمَهْمَهٍ[2] جُبْتُهُ عَلى قَدَمِي تَعْجَزُ عَنْه العرامسُ الذلُلُ[38]
بِصارِمي[3] مُرتَدٍ بمخبَرتي مُجْتَزِئٌ بالظلامِ مُشْتَمِلُ
إذا صَديقٌ نَكَرْتُ جانِبَهُ لَمْ تُعيني فِي فِراقِه الحِيَلُ

(١) فارق: أي مُفرّق. والشأو: الغاية والمسافة.
(٢) المَهْمَه: المفازة، جبته: قطعته. وعرامس، جمع عرمس: الناقة القوية الصلبة، والذلول: ضد الصعبة.
(٣) الصارم: السيف، ومُرْتَدٍ: متقلد. والمخبرة: المعرفة والخبرة. ومجتزيء: مُكْتفٍ.

إلا أن هذه العلاقة التي أثمرت قصائد خالدة، أبرزها قصيدة (بدر والأسد)، لم تعمر اكثر من سنة، أنتج فيها أبو الطيب خمس قصائد، وقطعاً كثيرة[٣٩]. وكان على أبي الطيب أن يرحل، لأن بدراً الوالي، لا يستطيع أن يحتمل مشروع أبي الطيب، ولأن لكل منهما، على ما يبدو مشاريعه وارتباطاته. وبالتالي، فإن ما يسمى الوشاة، لا يعدو أن يكون رجال السلطة، وممثلي الأطراف المتنافسة والمتنازعة.

فماذا فعل أبو الطيب؟

لقد هجا ابن كروس الذي لعب، على ما يبدو، دوراً في الوقيعة، وأكد مبادئه المعروفة المعلنة:

أُواناً فِي بُيوتِ ٱلبَدْوِ رحلي ... وآونة على قَتَد[١] ٱلبعيرِ[٤٠]

أُعرِّضُ لِلرِّماحِ الصُمِّ نَحْري ... وأُنْصُبُ حُرَّ وَجْهي لِلهَجيرِ

وأَسري في ظَلامِ ٱللَيلِ وَحْدي ... كَأَنّي مِنْهُ في قَمَرٍ مُنيرِ

فَقُلْ في حاجةٍ لَمْ أقْضِ مِنْها ... عَلى شَغَفي بِها شَروى نَقيرِ

وَنَفْسٍ لا تُجيبُ إلى خَسيسٍ ... وَعَيْنٍ لا تُدار عَلى نَظيرِ

وَكفّ لا تُنازِعْ مَن أَتاني ... يُنازِعُني سِوى شَرَفي وَخِيري

وَقِلّةِ ناصِرٍ جُوزيتَ عَنّي ... بِشرٍّ مِنْكَ يا شَرَّ ٱلدُهورِ

عَدُّوي كلُّ شيءٍ فيكَ حَتّى ... لَخِلْتُ الأُكْمَ[٢] مُوغَرَةَ ٱلصدورِ

فَلَوْ أَنّي حُسِدْتُ عَلى نَفيسٍ ... لَجُدْتُ بِهِ لِذي ٱلجِدِّ ٱلعَثُورِ

وَلكنّي حُسِدْتُ عَلى حَياتي ... ومَا خُيرِ ٱلحياةِ بِلا سُرورِ

فَيا ٱبْنَ كَرّوسٍ يا نِصْفَ أعمى ... وإنْ تَفْخَرْ فَيا نِصْفَ البَصيرِ

تُعَادينا لأَنّا غَيْرُ لُكْنٍ[٣] ... وَتُبْغِضُنا لأَنّا غَيْرُ عورِ

فَلَوْ كُنْتَ ٱمرأً يُهجى هَجَونا ... وَلكِنْ ضاقَ فِتْرٌ عَنْ مَسيرِ

---

(١) قَتَد: خشب الرحل.

(٢) الأكمة: الجبل الصغير، والأكَم جَمْع، والمُوغَرة: المُستثارة من الغيظ.

(٣) لُكْن: جَمْع ألكن، أي غير فصيح.

وتنتهي العلاقة مع بدر بن عمار، على غير ما أراد أبو الطيب، لأن الصراع السياسي الخفي المتفاقم، يبدد ما يبنيه.

ولا يزيد هذا أبا الطيب إلّا عزماً. وهـذا ما تعكسه قصائده اللاحقة.

ومنذ غادر بدراً، إلى أن التقى بابن طغج، والي الرملة الاخشيدي، طافَ أبو الطيب، ما بين الرملة واللاذقية، وكتب العديد من القصائد.

وكان أول هذه القصائد قصيدته التي مدح فيها أبا الحسين علي بن احمد المُرّي الخراساني، في جبل جرش، وكانا على مودة، من أيّام طبرية. ومطلع هذه القصيدة يطلق صيحة أبي الطيب:

لا آفـتـخـارٌ إلّا لِـمَـنْ لَا يُـضـامُ مُـدْرِكٌ أَوْ مُـحـارِبٌ لا يَـنَـامُ[٤١].

وآحـتـمـالُ الأذى وَرُؤْيَـةُ جَـانـيـهِ غِـذاءٌ تَـضْـوى[١] بِـهِ الأجْـسـامُ
ذلَّ مَـنْ يَـغْـبُطُ آلـذَلـيـلَ بـعـيشٍ رُبَّ عَـيْشٍ أخـفُّ مِـنْـه آلـحِـمـامُ
كُـلَّ حِـلْمٍ أتـى بـغـيـرِ آقـتـدارٍ حُـجَّـةٌ لاجـيءٌ إلـيـهـا آلـلئـامُ
مَـنْ يَـهُـنْ يَـسْـهُـلِ آلـهـوانُ عَـلـيـهِ مَـا لِـجُـرْحٍ بـمـيّـتٍ إيـلامُ

ضَـاقَ ذَرْعـاً بـأنْ أضـيـقَ بِـهِ ذَرْعـاً زَمـانـي وآسـتَـكْـرَمَـتْـنـي آلـكِـرامُ
وَاقِفـاً تَحْتَ أخْمَـصيْ[٢] قَـدْرِ نَـفْسي واقِـفـاً تَـحْـتَ أخْـمَـصـيَّ الأنـامُ
أَقَـراراً ألَـذُّ فَـوْقَ شَـرارٍ وَمَـرامـاً أبْـغـي وَظُـلْـمـي يُـرامُ
دونَ أنْ يَـشْـرَقُ آلـحِـجـازُ ونجدٌ وآلـعِـراقـانِ بـآلـقـنـا وآلـشّـامُ

ويتردد ذلك في قصائده اللاحقة، ولا سيما القصائد التي مدح بها أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الخصيبي، وأبا الفضل أحمد بن عبد الله آبن الحسين الإنطاكي، وأخاه أبا سهيل سعيد بن عبد الله آبن الحسين الإنطاكي:

---

(١) تَضْوى: تَهْزَل.

(٢) الأخمص: باطن القدم، ويَعْنِي أنّه واقف دون قَدْرِ نفسه، وكُلُّ البشر دونه.

ففي الأولى يقول:

لا أقتري[1] بلداً إلاّ على غَرَرٍ ... ولا أمرُّ بخَلْقٍ غيرَ مُضْطَغِنِ[42]

وَلاَ أُعاشِرُ مِنْ أملاكِهم مَلِكاً ... إلاّ أَحَقّ بِضَرْبِ الرأْسِ مِنْ وَثَنِ

قَدْ هَوّنَ الصبرُ عِنْدي كلَّ نازِلةٍ ... وَلَيّنَ العَزْمُ حَدَّ المَرْكَبِ الخَشِنِ

لِلّهِ حَالٌ أُرجّيها وَتُخْلِفُني ... وأَقْتَضي كَوْنَها دَهْري وَيَمْطُلُني

مَدَحْتُ قَوْماً، وإنْ عِشْنا نَظَمْتُ لَهُمْ ... قَصائداً من إناث الخيل والحُصُنِ

تَحْتَ العَجاجِ[2] قَوافِيها مضمّرة ... إذا تُنُوشِدْنَ لَمْ يَدْخُلْنَ في أُذَنِ

فَلا أُحارِبُ مَدْفوعاً إلى جُدُرٍ[3] ... ولا أُصالِحُ مَغْروراً على دَخَنِ

وفي الثانية يقول:

لاَ تَجْسُرُ الفُصَحاءُ تُنْشِد هَا هُنا ... بَيْتاً، وَلكني الهزَبْرُ[4] الباسِلُ[43]

مَا نَالَ أَهْلُ الجَاهِلِيّةِ كُلُّهُمْ ... شِعْري ولاَ سَمِعَتْ بِسِحْرِي بَابِلُ

وإذا أَتَتْكَ مَذمّتي مِنْ ناقِصٍ ... فَهْيَ الشّهادةُ لي بأَنّي كامِلُ

مَنْ لي بِفَهْمِ أُهَيْلِ[5] عَصْرٍ يدعي ... ان يحسب الهندي فيهم باقلُ . . .

وفي الثالثة يقول:

أَبْدو فَيَسْجُدُ مَنْ بالسوءِ يَذْكُرُني ... فَلا أُعاتِبُه صَفْحاً وإهوانا[44]

وَهكَذا كُنْتُ في أَهْلِي وَفي وَطَني ... إنّ النفيسَ غَريبٌ حَيْثُما كَانا

مُحَسّد الفَضْل مَكْذوبٌ على أَثَري ... أَلْقَى الكَميَّ وَيَلْقَاني إذا هَانا

وقيمة هذه القصائد انها موجهة إلى اثنين من أبناء الحسين بن حمدان

---

(١) أقتري: أسير وأتتبع، والغَرر: الخَطَر.

(٢) العَجاج: الغُبار، ومُضَمّرة: الخيل الضامرة.

(٣) جُدُر: الأسوار، والدَخَن: الفساد والغش.

(٤) الهزبر: الأسد.

(٥) أُهيل: تصغير أهل. وباقل: رجل يضرب به المثل في العي، فكيف إذا طلب منه أن يحسب حساب الهند. وقد اعتبر المعري البيت غير جيد، لأن باقلاً معروف بالعي، والحساب غير العي، ورأى أن أبا الطيب لو قال «أن ينظم الأشعار فيهم باقل» أو «ان يفحم الخطباء فيهم باقل»، لكان أجود.

الخصيبي وأحد أقاربه. والحسين بن حمدان الخصيبي احد أبرز الدعاة العلويين، نظمه أبو محمدً عبد الله بن محمد الجنبلاني الذي خَلَف أبا شعيب محمد بن نصير البصري النميري، باب الإمام الحسن العسكري، والباب في غيبة الإمام محمد المهدي.

وقد ألَّف الخصيبي كتاب «كن مستقيماً»، عندما كان عند عضد الدولة بن بويه، وكتاب «الهداية الكبرى»، وأهداه لسيف الدولة الحمداني.

ومن المتعارف عليه إن أبا الطيب، من تلاميذ الخصيبي(٤٥).

ويحاول المتنبي في القصيدة الأولى، أن يُبلِّغ آل الخصيبي، وبالتالي أستاذه في الدعوة الأمور التالية:

١ ـ أنه مازال صابراً وصامداً، وأن الصبر يجعله قادراً على تحمل كل النوازل.

٢ ـ أنه مازال، يقود مقاتلين منتشرين في القفار، أشداء، لا يملكون من متاعِ الدنيا شروى نقير:

ومُدْقِعين(١) بِسَبْروتٍ صَحِبْتُهُمُ عَارينَ مِنْ حُلَلٍ، كَاسينَ مِنْ دَرَنِ(٤٦)
خُرّاب(٢) باديةٍ غَرْثى بُطُونُهُمُ مُكْنُ الضبابِ لَهُم زَادٌ بِلا ثَمَنِ

٣ ـ أنه مدح قوماً لا يستحقون المدح، ولذلك فإنه سيقاتلهم:

مَدَحْتُ قَوْماً، وإنْ عِشْنا نَظَمْتُ لَهُمْ
قَصَائِداً من إناث الخَيْلِ والحُصُنِ(٤٧)
تَحْتَ العَجَاجِ قَوَافِيها مُضَمَّرَةٌ
إذا تُنوشِدن لَمْ يَدْخُلن في أُذُنِ.

---

(١) مدقع: الفقير اللاصق بالدقعاء، أي التراب. والسَبَروت: الأرض الجرداء.
والحُلَل: الثياب. والدَرَن: الوسخ.

(٢) خُرّاب، جمع خَارب، أي سارق الإبل خاصة. ومُكْن الضب: بيضه، غرثى: ضامرة بطونهم من الجوع.

لكنه، وهو يمدح هؤلاء، ويخفي وجهه الحقيقي، لا يستطيع أن يتجاوز المبادىء:

وكِلْمَةٍ فِي طَريقٍ خِفْتُ أُعْرِبُها فَيُهْتدى لي فَلَمْ أَقْدِرْ عَلى اللحَنَ[٤٨]

إلا أن هذا لا يدفعه إلى القتال، في المواقع غير الملائمة، لأنه لا يحارب مدفوعاً إلى جدر.

ولذلك فهو يمدح القاضي الخصيبي، بأنه حكيم وعادل وزاهد وصادق «والواحد الحالتين السر والعلن»[٤٩].

إن أبا الطيب في هذه القصيدة، يتبرأ من أدران المرحلة الماضية، ويعلن أنه مازال الفارس الصادق الذي قد يناور أحياناً، ولكنه يظل على مبادئه. «ومن البيّن أن في ضمير هذه القصيدة حالة عربية مكتومة ومعلومة..»[٥٠].

ولأبي الطيب في هذه الفترة قصائد أخرى، تلفت الأنظار، ومن هذه القصائد:

١ ـ قصيدته في رثاء جدته، وهي من أبرز قصائده، وأكثرها تعبيراً عن حالته آنذاك. ورغم ما أبداه من تفجع على هذه الجدة، إلاّ أنه عاد ليؤكد موقفه ورسالته:

تَغَرّبَ لاَ مُسْتَعْظِماً غَيْرَ نَفْسِه وَلا قَابِلاً إلاّ لِخَالِقِه حُكْماً[٥١]
وَلاَ سَالِكاً إلاّ فُؤادَ عَجاجَةٍ وَلا وَاجِداً إلاّ لِمَكْرُمَةٍ طَعْماً
يَقُولونَ[١] لِي مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ؟ وَمَا تَبْتَغي؟ مَا أَبْتَغي جَلّ أنْ يُسمى
كَأَنَّ بَنيهِمْ عَالِمُونَ بِأَنّني جَلوبٌ إليهم مِنْ مَعادِنِه ٱلْيُتْما
وَلكنّني مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِه[٢] وَمُرْتَكِب فِي كُلِّ حَالٍ بِه ٱلْغُشْما

---

(١) يقول المعري في تفسير البيت. «أراد أنهم إذا سألوني: ما لذي تبتغي؟ فجوابي: ما أبتغيه جل أن يسمى!. كأنه أراد: الملك أو النبوة أو الإمامة» ج ـ ١، ص ٢٦٦.

(٢) ذباب السيف: حده ومستنصر: يطلب النصر. والغشم: الظلم. وقصد أبو الطيب بذلك استخدام العنف ضد أعدائه.

ويضيف خاتماً القصيدة:

كَـذا أَنَـا يَـا دُنْـيَـا، فَـإنْ شِئْـتِ فـآذْهَـبـي
وَيَـا نَـفْسُ زِيـدي فِـي كَـرائِـهـهـا قـدمـا[٥٢]
فَـلا عَـبَـرتْ بـي سَـاعـةٌ لاَ تُـعـزُّنـي
وَلا صَـحِـبـتـنـي مُـهْـجـةٌ تَـقْـبَـلُ آلـظُـلْـمـا

إن في هذه القصيدة كثيرا من أسرار المتنبي: النسب والمطامح وكل ما بدا غامضاً في حياته.

٢ ـ قصيدته التي يمدح فيها أبا أيوب أحمد بن عمران، ولا يبدو أنه مدحه مرة أخرى. وهو في هذه القصيدة يذكر عفته ازاء النساء.

إنّي عَلى شَغَفـي بِمـا فِـي خُمْـرِهـا[١] لأَعِـفُّ عَمّـا فِـي سَـرابيـلاتـهـا[٥٣]

ويضيف:

وَتَـرى آلـمُـروءَةُ وآلـفُـتـوّة وألأُبـوّةُ فـيَّ كُـلّ مَـلـيـحَـةٍ ضُـرّاتِـهـا
هُـنَّ آلـثـلاثُ آلـمـانِـعـاتـي لَـذّتـي فِـي خَلْوَتـي لاَ الخَـوْفُ مِـنْ تِبـعـاتِهـا
وَمَـطالِـبٍ فِـيـهـا آلـهَـلاكُ أَتَـيْـتُـهـا ثَـبْـتَ آلـجَـنـانِ كَـأَنّـنـي لَـمْ آتِـهـا
وَمَـقـانِـبٍ[٢] بمقانِبٍ غَـادَرْتُـهـا أقـواتَ وَحْش كُـنّ مِـنْ أَقْـواتِـهـا

٣ ـ قصيدته التي مدح فيها علي ابن احمد بن عامر الانطاكي، الموظف في ديوان الرسائل، لدى الأخشيدين، كما يقول بلاشير[٥٤].

وتبدأ هذه القصيدة بلا مقدمة غزلية:

أُطَـاعِـنُ خَـيْـلاً مِـنْ فَـوَارِسِـهـا آلـدَهْـرُ
وَحـيـداً، وَمَـا قَـوْلِي كَـذا وَمَـعـي آلـصـبْـرُ[٥٥]

---

(١) الخمار: غطاء رأس المرأة، سربال: قميص.

(٢) المقانب، جمع مقنب: ما بين الثلاثين والأربعين من الخيل.

تَـمَـرَّسْـتُ بـالآفـاتِ حَـتّـى تَـرَكْـتُـهـا
تَـقـولُ أَمـاتَ آلـمـوتُ، أمْ ذُعِـر آلـذُعْـرُ
وأَقْـدَمْـتُ إقـدامَ الأَتـيِّ[1] كَـأَنّ لِـي
سِـوى مُـهْـجَـتـي، أو كَـانَ لِـي عِـنْـدَهـا وِتْـرُ
ذَرِ[2] آلـنَـفْسَ تَـأْخُـذْ وُسْـعَـهـا قَـبْـلَ بَـيْـنِـهـا
فَـمُـفْـتَـرِقٌ جَـارانِ دَارُهُـمـا آلـعُـمْـرُ
وَلا تَـحْـسَـبـنّ آلـمَـجْـدَ زِقّـاً[3] وَقَـيْـنَـةً
فَـمَـا آلمَجْـد إلاّ آلـسيفُ وآلـفَـتْـكَـة آلـبِـكْـرُ
وَتَـضْريبُ أَعْـنـاقِ آلـمُـلوكِ وأَنْ تُـرى
لَـكَ آلـهَبـواتُ[4] آلـسـودُ وآلعَـسْكَـر آلـمَـجْـرُ
وتـرْكُـكَ فـي آلـدنـيـا دَويـاً[5] كَـأنـمـا
تَـدَاول سَـمْـعَ آلـمَـرْءِ أنْـمـلُه الـعَـشْـرُ
عَـليّ لأَهْـلِ آلـجَـوْرِ كُـلُّ طـمـرّة[6]
عَـلـيـهـا غُـلامٌ مِـلءُ حَـيْـزومِـه غَـمْـرُ
يُـديـرُ بِـأَطْـرافِ آلـرمـاحِ عَـلَيْـهِـمُ
كُـؤوسَ آلـمَـنـايـا حَـيْـثُ لا تُـشْـتَـهى آلـخَـمْـرُ
وَكَـمْ مِـنْ جِـبـالٍ جُـبْـتُ تَـشْـهـدُ أنـنـي
آلـجبـالُ، وَبَـحْـرٍ شـاهـد أَنْـنـي آلـبَـحْـرُ

---

(١) الأتيّ: السيل، والوتر: الثأر.
(٢) ذَرْ: دع، وسعها: ما تستطيع.
(٣) الزق: السقاء، يوضع فيه الخمر. والقينة: الجارية، والفَتْكة: واحدة الفتك.
(٤) الهبوة: غبار العسكر العظيم. والمجر: الكثير.
(٥) أراد ترك دوي متواصل في الدنيا، كما لو وضع المرء انامله في أذنيه.
(٦) الطِمرّة: الفرس، والحَيزوم: الصدر. والغمر: الحقد.

٤ ـ قصيدته التي مدح بها علي بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي، وتبدأ هذه القصيدة كالسابقة، لتفاجئنا في البيت الثاني بهذا البيت:

وَمـا سَكَني[١] سـوى قَتْـل الأعـادي فَـهَـلْ مِن زَوْرة تَشْفي الـقُـلوبـا؟[٥٦]

ويضيف:

عَـرَفْتُ نَـوائـب آلـحَـدَثـانِ حَتّـى لـو آنـتَـسَـبَـتْ لَـكُـنْـتُ لَـهـا نـقـيـبـاً

ثم يعود ليمدحه قائلاً:

سَـأَطْـلُـبُ حَقّي بـالقَـنـا وَمَشـايـخٍ كَـأَنّهمُ مِنْ طُـول مـا ٱلْتَثَمـوا مُـرْدُ[٥٧].

أذمُّ إلَـى هَـذا آلـزمـانِ أُهَـيْـلَه فَـأَعْـلَمُهُـم فَـدْمٌ[٢] وَأَحْـزَمُهُـم وَغْـدُ

ولا يخرج عن هذا الخط الا قصيدتان:

الأولى: مدح بها أبا بكر علي بن صالح الروذ باري في دمشق. وتحدث فيها عن سيفه، وأنه لا يحمله إلا لضرب الرقاب[٥٨].

الثانية: مدح بها الحسين بن علي الهمداني، تبدأ بمقدمة غزلية، يصور فيها أخلاق النساء، ثم ينتقل إلى المدح[٥٩].

ويضم شعر هذه الفترة مقطوعة، يهجو بها أبو الطيب الأدعياء، ويهددهم بمنجنيقه، الذي يَهُدّ ذوي الأصل القوي، فكيف، ولا أصل لهم. ويصف أبو الطيب هؤلاء، بأنهم لا يستطيعون تدبير أنفسهم، لأنهم انتسبوا إلى من لا نسل له[٦٠].

وكان أبو الطيب، وهو يؤكد حقه ونضاله، يقيم علاقة جديدة، مع ممثلي السلطة الاخشيدية التي تحاول السيطرة على بلاد الشام[٦١].

ونستطيع أن نقول: أن أبا الطيب احتفظ بوجهه وقضيته رغم السجن، ورغم عدم وجود حماية رسمية مهمة له، بعد.

---

(١) سَكَني: ما أسكن إليه. والزورة: الزيارة.

(٢) الفدم: الغبي، والوغد: من لا خير فيه.

ويبدو أن أبا الطيب، كان يستند إلى تأييد التنوخيين لـه، وإلى قوة حـزبه السري. ومع ذلك، فإنه يطلب الحماية من الروذ باري، رغم إصراره على البقاء بحماية سيفه:

يَـا مُـزيـل آلـظَلامِ عَـنّي وَرَوْضـي يَـوْمَ شـربي وَمَعْقَلي[٢] في آلبـرازِ[٦٢]

وكان طلبها، من آخرين، قبل وبعد[٦٣]، وإن كان هذا الطلب لا يعني أنه سلّم أمره لأحد. كما ستثبت الوقائع فيما بعد.

- ٣ -

أ ـ العودة إلى الرملة عند آبن طغج: كان أبو الطيب، يراقب صراع القوى، في بلاد الشام. ولقد قُتِل ابن رائق (سنة ٣٣٠ ـ ٩٤١)، بأمر الخليفة العباسي، فخلت الشام للإخشيديين. ولكن ظهور سيف الدولة في الشمال، سنة ٣٣٣، أعاد الصـراع من جـديـد. إلّا أن طـرفي الصـراع، وهمـا الحمـدانيـون من جهـة، والاخشيديون من جهة أخرى، تصالحا، لتبقى حلب إمارة حمدانية، ولتبقى دمشق في يد الاخشيديين. وكان الوسـطاء من العلويين، وفيهم الحسن أو الحسين بن طاهر العلوي الذي سعى بزواج سيف الدولة من ابنة عم الأخشيد[٦٤].

ولقد التحق أبو الطيب بالرملة التي كانت من مراكز العلويين كطبرية[٦٥]، بعد أن التقى محمد الأخشيد في دمشق، سنة ٣٣٤ ـ ٩٤٦. وحين مات الإخشيد، سنـة ٣٣٤، اتجه أبـو الطيب لابن عمـه، والي الرملة، أبـو محمـد الحسن بن عبيد الله. وكان ابن عشرين عاماً. إلا أن هذه الفترة كانت قصيرة، ولم ينتج فيها أبو الطيب إلّا قصيدتين، وعدة مقاطع ثانوية.

أولى القصيدتين، يمدح فيها الأمير أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج، ومطلعها:

[١]أَنـا لآئِمي إنْ كُـنْتُ وَقْـتَ آللوائِـمِ عَـلِمْتُ بِمـا بِي بَـيْنَ تِـلْكَ آلمَـعـالِمِ[٦٦]

---

(١) المعقل: الحصن. والبـراز: الصحراء، وهو يَرى سيفه مزيل الظلام عنه، وواحته حين يشرب، وملاذه. وربما قصد وروضي يوم شربي، أي الغابة التي تحميني، حين أشرب دم الأعداء.

(٢) المعالم: الآثار. ويعني «لو كنت اعلم ما حل بي بين تلك المعالم، ولا مني اللوام، للمت نفسي».

والثانية، يمدح بها طاهراً العلوي، ومطلعها:

(١) أَعيـدُوا صَبـاحي فَهُـوَ عِنْـدَ ٱلكَـواعِبِ
وَرُدّوا رُقـادي فَـهْـوَ لَـحْظُ ٱلـحَـبـائِـبِ(٦٧)

وقد بدأت الأولى بمقدمة غزلية، وما برح أبو الطيب أن انتقل إلى موضوعه لأثير:

(٢) فَـما لي وَللدُنيـا: طـلابي نُجومُهـا وَمَسَعـاي مِنْهـا فِـي شُـدوقِ الأَراقِمِ
وَمَـنْ عَـرَف الأيّـامَ مَعْـرِفَتي بـهـا وبـالـنـاسِ رَوّى رُمْحَـهِ غَـيْـرَ راحِمِ
فَـليسَ بـمـرحـوم إذا ظَـفـرُوا بـه وَلا في ٱلـردى ٱلجَـاري عَلَيْهِـمْ بـآثِمِ

ولا يلبث أن يطلق هذا البيت، قبل أن ينهي القصيدة بقليل:

وَفَـارَقْتُ شَـرَّ الأَرضِ أَهْـلاً وَتُـرْبَـةً بِـهـا عَـلَويُ جَـدُّه غَـيْـرُ هـاشِـمِ

قال ابن جني: سألته عن هذا فقال: «أردت طبرية، وكان فيها أعداء للممدوح، وأحسبه يعرض بالذين قال فيهم: أتاني وعيد الأعياء، فيما بعد»(٦٨).

ولم تخرج الثانية، عن نهج الأولى، لأنها بدأت بالغزل، ولكنها ما لبثت أن تحوّلت إلى مواجهة. فالأمير، يرجو أبا الطيب أن يمدح طاهراً العلوي، وأبو الطيب يرفض محتجاً، بأنه لا يمدح غير الأمير. ويوافق أبو الطيب أخيراً، ويذهب إلى بيت أبي القاسم طاهر، كما تقول الرواية، فيستقبله أبو القاسم طاهر بحفاوة بالغة، ويجلسه مكانه، وعنده أشراف وكتاب، ويتجاذب أبو الطيب وأبا القاسم أطراف الحديث، ثم ينشد أبو الطيب قصيدته. وفي هذا الموقف الجريء، حدث ما يلي:

١ ـ إنتزع أبو الطيب اعتراف أبي القاسم طاهر العلوي به. وهذا الاعتراف ليس اعتراف شخصية علوية وسياسية، مثل طاهر، بأبي الطيب الشاعر، بل بمكانة

---

(١) كواعب: جمع كاعب، صبية برز ثدياها. والحبائب جمع حبيبة. ويقصد أعيدوا الصبايا الراحلات، يعود صباحي، وردوا أحبائي، يرجع نومي.

(٢) طِلابي: طَلبي. والنجوم: يعني بها ما بَعُد وعلا، أي معالي الأمور. والأراقم: الحيات.

أبي الطيب الاجتماعية، من حيث النسب والدور، لأن الحفاوة التي قوبل بها، ليست حفاوة أمير شريف بشاعر مَدّاح.

٢ ـ أعلن مشروعه المعروف، وهدد باليوم الأغر المحجل:

(١) وَلا بُـدّ مِـنْ يَـوْمٍ أَغـرَّ مُـحَـجّـلٍ يَـطُولُ آستماعي بَعْـدَه لِلنَـوادِبِ(٦٩)
يَـهـونُ عَـلى مِـثْـلي إذا رامَ حـاجـةً وُقـوع آلعَـوالي(٢) دُونَهـا وآلقَـواضِبِ

ويضيف:

إليَّ لَعَـمـري قَـصْـدُ كـلِّ عَـجـيـبـةٍ كَـأَنّي عَجيبٌ فِـي عُيـون آلـعَجـائـبِ
(٣) بـأيِّ بِـلادٍ لَـمْ أَجـرَّ ذُؤابَـتـي وأيِّ مَـكـانٍ لَـمْ تَـطَأْهُ رَكـائِـبـي

٣ ـ أنذر أبو الطيب أبا القاسم طاهراً، بأنه لا يخاف الأدعياء:

إلـيـكَ فَـإنّي لَـسْـتُ مِـمَـنْ إذا آتـقـى عِضَـاضَ آلأفـاعِي نَـامَ فَـوْقَ العَقـارِبِ
(٤) أَتـانِـي وَعـيـدُ الأدْعِـيـاءِ وأَنّـهـم أَعـدّوا لِيَّ آلسُـودان في كَفْـر عَـاقِبِ
وَلَـو صَـدَقـوا في جِـدّهم لَحَـذِرْتُهم فَهَـلْ فيَّ وَحْـدي قَـوْلُهم غَيْـرُ كَـاذِبِ؟

٤ ـ حدد سمات العلوي، وطالب بالتطابق بين شرف النسب وشرف النفس، وبيّن أنّ المناصب الكبيرة لا تغني، وأن الشبه لا يُقرِّب الأباعد، في النسب، ولا يبعد الأقارب، واعتبر أن الزمان فَعَل حَسَناً بالجمع بينهما، لأن ذلك سيفرِّق بين أبي الطيب والنوائب(٧٠).

ويرد ذكر طاهر العلوي، بعد ذلك مرتين:

الأولى: في بيتين من الشعر، ارتجلهما أبو الطيب، عندما جمعته جلسة مع طاهر والأمير، وأشار إليه طاهر بمسك، فقال:

---

(١) أغر محجل، يقصد مشهوراً كالفرس الأغر المحجل، والنوادب: البواكي.
(٢) العوالي: الرماح، والقواضب: السيوف.
(٣) الذؤابة: من النعل ما أرسل على القدم. والركائب: الدواب التي تركب.
(٤) السودان: السود ،وكفر عاقب: قرية على بحيرة طبرية، من أعمال الأردن.

الـطيـبُ مِـمّـا غَـنـيـتُ عَـنْـهُ كَـفـى بِـقُـرْبِ الأميـرِ طِـيـبـا[٧١]
يَـبْـنـي بِـه رَبُّـنـا آلـمـعـالـي كَـمـا بِـكُـمْ يَـغْـفِـر الـذُنُـوبـا

مما يعني اعتراف أبي الطيب بصحة نسب أبي القاسم طاهر، وجلال موقعه.

والثانية: في بيتين أيضاً، قالهما أبو الطيب في جلسة ضمته والأمير، في بيت أبي القاسم طاهر:

قَـدْ بَـلـغـت الـذي أردت مـن الـبـر ومـن حـق ذا الـشـريـف عـلـيـكـا[٧٢]
وإذا لَـمْ تَسِـرْ إلـى آلـدارِ فِـي وَقْـتِـكَ ذا خِـفْـتُ أنْ تَـسـيـرَ إلـيـكـا. . . .

ولا يرد ذكر أبي القاسم طاهر، بعد ذلك.

ويلفت النظر، في هذه الفترة، إن أبا الطيب، حضر جلسة بحضور الأمير، فدار حديث عن وقعة أبي الساج مع أبي طاهر صاحب الأحساء[٧٣]، القائد القرمطي المشهور الذي هزم جيش الخليفة، فذكر أبو الطيب ما كان فيها من القتل، وهال بعض الجلساء ذلك، وجزع منه، فما كان من أبي الطيب، الّا أن ارتجل هذه الأبيات:

(١) أبـاعـثَ كـلِّ مَـكْـرُمَـةٍ طَـمـوحِ وفـارِسَ كـلِّ سَـلْهَـبـةٍ سَـبـوحِ[٧٤]
(٢) وطـاعِـنَ كـلِّ نَـجْـلاءٍ غَـمـوسٍ وعـاصِـيَ كـلِّ عَـذّالٍ نَـصـيـحِ
سَـقـانِي آللهُ قَـبْـلَ الـمَـوْتِ يَـومـاً دَمَ الأعـداءِ مِـنْ جَـوفِ آلجُـروحِ. .

وما لبث أبو الطيب، أن استأذن بالرحيل، واتجه إلى الشمال. لماذا؟.

إختلفت التقديرات، فها هو بلاشير، يرى أن السبب بسيط: «ولكنه ذو مفعول حاسم على عقلية أبي الطيب، المغشاة بالتفوق العرقي. ألا وهو أن إمارة عربية أخذت تتكون نهائياً في شمال سورية، بهمة أمير ذي سجايا لا يعدلها إلا نبل أصله». هذا بالإضافة، إلى أن أبا الطيب، كما يرى بلاشير: «وهو العربي القح، أو

---

(١) مكرمة طموح: بعيدة المرمى. والسلهبة: الفرس الطويل. والسبوح: الذي يجري جري السابح.
(٢) نجلاء: الواسعة. والغموس: العميقة.

الذي يعتبر نفسه كذلك»، جعله كبرياؤه، «يشعر بالهوان، من جراء الانحناء أمام زنجي، وعبد سابق»، أي كافور[٧٥].

ويرى د. طه حسين أن أبا الطيب، كان ينتظر عاقبة هذه الحرب بين كافور وسيف الدولة، ليمضي إلى مصر، أو ليرجع إلى شمال الشام. ولعله كان يقدر أن كافوراً لن يكتفي بإكراه سيف الدولة على رعاية الصلح، بل سينتهز الفرصة، ليسترد شمال الشام، ويمحق الحمداني محقاً. ولو قد فعل، لما أبطأ المتنبي عن اللحاق به ومحاولة الانقطاع إليه[٧٦].

ونحن نرى أن مغادرته، تتعلق بخطته والتزاماته. فهو ينتقل في إطار عمل. وكانت له في الشمال ارتباطات مع جماعات من تنوخ وطيّ وغيرهما. ولا يستبعد أن يكون على اتصال مع الحمدانيين، لأن الشيخ الحسين بن حمدان الخصيبي، قد اختار شمال الشام، بعد تجوال، مقراً لقيادته[٧٧].

ويحاول محمود محمد شاكر أن يستنبط القرائن لإثبات وجود علاقة بين وجود أبي الطيب في الشام، وخطة الحمدانيين للاستيلاء على السلطة فيها، منذ ٣٢١ هـ[٧٨].

ب — في الطريق إلى اللاذقية:

غادر أبو الطيب الرملة، أوائل سنة ٣٣٦، أواسط ٩٤٧، واتجه إلى بعلبك. لأنه يطرق الطريق غير المألوف. ثم لأنه يرتبط مع صاحب حربها علي بن عسكر بعلاقة مودة. ويكرمه ابن عسكر، ويدعوه إلى الإقامة عنده، فيرفض أبو الطيب، ويعتذر بطريقة فظة[٧٩]، ويتجه إلى طرابلس الشام، في الطريق إلى أنطاكية. إلا أن إسحق بن إبراهيم بن كيغلغ، طلب منه أن يمدحه، فرفض أبو الطيب، لعداوة بينهما قديمة[٨٠]، ولأن أبا الطيب كان يحتقره، كما تدل القصائد التي كتبها فيه[٨١]. فما كان من ابن كيغلغ إلّا أن منعه من السفر.

وقد احتال أبو الطيب على الوالي، وهرب إلى دمشق، مختاراً الطريق غير المتوقع أيضاً. وما إن فرّ، حتى ذاعت أولى قصائد الهجاء في ابن كيغلغ. ويؤكد أبو الطيب في هذه القصيدة خطه الذي سار عليه:

لَا يَسْلَمَ الشَّرَفُ الرفيعُ مِنَ الأذى
حَتّى يُراقَ عَلى جَوانِبِه الدمُ . . .[٨٢]

فها هو يهاجم «صاحب عسكر» دون خوف، ويفر منه رافضاً الخضوع لإرادته، ويوسعه هجاء مقذعاً، مع أنه ممثل الدولة الأخشيدية.

ولو تجاوزنا ما في الهجاء من الإقذاع، لاكتشفنا أنّه لا ينسى أنه أعجمي:
أفْعالُ مَنْ تَلِدِ الكرامَ كَريمَةٌ وفِعالُ مَنْ تَلِدُ الأعاجِمَ أعْجَمُ[٨٣]

ويختلط هنا معنى العجمة، من العجماوات، إلى اللؤم، إلى الأعاجم، مقابل العرب . .

إن هذه الحادثة، تؤكد كم كان الرجل محاصراً، وكم كانت جبهة أعدائه واسعة، وكم كان جريئاً.

جـ — الوصول إلى ابي العشائر:

وأخيراً، وصل أبو الطيب أنطاكية. وما هو بغريب عن هذه المنطقة، والتي تربطه بالعديد من أبنائها علاقات. ويجدر بنا هنا أن نتذكر قصيدته التي مدح بها علي ابن ابراهيم التنوخي قبل عشر سنوات في اللاذقية:

(١) أحادٌ أمْ سُداسٌ في أُحادِ
لُليلَتُنا المَنوطةُ بالتنادي[٨٤]

والتي يقول فيها:

(٢) فَلَمْ تَلْقَ ابنَ إبراهيمَ عَنْسي وَفِيها قُوتُ يَوْمٍ لِلقَرادِ
فَلَمّا جِئْتُه أعلى مَحَلّي وأجْلَسَني عَلى السبعِ الشِدادِ

---

(١) أحاد: واحدة. وأراد أهي ليلة أم ست ليال في واحدة. وصغّرها للتعظيم، «ليلة التنادي»، ليلة القيام أو الهبوب للقتال.

(٢) عنسي: ناقتي.

ويروي أبو الطيب في هذه القصيدة قصة معركة خاضها علي بن إبراهيم هذا، مع جماعة مناوئة:

(١) وَيَـوْمَ جَـلَبْتَـهـا شُعْثَ آلـنَـواصي مُـعَـقّـدَة آلـسـبـائـب لـلطرادِ
وَحـامَ بِـهـا الـهَـلاكُ عَـلى أنـاسٍ لَـهُـم بـالـلاذقـيـة بَـغْـيُ عَـادِ
فَـكَـانَ آلـغَـرْبُ بَـحْـراً مِـنْ مـيـاهٍ وكـانَ آلـشَـرْقُ بَـحْـراً مِـنْ جِـيـادِ

ويطلب أبو الطيب منه أن يدقق فيمن حوله، وألا يرأف:

فَـلَا تَـغْـرُرْكَ أَلْـسِـنـةٌ مَـوالٍ تُـقَـلّبُـهُـنَّ أفْئِـدةٌ أعـادي
وَكُـنْ كَـالـمـوتِ لا يَـرْثـي لِـبـاكٍ بَكى مِـنْـهُ لِـيـرَوى وَهْـوَ صَـادى.

وها هو يعود. لقد ترك طبرية والرملة، وبدر بن عمار، وابن طغج، إلى أنطاكية. إنها من بيئته التي تنقل فيها، منذ سنة ٣٢١، والتي لجأ إليها بعد سجنه، وعاد إليها، بعد انفصاله عن بدر بن عمار. ويبدو أنه ظل على اتصال بها.

إلا أن أبا الطيب نزل فيها ضيف أبي العشائر الحسين بن حمدان، ابن عم سيف الدولة، وأحد قادته الأكفاء.

وكما يراه الأستاذ محمود محمد شاكر، فقد كان: «الشاعر المبدع، والمحارب الباسل، والعربي الخالص الحر للعرب والعربية، الشديد العداوة للروم والترك والديلم»(٨٥).

ويرى محمود محمد شاكر، كما ذكرنا، أن أبا الطيب كان على علاقة بالحمدانيين منذ ٣٢١، وانه انتظر نجدتهم له في سجنه. وها هم يعودون إلى شمال سورية حكاماً، فيلجأ إليهم. ويزيد محمود محمد شاكر: «لعل سيف الدولة»، طلب من أبي العشائر: «أن يحرص على الرجل، ولا يسمع فيه لمنتقص أو ذام، ولا متكذب، لما يعلم من سر الرجل الذي انطوى عليه في أمر نسبته العلوية»(٨٦).

---

(١) شعث النواصي: أي منتشرة شعر الرأس، مغبرة لكثرة الغارات وتواصلها. والسبائب: شعر الذنب، وهو يعقد عند القتال.

ومدح أبو الطيب أبا العشائر بثلاث قصائد، وعدد من المقطوعات؛ لا تعد في مجملها من جيّد شعره. إلّا أن أبا الطيب حرص في هذه القصائد أن يقول ما يلي:

أولاً: أنه شاعر لا يشق له غبار، وأنه جاء نداً ونظيراً:

شَاعِرُ ٱلمَجْدِ خِدْنُه شَاعِرُ اللفظِ كِلانا رَبُّ ٱلمعاني الدقاق[٨٧]

ثانياً: أنه جاء في طلب العلى، لا في طلب المعاش:

فسرتُ إليكَ في طَلَب المعالي وسارَ سواي في طَلَب المعاش[٨٨]

ثالثاً: أنه لا يفخر بأبي العشائر فقط، بل بعشيرته:

[١]يَا بَني ٱلحارِثِ بن لُقْمانَ لا تَعْدِ مْكُمُ في ٱلوَغى مُتونِ العتاقِ[٨٩]

بَعَثوا ٱلرُّعْبَ في قُلوبِ الأعاديِّ فَكانَ القتالُ قَبْلَ التلاقي

وَتكادُ الظُبى لِما عَوّدوها تَنْتَضي نَفْسَها إلى الأعناقِ

رابعاً: أنه لا يخشى عنده كلام الوشاة:

أأَصْبِرُ عَنْكَ! لَمْ تَبْخَلْ بِشيءٍ وَلَمْ تَقْبَلْ عليَّ كلامَ واش[٩٠]

وحين تشتد الوشايات والمطاعن، يرد أبو الطيب بقصيدة يفتخر بها بنسبه، وبنفسه، ويقول: يفخر بجدوده، من لا فخر له بنفسه:

أنا ٱبنُ مَنْ بَعْضُه يَفوقُ أبا الباحِثِ وٱلنَجْلُ بَعْضَ مَنْ نَجَلَهْ[٩١]

[٢] وإنّما يَذْكُرُ الجدودَ لَهُمْ مَن نَفَروهُ وأَنْفَدوا حِيَلَهْ

وَلْيَفْخَرِ ٱلفَخْرُ إذْ غَدوتُ بِهِ مُرْتَدِياً خَيْرَه ومُنْتَعِلَهْ

أنا ٱلذي بَيَّنَ الإلهُ بِهِ الأقدارَ والمَرْءُ حَيثُما جَعَلَهْ

جَوْهَرَةٌ تَفْرَحُ ٱلشرافُ بِها وَغُصّةٌ لَا تُسيغُها ٱلسَفَلَهْ

إنّ ٱلكِذابَ ٱلذي أُكادُ بِه أَهْوَنُ عِنْدي مِنَ ٱلذي نَقَلَهْ

---

(١) متون العتاق: ظهور الخيل.

(٢) نفر: أي فاخر بالنسب، ويرى المعري «فاخره بكثرة النفر، فغلبه» (ج ـ ٢، ص ـ ٢٥١).

فَـلا مُـبـالٍ ولا مُـداجٍ وَلا وانٍ ولا عَـاجِـزٌ ولا تُـكَـلَهْ
وَدَارعٍ سِـفْـتُـه فَـخَـرّ لُـقـىً فِي ٱلمُلْتَقَى والـعَـجـاجِ والـعَـجَـلَهْ[1]
وَسَـامِـعٍ رُعْـتُـه بِـقـافـيـةٍ يَـحـارُ فـيـهـا الـمُـنقِّح ٱلـقَـوَلَـهْ

إنه يدافع عن نفسه هنا دفاع شريف، صحيح النسب، فارس شاعر، لا يرى فوق نفسه من مزيد، كما قال مرة.

د — أخيراً يلتقي بسيف الدولة:

وزار سيف الدولة أنطاكية، سنة ٣٣٧ ـ ٩٤٨، فقدم أبو العشائر أبا الطيب إليه. وبدأت علاقة حميمة أحياناً، قلقة أحياناً، ولكنها مثمرة، استمرت حوالي تسع سنوات ٣٣٧ ـ ٣٤٦. وقد كتب أبو الطيب في هذه السنوات أروع شعره، والشعر العربي عامة، في كل العصور.

وكان مجموع هذه القصائد ثماني وثلاثين قصيدة، وإحدى وثلاثين قطعة، تضم ألفاً وخمسماية واثني عشر بيتاً[٩٢].

فما لذي جمع أبو الطيب بسيف الدولة؟.

نرى أن الذي جمعهما، هو ما يلي:

أولاً: إن سيف الدولة وأبا الطيب كانا على مذهب واحد، في التشيع، وكان شيخهما فيه الحسين بن حمدان الخصيبي. وقد حاول الحسين بن حمدان، أن يُوحِّد الشيعة، وتَجوّل في الأمصار، واتخذ بعد جولته من دولة سيف الدولة مقر قيادة. ولكن محاولته باءَت بالفشل، وزادت الفرقة[٩٣].

ثانيهما: إن سيف الدولة عربي، قائد، مؤهل للقيادة، يحارب الروم والديلم، وهذه سياسة أبي الطيب: «ولا تفلح عُرب ملوكها عجم»[٩٤]. وقد تغنى أبو الطيب كثيراً بسيف الدولة، وبني حمدان، وتَغْلِب وبالعرب:

---

(١) دارع: لابس درع، وسفته: ضربته بالسيف. ولُقَىً: مطروح.

تُـخَـافُ سُـيـوفَ آلـهِـنْـدِ وَهْـيَ حَـدائِـدٌ
فَـكـيـفَ إذا كَـانـت نِـزاريـةً عُـرْبـا[٩٥]

ثالثاً: إن أمراء زمانه، كانوا عبيداً وخدماً، كما وَصَفهم، وكانوا صغاراً. وأبو الطيب بعلو همته، وبحثهِ عن الخلاص الشخصي والسياسي، كان يبحث عن أبطال مقاتلين، ورجال يتذوقون الأدب[٩٦].

رابعاً: إن أبا الطيب كان يبحث عن مكان يكمن فيه، ليواصل نضاله، من أجل غاياته التي كان يعلن الكثير منها في شعره. وكان سيف الدولة يمثل قوة قادرة، ويوفر مناخاً مناسباً للعمل السياسي المنشود، وللبروز الأدبي.

خامساً: إن سيف الدولة، كان بحاجة إلى أبي الطيب، من زاويتين. الأولى، وجـود عَلوي نسباً إلى جـانبه، في وقت، كـان التنافس يتم فيـه على كسب ود العائلات العلوية[٩٧]. والثانية: وجود أديب كبير، وشاعر مبدع، ينشر مجد سيف الدولة في كل مكان.

وقد حرص كل منهما على هذه العلاقـة، رغم إشكالاتهـا. ولذلـك دامت حوالي تسع سنوات. وكان أبو الطيب فيها أكثر انسجاماً مع نفسه، منه في أي وقت مضى أو تلا.

ورغم أن سيف الدولة، كان قائداً ظافراً، فإن المراجع تشير، بل تجمع، عـلى أن أبا الـطيب اشترط عليـه، أول الاتصـال بـه، «إنـه إذا أنشـده لا ينشـده إلاّ وهـو قاعد». وأن «لا يكلف تقبيل الأرض بين يديه»[٩٨]. وقد قبل سيف الدولة الشرط، ونُسِب أبو الطيب الى الجنون[٩٩].

ويلاحظ قارىء شعر أبي الطيب، في المرحلة الحمدانية ما يلي:

أولاً: أنه كرّس شعره لمدح سيف الدولة، ولذكر حروبه، وتمجيد غزواته، لأن أبا الطيب رضي أن يكون الشاعر الفارس، الى جـانب القائـد الفارس سيف الدولة.

ثانياً: أنه اطمئن إلى حد كبير في حياته، وتخلص من العوز وعدم الإستقرار.

ثالثاً: أن إشكالاته مع الوشاة والحساد[١٠٠]، لم تعد هي الغالبة على شعره، كما كان الأمر من قبل، وإن كانت تطل بين الفينة والأخرى، من ثنايا قصائده.

ولـلحُـسّـاد عـذرٌ أن يَـشِـحّـوا عَـلى نَـظَري إليـه وأنْ يَـذوبـوا[١٠١]

فَـإنّـي قَـدْ وَصَـلْتُ إلـى مَـكـانٍ عَـليـه تَـحْـسِـدُ آلـحَـدَق الـقـلوبُ

أو

أَزِلْ حَسَـد آلحُسّـادِ عَنّي بِكَبْتِهِمْ فَـأنْتَ آلـذي صَيّـرتَهُمْ لِيَ حُسّـد [١٠٢]

رابعاً: أنه ظل حريصاً على أن يكون شاعر الشعراء بلا منازع، وهو يذكر ذلك في أكثر من مناسبة:

ومـا الـدهـر إلاّ مـن رواة قصـائـدي إذا قلت شعراً أصبح الـدهر منشـداً[١٠٣]

فسـار بـه مـن لا يـسـيـر مـشـمّـرا وغـنّـى بِـهِ مَـنْ لاَ يُـغَـنّـي مُـغـرِّدا

أَجِـزْنِي إذا أنْشَـدْتُ شِـعْـراً فَـإنّمـا بِشِعْـري أتـاكَ آلـمـادِحـون مـرددا

وَدَعْ كـلَّ صَـوْتٍ غَيْـرِ صَـوْتي فـإنّني أنـا آلصـائِحُ المَحْكيّ والآخـر آلصـدى

إلا أن كل هذه المودة والألفة والإحترام ، لم تمنع أبا الطيب، عندما لمس بعض تنكر سيف الدولة له، من أن يواجه الجميع بقصيدته: واحر قلباه[١٠٤].

سَيعْلَم آلجَمْـعُ مِمَـنْ ضَمَّ مَـجْلِسُنَـا بِـأنّـني خَـيْـرُ مَنْ تَسْعى بِـه قَـدَمُ

أنـا الـذي نَـظَر الأعْـمى إلـى أدَبي وأَسْـمَـعَـت كَـلِمـاتي مَـنْ بِـهِ صَـمَـمُ

وَجـاهِـلٍ مَـدّهُ فِـي جَهْـلِهِ ضَـحِـكـي حَـتّـى أَتَـتْـهُ يَـدٌ فَـرّاسَـةٌ وَفَـمُ

فـآلخَيْـلُ والليـلُ والبيـداءُ تَعْـرِفُـني وآلسيفُ وآلـرُمْـحُ والقِـرْطـاسُ وآلقَلَمُ

ورغم عودة العلاقة، بعد هذه القصيدة، باعتذار سيف الدولة، فإن أبا الطيب قرر الرحيل. وما إن حلّت، سنة٣٤٦ ـ ٩٥٧، حتى احتال على الهرب. ويبدو أنه وافق، بعد قصيدة «واحر قلباه» على الملاينة، ليتدبر أمر الهرب. ولقد طبق هنا ما قاله لبدر بن عمّار.

إذا صَدِيقٌ نَكرتُ جَانِبَهُ لَمْ تُغْنِني فِي فِراقِه الحِيَلُ[١٠٥]
فِي سِعَةِ الخافقينَ مُضْطَرِبٌ وَفي بِلادٍ من أُخْتِها بَدَلُ

لماذا هرب؟ هل هي قضية الوشاة؟.
يشدد المؤرخون هنا على ثلاثة أمور:

١ ـ وجود شعراء منافسين، يحسدونه على حُظوته ومكافآته[١٠٦].
٢ ـ وجود وشاة، لا يحددونهم[١٠٧].
٣ ـ كبرياء أبي الطيب، وعجرفته[١٠٨].

ونعتقد أن هذه العوامل، ترتبط بما ظهر من الخلاف، أما ما بَطَن، فغير ذلك، وأعمق وأشمل منه.

وإذا أردنا أن نعرف ما بطن، فإن علينا أن نعرف طبيعة المشروع السياسي الذي جمع عليّ بن حمدان، سيف الدولة، مع أبي الطيب، ودور الشيخ الداعية الحسين بن حمدان الخصيبي فيه. ثم ما دور وفاة الشيخ عام ٣٤٦ في دفع أبي الطيب للرحيل. وهل رحل غضباً، أم كلف بمهمة في مصر؟. إن كل ذلك يحتاج إلى دراسة. مع العلم بأن هناك من نسب التخلخل الذي أصاب دولة سيف الدولة، إلى وفاة الخصيبي، سنة ٣٤٦، لأنه كان مرشد سيف الدولة[١].

ويجدر بنا هنا أن نذكر بأن أبا الطيب غادر سيف الدولة، تاركاً ما كان لديه من مكانة، ومخلفاً ما أقطعه سيف الدولة من أرض، وراحلاً، كما بدأ.. لم يأسف على شيء تَرَكه، ولا خاف المجهول الذي ينتظره.

هـ ـ أبو الطيب عند كافور:

لماذا قصد أبو الطيب كافور؟. هل قَصَده مُكْرهاً[١٠٩]، أم قصده طمعاً في مال أو ولاية؟[١١٠].

إننا لا نستطيع أن نجيب، إلّا إذا تحدثنا قليلاً عن كافور، وعن أبي الطيب.

إن كافور، وكما تجمع المراجع، بما فيها شعر أبي الطيب، «خبير بالسياسة وداهية»، «وقويٌ وشجاع وحازم»[١١١]. ولقد استطاع أن يرد سيف الدولة عن

دمشق، وأن يوقف زحف المعز الفاطمي على مصر، وزحف سيف الدولة على سائر بلاد الشام، وحتى مصر. وكان كافور حريصاً على كسب ود كل ذوي الرأي والشأن، وعلى رأس هؤلاء العلويون.

وهناك الكثير من القصص التي تروى عنه في هذا المجال[١١٢]. ورجل هذه صفاته، ليس بدعاً أن يحاول كسب أبي الطيب، لأنه عَلَوي، ولأنه شاعر لا يشق له غبار.

ويرى د. طه حسين: «إن كافور طمع في تحويله إليه، ليضعف سيف الدولة، وليستأثر من دونه بسلاح من أمضى أسلحته»[١١٣].

ولأبي الطيب، بالمقابل، حساباته الشخصية والعامة. ففي مصر فراغ سياسي وقيادي، وكافور الحازم الداهية، ما هو الا عبْدٌ خصي، ومصر تعج بالاتجاهات، والاتجاهات العلوية كثيرة وقوية. وتتنافس على مصر أكثر من قوة. ولعل الفاطميين الذين استولوا على السلطة في المغرب، أقوى هؤلاء المتنافسين. وهناك البويهيون في بغداد، وسيف الدولة في حلب. فلماذا لا يُفكر أبو الطيب بخوض الصراع. وهو هنا أقرب إلى سيف الدولة والخلافة العباسية في بغداد، منه إلى البويهيين الذين كانوا من حزب الحسين بن حمدان الخصيبي، ولكنهم على ما يبدو يريدون أن يكونوا الأسياد المطلقين، وهم عجم. كما أن أبا الطيب، كسيف الدولة، كان يخشى وصول الفاطميين الأدعياء في نسبتهم إلى علي، ومغتصبي السلطة، إلى حكم مصر.

وعليه، فقد ذهب أبو الطيب، وهو يعرف ما يريد. ولعله قصد مصر، سنة وفاة شيخه الخصيبي، ٣٤٦، للقيام بشؤون الدعوة. ولا يستبعد أن يكون الخصيبي قد أرسله، أو أن قيادة الدعوة، وزعت المهمات بعد الوفاة.

ومن هنا فقد يكون أبو الطيب طامعاً في ولاية، لأنّ ذلك يُعزز موقعه، وموقع الدعوة. أما المال، فلم يكن هدف أبي الطيب الرئيس. ولا كان يَعْنيه كثيراً، وأن كان في حاجة، لأن يبدو مدّاحاً لتغطية أهدافه، وتيسير أموره، واكتساب المال اللازم لتحركه...[١١٤].

ويلاحظ قارىء شعر أبي الطيب في هذه المرحلة ما يلي:

أولاً: أنه عاد إلى التذمر والشكوى، والمطالبة بحقه. وجاء هذا واضحاً في قصائده، حتى أنه يسيطر على قصيدته الأولى، وكل القصائد التالية:

كَفى بِك دَاءً أنْ ترى المَوتَ شَافيا
وَحَسْبُ المَنايا أنْ يَكُنَّ أَمانيا[١١٥]

تَمَنّيتها لَمّا تَمنيت أنْ تَرى
صَديقاً فَأَعيا أَوْ عَدُوّاً مُداجيا

ويضيف:

إذا كُنْتَ تَرْضى أنْ تَعيشَ بِذِلَّةٍ
فَلا تَسْتَعِدنَّ الحُسامَ اليَمَانِيا

[1] وَلا تَسْتَطيلنَّ الرماحَ لِغارَةٍ
ولا تَسْتَجيدنَّ العِتاقَ المَذاكيا

فَمَا يَنْفَعُ الأُسْدَ الحَياءُ مِن الطوى
وَلَا تُتقى حَتّى تَكونَ ضَواريا

وبعد أن يذكر أنه يقصد الفسطاط حاملاً حياته ونصحه والهوى والقوافي، يصف خيله وصفاً رائعاً في ستة أبيات[١١٦].

وما يلبث في القصيدة الثانية[١١٧] أن يقول:

فَآرْم بِي ما أَرَدْتَ مِنّي فإنّي أُسُد القَلْبِ أدَمِيّ الرُواءِ
وَفُؤادي مِنَ المُلوكِ وإنْ كانَ لساني يُرى مِنَ الشُعراءِ

ويواصل ذلك في قصيدته الثالثة[١١٨]. فيتحدث عن الأعرابيات «من الجآذر في زي الأعاريب»، وعن تفضيله طلاوة الطبيعة على تصنع المدنيات، وعن صدقه:

(١) لا تستطيلن: تستطيل، أي تطلب الرماح الطويلة. وتستجيدن: أي تطلب الأجود، والعتاق المذاكي: الخيل الجياد.

ومن هَـوى كـلِّ مَنْ لـيسـت مُمـوّهـةً تـركتُ لـونَ مشيبي غيـرَ مـخضـوبِ
ومِنْ هَـوى ٱلصِـدْقِ في قَـوْلي وَعـادَتِـه رَغِبْتُ عَن شَعَـرٍ فِي ٱلـرَّأْسِ مَكْـذوبِ

ولكنه لا يقف هنا، فيعود ليتحدث عن خيله ونفسه:

(١) وَجَـدْتُ أَنْـفَـع مَـالٍ كُـنْتُ أَذْخَرُه مَـا فِي ٱلسـوابِقِ مِنْ جَـرْي وَتَقْـريب
(٢) لَمـا رَأَينَ صُـروفَ ٱلدَهْرِ تَغْـدُرُ بِي وَفَـيْـنَ لِـي وَوَفَـتْ ضُـمُّ الأَنـابيـبِ
(٣) فُتْنَ ٱلمهـالِـكَ حَتّى قَـالَ قـائلُهـا مَـاذا لَـقينـا مِنَ ٱلـجُـرْد السراحيبِ
تَـهْـوي بِمُـنْجَـرِدٍ لَـيْسَـت مَـذاهِبُـه لِـلبْس ثَـوْبٍ وَمَـأْكـولٍ وَمَشْـرُوبِ
يَـرى ٱلنجـوم بِعَيْـني مَـنْ يُحـاوِلُـهـا كَـأَنّـهـا سَلَب فـي عَـيْـن مَسْـلوب

ويلحق ذلك بقصيدة رابعة، أكثر وضوحاً(١١٩):

أَوَدُّ مِـنَ الأيـام مَا لا تَـوَدُّه وأَشْكـو إليـهـا بيننـا وَهي جُنْـدُه
وَحَـالٍ كـإحـدَاهُـنَّ رَمْـت بُـلوغَـهـا ومِـنْ دُونِهـا غُـولُ ٱلـطريـقِ وبُـعْـدُه
وَفي ٱلنـاسِ مَنْ يَـرْضى بِمَيْسـورِ عَيْشِـه وَمَـرْكُـوبُـه رِجْـلاهُ والـثَـوْبُ جِلْدُه
ولَـكـنَّ قَـلْـباً بَـيـنَ جَـنـبـيَّ مَـالَـه مَـدىً يَـنْـتـهي بِـي فـي مُـرادٍ أَحُـدُّه

ويضيف، مشيراً إلى هجرته من الشام:

(٤) وَلَيْتَـك تَـرْعـاني وحيـرانُ مُعْـرِضٌ فَـتَـعْـلَمُ أَنّـي مِـنْ حُـسـامِـك حَـدُّه
وأَنّـي إذا بَـاشَـرْتُ أَمْـراً أريـدُه تَـدَانـتْ أقـاصـيـهِ وَهـانَ أَشـدُّه

ولا يتوقف أبو الطيب عن بث شكواه، ولا المطالبة، بما يعتبره حقه:

---

(١) السوابق: الخيل السبّاقة. والتقريب: أسرع المشي.
(٢) ضم الأنابيب: الرماح.
(٣) المهالك: المفاوز، جمع مفازة. السراحيب، جمع سرحوب: الفرس الطويلة، ولا يوصف بها الذكر.
(٤) حيران: موقع ماء بالشام، قريب من السلمية، وكانت، كما يقول المعري، قد ظهرت له خيل، وهو عليه (ج - ٤، ص ٦٧).

وَيـا آخِـذاً مِـنْ دَهْـرِه حَـقّ نَـفْسِـه وَمِـثْلُك يُـعْـطَى حَـقَّـه ويُـهـابُ[١٢٠]
لَـنـا عِـنْـدَ هَـذا آلـدهْـرِ حَـقٌّ يَـلُطّهُ وَقَـدْ قَـلَّ إعْـتـابٌ وَطـالَ عِـتـابُ

ثانياً: إن أبا الطيب عُاد إلى كتابة القصائد الذاتية، غير المربوطة بالمدح، ولم يكتف بالمقاطع الذاتية في قصائد المدح. وله في هذه المرحلة قصائد مؤثرة. وهذه القصائد هي:

١ ـ ما كل ما يتمني المرء يدركه[١٢١].
٢ ـ صحب الناس قبلنا ذا الزمانا[١٢٢].
٣ ـ وزائرتي كأن بها حياء[١٢٣].

وتذكرنا هذه القصائد بأبي الطيب، قبل لقائه بدر بن عمار. وإن اتسمت بنضج عال.

ثالثاً: إن أبا الطيب، سلك مع كافور ثلاثة مسالك:

١ ـ مسلك مدحه، وهو مدح بادي التصنع، كمدحه بلونه.

تـفـضـح الـشـمس كـلّمـا ذرت الشمس بشمس منيـرةٍ سَـوْداءِ[١٢٤]
إنّـمـا الـجِـلْدُ مَـلْبَسٌ وآبـيـضـاض الـنفس خَـيْـرٌ مِن آبيضـاضِ آلـقِبـاءِ
مَـنْ لـبـيضِ الـمُـلوكِ أنْ تَـبْـدِل الـلونَ بِـلَونِ الأسـتـاذِ والـسـحـنـاءِ

وكان معروفاً لدى أبي الطيب أن كافوراً، يكره الإشارة للونه، حتى عُدّ هَذا استفزازاً له، واستخدم في إثارة حفيظته[١٢٥].

ولكن هناك دائماً اشارات إلى كرمه وحزمه وتدبيره:

يُـدَبِّـرُ آلـمُلْكَ مِـنْ مِصْـرٍ إلـى عَـدَنٍ إلى العراق، فأرض الروم فآلنـوبِ[١٢٦]

٢ ـ مسلك الغمز فيه صراحة، ومن ذلك:

أ ـ وَمـا طَـرَبي لَمّـا رأيتُـكَ بِـدْعَـةً لَقَـدْ كُنْتُ أَرْجـو أَنْ أَراكَ فـأَطْـرَبُ[١٢٧]

ويروي ابن جني، أنه قرأ هذا البيت على أبي الطيب، وقال له:

«لم تزد على أن جعلته أبا زنة»أي قرداً، وضحك أبو الطيب[١٢٨]؟؟.

ب — ولـله سِـرُّفـي عُـلاك وإنّـمـا كَـلامُ العِدى ضَـرْبٌ مِنَ ٱلهَذَيـانِ[١٢٩].

(١) فَـمـا لَـكَ تَخْتـارُ القِسيَّ وإنّـمـا عَـن ٱلسـعْـدِ يَـرْمي دُونَـك ٱلـثَقَـلانِ

(٢) وَمـا لكَ تُـعنى بـالأسنةِ والـقنـا وَجِـدُّكَ طَـعّـانٌ بـغـيـرِ سِـنـانِ

(٣) وَلِمْ تَحمِلِ ٱلسيفَ الـطويـلَ نِجادُهُ وأَنْـتَ غـنـيٌّ عَـنْـهُ بـٱلـحَـدثـانِ

٣ ـ مسلك مدح خصمه فاتك الرومي[١٣٠]، أو إبراز مـآثر عـدوه شبيب العقيلي، الذي ثار عليه، سنة ٣٤٨ في دمشق، ومات نتيجة وقوعه عن الفرس:

(٤) بِـرغمِ شبيبٍ فارقَ السيفُ كَـفَّـهُ وكـانا على العِلّاتِ يَصْطَحبـانِ[١٣١]

وَمـا كـانَ إلّا النـارَ في كـلِّ مَـوْضـعٍ تـثـيـرُ غُـبـاراً فـي مَـكـانِ دُخـانِ

فَـنـالَ حَـيـاةً يَـشْـتَـهـيـهـا عَـدوّه وَمـوتـاً يُـشهّي المـوتَ كـلَّ جـبـانِ

٤ ـ مسلك الهجاء الذي كان يطلقه، وخاصة قبل رحيله من مصر، ومن ذلك:

أ — قصيدته أشخصاً لحت لي أم مخازياً[١٣٢].

أُريـكَ الـرِضـى لَـوْ أَخْـفَـتِ ٱلـنـفسُ خـافـيـاً
وَمـا أَنـا عـن نـفـسـي ولا عَـنْـكَ راضـيـا

(٥) أَمـيـنـاً وإخـلافـاً وغَـدْراً وخـسـةً
وجُـبْـنـاً. أَشَـخْـصـاً لُـحْـتَ لـي أم مـخـازيـا

ومـثـلك يُـؤتـى مـن بـلادٍ بـعـيـدةٍ
لـيُـضْـحـكَ رَبّـاتِ الـحـداد الـبـواكـيـا

---

(١) القسي: جمع قوس. والثقلان: الأنس والجن.
(٢) والجَد: الحظ.
(٣) النجاد: حمالة السيف. والحدثان: الأحداث.
(٤) العلّات: الحوادث.
(٥) أميناً: المين: الكذب.

ب — قصيدة «أنوك من عبد ومن عرسه»[١٣٣].

جـ — قصيدة «عيد بأية حال عدت يا عيد»[١٣٤].

رابعاً: أن أبا الطيب، كان يلح على كافور بطلب، وكان يطرحه بأساليب مختلفة مثلاً:

[١] أ — فإنْ نِلْتُ ما أَمّلتُ مِنْكَ فَرُبّما شَرِبْتُ بماءٍ يُعْجِز الطيرَ وردُه[١٣٥]

ب — أَبا المِسْك أَرجو مِنْكَ نَصْراً عَلى العِدى
وآملُ عِزاً يَخْضِبُ البيضَ بالدمِ[١٣٦]

جـ — أَبا المِسْك هَلْ فِي الكأسِ فَضْلٌ أَنالُه
فإنّي أغنّي مُنْذُ حينٍ وَتَشْرَبُ[١٣٧]

إذا لَمْ تُنِطْ بِي ضَيْعةً أو وِلايةً
فَجودُك يَكْسونِي وَشُغْلُكَ يَسْلِبُ

د — إذا نِلْتُ مِنْكَ الوُدَّ فالمالُ هَيّنٌ
وكلُّ الذي فَوْقَ التُرابِ تُرابُ[١٣٨].

ويبدو من كل ذلك أن كافور، عرف مطامح أبي الطيب، فأراد أن يكسب شعره، وأن يضعه، تحت رقابته. وليس ببعيد ما يُروى، من أن كافور قال، لأبي الطيب، عندما طلب منه أن يوليه ولاية: «أنت في حال الفقر وسوء الحال، وعدم المعين، سمت نفسك إلى النبوة، فإن أصبت ولاية، وصار لك أتباع، فمن يُطيقك؟»[١٣٩]. وسواء حدث ذلك أم لم يحدث بهذه الطريقة، مع أن أبا الطيب أشار لذلك بشعره: «إذا لم تُنِطْ بي ضيعة أو ولاية»، فإن كافور كان يعرف ما في نفس أبي الطيب، وما كان ممكناً أن يخطىء، فيمكِّنه. ولا يستبعد أن يكون هذا، من أسباب تقرب أبي الطيب لفاتك الرومي الذي كان قد أخلى الساحة لكافور، وأقام في إقطاعه بالفيوم[١٤٠].

---

(١) ماء يُعْجِز الطير ورده: أي عزيز المرام، لا يبلغه غير أبي الطيب.

وربما كان فاتك معنياً بتطوير العلاقة مع أبي الطيب للاستفادة من علويته، ومن شعره.

على كل حال، فإن أبا الطيب أقام في مصر أربع سنوات ونصفاً وفرّ منها، أواخر سنة ٣٥٠.

فلماذا فرّ؟

تجمع الروايات على أنه فرّ، لأن العلاقة بينه وبين كافور قد ساءت. وحاول أبو الطيب أن يحتال على كافور، فطلب الأذن بالسفر إلى الرملة، «ليقضي ما لا كتب له به»، فحلف كافور ألا يخرج، وقال: «نحن نوجه من يقضيه لك»، فقال أبو الطيب:

أَتَحْلِفُ لاَ تُكلفُني مَسيراً ... إلى بَلَدٍ أحاولُ فيهِ مالا[١٤١]
وأنْتَ مُكلفي أنبى مكاناً ... وأبعد شُقّةً وأشدَّ حالا
إذا سِرْنا عن الفسطاطِ يوماً ... فَلَقِّنِيَ الفوارسَ والرجالا
لتَعْلَم قَدْرَ مَنْ فَارقتَ مِني ... وأنّك رُمْتَ مِن ضيمي مُحالا

ولكن هل يكمن السبب في أن كافور لم يف لأبي الطيب بوعده، وحجز حريته؟.

إن كتب التاريخ، تذكر لنا أن سنة ٣٥٠ شهدت انتفاضة ضد كافور[١٤٢]، فلماذا لا يكون كافور قد ضيقّ على أبي الطيب بعدها؟؟.

وأكد أبو الطيب بهربه أنه لا يقيم على ضيم، وأنه لا يخشى جوب الفيافي، ولا مطاردة الفرسان. ولقد قام برحلة طويلة، كثيرة الالتواءات، عبر سيناء إلى الحجاز، ومن الحجاز إلى الشام، ومن الشام إلى الكوفة، في ربيع الأول، سنة (٣٥١ - ٩٦٢)[١٤٣].

وختم هذه الرحلة بقصيدة، تصف طريقه، وتعلن أهدافه:

(١) ألا كلُّ ماشيةِ الخَيْزلَى ... فِدى كلِّ مَاشِية الهيدبَى[١٤٤].

---

(١) الخيزلى: مشية النساء، فيها تَثَنّ، والهيدبى: مشية الإبل، فيها سرعة.

[1] وكل نجاةٍ بَجاويّةٍ خنوفٍ وَما بِيَ حُسْن المشى
ولكنّهنَ حبالُ الحَياة وكَيْد العُداةِ وَميْط الأذى
إذا فَزعَت قَدِمَتْها الجِيادُ وبيضُ السيوفِ وسُمْر القَنا
ضَربْتُ بِها التَيه ضَرْبَ القِمار إما لِهذا وإمّا لِذا

ويضيف:

فَلمّا أنخنا رَكَزْنا الرما حَ بينَ مَكارِمِنا والعُلى
وَبْتنا نُقبِّلُ أسيافَنا وَنَمْسَحُها مِن دِماء العِدى
لِتَعْلَم مِصْرُ وَمَنْ بالعراقِ ومَنْ بالعواصمِ أنّي الفَتى
وأنّي وفيتُ، وأنّي أبيتُ وأنّي عَتوتُ عَلى مَن عَتا

لقد وفى إذن؟ لمن؟.

من الواضح أنه وفى لمفاهيمه وأهدافه. ومن الجدير بالذكر أنه عاد، فأكد هذه المفاهيم في هجوه كافور، واعتبر مدحه كافور هجاء الورى:

[2] وشِعْرٍ مَدَحْتُ بِهِ الكركدن بينَ القريضِ وبينَ الرُقى[145]
فما كان ذلك مدحاً له ولكنه كان هجو الورى

ورغم ذلك، فإن تجربته مع كافور، هزت صورته، لأنه مدح فغالى، ليخفي أهدافه، ويحقق آماله. ثم هجا فأقذع، فرأى النقاد في مدحه وهجائه رياء[146].

وهكذا، فإن أبا الطيب لم يكن يريد أن يكون الشاعر الفارس فقط، لأن هذا لا يحقق طموحه، فأراد أن يكون الشاعر الفارس الثائر، الطامح بالحكم، ولقد فرض عليه ذلك أن يكون سياسياً، وأن يناور ويراوغ، في عصر عرف بالشراسة والتآمر والباطنية والتقية، كما لم يعرف عصر آخر.

---

(١) النجاة: السريعة، والبجاوية منسوبةً إلى قبيلة بجاوة البربرية، تستخدم للمُطاردة في الحرب.
(٢) الكركدن: اسم حيوان، ويرى أبو العلاء أنها كلمة تطلق على كل قبيح. وهو يريد تشبيه كافور بالكركدن. والرُقى: جمع رُقية، من أعمال السحر.
ويريد بذلك أن الشعر الذي قاله فيه بين الشعر والسحر، لأنه فيه الغازاً ويقبل التفسيرات المختلفة.

و — العودة إلى الكوفة:

عاد إلى الكوفة، بعد رحلة شاقة، ومخاطرة عظيمة، تشبه القمار، كما قال في أرجوزته، فما الذي دعاه أن يعود إلى الكوفة؟.

يبدو أن أوضاع الكوفة، كانت تسمح نسبياً، لأن القرامطة، اتجهوا نحو مصر، وتركوا بغداد. وكان خط سيف الدولة وأبي الطيب التحالف مع الخلافة العباسية، ضد الاتجاهات الأخرى. وكانت علاقات سيف الدولة جيّدة مع القرامطة الذين حاربهم أبوه وأعمامه(١٤٧).

ولم يكن أبو الطيب يريد العودة إلى الشام، لأن شطراً منها يتجاوز دمشق، مازال يخضع لسيف الدولة. وأبو الطيب لا يرغب بالعودة هناك، إمّا لعدم وجود ضمانات بعد وفاة الخصيبي، أو لأن الخطة تقتضي ذلك. ولأن ظروف الكوفة أصبحت مواتية لعودته.

ولكنه باختيار الكوفة قرر مواجهة ثلاث صعوبات، لا يعقل أنه لا يعرفها:

الأولى: ان الكوفة مدينة صغيرة، ليس فيها سلطان، ولا حياة ثقافية مزدهرة كالفسطاط وبغداد وحلب. ولقد تعود أبو الطيب على الحياة الحافلة العامرة بالثقافة، كما هي الحال بالحركة السياسية. وأين منه ذلك في الكوفة التي دمرتها هجمات القرامطة والأعراب(١٤٨) وخلافات العلويين، وهجمات السلطة(١٤٩). وهذا يعني أحد امرين:

الأول: أن أبا الطيب اتخذها محطة، يقرر فيها وبروية، ماذا يفعل، وأين يذهب.

ولذلك، فإنه ما إن حط فيها، حتى بدأت اتصالاته والاتصالات به، من بغداد وحلب وأرجان (١٥٠).

والثاني: أنه، كما يظن د. طه حسين: «قد انتهى إلى الكوفة، وهو يريد أن يحيا فيها حياة الرجل الهادىء المطمئن، الذي جمع من المال مقداراً ضخماً، يمكّنه من أن يعيش عيشة أصحاب الثراء والجاه. وما أظن إلّا أنه كان يريد أن يستمتع بهذه الحياة حيناً من الدهر، وان ينتظر ما ستتكشف عنه الأحداث»(١٥١).

ولقد أثبتت الوقائع أن الكوفة كانت محطة، أودع فيها أبو الطيب عائلته، لينطلق[١٥٢].

الثانية: أن الكوفة كانت مازالت معرضة للهجمات والغزوات وحملات الدولة. وهو ما قاد أبا الطيب لخوض المعارك فيما بعد[١٥٣].

ولكنه على ما يبدو، كان يطمح بدور كهذا، ليسترد مكانته بين أهله، وفي بلده. ولأن الكوفة مركز من أكثر مراكز الشيعة أهمية.

الثالثة: أن لأبي الطيب عداواته، إذ وقف موقفاً عربياً ضد العجم. وموقف السيد ضد الخدم والعجم. والعجم هم اصحاب السلطة في بغداد، عاصمة الخلافة[١٥٤].

وكان أبو الطيب مع سيف الدولة وناصر الدولة ضد البويهيين، المتغلبين على بغداد. ولم يكن أحد قد نجا من نقد أبي الطيب، حتى الخليفة العباسي[١٥٥].

وبالإضافة إلى هذا، فقد كانت له نزاعاته داخل صفوف الفرق الشيعية.

إنه ولا شك في وضع صعب.

ولكنه كان يستعين على ذلك بما يلي:

أولاً: قوة الترحيب الذي لقيه في الكوفة[١٥٦].

ثانياً: صلاته السرية والعلنية وثقته بنفسه.

ثالثاً: مكانته الشعرية[١٥٧].

وفي الكوفة جاءه رسول سيف الدولة، يحمل هدية، مما يعني أن سيف الدولة لم يُبطيء، فأرسل له أبو الطيب جواباً وقصيدة، سنة (٣٥٢ ـ ٩٦٣)، لم يترك فيها مجالاً للشك، بأنه مازال ملتزماً بسيف الدولة:

كُلّما رَحّبت بِنا الروضُ قُلْنا ... حَلَبٌ قَصْدُنا وأَنْتَ السبيلُ[١٥٨]

والمسمّون بالأميرِ كثيرٌ ... والأَميرُ الذي بها المأمولُ

ويضيف:

ليسَ إلاّكَ يا عليُّ هُمامٌ ... سَيْفُه دونَ عِرْضِه مَسْلولُ

كيفَ لا يأمنُ العراقُ ومِصْرٌ ... وسَراياكَ دُونَها والخيولُ

لَـو تَـحَـرفـتَ عَـن طَـريـق الأعـادي رَبَط الـسِـدرُ خـيـلَهـم والـنـخـيـلُ
(١) وَدَرى مَـنْ أعـزَّه الـدَفْـعُ عَـنْـهُ فِـيـهِـمَـا أنّـه الـحـقـيـرُ الـذلـيـلُ
أنْـتَ طـولَ الـحـيـاةِ لـلروم غـازٍ فـمتى الـوَعْـدُ أنَ يـكـونَ الـقُـفـولُ
(٢) وسِـوى الـرُومِ خَـلْفَ ظَهْـرِكَ رومٌ فَـعَـلى أيّ جَـانـبـيـك تَـمـيـلُ
(٣) مـا الـذي عِـنْـدَهُ تُـدار الـمـنـايـا كـالـذي عِـنْـدَه تُـدار الـشَـمـولُ

وأوضح أبو الطيب بأنه سيقصد سيف الدولة:

لَـسْـتُ أَرْضـى بِـأَنْ أَراكَ جَـواداً وَزَمـانـي بِـأَنْ أَراكَ بَـخـيـلُ

ولكن أبا الطيب، ما لبث أن إنتقل إلى بغداد، وهو يؤكد التزامه بسيف الدولة، وبنهج محاربة الروم، واعتبار الحكام في مصر والعراق روما، وكأن ما قاله، من قبل، لا يكفي.

ولقد نزل في بغداد، في ربض حميد، وبضيافة علي بن حمزة البصري (٣٧٥)، كما عني بأموره التاجر الأديب أبو محمد الحسن بن حامد. ومن الجدير بالذكر أن أبا الطيب مدح في هذا الحي، ربض حميد، ومنذ أربعين سنة، محمد بن عبيد الله العلوي(١٥٩).

واتجه فور وصوله بغداد إلى المهلبي (٢٩١ ـ ٣٥٢) أبو محمد الحسين بن محمد، من ولد المهلب بن أبي صفرة الأزدي. وقد وزر للبويهيين، منذ ٣٣٩ حتى وفاته. وكان شاعراً كاتباً، «وله اقوال بليغة تجري مجرى الأمثال»(١٦٠).

وكان المهلبي يطمح بكسب ود أبي الطيب، وضمه إلى حلقته الأدبية، رغم كره البويهيين له، وبالتالي تقديمه إلى معز الدولة البويهي.

(١) ودرى من أعزه الدفع عنه: يريد من بمصر والعراق، وهو تعريض مقصود بمعز الدولة وعضد الدولة، كما يرى ابن فورجة (ص٢٤٤).
(٢) الروم الذين خلف ظهر سيف الدولة: يريد الحكام بمصر والعراق. ويرى أبو العلاء أنه قصد البوادي والأعراب، وقيل: إنما عنى بذلك عضد الدولة (ج - ٣، ص ٥٨٩).
(٣) الشَمول: الخمر.

ولقد حضر أبو الطيب مجلس المهلبي مرة وثانية، وشارك في المناقشات. ورغم ما استقبل به من ترحاب، فإنه لم يمدحه[١٦١].

فما كان من المهلبي إلاّ أن أثار أعوانه من الأدباء والشعراء عليه، كابن الحجاج، الحسن بن احمد بن محمد بن جعفر (- ٣٩١) الشاعر الهازل من مجالسي الصاحب بن عباد، ومن غلاة الشيعة[١٦٢]. وانضم الحاتمي محمد بن الحسن بن المظفر (- ٣٨٨) إلى الحملة، وأن المهلبي نقل الوقائع إلى معز الدولة قائلاً: «أعلمت ما كان من أبي علي الحاتمي والمتنبي؟ فإنه شفى منه صدراً»[١٦٣].

فلماذا لم يمدح أبو الطيب المهلبي؟. يقول الأصفهاني، وهو معاصر مضطلع، إن ما صدّ أبا الطيب عن مدح المهلبي «ما سمعه من تماديه في السخف، واستهتاره بالهزل، وإستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه»[١٦٤].

وهذا كاف في نظر أبي الطيب الذي كان يبحث في الرجال عن الجد والخلق والعلم. ولكن يبدو أن أبا الطيب، كان مازال يوازن، بين العودة إلى حلب، أو البحث عن سبيل آخر إلى بني بويه[١٦٥] أو البقاء في الكوفة.

واجه أبو الطيب هذه الحملة بهدوء، واكتفى أن ساعد على بلورة حلقة أدبية لدراسة ديوانه، ضمت عليا البصري، وابن جني، بالإضافة إلى عدد من الشباب، وهو ما أخذه على أبي الطيب، نفر من مهاجميه[١٦٦].

ثم ما لبث أن عاد إلى الكوفة.

ويبدو أنه عاد إلى بغداد، وأقام أشهراً، سنة ٣٥٢[١٦٧]، وعاد إلى الكوفة من جديد.

وشهدت سنة ٣٥٣ عدة حوادث، بالنسبة لأبي الطيب، ومن هذه الحوادث:

١ ـ أن سيف الدولة، أرسل له رسالة جديدة، فأجابه أبو الطيب بقصيدة، في ذى الحجة سنة (٣٥٣ ـ ٩٦٤)، يقول له فيها سمعاً وطاعة، «وإن قَصّر الفعل عما وجب»[١٦٨]. ويشير أبو الطيب إلى دور الوشاة في اعاقة حضوره:

وَمـا عَـاقَـني غـيـر خَـوْفِ الـوُشـاةِ وأنّ الـوشـايـاتِ طُـرْقُ الـكَـذِبْ

ويعتب أبو الطيب، لأن سيف الدولة يسمح لهم، وأن كان: «ينصره قلبه والحسب» (بـ ـ ٥). ويؤكد أبو الطيب أن البلاد لم تلائمه بعد سيف الدولة، وأنه لم يختر بديلاً من رب نعمته (بـ ـ ٨). ثم يصف كيف يقف المسلمون مع المشركين: «أما العجز وأما رهب» (بـ ـ٣٩).

بينما يقف سيف الدولة مع الله «قليل الرقاد كثير التعب» (بـ ـ ٤٠). وينهي القصيدة غامزاً من موقف سيف الدولة الذي لا يعامل أبا الطيب بقدر حبه له.

فَلَيْتَ سُيوفَك في حَاسِدٍ إذا مَا ظَهَرتَ عَليهِمْ كَئِبْ
ولَيتَ شَكَاتَك في جِسْمِهِ ولَيتَك تَجْزِي بِبُغضٍ وَحُبْ
فَلو كُنْتَ تَجْزي بِهِ نِلْتُ مِنْكَ أَضْعَفَ حَظّ بأقوى سَبَبْ

وقال صاحب التبيان في شرح البيت الأخير «لو جزيتني بحبي لك. وهو أقوى سبب، لأن حبي لك أكثر من حب غيري، لنلت منك القليل»، ويضيف صاحب التبيان، «يشكو إعراضه عنه، وأنه لا يصيب منه حظاً مع قوة سببه»[١٦٩]. أما العروضي، فأتهم أبا الطيب على هذا الموقف بالجنون[١٧٠].

وهذا يعني أن أبا الطيب، كان يبدي الاحترام الكبير لأمير العرب، ولكنه لم يكن قد قرر العودة.

٢ ـ أن أبا الطيب نزل بأصدقاء له بالطف، وخرجوا والتقوا بضبة العتبي الذي ولد نتيجة اعتداء على أمّه، فسار معهم. وعندما بلغ حصنه، تحصن، وأخذ يشتمهم أياماً، ويُسمي أبا الطيب. وقد طلب أصحاب أبي الطيب منه، أن يجيبه، فأجابه على كره منه، «بألسنتهم»[١٧١]. ورغم أن أبا الطيب كان ينكر القصيدة، إلاّ أنها لصقت به، واستخدمت غطاء لقتله.

وضبّة هذا، لا تحدثنا كتب الأدب عنه، ولا تسعفنا كتب التاريخ إلاّ بإشارات غامضة[١٧٢].

فمن هو؟ ولماذا كان له حصن؟. ولماذا خرج اصحاب أبي الطيب ورافقوه إلى حصنه؟. وما علاقته بالهجمات على الكوفة؟. كل ذلك مازال بغير جواب.

٣ ـ أن الكوفة، تعرضت، بعد ستة أشهر، من واقعة ضبة وفي أواخر سنة ٣٥٣، كانون الأول ٩٦٤، لهجوم قادهَ «خارجي من بني كلاب»، يسميه بلاشير قرمطياً. وقد شارك أبو الطيب في الدفاع عن المدينة مشاركة، على ما يبدو، فعالة. وحين وصلت نجدة الدولة في بغداد، بقيادة دلير بن لشكروز، كان الهجوم قد انتهى.

وقام دلير بتقديم هدايا نفيسة لأبي الطيب، ورد أبو الطيب بمدحه بقصيدة، يعظمه فيها، ولكنه يستبق ذلك بحديث العلى:

ذَريني أَنَلْ مَا لاَ يُنَالُ مِن العُلى فَصَعْبُ العُلى في الصَعْبِ والسَهْلُ في السَهْلِ[١٧٣]
تُريدينَ لُقيانَ المَعالي رَخيصةً ولا بدَّ دُوْنَ الشهْدِ مِن إبَر النحْلِ

٤ ـ أن سيف الدولة تعرض، أواخر سنة ٣٥١ لهجوم، قاده الدمستق نقفور فقاس، فدخل حلب، وأعمل النهب فيها سبعة أيام، وجلا عنها متوعداً بعودة قريبة[١٧٤].

٥ ـ أن ناصر الدولة، أخا سيف الدولة، تعرض لهجوم معز الدولة البويهي على الموصل والجزيرة سنة (٣٥٣ ـ ٩٦٤)[١٧٥].

٦ ـ أن سيف الدولة، الذي كان قد أصيب بالشلل الجزئي، أصيب بنوبة مرض جديدة.

وهكذا، تتعرض الكوفة لهجمات جديدة، وتقتحم حلب، ويهاجم معز الدولة الموصل. وتصدق قصيدة أبي الطيب:

وسِوى الرُومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رُومٌ فَعَلى أيّ جَانبيكَ تَميلُ؟

ظلَّ أبو الطيب في العراق، حوالي ثلاث سنوات، معظمها في الكوفة. ولكنه لم يكتب الكثير من الشعر. وإذا ما راجعنا ما كتب، اكتشفنا التالي:

١ ـ أنه كتب ثلاث قصائد في فاتك الرومي:
أ ـ الحزن يقلق والتجمل يردع[١٧٦].

ب — حتام نحن نساري النجم في الظلم[١٧٧].
جـ — يذكرني فاتكاً حلمه[١٧٨].
٢ ـ أنه كتب ثلاث قصائد لسيف الدولة:
أ — مالنا كُلّنا جوٍ يا رسول[١٧٩].
ب — يا أخت خير أخ يا بنت خير أب[١٨٠].
جـ — فهمت الكتاب أبر الكتب[١٨١].

٣ ـ أنه كتب قصيدة مدح في دلير بن لشكروز[١٨٢].

وكان في كل هذه القصائد يطرح موقفه وخطه، وخاصة في قصائده لسيف الدولة، وفاتك الرومي.

ها هو لم يهادن، ولم يحن رأسه. قاتلَ في الكوفة، وتحدى الروم في الداخل، وأعلن الالتزام بسيف الدولة وخطه، فهل يبقى في الكوفة وأين يذهب..؟

هل كان يتشاور مع سيف الدولة لينجز في العراق، ما لم يستطع إنجازه في مصر؟.

إن محمود محمد شاكر، يفترض ذلك [١٨٣]. ومطلع القصيدة، «فهمت الكتاب أبر الكتب فسمعاً لأمر أمير العرب»، يدل على أن الرسالة التي كتبها سيف الدولة بخطه، لم تكن تتضمن دعوة أبي الطيب للعودة إلى حلب فقط. ومن يدري؟ فربمَا كانت الرسالة تتعلق بدور لأبي الطيب في العراق. وهو الآن قادر، فقد عاد إلى الكوفة، واستعاد موقعه بين أهله، وصار قائد الدفاع عن المدينة، في وجه التحركات المعادية، سواء كانت من الأعراب، أو من القرامطة. وها هو دلير بن لشكروز، يخلع عليه تقديراً لدوره، وهو من قادة معز الدولة البويهي. وخطاب أبي الطيب إلى دلير، يحمل إشارات تستحق أن تدرس:

فَتَمْليكُ دِليرٍ وتعظيمُ قَدْرِه
شَهيدٌ بوحدانية اللهِ والعَدْلِ[١٨٤]

ويبدو أن أبا الطيب، كعادته، طوى النفس على قرار، فأوهم في قصيدته الموجهة إلى سيف الدولة، أنه مازال يخشى الوشاة، وأن سيف الدولة، لا يبادله

حباً بحب، وبالدرجة عينها.. وبالتالي أبقى موضوع عودته إلى سيف الدولة غامضاً.

ز — المخاطرة الأخيرة:

— سار أبو الطيب إلى أرجان، للقاء ابن العميد الذي راسله، يطلب منه الحضور[١٨٥]. وكان ابن العميد، على ما تذكره الروايات، مشغولاً باخماد ذكر أبي الطيب. ولما كان أبو الطيب مشهوراً، يزداد شهرة، فقد نصح ابن العميد أحد اصحابه بالعدول عن هذه الفكرة[١٨٦]. ويبدو أن ذلك قاد إلى التفكير بدعوة أبي الطيب إلى أرجان للقاء ابن العميد.

وقد اغتنم أبو الطيب الفرصة، واتجه إلى أرجان، بدلاً من التوجه إلى بغداد. وكان ذلك يوم الحادي عشر من صفر سنة ٣٥٤، «وبلغ أرجان في الشهر» عينه[١٨٧].

فلماذا اختار أبو الطيب هذا الخيار؟.

إن كتب التاريخ، لا تجيب على السؤال، ولا تساعد في البحث عن إجابة عليه. إذ إن رحلة أبي الطيب الأخيرة غامضة بأهدافها وملابساتها. وزاد اغتياله في نهايتها الأمر التباساً.

هل دفع أبو الطيب إلى ذلك حباً بالمال[١٨٨]، أم أنه تعود أن يعيش في القصور، وأن يكون المداح الأول[١٨٩]؟.

إننا في الحقيقة لا نرى ذلك. فقد عرضت على أبي الطيب إغراءات مادية كبيرة. وكانت القصور، من حلب إلى الفسطاط إلى بغداد، تريد من أبي الطيب أن يبقى المداح الأول، وأن ينعم بالمكاسب. ولقد رفض ذلك[١٩٠]. ولذلك فإن مسيره إلى أرجان، يتعلق بخطته المقبلة، وهي تقوم من وجهة نظرنا على أمرين:

الأول: أن يحسن العلاقة مع البويهيين، ليستطيع أن يبقى في الكوفة، وأن يوطد نفسه هناك، لأنه وجد الجو في الكوفة ملائماً للإقامة والعمل، واكتساب موقع فعّال ومؤثر.

الثاني: أن يحاول تحسين العلاقات بين سيف الدولة وعضد الدولة، استمراراً للجهد الذي حاوله شيخه الخصيبي، والذي استهدف:

١ ـ مواجهة الهجمات الرومية التي أخذت تشتد.

٢ ـ تحسين وضع هذا التحالف الشيعي، ضد الدولة الإخشيدية من جهة، والفاطميين وسائر الشيعة، من جهة أخرى.

وهذا هو الذي دفع أبا الطيب للبقاء شهرين في أرجان[١٩١]، ثم محاولة العودة. ويبدو أن عضد الدولة، كان معنياً باستقبال أبي الطيب، فأبلغ ابن العميد بذلك، ووافق أبو الطيب، بعد أن حصل على تعهد بالسماح له بالسفر، وقت يشاء[١٩٢]. وأقام في ضيافة عضد الدولة، حوالى ثلاثة أشهر[١٩٣]. ثم قرر العودة.

فما الذي دار بين عضد الدولة وأبي الطيب؟.

إن الأصفهاني، يذكر أن لقائهما الأول، تضمن حديثاً عن مسير أبي الطيب من مصر، وعن علي بن حمدان، أي سيف الدولة[١٩٤]. ويضيف الأصفهاني: «وكان أبو حفص بن ماقولا، وزير بهاء الدولة مأموراً بالاختلاف إليه (أي أبي الطيب)، وحفظ المنازل من مصر إلى الكوفة، وتعرفها منه»[١٩٥].

والغريب أن ذلك، ما لم تتحدث فيه المراجع التي قرأناها، على أهميته. إذ ماذا يعني الحديث عن مصر، وسيف الدولة، والتعرف على الطريق إلى مصر. هل جرى حديث مصالحة بين الحمدانيين والبويهيين؟. هل جرى حديث في اقتسام مناطق نفوذ؟. هل طُلب من أبي الطيب أن يلتزم بالبويهيين في الصراع؟.

إن كل ذلك غير معروف.

ولقد مدح أبو الطيب ابن العميد وعضد الدولة، بعدد من القصائد والمقطوعات، التي تظهر دراستها ما يلي:

١ ـ إن القسم الذي يتعلق بذكريات أبي الطيب، وشعوره بالغربة، هو القسم الأبرز. وهذه الذكريات عربية، تؤكد ارتباط أبي الطيب بالعرب، والأرض العربية والمرأة العربية.

ففي قصيدة «أوه بديل من قولتي واهاً»، تتحدث الأبيات العشرون الأولى عن ذكريات أبي الطيب في الشام.

شَـامـيّـةٌ طَـالَـمـا خَـلَوْتُ بِـهـا تُبْصِـرُ فـي نَـاظِـري مُحيّـاهـا[١٩٦]

أحـبُّ حِـمْـصـاً إلـى خُـنـاصـرةٍ وكـلُّ نَـفْس تُـحِـبُّ مَـحْـيـاهـا

وفي قصيدة «مغاني الشعب طيباً في المغاني»، يتحدث أبو الطيب عن غربة العربي في بلاد فارس، وعن اختلاف اللغة والتقاليد. ففي بلاد العجم، يتذكر أبو الطيب العربي المضياف، الذي لا يجده في شعب بوان[١٩٧].

إنه يُذّكر ابن العميد وعضد الدولة وحواشيهما أنه عربي، يدخل بلاد الفرس، وإنه يشعر بالغربة وباختلاف كل شيء.

ولا يستبعد أن يكون ذلك ناتجاً عن الغربة التي أحس بها، وعن المفارقة التي يعيشها، وهو ذاهب إلى ملوك أعاجم، سيقف أمامهم مادحاً، وهو القائل «ولا تفلح عُرْب ملوكها عجم»[١٩٨].

٢ ـ إن الأقسام المتعلقة بابن العميد وعضد الدولة واضحة التكلف، ودون مستوى شعره، لا في سيف الدولة فقط، بل في كافور أيضاً[١٩٩].

ولذلك كان طبيعياً أن يشعر ابن العميد بأن شعر أبي الطيب فيه، دون ما سمعه من شعر أبي الطيب في الشام والمغرب[٢٠٠]. وكان طبيعياً أن يقول عضد الدولة، «المتنبي قال جيد شعره بالعرب»[٢٠١].

٣ ـ أن أبا الطيب تعمد أن يشير إلى الفرس وفارس مراراً في قصائده، وإن يؤكد أن ابن العميد فارسي لغته العربية، وأن عضد الدولة ملك فارس.

ففي قصيدته: «جاء نيروزنا وانت مراده»[٢٠٢]، يذكر أبو الطيب أنه في أرض فارس[٢٠٣]، ويتعمد أن يشير إلى أن ابن العميد عربي لسانه، فلسفي رأيه، فارسية أعياده[٢٠٤].

ويقول في قصيدته «اوه بديل من قولتي واهاً»[٢٠٥].

أبـا شـجـاع بـفـارس عـضـد الـدولـة فنـاً خسـروا شهنـشـاهـا.

٤ ـ إنّ أبا الطيب لم يشر في هذه القصائد إلى الإسلام، كما كان يفعل مع سيف الدولة[٢٠٦].

ولكن أبا الطيب مدح ابن العميد، حتى جعله المهدي[٢٠٧]، ومدح عضد الدولة حتى جعله ملك الملوك[٢٠٨].

كما أن أبا الطيب حاول، أن يظهر أن فضائل العرب، لا تتناقض مع وجود فضائل للفرس[٢٠٩].

وهكذا، فإن أبا الطيب دخل المأزق الحاسم. فهو عربي، لا يقبل حكم العجم، وها هو يمدحهم. وهو ثائر يعطي البيعة، ولو اسمياً، لحكام غير ثوار. وهو ملتزم بسيف الدولة، كما ظهر في قصيدته: «ما لنا كلنا جو يا رسول»[٢١٠]، أو قصيدته «فهمت الكتاب ابر الكتب»[٢١١]، وها هو يعلن الولاء لعضد الدولة.

ولقد عاد أبو الطيب، وقتل في طريق العودة[٢١٢]. فلماذا عاد؟. ولماذا قتل؟.

لقد عاد، من وجهة نظرنا، لأنه يريد أن يجعل من الكوفة قاعدة انطلاقه. ولم يكن مستعداً أن يبقى في شيراز. ونعتقد أن الاستعجال في العودة، لا يستهدف العودة بعائلته[٢١٣]، كما أشيع. ولذلك اشترط أبو الطيب على عضد الدولة، قبل الموافقة على زيارته، أن يكون القرار في الحل والترحال لأبي الطيب نفسه.

ونعتقد أن ما روي عنه، من رأي في الملوك[٢١٤]، لا يستبعد أن يكون صحيحاً، لأنه ينسجم مع موقفه التقليدي المعلن منهم.

ولكن هل هذا هو سبب اغتياله؟.

إن سبب اغتياله، من وجهة نظرنا، يعود إلى الاحتمالات التالية:

أولاً: أن تكون مباحثاته مع عضد الدولة لم تؤد إلى إتفاق، وهذا ما تؤكده القصيدة التي قالها في وداع عضد الدولة. لأن القصيدة تعكس تأكد أبي الطيب من المخاطر التي تنتظره، خلال عودته[٢١٥].

ثانياً: أن يكون عضد الدولة قد تأكد من مطامح أبي الطيب، سواء من وضوح أبي الطيب في طرحها، أو من عدم اقتناع أبي الطيب بالبقاء في ظل عضد الدولة. فلماذا لا نتصور أن يكون أبو الطيب قد طلب إقراره على ولاية. أو دور؟. ولماذا لا نتصور أن عضد الدولة خشي عودة أبي الطيب إلى العراق، وبقاءه في الكوفة؟.

ثالثاً: أن يكون اغتيال أبي الطيب تصفية لمنافس، وصاحب موقع ورأي، ضمن مجموعة الشيخ الخصيبي؟، ولرجل عربي علوي، لا يرى صلاح العجم لحكم العرب.

رابعاً: أن يكون معز الدولة، في بغداد، قد رأى في توجه أبي الطيب إلى عضد الدولة، وتجاهل حاكم بغداد، قضية لا يجوز السكوت عنها، لأن معز الدولة يحكم العراق، ومن يذهب إلى عضد الدولة، يتجاوزه. وكان الحاتمي (أبو علي محمد بن الحسن)، قد اعترف بأن المهلبي (أبي محمد الحسين بن محمد) وزير معز الدولة، قد طلب منه بأحواج أبي الطيب إلى مفارقة العراق. كما لا يجوز أن ننسى التنافس بين معز الدولة وعضد الدولة.

خامساً: أن تكون جهة أخرى، من خارج إطار بني بويه، قد رأت في علاقة أبي الطيب الجديدة تحولا في دور أبي الطيب، ونجاحاً لبني بويه؟.

سادساً: أن يكون كافور قد انتقم من رجل شهّر به، حتى ملأ تشهيره الآفاق.

إن كل ذلك وارد، إلا أن هذا كله، لا يجوز أن ينسينا موقف بني بويه المعادي، من أبي الطيب. فقد كان في حلب، وقد استمر هذا الموقف منه، عندما عاد أبو الطيب إلى الكوفة. وزاد عندما زار بغداد، واستمر بعد وفاته. وهذا هو الذي يرجح قيام بني بويه بقتله[٢١٦].

ويزيد الأمر وضوحاً أن الرواية التي أعلنت عن اغتيال أبي الطيب، تحدد الزمان والمكان والقاتل. ورغم ذلك، فإن بني بويه لم يتخذوا أي إجراء بحق القتلة، ولو من باب ذر الرماد في العيون، رغم ارتفاع بعض الأصوات مطالبة بذلك، ورغم أن أبا الطيب اغتيل وهو في أرض تخضع لسلطتهم[٢١٧].

وإن كنا لا نستطيع أن نعتبر من ذلك حجة دامغة، لأن ابن هاني اغتيل، وهو شاعر المعز الفاطمي، وكان ابن هاني في أرض المعز، ومع ذلك لا يشير التاريخ إلى أن القتلة قد عوقبوا[٢١٨]، مع وجود فارق كبير في أسباب القتل، في كل حالة من الحالتين.

- ٤ -

إن ما ذكرناه سابقاً، لا يعطي صورة حقيقية وتامة، عن «مالىء الدنيا وشاغل الناس». ولذلك، فإننا سنحاول أن نواصل محاولة «رسم صورة» له، وافية نسبياً.

وعلينا أن نعترف أن دون ذلك عقبات. ورغم هذا، فسوف نواصل.

ومن العقبات التي نواجهها ما يلي:

١ ـ أن أبا الطيب لم يترك مذكرات، ولم يكشف طبيعة علاقاته، وأسباب أسفاره، والعلاقة بين برنامجه «وتكتيكاته»، إذا أردنا أن نستخدم التعابير الحديثة. وفي ذلك الزمن كانت الباطنية سيدة الموقف في الدين والسياسة والفلسفة والأدب[٢١٩].

٢ ـ أن شارحي ديوان أبي الطيب، وعلى رأسهم ابن جني، وعلي حمزة البصري والشعراني، ومن بعد: أبو العلاء المعري، لم يحاولوا شرح، ما يحتاج إلى شرح، من علاقاته ومواقفه وإشكالاته. وكان ابن جني الأكثر حرصاً على إخفاء كل شيء[٢٢٠]. ولقد اكتفى الشارحون بالتفسير اللغوي، دون غيره[٢٢١].

٣ ـ أن كتّاب التاريخ، العارفين وغير العارفين بأمر أبي الطيب، لم يحاولوا كشف ما غمض من سيرته. ولذلك سادت روايات بعينها، ولم يحاول المؤرخون أن يناقشوا الروايات السائدة، مهما كان ضعفها.

ولذلك، فإننا نبحث عن صورة أبي الطيب في أدبه ومواقفه، وما تيسر من المعلومات التاريخية، والمقارنات العلمية الممكنة.

وسنحاول، هنا أن نقدم بعض الملاحظات التي تتمم الصورة:

أولاً: ذكرنا أن الرجل كان فارساً، ولقد أكد هذه الفروسية، في أكثر من مجال، ومن ذلك.

١ ـ أنه كان يدعو إلى الفروسية، ويعجب بالفرسان. وكان من نماذج فرسانه سيف الدولة علي بن حمدان، وبدر بن عمار، وفاتك الرومي، وأبو العشائر الحسين بن حمدان.

وحرص أبو الطيب أن يصف هؤلاء الفرسان في كل شعره بمقاطع من الشعر الفروسي الباهر[٢٢٢].

٢ ـ أنه كان يعبّر عن هذه العلاقة الحميمة بين الفارس والخيل[٢٢٣].

٣ ـ أنه مارس الفروسية في رحلاته ومغامراته. وهنالك أكثر من شاهد تاريخي على ذلك[٢٢٤]. ولقد مات فارساً[٢٢٥].

ثانياً: ذكرنا أن الرجل كان ثائراً. ولقد تجلي ذلك في الدعوة إلى القيام، وتضريب هامات الطغاة، وإطاحة دول العجم والخدم[٢٢٦].

ثالثاً: وكان الرجل إلى ذلك مجاهداً، يرى أن الجهاد يقوم على دعامتين.
الأولى: مقاومة الروم، العدو الرئيس للأمة[٢٢٧].

والثانية: مقاومة الطغاة، من الحكام الذين عصوا [٢٢٨].

رابعاً: وكان الرجل عفيفاً نظيفاً، كما وصفه معاصروه، وحكى عنه علي بن حمزة البصري، قال «بلوت من أبي الطيب ثلاث خلال محمودة، تلك أنه ما كذب، ولا زنى، ولا لاط»، في عصر كان عصر زنى ولواط وشراب وكذب[٢٢٩]. وكان أبو الطيب لا يشرب، كما تدل قصائده ومواقفه، وكان هذا يحدث له إشكالات مع ممدوحيه[٢٣٠].

خامساً: وكان أبو الطيب، مع هذا كله، حافظاً للأدب [٢٣١]، عالماً باللغة. وحين وفد على ابن العميد، قرأ عليه ابن العميد ديوان اللغة الذي جمعه. وتعجب: «من حفظه وغزارة علمه»[٢٣٢]. وقد عُرف بالجلد على الدراسة، وسهر الليالي[٢٣٣].

سادساً: وكان إلى ذلك وفياً، كما قال:

خُلِقْتُ أَلــوفــاً لــو رَجَعْتُ إلى الصبــا لَفارَقْتُ شَيْبي مُوجَعَ ٱلقَلْبِ باكيا[٢٣٤].

سابعاً: وكان أبو الطيب «مرّ النفس، صعب الشكيمة، جاداً مجداً». وهذه شهادة أحد المعادين[٢٣٥].

فهل نستطيع أن نقول: أن الصورة أصبحت واضحة؟.

يبقى رغم ذلك، ما يمكن أن نسميه «غشاوات»، لا يراها معظم الذين جذبتهم شاعرية أبي الطيب، ويراها بعض المعجبين بشعره كبيرة وسوداء[٢٣٦]. ويراها آخرون ظلالاً مختلفة الكثافة، لا تغطي شخصية الشاعر الشامخة[٢٣٧].

ومن ذلك:

١ - مدحه حكاماً أعاجم، مثل كافور، وابن العميد، وعضد الدولة، واتسام هذا المدح بالمبالغة المسرفة.

ولقد درسنا هذه المدائح، خلال دراسة شعر أبي الطيب عامة، ووجدنا أن مدحه ثلاثة أنواع:

الأول: مدائح في شخصيات أحبها أبو الطيب، واحترمها، وقدرها، وما تمثل، تقديراً كبيراً. ومن ذلك مدائحه في سيف الدولة، وبدر بن عمار، وأبي العشائر وفاتك الرومي. وهي قصائد تمجد فرساناً أحبهم، وقيماً احترمها. ولذلك فانّ هذه المدائح، وما حذا حذوها، تتسم بدرجة عالية من الصدق، وبمستوى فني يتراوح بين الإبداع والجودة النسبية.

الثاني: مدائح في شخصيات، ذات مواقع سياسية أو كتابية محلية، وهي مدائح لا تتسم بسمات غير عادية، وإن كان ما يُعطى فيها للممدوحين من الصفات، يتسم بكثير من المبالغة.

الثالث: مدائح في حكام، مثل كافور وعضد الدولة، وابن العميد، وهي خالية من الروح، مكشوفة المبالغات، ومفتقدة إلى السلاسة التي تجذب، أو المستوى الذي ينتزع الإعجاب. وإذا حدث غير ذلك، فيكون ناتجاً عن وجود مقاطع فيها، تتحدث عن تجارب أبي الطيب.

إلاّ أننا، ونحن ندرس هذا المدح، يجب أن نشير إلى أمرين:

١ ـ أن المدح كان من وظائف الشعراء، ويندر أن تجد شاعراً لا يمدح. وكانت للمدح قواعد محددة معلنة، وإن كان كثير من الشعراء قد تجاوز ذلك إلى أشكال من المدح المسف[٢٣٨].

٢ ـ أن أبا الطيب الذي مدح، كغيره من الشعراء الكبار، تفرد بأمرين:

أ ـ غلبة روح النقد والنقمة، والدعوة إلى مواجهة الأعداء والحكام الظلمة، على شعره، كما لم يعرفها شاعر آخر.

ب ـ إعلانه المستمر احتقاره دور المَدّاح، وتمسكه بدور الثائر، وهو ما لم يفعله غيره أيضاً.

٢ ـ إنتقاله من المدح إلى الهجاء المقذع، كما فعل مع كافور، وهو «تقلب» لم يستسغه معجبون بأبي الطيب، واستثمره معادون: ومازال لا يريح محبيه والمعجبين به.

٣ ـ اتهامه بالبحث عن المال، حتى الجشع، وهو ما لا يقوم البرهان عليه. لأن أبا الطيب:

أ ـ رفض مدح شخصيات، مثل الصاحب ابن عباد، والمهلبي والصابي، أبدت استعداداً لتقديم ثروات طائلة له[٢٣٩].

ب ـ رفض الاستكانة في ظل الحكام، والتمتع بكل عطاياهم.

جـ ـ خاض مغامرات تبدد كل ما حصل عليه، وتعرضه شخصياً لمخاطر حاسمة.

وبعد هذا كله، هل اتضحت صورة الفارس الشاعر؟. وهل استطعنا أن نقدمه، بالقدر الذي يسمح لنا بالقول أننا أنصفناه؟.

إننا نشعر، أن هناك ما لم نقله بعد. ولذلك فإننا سنحاول إتمام رسم صورته الشخصية والاجتماعية، لننتقل بعد ذلك، إلى محاولة رسم صورته الأدبية.

- ٥ -

أتهم أبو الطيب في دينه. وكان أوضح ما اتهم به، ما كتبه أبو القاسم عبد الله

بن عبدالرحمن الأصفهاني، صاحب: «الواضح في مشكلات شعر المتنبي». وهو من معاصري أبي الطيب (توفي بعد سنة ٤١٠ هـ). يقول أبو القاسم: «وهو في الجملة خبيث الاعتقاد، وكان في صغره وقع إلى واحد يكنّى أبا الفضل بالكوفة من المتفلسفة، فهوّسه وأضلّه، كما ضلّ»[٢٤٠].

فهل يدل شعره على ذلك؟.

يجيب أبو القاسم: «وأما ما يدل عليه شعره، فمتلون»[٢٤١]، لأن في شعره ما «يمت إلى السوفسطائية، أو التناسخ، أو الفضائية، أو السبعية، أو مذهب النفس الناطقة أو الحشيشية»[٢٤٢].

فما الذي يدل عليه واقع حياته ونواطق شعره؟.

إن واقع حياته غني، ولكنه أيضاً متعدد الجوانب، فيه من الغموض، ما فيه من الوضوح. فأبو الطيب عاش في عصر الباطنية، حيث انتشرت التقية، وساد الخوف، واختلطت الأحزاب والمذاهب، وتداخلت السياسات.

وجرى العديد من المحاولات لدخول عالم الباطنية. ولكن لم يسفر عن كشف أسرارها، ولذلك قال أحد الباحثين:

«هذه «الباطنية» العميقة المتشعبة، كلما ولجنا منها باباً، أو درسنا من كتابها صفحة، ظهر أمامنا باب آخر منفرع مغلق. وتراءت لأعيننا صفحات جديدة طافحة بالرموز. فكأن هذه «الباطنية» التي لا حَدّ لها، ولا قرار، تأبى أبداً أن تفسح المجال للعلماء والباحثين والمنقبين، لكي يعرفوا دخائلها، ويكتشفوا تاريخها وكنوزها.. ولست أدري ما إذا كانت، قد أقسمت أن تظل أبد الدهر اللغز المغلق الذي يستحيل حله، والسر المكنون الذي يصعب فهمه..»[٢٤٣].

ولذلك، فإن هناك الكثير من الحركات التي تداخلت، والشخصيات التي التبست، والمذاهب التي تشابهت. وإذا كان التشيع بمفهومه العام معروفاً، فإن في التشيع حركات كثيرة، وأفكاراً متداخلة، وانتماءات مختلطة.

وهذا ما قاد إلى الاختلاف في تفسير كثير من المواقف والتحالفات والصراعات، لدى دول وحركات وشخصيات وشعراء وأدباء وقادة فكريين وسياسيين.

فعلى الصعيد المذهبي: عضد الدولة وناصر الدولة وسيف الدولة ومعز الدولة شيعة. ولكن عضد الدولة ومعز الدولة، كانا معاديين لناصر الدولة وسيف الدولة.

وعلى الصعيد السياسي: إتفق هؤلاء الأربعة، وهم يتحاربون، على بقاء الخلافة العباسية، وهي سنية، وعملوا باسمها، وإن كانوا لم يتركوا للخليفة إلاّ الأسم.

وعلى الصعيد الثقافي: كان من الأدباء والشعراء شيعة معلنون. وكان هناك شيعة متقون، ومن هؤلاء الخالديان: أبو بكر محمد، وأبو عثمان سعيد، ابنا هاشم الخالدي[٢٤٤]. ومن هؤلاء أيضاً منصور النمري الذي أسر تشيعه تقية، وأعلن ولاءه لبني العباس[٢٤٥].

وهناك من الأدباء، من لا زلنا نبحث عن إنتماءاتهم، ومذاهبهم، وولاءاتهم، حتى الآن[٢٤٦].

إلاّ أن هذا لا ينطبق على أبي الطيب، فهو، في الظاهر العام، من الشعراء الشيعة. يدل عليه في ذلك:

١ ـ أنه كوفي المولد، وأنه درس في كُتّاب اولاد أشراف الكوفة، فكان يتعلم دروس العلوية شعراً ولغة وإعراباً[٢٤٧].

٢ ـ أنه انتقل من الكوفة الشيعية، إلى شمال بلاد الشام، ومواقع معينة في فلسطين، مثل طبرية والرملة، حيث غلب التشيع. وقد أقام علاقات مع قادة شيعة[٢٤٨]، ولم يمدح إلاّ قلة من السنة[٢٤٩].

ومما يجدر ذكره أنه لم يمدح أي خليفة عباسي، منذ بدأ ينظم الشعر، وهو في الكتاب حتى وفاته، سنة ٣٥٤ هـ.

٣ ـ أنه أفصح عن ذلك في الكثير من قصائده[٢٥٠].

ولكن أي شيعي هو؟.

إن ذلك غير واضح. لأن فرق الشيعة تعددت في زمانه، ولأن الانتماءات والصراعات ظلت ذات طبيعة سرية. وكان هنالك أكثر من سبب لنسبة بعض الحركات والشخصيات لأكثر من فرقة. ومن ذلك:

١ ـ إنتقال الإمامة، بالوفاة، أو بمحاولة أكثر من وريث حقيقي إنتزاعها، بعد توزع نسل علي بن أبي طالب في بلاد متعددة.

وزاد في الطين بلة ظهور أدعياء، يدعون النسب والحق في الإمامة[٢٥١]. ولذلك ثار أكثر من رجل، باسم العلويين[٢٥٢]. وظهر أكثر من خلاف حول الحق بالإمامة، كما حدث عند قيام الفاطميين بالأمر، سنة ٢٩٧[٢٥٣].

٢ ـ تبدل السياسات، بسبب تغير الظروف، أو بسبب اجتهادات الدعاة، البعيدين عن المركز[٢٥٤]، ونتيجة صراعات محاور القوى.

٣ ـ إتخاذ سفراء ووكلاء، بعد استتار الأئمة، وخاصة «منذ أيام محمد ابن اسماعيل»[٢٥٥]، واضطرار السفراء والوكلاء الذين سموا أبواباً، للمزيد من التستر، لأنهم لا يحظون بحصانة الأئمة[٢٥٦].

وزاد الأمور تعقيداً اللجوء للعمل السري، واتخاذ كل أساليب الحيطة. ونورد على ذلك مثلاً، من أن القوم الذين تبعوا الإمام إسماعيل، كونوا: «بعد عمل سري طويل، فرقة فاقت في إعدادها المحكم، وتنظيمها الدقيق المتقن في مجالات الحزب العقلاني الفلسفي والثقافي العالي، مع الإثارة العاطفية والانفعال، فاقت به كل الفرق التي سبقتها أو نافستها»[٢٥٧].

وعمدت هذه الفرقة، إلى استخدام سواتر عديدة، أبرزها ما يلي:

أ ـ «إحترام كبير ظاهري للقرآن والحديث والشريعة، ومسايرة للعقيدة الشيعية السائدة الظاهرة».

ب ـ إعطاء المثقفين: «شرحاً باطنياً فلسفياً للكون، اعتمد على مصادر الثقافات الشرقية والكلاسيكية».

جـ ـ تزويد الصوفية بمادة «فيها الدفء العاطفي والعرفان مع الحب السامي المؤدي إلى التحام الكائنات، ووحدة الوجود»[٢٥٨].

وأدى ذلك إلى نسبة بعض الشخصيات والحركات إلى أكثر من فرقة[٢٥٩].

ويحار الباحث، وهو يقرأ كتب التاريخ وسير الإعلام، وكتب الفرق، لكثرة ما يجد فيها من خلاف حول الانتماءات.

أمام ذلك كله: أين يقف أبو الطيب؟.

إنه إسماعيلي عند الإسماعيليين[٢٦٠]، عَلَوي عند العلويين[٢٦١]، قرمطي عند آخرين[٢٦٢]. ولكن قارىء شعره، لا يجد دليلاً قاطعاً على شيء، من ذلك.

فهو، أولاً، لا يكثر في شعره، من التغني بعلي وآل البيت. كما فعل الشعراء الشيعة، من سابقيه، ومعاصريه وحتى الآتين بعده[٢٦٣]. وقصائده الباقية في ديوانه محدودة[٢٦٤]، وليس هناك ما يغيّر من هذه الحقيقة في الشعر الذي جمع له، خارج إطار ديوانه.

ولذلك لا يجد الباحث في شعره «علوية» أو بكائيات شيعية. ولا يلحظ، إن لم يدقق، أنه شيعي.

فماذا يعني ذلك؟

إنه يعني:

١ ـ أنه كان يدعو لنفسه، ولا يدعو إلى أحد. وهو يعتز بنفسه لأنه القائم، الداعي إلى الثورة، المطالب بحقه في الملك[٢٦٥]. ولذلك، فهو ليس بحاجة للدعوة لأحد.

٢ ـ وأنه ، لأنه يُعنى بالثورة والقيام، ليس معنياً بالبكائيات، ولأنه، يعمل سرياً، فليس معنياً بالتظاهر.

وعليه، فأنه ليس شيعياً تقليدياً، مثل الشريف الرضي (٩٧٠ ـ ١٠١٦)(٣٥٥ ـ ٤٠٦)، أو الشريف المرتضى (٣٥٩ ـ ٤٣٦) [٢٦٦]، أو الصنوبري (٠٠٠ ـ ٣٣٤) (٢٦٧)، والسري الرفاء[٢٦٨].

وعلوية أبو الطيب علوية ثورة، وتضريب هامات السلاطين، لا علوية مدائح وبكائيات.

وهو، ثانياً، يكثر من حديث القتل والقتال والقيام، كما بينا سابقاً. وهو ما جعل طه حسين يقول، عن شعر أبي الطيب في صباه: «أن هذا الشعر شعر حي لم يكن

بعيداً، كل البعد عن أمور القرامطة وأخبارهم، وكَلفهم بسفك الدماء، وشغفهم بالحروب والغارات»[٢٦٩]. ثم يعود طه حسين، فيؤكد في مرحلة لاحقة أن الآراء القرمطية ظاهرة في شعره[٢٧٠].

ويحشد طه حسين المبررات لإثبات قرمطية أبي الطيب[٢٧١]. إلّا أن طه حسين لا يلبث أن يقرر أن أبا الطيب: «لم يصدف عن القرمطية الّا كارها»[٢٧٢].

أمّا بلاشير، فيقول: «فلدينا الأسباب كلها الداعية إلى الاعتقاد، بأن المبادىء القرمطية غلبت على تمرد أبي الطيب»[٢٧٣].

فما الذي يجمع أبا الطيب مع القرامطة خاصة، غير الدعوة إلى القتال، وتضريب هامات السلاطين؟.

هناك أكثر من جامع، ومن ذلك:

١ ـ أنه «ما صام، ولا صلى، ولا قرأ القرآن»[٢٧٤]. ويضاف إلى ذلك، أن أبا الطيب لم يحج.

وقد عرف عن أبي الطيب أنه «ما كذب، ولا زنى، ولا لاط»[٢٧٥]، وأنه لم يكن يشرب الخمر[٢٧٦].

وقد عرف عن القرامطة، ما عرف عن أبي الطيب، «والقرامطة من بعدهم، في بلد يعرف بالقطيف على ساحل البحر، وجميع السواد إلى الإحساء، ولا يخطب فيها لأحد، ولا يصلى فيها جمعة، ولا جماعة، . . ولا يصلون على النبي»[٢٧٧]، ويذكر الرحالة ناصر خسرو أنه: « ليس في الحسا مسجد»، وأن القرامطة: «لا يصلون، ولا يصومون» «ولا يشربون»[٢٧٨]. وعرف عنهم أنهم يجتنبون «الكذب والزنا والربا واللواط»[٢٧٩].

٢ ـ أنه أيضاً، لم يكن يسلك طريق البذخ والإسراف ولذلك عد بخيلاً. وكان القرامطة يسلكون هذا السبيل. ولم يعرف عن أبي الطيب، أنه وصف القصور، كما فعل البحتري[٢٨٠]، أو السري الرفاء[٢٨١]، ولا أنه تفرغ لوصف الطبيعة الجميلة، كما فعل الصنوبري، زميله السابق عليه في العمل مع سيف الدولة[٢٨٢]. وكان أبو

الطيب، بالمقابل، يصف معاناة التنقل في الصحارى، والمواجهات في الحرب[٢٨٣].

٣ ـ أنه كان لا يعنى بالطقوس والتقاليد، وكان يخوض في كثير من القضايا، ذات الطبيعة الدينية بلا اكتراث. ومن ذلك قوله:

يَتَرَشَّفْنَ مِنْ فَمي قُبُلاتٍ هنَّ فيهِ أَحلى مِنَ التوحيدِ[٢٨٤]

أو قوله في مدح بدر بن عمار:

لَوْ كانَ عِلْمُكَ بلالهُ مُقَسّماً فِي الناسِ مَا بَعَث الإلهُ رَسولا[٢٨٥]
أوْ كانَ لَفْظُك فِيهِمُ ما أنْزَل آلقرآنَ والتوراةَ والإنجيلا

ويمكن هنا أن يراجع أكثر من مرجع، من المراجع التي تناولت الموضوع[٢٨٦].

وقد عرف عن القرامطة ذلك، ولا أدل على ذلك، من اقتحام الكعبة، ونقل الحجر الأسود، وقتل الحجاج[٢٨٧]. ولأبي الطيب بيت من الشعر، يذكر ذلك:

شَيْخ يَرى الصَلَواتِ الخمسَ نَافِلةً وَيَسْتَبيحُ دَمَ الحُجّاجِ فِي الحَرمِ[٢٨٨]

ورغم أن أبا الطيب لم يكن يشرب الخمر، فأنه لم يَرَ بِدْعاً في تَبرير شربها لسيف الدولة، وقد أذن المؤذن، وكان سيف الدولة يشرب، فوضع عند الأذان الكأس من يده، فقال أبو الطيب:

أَلا أَذّنْ فَما أَذْكَرْتَ ناسي وَلَا لَيَنّتَ قَلْباً وَهْوَ قاسي
وَلا شُغِلَ الأميرُ عَن آلمعالي وَلَا عَنْ حَقِّ خَالِقِه بكاس[٢٨٩]

ورغم هذا كله الذي يقرب أبا الطيب، من القرامطة، فإن هناك ما يبعده عنهم ذلك:

١ ـ أنه تعرض للقرامطة مباشرة في شعره، عندما مدح سيف الدولة الذي أنقذ ابن عمه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان العدوي، حين أسره خارجي، سنة سبع وثلاثين وثلاث مائة، فقال أبو الطيب:

وجيشِ إمامٍ على ناقةٍ صحيح الإمامة في الباطل[٢٩٠]

ولهذا البيت علاقة، بصاحب القرامطة وناقته، والهزيمة التي أصابتهم، سنة ٢٩٤[٢٩١].

٢ ـ أنه مدح آل حمدان الذين حاربوا القرامطة في أكثر من مكان، فسنة ٢٩٤ أسر القرامطة أبا العشائر بن حمدان، وحين هزم زكرويه، وفر جماعة من أصحابه إلى الشام،لقيهم الحسين بن حمدان فقتلهم جميعاً. وحين قصد القرامطة هيت، سيّر إليها الخليفة المقتدر سعيد بن حمدان[٢٩٢].

٣ ـ أنه تمسك بالخلافة العباسية، وهي سنية، في وجه البويهيين والقرامطة والشيعة الآخرين، واعتبرها خيرة الدول. وكان يعتبر سيف الدولة سيفها[٢٩٣].

٤ ـ أنه تمسك بآراء ومواقف اجتماعية، كالموقف من العبيد والمرأة، لا تنسجم مع موقف القرامطة[٢٩٤].

٥ ـ أنه كان يقف بين يدى كافور «بخفين ومنطقة وعمامة خضراء». والعمامة الخضراء لا يعتم بها إلا العلويون الهاشميون[٢٩٥].

فهل نستطيع أن نقول: إنه ليس قرمطياً. إننا لا نستطيع أن نقول ذلك، لأن كل ما أورده عن الإسلام، يبدو باهتاً أمام روح التمرد والثورة لديه. ومع ذلك، فليس في شعره أو في حياته ما يؤكد أنه قرمطي غير خط الثورة المتوهج في كل شعره.

وبعد ذلك كله، نجد من الضروري أن نوضح ما يلي:

١ ـ أن أبا الطيب، ولد وسط تفاقم خلافات الحركة الشيعية، وبروز تيارات متصارعة فيها، فمنذ قيام الدولة الفاطمية، بدأ الصراع الفاطمي — القرمطي[٢٩٦]. وإذا كانت الحركة الشيعية، قد ولدت فرقاً، قبل هذا التاريخ، فإن الفرق ازدادت تناسلاً، من الآن فصاعداً[٢٩٧].

ولما كانت هذه الخلافات خلافات حركات سرية، وكانت السرية، تقتضي التكتم، فلم يكن سهلاً تتبعها.

٢ ـ إن هذه الحركات السرية، كانت تنتهج، كما أبنّا، أساليب متعددة، سواء

حين كان ذلك جزءً من عملها، أو كان للتغطية. وكان هذا يتضمن اقتران التقليدي بالجديد، والفلسفي بالصوفي، والحقيقي بالخادع. ولذلك ليس سهلاً معرفة الحقيقة، وسط مثل هذا الاختلاف.

٣ ـ إن وجود ورثاء شرعيين للإمامة، وتنازع فيما بينهم، ووجود امام مستقر، وإمام مستودع، وإمام وباب.أو أبواب، ووجود خلاف على من هو الامام الشرعي (الاثنا عشرية، الإسماعلية)، وخلاف بين الإمام المستقر، والإمام المستودع، والإمام والباب والأبواب، جعل الغوص في هذه الخلافات أمراً معقداً.

إلاّ أننا، ونحن نذكر ذلك كله، لا يجوز أن ننسى، أن أبا الطيب، كان متمسكاً بحق العرب في القيادة، ورفض قيادة العجم، وهو ما يختلف فيه مع القرامطة الذين قبلوا قيادة الفرس، ولذلك لم يثيروا مشكلة عربي وفارسي[٢٩٨].

وإذا ما أمعنا النظر في شعر أبي الطيب، اكتشفنا أيضاً أنه أعطى اهتماماً كبيراً لمحاربة الروم، لم يعطه اياه أحد، خارج إطار معسكر سيف الدولة، من البويهيين في بغداد، والقرامطة في الإحساء، والفاطميين في المغرب، ومن ثم في مصر. وقد هاجم الروم شمال سورية أكثر من مرة، ولم يتحرك أحد لنجدة سيف الدوَلة، وتحرك جيش رومي باتجاه بغداد[٢٩٩]، ولم يتحرك أحد، حتى عز الدولة وعضد الدولة.

أما أبو الطيب، فقد ظل قلبه في حلب، وظل يخشى خطر الروم، حتى وهو بعيد عن حلب في الكوفة، سنة ٣٥٢. ولذلك قال بيته المشهور:

وسِوى آلِ الرومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رُومٌ فَعَلى أيِّ جَانبيكَ تَميلُ [٣٠٠]

ولهذا كله، نستطيع أن نقول: أن أبا الطيب، كان مع حكم عربي وقيادة عربية. وكان يرفض دولة العجم والخدم. وأنه كان يرى الروم عدواً قومياً ودينياً، ولكنه كان يرى الفرس روماً[٣٠١]. وكان في دينه بعيداً عن ممارسة الطقوس والتقاليد، ولكنه رجل صادق لا يكذب، عفيف لا يزني ولا يلوط، جاد لا يلهو ولا يشرب. وهكذا يكون دينه خلقه.

- ٦ -

ويظل الحديث عن أبي الطيب ناقصاً، إن لم نتحدث عن أبي الطيب العربي.

وطبيعي أن أبا الطيب عربي، مثل ملايين العرب الذين عاشوا، خلال أيامه (٣٠٣ — ٣٥٤) و (٩١٥ — ٩٦٥). ولكن أبا الطيب أعطى «عروبته» معاني أخرى، لم يستطيع حتى كبار الشعراء والأدباء أن يفعلوه. ومن ذلك أن أبا الطيب أراد أن يكون الفتى العربي، وأن يجسّد إرادة العربي في البيان والسيادة.

إنه لم يقبل أن يكون عربياً خاضعاً، ولا مسلماً تابعاً. ولذلك رفع شعار العربي القائم، في وجه العربي الخاضع.

ويعود ذلك من وجهة نظرنا إلى أمرين:

الأول: أنه كان ينتسب لعلي، وعلي ينتمي لهاشم. وهو أي علي، «أحد العلماء والشجعان المشهورين، والزهاد المذكورين، والخطباء المفوهين»[٣٠٢].

ولقد تمسك أبو الطيب بنسبه:

أنا ابنُ مَنْ بَعْضُه يَفوقُ أبا ... الباحِثِ والنَجْلُ بَعْضُ مَن نَجَله[٣٠٣]

أنا الذي بيّن الإله به ... الأقدارَ والمرءُ حيثما جَعَله.

وعندما مدح محمد بن عبيد الله العلوي المشطب، قال:

خيرُ قريشٍ أبا وأمجدُها ... أكثرُها نائلاً وأجودُها[٣٠٤]

تاجُ لؤي بن غالبٍ وبه ... سَما لَها فَرْعُها ومحتدُها

وكان يعتز بالنسب العربي، سواء كان ذلك، فيما يتعلق بالعدنانية أو القحطانية[٣٠٥].

الثاني: أنه ولد في الكوفة، وهي «.. مدينة الشعر والنحو والشذوذ، ومدينة اللغة والدين، ومدينة التيارات السياسية». وقد «جمعت العربية بطرفيها اليمني والعدناني»[٣٠٦].

ولم يكف أبو الطيب أنه ولد في الكوفة، إذ «اختلف إلى كتاب فيه اولاد اشراف الكوفة، فكان يتعلم دروس العلوية، شعراً ولغة وإعراباً، فنشأ في خير حاضرة»[٣٠٧].

ثم أرسل إلى البادية، فعاد «بدوياً قحاً»[٣٠٨]. والبادية في ذلك الحين مدرسة اللغة والفروسية.

ولهذا تمسك أبو الطيب بكل سمات الفتى العربي:

فهو، أولاً، يحب اللغة العربية، ويدرسها دراسة معمقة، كما أشار معظم دارسيه (٣٠٩). ويكتب لنا هذا الشعر العظيم، الذي مازال يجذب الشراح والقراء. وعظمة أبي الطيب هنا لا تقدر، وخدمته للعرب والعربية، لا توصف.

وكان اعتزازه بلغته، ومعرفته بها عظيماً، حتى أنه قال لأبن خالويه، خلال مناظرة بحضور سيف الدولة: «أسكت ويحك، فانك أعجمي، فمالك وللعربية»(٣١٠).

وهو، ثانياً، يجول الأرض العربية، فيجدفي أرض عن أختها بدلاً(٣١١). وحين يمدح علي بن إبراهيم التنوخي في اللاذقية، يقول له:

أَمُنْسِيَّ السكونَ وَحَضْرَموتاً ووالدتي وِكِنْدةَ والسبَيعا(٣١٢)

وهي مواقع طفولته في الكوفة. ولكنه، حين يمر بشعب بوان يقول:

مَغاني الشِعْبِ طيباً في المغاني بِمَنْزلة الرَبيعِ مِنَ الزمَان(٣١٣)
وَلكنَّ آلفَتى العَرَبيَّ فيها غريبُ الوَجْه واليدِ واللسانِ

وحين يمدح أبو الطيب عضد الدولة، يقول له:

أحب حمصاً إلى خُناصرةٍ وكلُّ نَفْسٍ تُحبُّ مَحْياها(٣١٤)

وهو، ثالثاً، يتغنى بالخيل العربية(٣١٥).

وهو، رابعاً، يتشبب بالبدويات، ويعلن إعجابه بهن، في وجه الحضريات(٣١٦).

وهو، خامساً، كان مع العرب، ضد العجم، «فلا تُفلِحُ عرب ملوكها عجم». ومن هنا كان يرى في سيف الدولة سيف دولة هاشم(٣١٧). ويرى فيه رافع عماد العرب(٣١٨) و«إمام الأئمة من قريش»(٣١٩). وكان يتشفع لدى سيف الدولة بكلب وكلاب(٣٢٠)، لضمان وحدة العرب.

ومما يثير الانتباه، أنه لا يذكر الإسلام، إلّا مرتبطاً بسيف الدولة. ويخاطب أبو الطيب سيف الدولة مرة قائلاً:

خَضَعَتْ لِمَنْصَلِكَ المناصلُ عُنْوةً وأذلَّ دِينُك سائرَ الأديانِ[٣٢١]

ومنذ القصيدة الأولى التي نظمها أبو الطيب في سيف الدولة، سنة ٣٢١، كان واضحاً أن أبا الطيب، يربط بين سيف الدولة والإسلام:

إن كان مِثْلُك كانَ أو هُوَ كائنٌ فبرئتُ حِينَئِذٍ من الإسلامِ[٣٢٢]

واستمر هذا الربط بين سيف الدولة والإسلام، من تسمية سيف الدولة سيف دولة هاشم، كما ذكرنا، إلى اعتبار سيف الدولة، عندما هزم ملك الروم، بأنه التوحيد للشرك هازم:

وَلَسْتَ مَليكاً هَازِماً لِنَظيرِه ولَكنَّك التوحيدُ للشركِ هازِمُ[٣٢٣]

وعندما يهنيء أبو الطيب سيف الدولة بالسلامة، يقول له:

هَنيئاً لِضَرْبِ آلهَامِ والمَجْد والعُلى وَرَاجيكَ والإسلامِ أنّكَ سالِمُ[٣٢٤]

ولم يخاطب أبو الطيب احداً من الذين مدحهم بهذا الأسلوب. ونحن لا نجد شيئاً من هذا في مدح كافور[٣٢٥]، ولا في مدح عضد الدولة[٣٢٦].

وكان عند أبي الطيب عرب وعجم، والعرب هم القادة السادة:

تُخافُ سَيوفُ الهِنْدِ، وَهي حَدائدٌ فكيفَ إذا كَانت نِزاريةً عُرْبا[٣٢٧]

وإذا سألت عن خير الأنام، فهي القبيلة التي ينتمي إليها سيف الدولة:

إنْ كُنْتَ عَن خيرِ الأنامِ سَائِلا فَخُيْرُهُمْ أكثَرُهُمْ فَضائلا[٣٢٨]

مَنْ كُنْتَ مِنْهُم يَا هُمام وائلا الطاعنين في الوغى أوائلا

والعاذلين في الندى العَواذلا قَد فَضَلوا بِفَضْلِك القَبائلا

والناس أيضاً عند أبي الطيب سادة وعبيد. وإذا كانت العرب لا تصلح بحكم العجم، فإنها لا تصلح بحكم العبيد:

بِكُلِّ أرْضٍ وَطِئْتُها أمَمٌ تُرْعَى بِعَيدٍ كَأنّها غَنَم[٣٢٩]

وهكذا صار العبيد سادة، ويستثير هذا أبا الطيب، لأنه يرى أن سادات كل قوم يجب أن يكونوا منهم:

سادات كلِّ أناسٍ مِنْ نُفوسِهِمُ وسادَةُ المُسْلِمينَ الأعبُدُ القُزُمُ[٣٣٠]

واختلطت الأمور، وفسد الحكم، حتى لم يعد هنالك فرق بين البهائم والعبيد والموالي والذين هم من الصميم، أي من العرب الاقحاح[٣٣٠].

ويتخذ أبو الطيب موقف السادة من العبيد:

العَبْدُ ليسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بِأخٍ لَو أنّه في ثِيَابِ الحُرِّ مَوْلُودُ[٣٣٢]

لَا تَشْتَرِ العَبْدَ ألّا والعصا مَعَه إنّ العبيدَ لأنجاسٌ مناكيدُ

والناس، بعد هذا وذاك، مسلمون وغير مسلمين. والمسلمون لا يحظون باهتمام كبير لدى أبي الطيب. فهو يمدح العدنانية والقحطانية، ويذكر ربيعة ونزار ووائل وطيء الخ.. ولكنه لا يشير إلى المسلمين كثيراً. وإذا ما ذكرهم، فهو يذكرهم في مواضع سلبية. ومن ذلك خضوعهم للعبيد الأقزام، وهو ما أشرنا إليه، أو خضوعهم للمشركين:

أرى المُسْلِمينَ مَعَ المُشْرِكينَ(م) إمّا لِعَجْزٍ وإمّا رَهَبْ[٣٣٣]

وأنْتَ مَعَ اللهِ في جَانبٍ قَليلِ الرُّقادِ كَثيرِ التَعَبْ

هذا هو أبو الطيب العربي، إنه الفتى العربي، الذي يُدل ببيان إبداعي، ومواقف رجولية، وقيم عربية «جاهلية»:

في الجاهِليّةِ إلّا أنّ أنْفَسَهم مِن طِيبهنّ بِهِ في الأشْهُرِ الحُرُمِ[٣٣٤]

وقد رافقه هذا الحس الجاهلي، سواء في نظرته إلى المرأة، أو الى العرب، أو الى المعارك. ولذلك يقول أحد دارسيه: «والمتنبي عندما يذكر إغارة سيف الدولة، فهو في الواقع يصدر عن حس جاهلي، اكثر منه إسلامي. إنه يعود إلى القيم العربية في عصور عصبيتها. ولهذا نراه كثيراً ما يذكر أن سيف الدولة، عندما نزل بلاد الروم، قد أهلك من أهلها من أهلك، ولم يكتف بهذا، بل سبى الأولاد الصغار والنساء، وقتل الأولاد الكبار، ولم يكتف بهذا أيضاً، بل نهب الأموال وأحرق الزرع[٣٣٥].

لِلسَّبيِ مَا نَكَحوا، والقَتْلِ مَا وَلَدوا والنَهْبِ مَا جَمَعوا والنارِ مَا زَرَعوا [٣٣٦]

لقد حاول أبو الطيب أن يدافع عن حق العرب بالقيادة، وأن يبث فيهم روح القوة والوحدة، وأن يعمق الشعور برفض حكم الخدم والعجم، وهو بذلك مثّل: «روح القومية العربية، بقدر ما يتسع لها زمانه وحالته الشخصية»[٣٣٧]

إلّا أن هذا لا ينفي أنه مدح عدداً من غير العرب. ومن هؤلاء:

١ ـ جعفر بن كيغلغ[٣٣٨] ٢ ـ أبو بكر على بن صالح الروذباري[٣٣٩] ٣ ـ الأمير أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج[٣٤٠] ٤ ـ كافور الأخشيدي[٣٤١] ٥ ـ أبو شجاع فاتك الرومي[٣٤٢] ٦ ـ أبو الفوارس دلير بن لشكروز[٣٤٣] ٧ ـ ابن العميد أبو الفضل محمد بن الحسين[٣٤٤](*) ٨ ـ عضد الدولة[٣٤٥].

ويلاحظ، عند دراسة هؤلاء، والمدائح التي قيلت فيهم ما يلي:

أولاً: أن هؤلاء من الشيعة، مثل عضد الدولة، وابن العميد، وأبي الفوارس دلير بن لشكروز، أو من المتشيعين والمتقربين، لسبب أو آخر، لآل البيت، مثل كافور وابن طغج[٣٤٦].

ثانياً: أن العلاقة بهؤلاء، كانت عابرة أو اضطرارية، وأن الخط الأساسي لأبي الطيب، كان خط العلاقة مع سيف الدولة. ولذلك قال فيه ثلاث قصائد، لا تختلف عن السيفيات، بعد الفرار من كافور إلى الكوفة[٣٤٧].

ثالثاً: أن أبا الطيب، ظل وهو يمدح هؤلاء، يعلن التزاماته ومواقفه، وتمسكه بعروبته، وبحبه للعرب والأرض العربية، كما بيّنا.

ولكن ذلك لا ينفي أنه قال لكافور:

«معدّ بن عدنان فداك ويعرب»[٣٤٨].

وأنه قال في عضد الدولة:

فَقَدْ رَأيتُ ٱلْملوكَ قَاطِبَةً وَسِرْتُ حَتّى رَأيتُ مَوْلاها[٣٤٩]

وكان كافور من الخدم، رغم قُدراته. وكان عضد الدولة من العجم.

ولا يمكن تبرير مدح كافور، إلّا إذا قبلنا الأسلوب الذي اتبعه أبو الطيب، في

(*) الحاتمي، أبو علي محمد بن الحسين: الرسالة الموضحة، تحقيق د. محمد يوسف نجم. دار صادر ـ دار بيروت، سنة ١٩٦٥ ص ٣.

معالجة مشاكله. ومن ذلك قبول مبدأ توظيف الشعر في العلاقات السياسية والاجتماعية، وهو مبدأ كان مقبولاً لدى العرب، منذ الجاهلية، على صعيدي التنظير والممارسة العملية[٣٥٠].

أما مدح عضد الدولة، فأكثر التباساً، وقد دافع عنه بعض المدافعين، على اعتبار عضد الدولة متعرباً، ومتمكناً من الثقافة العربية، وأنه يقول الشعر العربي[٣٥١].

إلاّ أن هذا كله لا يسقط أمرين:

الأول: أن أبا الطيب كان عربياً، وكان يدعو لسيادة العرب وقيادتهم، وأنه عبّر عن ذلك في شعره أوضح تعبير.

الثاني: أن أبا الطيب بمدح كافور وعضد الدولة، ترك أثراً سلبياً في نفوس قرائه العرب، الذين ارادوه ثائراً وقومياً كاملاً، بلا شبهات، ولا انحناءات، في عصر التراجع الكبير والهزائم الكبرى، أمام الروم والعجم والخدم.

وقد استغل معادوه ذلك، فجعلوا من نقدهم لموقفه بمدح كافور وعضد الدولة غطاء على موقفه الأساسي كله.

- ٧ -

وبعد هذا كله، فإن أبا الطيب، مازال يبدو أكبر من كل ما قدمناه به. هكذا طرح نفسه في شعره. إنه يشعر بتفرد لا يُضاهى. فالى ماذا يمكن أن نعزو ذلك؟.

هل نعزوه إلى النسب؟. أم نعزوه إلى الاعتقاد بالنبوة، وإلى حمل رسالة؟.

إننا نعتقد أن في ذلك شيئاً يعود إلى النسب، فأبو الطيب من بيت إمامة، وكثيراً ما أشار إلى ذلك.

وإذا عدنا إلى قصيدته «غريب كصالح في ثمود»[٣٥٢]، وجدناه يقول:

لَا بِقَوْمِي شَرُفْتُ بَلْ شَرُفوا بي
وَبِنفسي فَخَرْتُ لا بجدودي[٣٥٣]
وَبِهِم فَخْرُ كلِّ مَنْ نَطَق الضا
دَ وعَوْذُ الجاني وغَوْث الطريدِ

وعاد إلى هذا المعنى في قصيدته «لا يحمد السيف كل من حمله»، فقال:

أنـا ابنُ مَنْ بَعْضُه يَفوقُ أبا البـاحِثِ والنَجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَله[٣٥٤]

فأبو الطيب يفتخر بنسبه، وكونه من بيت إمامة يعطيه هذا التفرد.

ومن هنا، تأتي قضية النبؤة، لأن الأئمة حسب اعتقاد الشيعة، يمثلون استمراراً للنبوة[٣٥٥].

هل يعني هذا أن أبا الطيب أعلن النبؤة؟.

ليس بالضرورة، لأن إعلان الانتماء للبيت العلوي، وإعلان القيام كافيان لاتهامه بإعلان النبوءة. وأبو الطيب، على ما يبدو، أعلن الانتماء، وأعدّ لإعلان القيام، كما تدل الأخبار[٣٥٦].

ويؤكد إعلانه الإنتماء ما ورد في شعره من إشارات ومواقف[٣٥٧]. كما يؤكد ذلك ما نسب إليه من القيام ببعض الأعمال التي نسبت إلى أئمة معروفين، لا خلاف على إمامتهم[٣٥٨].

أما الاتهام بالقيام، فتؤكده واقعة مهاجمته واعتقاله واستتابته[٣٥٩].

إلاّ أن أبا الطيب الذي كان يفخر بنسبه، كان لا يرى ذلك كافياً. وبالتالي، فإنه كان يرى أنه كبير بنفسه أيضاً. كبير لأنه ينتمي إلى بيت إمامة، ولكنه كبير لما يملكه من مواهب وإمكانات. وهذا ما حرص على إعلانه، بلا تردد.

إنه يعلن في صباه:

أمِطْ عَنْكَ تَشْبيهي بما وَكَأنّه
فَما أَحَدٌ فَوْقي وَلا أَحَدٌ مِثْلي[٣٦٠]

ويعود إلى هذا الأمر قائلاً:

إنْ أَكُنْ مُعْجَباً فَعُجْبُ عَجيبٍ لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِه مِنْ مَزيدِ[٣٦١]

وهو عظيم، لا يخاف شيئاً:

أيّ مَحلٍّ أرتقي أيّ عَظيمٍ أتقي[٣٦٢]

وكـلُّ مَـا قَـدْ خَـلَق الـلهُ وَمـا لَمْ يَخْـلِقِ
مُـحْـتَـقَـرٌ فِـي هِـمّـتـي كَـشَـعْـرةٍ فِي مَـفْـرِقِ

وما يملكه من صفات ومواهب وقدرات، يجعله، رغم الاختلاط، وتشابه البهائم والعبّدى والموالى والصميم[٣٦٣] يظل متفرداً:

ومـا أنـا مِـنْـهُـمُ فـي آلـعـيشِ فِـيْـهـم وَلكن مَـعْـدِن آلـذَهَبِ الـرغـامُ[٣٦٤]

ولقد خبر ناس عصره وهم صغار، وإن كانت لهم جثث ضخام[٣٦٥]. وهو صادق وأمين، وأما ناس عصره، فودّهم خداع، ودينهم نفاق[٣٦٦].

وأبو الطيب يعرف أن الذي يملك الفهم في أيامه، لا يملك الحظ، وأن الجمع بينهما أصعب من الجمع بين الماء والنار[٣٦٧].

فكيف يكون الحل؟.

لا حلّ إلّا بالسيف. ولهذا دعا إلى الثورة، وحمل السيف واعتبره فوق القلم:

حَـتّى رَجَـعْـتُ وأَقـلامـي قَـوائِـلُ لـي آلمَجْـدُ للسيفِ لَيْسَ آلمَجْدُ لِلقَلَمِ[٣٦٨]
أَكْتُبْ بِـنـا أبـداً بَعْـدَ الـكِـتـابِ بِـهِ فـأنّمـا نَحْنُ لـلأسَيـافِ كـالخَـدَمِ

وكان أبو الطيب يرى أن الوضع القائم لا يجوز قبوله، لأن الدولة دولة الخدم. وأن عملية التقويم تحتاج إلى السيف. وأن قبول الموت أسهل من قبول الهوان.

غَـيْـرَ أنّ آلـفَـتى يُـلاقي آلـمـنـايـا كَـالحـاتٍ وَلا يُـلاقي آلهَـوانـا[٣٦٩]

ولقد رفض أبو الطيب أن يقبل الهوان، وظلت صرخته التي أطلقها في صباه:

عِشْ عَـزيـزاً أوْ مُـتْ وأنْـتَ كَـريـمٌ بَـيـنَ طَـعْـنِ آلـقـنـا وَخَـفْـقِ الـبـنـودِ

ظلت هذه الصرخة شعار حياته. وحين انضم إلى سيف الدولة انتمى عملياً إلى هذا الشعار. وظل كل حياته، يحاول أن يجسّده، حتى سقط في الميدان مقاتلاً.

هذه بعض معالم سيرة الفارس العملية، التي بدأت بالشعار: «عش عزيزاً أو مت وأنت كريم»، وانتهت به في دير العاقول صريعاً، بعد معركة حقيقية.

هوامش القسم الأول

(١) يراجع بهذا الشأن:

أ — كوركيس عواد، وميخائيل عواد: رائد الدراسة عن أبي الطيب المتنبي. المورد. المجلد السادس العدد الثالث ١٩٧٧، ص ٢٦٣ ـ ٣٩٠.

ب — د. عبد الله الجبوري: أبو الطيب في آثار الدارسين. وزارة الثقافة والفنون ـ الجمهورية العراقية ١٩٧٧.

(٢) يراجع بهذا الشأن:

أ — محمد عبد الرحمن شعيب: المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.

ب — ليلى الشايب: الحركة النقدية حول المتنبي، في القرنين الرابع والخامس الهجريين، مطابع دار العلم دمشق.

ج — د. إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني، حتى القرن الثامن الهجري، دار الشروق ـ سنة ١٩٨٦، ص ٢٥٢ ـ ٣٣٥ و ٣٧٣ ـ ٣٩٥.

(٣) كوركيس وميخائيل عواد: المرجع السابق.

(٤) راجع بهذا الشأن:

أ — د. شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي. دار المعارف، الطبعة العاشرة، ص ٣٠٣ ـ ٣٥٤.

ب — د. محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر. الفصل الخامس، ص ١٥٧ ـ ٢٤٤. والفصل السادس ٢٤٥ ـ ٣١٣.

جـ — الثعالبي، عبد الملك بن محمد النيسابوري: يتيمة الدهر، دار الفكر، ١٩٧٣، الجزء الأول ـ الباب الخامس، ص ١١٠ ـ ٢٢٣.

(٥) يراجع بهذا الشأن:

أ — كتب حول سيرته:

(١) د. بلاشير: أبو الطيب المتنبي ـ دراسة في التاريخ الأدبي، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني، وزارة الثقافة والإرشاد في سورية، ١٩٧٥.

(٢) عصام السيوفي: العوامل السياسية في شعر أبي الطيب المتنبي. دار الفكر اللبناني ـ بيروت

ب — كتب حول أدبه ومواقفه:

(١) د. حسين الواد: المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. دار سحنون للنشر والتوزيع. ١٩٩١

(٢) ايليا حاوي: المتنبي، سيرته ونفسيته وفنه، من خلال شعره. دار الثقافة ـ بيروت ١٩٩٠.

(٣) د. عبد العزيز الدسوقي: في عالم المتنبي. دار الشروق ـ القاهرة ١٩٥٨. وهذه دراسة أدبية نوعية، تتجاوز الأساليب القديمة.

(٤) د. محمد فتوح احمد: شعر المتنبي، قراءة أخرى. دار المعارف. وهذه أيضاً دراسة نوعية أخرى، تتجاوز أساليب الدراسة التقليدية.

(٥) يوسف الحناشي: الرفض ومعانيه في شعر المتنبي، الدار العربية للكتاب.

(٦) هدى الأرناؤوطي: ثقافة المتنبي وأثرها في شعره. الجمهورية العراقية ـ وزارة الثقافة والفنون ١٩٧٨.

(٧) جاسم محسن عبود: التطلع القومي عند المتنبي، الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام ١٩٧٧.

(٨) د. عبد الفتاح صالح نافع: لغة الحب في شعر المتنبي، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان ١٩٨٣.

(٦) عثمان بن جني، أبو الفتح: ديوان أبي الطيب المتنبي. تحقيق د. صفاء خلوصي، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشؤون الثقافية ١٩٨٨. الجزء الأول والثاني.

والمعري أبو العلاء: شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ـ معجز أحمد (أربعة أجزاء) دار المعارف، تحقيق عبد المجيد دياب.

ـ عثمان بن جني (أبو الفتح): الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي. وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية سلسلة كتب التراث ـ ٢١، ١٩٧٣ ص ١٩. مقدمة المحقق، د. محسن غياض. ويشتكي د. محسن من ذلك قائلاً، «وكنا نتمنى أن نجد عند أبي الفتح بياناً وجلاء».

(٧) يراجع بهذا الشأن:

أ — المعري، أبو العلاء: المرجع السابق.

يؤكد حقيقة أن أبا الطيب جعفي كوفي، ص ٩، من الجزء الأول، ويؤكد ذلك محقق الكتاب د. عبد المجيد دياب، ص ٧١ من المقدمة. وهذا ما يؤكده السمعاني في الأنساب، والأنباري في نزهة الألباء، وابن الجوزي في المنتظم، والنووي في تهذيب الأسماء واللغات، يراجع في ذلك: د. عبدالله الجبوري: أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين: ص١٥٧، و١٦٠، و١٦٨، و١٨٣، و١٨٤، و١٩٥، و٢٠١، و٢٠٤، و٢١٦، و٢٣٢.

ب — أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي. دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٨٠.

جـ — عصام السيوفي: المرجع السابق: ص ٤٠ ـ ٤١.

ولكن ليس هناك اجماع على أنه جعفي، وهناك من يسميه أحمد بن الحسين فقط، يراجع د. عبد الله الجبوري، المرجع السابق، ص ١٧٩ و١٩٠ و١٩٢.

د — عبد الغني الملاح: هوامش على نسب المتنبي. آفاق عربية، السنة الثالثة: العدد ٤ كانون الأول ١٩٧٧، ص ٤. ويقول الملاح: أن مخطوطة المنتظم لابن الجوزي في جامع أيا صوفيا، برقم

٣٠٩٦، وتعتبر الأصل، جاء فيها احمد ابن . . بن الحسن. وقد وضع الذين اشرفوا على طبعة حيدر اباد في الفراغ كلمة الحسين. وهكذا تسميه المخطوطة التي اعتمد عليها عبد الوهاب عزام في تحقيق ديوان أبي الطيب: ديوان أبي الطيب المتنبي: لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٣ ـ ١٩٤٢.
ونحن لا نرجح أنه جعفي، حتى لو كانت جدته همدانية.

(٨) محمود شاكر: القرامطة ـ المكتب الإسلامي، ١٩٨٤، ص ٥٦ ـ ٥٧.
وأخبار القرامطة، (جمع وتحقيق ودراسة) د. سهيل زكار، ص ٣٠ ـ ٣٥.
ومحمد الصدر: تاريخ الغيبة الصغرى، بلاناشر، لا تاريخ، ص ٧١ و ١٨٥ و ٣٥٣.

(٩) كما حدث مع قادة القرامطة، وقادة الفاطميين المختلف في نسبهم.

(١٠) يراجع حول مقتل أبي الطيب المتنبي:
أ — الشيخ يوسف البديعي: الصبح المنبي عن حيثية المتنبي. ذخائر العرب ٣٦، دار المعارف ١٩٦٣، تحقيق مصطفى السقا، ومحمد شتا، وعبده زيان عبده، ص ١٧٠ ـ ١٧٥.
ب — عصام السيوفي: المرجع السابق، ص ٦١٠ ـ ٦٥٠.

(١١) أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، دار بيروت. ص ١٧١.
فقد اعتمدنا هذه النسخة، عند الإشارة إلى الأبيات، لتوافرها وسهولة إستخدامها. وهي عند المعري ج ـ ٢، ص ٢٤٧. بـ ١٧.

(١٢) يراجع هنا: أ ـ عبد الغني الملاح. المتنبي يسترد أباه. دراسة في نسب المتنبي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٠.
وإن كنا نختلف معه في أن أبا الطيب ابن الإمام محمد المهدي، الإمام الثاني عشر، حتماً. فقد يكون ابنه أو ابن علوي آخر.
ب — عبد الغني الملاح: هوامش على نسب المتنبي، آفاق عربية، السنة الثالثة، العدد ٤، كانون الأول، سنة ١٩٧٧، ص ٤.
جـ — عبد المنعم محمد جاسم: حول نسب المتنبي. المورد، المجلد السادس، العدد الثالث ١٩٧٧، ص ١٥١ ـ ١٥٤. ويرى عبد المنعم ما نراه من «أن شاعرنا، يمكن أن يكون علوي النسب، ويمكن أن يكون من أشراف العلويين، إلّا أن الجزم بأن الإمام محمد المهدي والدٌ لَه،لا محل له». (ص ١٥٣).
د ـ الزبيدي، محمد بن المرتضى (١١٤٥ ـ ١٢٠٥): تاج العروس من جواهر القاموس (١ ـ ١٠) القاهرة ١٣٠٦، المطبعة الميمنية جاء فيه: «وعيدان السقاء، بالكسر، لقب والد الإمام أبي الطيب، احمد بن الحسين بن عبد الصمد، المتنبي الكوفي الشاعر المشهور»، ص ١٥٣.
هـ — جاسم محسن عبود: مرجع سابق، ص ٣٨، ويرى أن أدلة الأستاذ الملاح وقرائنه، كافية، ويضيف «ومع ذلك، فإن نسبه العلوي يظل وارداً بالحاح». ويضيف في الهامش: «أن الأهالي يطلقون على الضريح، قرب النعمانية ضريح «أبو سورة» وأن المدفون فيه هو سيد أحمد المتنبي بن الإمام موسى الكاظم». ويزيد أن الشيخ عبد الزهراء الصغير أبلغه بأنه يعتقد بأن والد المتنبي هو نقيب

العلويين في الكوفة، وكان آنذاك الشاعر الحماني، علي بن جعفر بن زيد على بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

و— أربعة كتب إسماعيلية، صححها، شتروطمان، المجمع العلمي غوتيننغن، أعادت الطبع مكتبة المثنى بغداد، تذكر كلمة الطيب صفة الإمام، ٥ و٣١.

(١٣) البخاري، أبو نصر: سر السلسلة العلوية، تحقيق محمد صادق بحر العلوم ومراجعة القبيسي مصطفى، دار قابس ١٩٨٧. وفي هذا الكتاب إشارات لعدم صحة النسب، ص-١٨ و٢٠ و٢٢ و٢٦ و٢٩ و٣١ و٣٤ و٣٦ و٣٩ و٤٩ و٥٤ و٦٣ و٦٤ — ٦٥ و٧١ و٧٢ و٧٣ و٩٠ و١٠٠ و١٠٢ و١١١ و١٢٥ و١٢٦.

وهناك أيضاً اكثر من إشارة إلى مشكلة الأم. فقد كتب عبد الله بن الحسن في وصيته «ولا عقب لي إلاّ من محمد المهدي، وإبراهيم. وأما علي فلا أعرفه، ولا رأيت أمه»، ص-٢٠. ويقول المؤلف: «ولمحمد بن سليمان بن عبد الله ولد بالحجاز لا يعرفون»، ص-٢٣. ويذكر المؤلف: «إن عبد الله بن علي إستلحقه جده الحسن بن زيد بعد موت أبيه، لأن: «أم عبد الله بن علي بن الحسن جارية، بيعت، ولم يعلم أنها حامل. فلما توفي علي بن الحسن بن زيد، ردها المشتري إلى أبيه الحسن، فولدت عبد الله.. واسم الجارية هيفاء»، ص - ٣٥.

(١٤) أبو الطيب المتنبي: الديوان، ص-١٧٤.

والمعري: ج - ٢، ص ٢٥٦ - ٢٦٨، ق ١٠١.

(١٥) محمد الصدر: تاريخ الغيبة الصغرى، بلا ناشر ولا تاريخ. حول الجدة، ص٣١٤، ٣٢٥ - ٣٢٦.

(١٦) الشيخ ناصيف اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، دار العراق للطباعة والنشر، ١٩٥٦، الجزء الثاني. ص ٣. والمعري: ج - ٢، ص ٤٢٩ - ٤٤٣ - ق ١٣٨.

(١٧) أبو الفداء الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية. دار الكتب العلمية ١٩٨٥، المجلد السادس، ص. ٢٢٦.

ومحمد بن عبد الملك الهمداني: تكملة تاريخ الطبري، تحقيق البرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٩٦١، ط/ث، ص-١٤٩.

(١٨) الشيخ يوسف البديعي: المرجع السابق.

وشمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (أبو العباس): وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان. تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، المجلد الثالث، ابن طباطبا، ص ٣٤٢.

(١٩) زكار (ج.ت.د): أخبار القرامطة: مرجع سابق، ص-٣٥.

والبخاري، أبو نصر: مرجع سابق، ص ٨٨ - ٨٩.

ومحمود شاكر: القرامطة - مرجع سابق، ص ٥٦ و٤٠.

ومحمد الصدر: مرجع سابق، ص ٧٩، ١٠٦، ٢١٥، ١٦٣ و٢٧١ - ٢٧٦، ٤٦٨، ٤٧١، ويقول محمد أمين غالب الطويل «التزم العلويون التكتم التام، سنة ٢٣٦» تاريخ العلويين. دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٦، ص١٨٧.

(٢٠) البخاري أبو نصر: المرجع السابق، وقد استتر عيسى بن زيد بن علي الحسين. «وكان عيسى في بعض أوقات اختفائه يسقي الماء على جمل» ص(٨٨).

(٢١) محمد الصدر: المرجع السابق، ص ٢٢٧، كان وكيل الإمام الأول، يعمل زياتا أو سّماناً،وص ١٥٤: وكان المهدي، يتزيّ بزيّ التجار.

(٢٢) محمد الصدر: مرجع سابق، ص ٣١٤. ويشير هنا إلى خلاف الجدة أم الإمام العسكري، مع عمه جعفر بن علي الذي رفض أن تدفن في الدار إلى جانب زوجها وولديها الإمامين، فيقول محمد الصدر: «وهنا تكتسب القضية شأناً اكثر من الميراث: أنه ضرورة إحترام هذه الجدة المقدسة». وعلي بن محمد بن الوليد وآخرون: مرجع سابق، ص ٨ و٥٢.

(٢٣) أبو الطيب المتنبي: الديوان، مرجع سابق، ص ١٧٤، ١٧٥.
والمعري: ج ـ ٢، ص ٢٥٦، ق ١٠١، ب ٢٢.

(٢٤) البخاري، أبو نصر، المرجع السابق، ص ١٧، ١٩، ٢٩، ٣٠، ٣٦، ٥٣، ٦٨، ٧٥، ٨٥، ٨٨، ١٢٥.
ومحمد الصدر: المرجع السابق، ٢٤١، كانت أم الإمام المهدي مملوكة رومية.

(٢٥) علي بن محمد الوليد وآخرون: مرجع سابق،، ص ٨ و٥٢.
والمعري: مرجع سابق، ج ـ ٢، ص ٣٤٩، ق ١٠٨، ب ـ٢.

(٢٦) الديوان: ص ١٩٨ ـ ١٩٩.
والمعري: المرجع السابق. ج ـ٢، ق ـ ١٠٨، ب ـ ٢.

(٢٧) الديوان: ص ١٠٠.
والمعري: ج ـ ١، ص ٣٤٠، ق ـ ٥٩، ب ٣٦ ـ ٣٨.

(٢٨) الديوان، ص ١١، ويبدو أنه احتفظ بهذه الوفرة.
والمعري: ج ـ ١، ص ٣٨، ب١ ـ ٢.
والبديعي: مرجع سابق، ص ٥٢.

(٢٩) الديوان: ص ١٤.
والمعري: ج ـ ١، ص ٤٠، ق ـ ٤، ب ـ ١ ـ ٥.

(٣٠) الديوان، ص ١٩.
والمعري: ج ـ١، ص٦٩، ق ٨.

(٣١) الشيخ يوسف البديعي: المرجع السابق، ص ٥٢ ـ ٥٩، ود. ر. بلاشير: المرجع السابق، ١١٢ ـ ١٤٠.
ومحمود محمد شاكر: المرجع السابق، ص ٩٧ ـ ١٠٤.

(٣٢) الديوان، ص ٥٢، يبدو أن السجان أراد أن يبتزه، وأن يدفعه لتغيير ولائه.

والمعري: ج ـ ١، ص ١٨٨، ق ـ ٣٠، ب ـ ١ ـ ٤.

(٣٣) الديوان: ص ٥٥.

والمعري: ج ـ ١، ص ١٩٠، ق ـ ٣١، ب ـ ٢٩.

(٣٤) عصام السيوفي: المرجع السابق، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٨.

(٣٥) الديوان: ص ٨٥.

والمعري: ج ـ ١ الصفحات ٢٠٠ و٢٠٢، و٢٠٣ و٢٠٥ و٢٩٨ ق ـ ٣٢ و٣٣ و٣٤ و٣٦ و٥٦.

(٣٦) الشيخ يوسف البديعي: مرجع سابق، ص ٥٩.

والمعري: ج ـ ٤، ص ١٥٩، ق ـ ٢٥٩، وص ١٦٢ ق ـ ٢٦٠، وص ١٦٥، ق ـ ٢٦١، وص ١٦٦، ق ـ ٢٦٢، وص ١٦٧، ق ـ ٢٦٣، وص ١٩٠، ق ـ ٢٦٩، وص ٢٠١، ق ٢٧٠.

(٣٧) الديوان: ص ١٣٣.

والمعري: ج ـ ٢، ص ١١٧، ق ـ ٦٩، ب ١ و٢.

(٣٨) الديوان: ص ١٣٥.

والمعري: ج ـ ٢، ص ١٢٤ ـ ١٣٩، ق ٧٠، ب ٧ و٨ و٩.

(٣٩) الديوان: ص ١٣٣ ـ ١٦٣.

والمعري: ج ـ ٢، ص ١١٧ ـ ٢١٩، ق ـ ٦٩ ـ ٩٧.

(٤٠) الديوان: ص ١٦٨ ـ ١٦٩.

والمعري: ج ـ ٢، ص ٢٣٥ ـ ٢٤٠، ق ـ ٩٩.

(٤١) الديوان: ص ١٦٤.

والمعري: ج ـ ٢، ص ٢١٩ ـ ٢٣٣، ق ـ ٩٧.

(٤٢) الديوان: ١٧٠.

والمعري: ج ـ ٢، ص ٢٤١ ـ ٢٥٦، ق ـ ١٠٠.

(٤٣) الديوان: ص ـ ١٧٧.

والمعري: ج ـ ٢، ص ٢٧٠ ـ ٢٨٨، ق ١٠٣.

(٤٤) الديوان: ١٨١.

والمعري: ج ـ ٢، ص ٢٨٩ ـ ٣٠٤، ق ـ ١٠٤، ب ١٠ و١١ و١٢.

(٤٥) محمد أمين غالب الطويل: مرجع سابق، ص ١٨٨ ـ ٢٣٥، و٢٨٧. ويلاحظ أن شارحي ديوان أبي الطيب، ذكروا أسماء الممدوحين الثلاثة بصيغ مختلفة، فسمّى المعري الممدوح الأول أبا عبد الله محمد بن عبدالله الخصيبي. والثاني أبا الفضل احمد بن عبد الله بن الحسن الانطاكي، والثالث أبا سهل سعيد بن عبد الله الانطاكي (المعري: ج ـ ٢، ص ٢٤١، ق ١٠٠ و٢٧٠، ق ١٠٣ و٢٨٩، ق ١٠٤). أما الديوان، فاتفق مع المعري في تسمية الأول، ص ١٧٠، وسمّى الثاني أبا الفضل بن عبد الله ابن الحسين الانطاكي، ص ١٧٧، والثالث أبا سهل سعيد بن عبيد الله بن الحسن الانطاكي، ص ١٨١، على الرغم من الإشارة إلى أن الثالث اخو الثاني. وتختلف شروح الديوان

الأخرى في الأسماء. وأشار أبو الطيب الى جد الممدوح الشيخ الحسين بن حمدان بقوله:

أفعاله نسب لو لم يقل معها جدي الخصيب، عرفنا العرق بالغُصُنِ

(ب ـ ٢٨). وللتعريف بالخصيبي، يراجع:

السيد محسن الأمين: اعيان الشيعة، حققه حسن الأمين. المجلد الخامس.

دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ١٩٨٣، ص ٤٩٠ ـ ٤٩١. من مؤلفاته ١ ـ الاخوان. ٢ ـ المسائل. ٣ ـ تاريخ الأئمة. ٤ ـ الرسالة. ٥ ـ أسماء النبي. ٦ ـ اسماء الأئمة. ٧ ـ المائدة. ٨ ـ الهداية. ٩ ـ احوال أصحاب الأئمة. «وعن ابن الغضائري أنه قال: «الحسين بن حمدان الخصيبي الجنبلاني أبو عبد الله كذاب فاسد المذهب، صاحب مقالة ملعونة، لا يلتفت إليه». وكذلك في الخلاصة. وكذلك وصفه النجاشي. أما صاحب أعيان الشيعة. فيرى أن ابن الغضائريلم يسلم منه احد، وأن سيف الدولة ما كان ليأتم به لو كان يقول بالتناسخ والحلول.

وبالنسبة لأبي شعيب محمد بن نصير النميري، فأن الشيعة الإمامية، يؤكدون أن الإمام الحسن العسكري، تبرأ منه. محمد الصدر: مرجع سابق ص ٤٩٨.

(٤٦) الديوان: ١٧٠ ـ ١٧٣.

والمعري: ج ـ ٢، ص ٢٤١، ق ١٠٠، ب ـ ٨ ـ و٩.

(٤٧) الديوان: ١٥٠ ـ ١٥٣.

والمعري: ص ٢٤١، ق ١٠٠، ب ـ ١٧ ـ ١٨.

(٤٨) الديوان: ١٧٠ ـ ١٧٣.

والمعري: ص ٢٤١، ق ١٠٠، ب ـ ١٢.

(٤٩) الديوان ١٧٠ ـ ١٧٣.

والمعري: ص ٢٤١، ق ١٠٠، ب ـ ٢٦.

(٥٠) ايليا حاوي: مرجع سابق، ص: ١٧٨.

(٥١) الديوان: ١٧٤ ـ ١٧٦.

والمعري: ج ـ ٢، ص ٢٥٦ ـ ٢٦٩، ق ١٠١، وب ٢٤ و٢٥ و٢٦ و٢٧ و٢٩.

(٥٢) الديوان: ١٧٤ ـ ١٧٩.

المعري: ج ـ ٢، ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩، ق ١٠١، ب ٣٣ و٣٤.

(٥٣) الديوان: ص ١٨٥ ـ ١٨٨.

والمعري: ج ـ ٢، ص ٣٠٥ ـ ٣٢٠، ق ١٠٥، ب ـ ٧ و٨ و٩ و١٠ و١١.

(٥٤) بلاشير: المرجع السابق، ١٩١.

(٥٥) الديوان ١٨٩ ـ ١٩٢.

والمعري: ج ـ ٢، ص ٣٢٠ ـ ٣٣٤، ق ـ ١٠٦، ب ١ و٢ و٤ و٥ و٦ و٧ و٨ و١١ و١٢ و١٣.

(٥٦) الديوان: ص ١٩٣ ـ ١٩٧.

والمعري: ج ـ ٢، ص ٣٣٤ ـ ٣٤٩، ق ـ ١٠٧، ب ـ ٢ و١٨.

(٥٧) الديوان: ص ١٩٨ ـ ٢٠١.
والمعري: ج ـ ٢، ص ٣٤٩ ـ ٣٦٥، ق ١٠٨، ب ـ ٢ و٦.
(٥٨) الديوان: ص ٢٠٢ ـ ٢٠٥.
والمعري: ج ـ ٢، ص ٣٦٥ ـ ٣٧٦، ق ـ ١١٠.
(٥٩) الديوان: ٢٠٦ ـ ٢٠٨.
والمعري: ص ٣٧٨ ـ ٣٩٠، ق ـ ١١٢.
(٦٠) الديوان: ٢٠٥.
والمعري: ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨، ق ـ ١١١.
وفي هذه القصيدة يقول البيت الأخير (ب ـ ٤).

وَلَوْ كُنْتُمُ مِمَّنْ يُدبّر أَمْرَه لَما كُنْتُمُ نَسْلَ الذي مالَهُ نَسْلُ

ويفسرّ المعري، هذا البيت تفسيرين، ثانيهما: «لو كنتم ممن يحسن التدبير، لما إنتسبتم إلى من لا عقب له، بل كنتم تنتسبون إلى من كان له عقب» (ج ـ ٢١ ص ـ ٣٧٨)، ويؤكد اليازجي هذا التفسير: العرف الطيب ١ ـ ٢، ص ٢١٤.
والانتساب إلى من لا نسل له دعوى معروفة، من تاريخ الدعوة الشيعية، يراجع: البخاري، أبو نصر: المرجع السابق، ص ١٨، ٢٠، ٢٢، ٣١، ٣٤، ٣٩، ٤٩، ٥٤، ٦٥.
(٦١) طه حسين: مع المتنبي، دار المعارف، الطبعة العاشرة ص ١٤٤ ـ ١٤٩.
د. بلاشير: المرجع السابق، ص ـ ١٩٠.
(٦٢) الديوان: ص ٢٠٢ ـ ٢٠٥.
والمعري: ج ـ ٢، ص ٣٦٥ ـ ٣٧٦، ق ـ ١١٠، ب ٢٤ ـ ٢٦.
(٦٣) الديوان: ص ٨٥ ـ ٨٨، ١٦٧.
(٦٤) بلاشير: المرجع السابق، ص ١٩٤.
د. فيصل السامر: الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ـ ٢، مطبعة الجامعة ـ بغداد، ١٩٧٣، ص: ٣٨ ـ ٣٩.
(٦٥) زكار (ج.ت.د): اخبار القرامطة، ص ١٢٤.
والبخاري، أبو نصر: المرجع السابق، ص ٩٩ و١٢٠.
(٦٦) الديوان: ص ٢٠٩ ـ ٢١٢.
والمعري: ص ٣٩٣ ـ ٤٠٥، ق ـ ١١٣، ب ـ ١.
(٦٧) الديوان: ص ٢٢٥ ـ ٢٢٨.
والمعري: ص ٤٢٩ ـ ٤٤٤، ص ـ ١٣٨، ب ـ ١.
(٦٨) أبو الفتح، عثمان بن جني: الفتح الوهبي على مشكلات شعر المتنبي، تحقيق د. محسن غياض، ص ١٥٦.
(٦٩) الديوان: ص ٢٢٥ ـ ٢٢٨.

والمعري: ج ـ ٢، ص ٤٢٩، ق ـ ١٣٨، ب ٩ و١٠.

(٧٠) الديوان: ص ٢٢٥ ـ ٢٢٨.

والمعري: ج ـ ٢، ص ٤٢٩، ق ١٣٨، ب ـ ٢٧ ـ ٢٨ و٣٤.

(٧١) الديوان: ص ٢١٧.

والمعري: ج ـ ٢، ص ٤١٦، ق ـ ١٢٥، ب ـ ١ و٢.

(٧٢) الديوان: ص ٣١٩.

والمعري: ج ـ ٢، ص ٤١٨، ق ـ ١٢٨، ب ١ و٢.

(٧٣) الهمداني: مرجع سابق، ص ٥٢ ـ ٥٤.

والملك المؤيد عماد الدين إسماعيل: المختصر في اخبار البشر، دار المعرفة، لبنان، ص ٧٢ ـ ٧٣.

(٧٤) الديوان: ص ٢٢٠.

والمعري: ج ـ ٢، ص ٤٣٠ ـ ٤٢١، ق ـ ١٣٢، ب ١ و٢، ٣.

(٧٥) بلاشير: مرجع سابق، ص ١٩٦.

(٧٦) د. طه حسين: مرجع سابق، ص ١٥٢.

(٧٧) محمد أمين غالب الطويل: مرجع سابق، ص (٢٠٥ ـ ٢٠٦).

ومحمود شاكر: مرجع سابق، ص ١٥٩.

(٧٨) محمود شاكر: مرجع سابق، ص ٩٣ ـ ١١٠.

(٧٩) الديوان: ص ٢٣٥.

والمعري: ج ـ ٢، ص٢٧٦ ـ ٤٧٧، ق ـ ١٤٤، ب ١ ـ ٤.

(٨٠) المعري: ج ـ ٢، ص ٤٥٨، مقدمة ق ـ ١٤١.

(٨١) الديوان: ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

والمعري: ج ـ ٢، ص ٤٥٨ ـ ٤٧٦، ق ـ ١٤١ و١٤٢ و١٤٣.

(٨٢) الديوان: ص ٥٧٠ ـ ٥٧٣.

والمعري: ج ـ ٢، ص ٤٥٨، ق ١٤١، ب ـ ١١.

(٨٣) الديوان: ص ٥٧٣.

والمعري: ج ـ ٢، ص ٤٥٨، ق ١٤١، ب ٣٧.

ويراجع أيضاً العكبري ج ـ ٤، ص ١٣٢.

(٨٤) الديوان: ٨٥، ويذكر أبو الطيب انطاكية، الديوان: ص ٩٩ و٢٩٩، واللاذقية في أكثر من مكان: ص ـ ٧٨ و٨٧.

والمعري: ج ـ ١، ص ٢٩٨.

(٨٥) محمود شاكر: المرجع السابق، ج ـ ١، ص ١٨٢.

(٨٦) محمود شاكر: المرجع السابق، ج ـ ١، ص ٩٣ ـ ٩٧ و١٨٦.

(٨٧) الديوان: ص٢٣٧ـ ٢٣٩.

والمعري: ج ـ ٢، ص ٤٨١ ـ ٤٩٥، ق ١٤٥، ب ـ ٣٦.

(٨٨) الديوان: ٢٤٣ ـ ٢٤٥.

والمعري: ج ـ ٢، ص ٤٩٨ ـ ٥١٤، ق ـ ١٤٩، ب ٣٦.

(٨٩) الديوان: ص ٢٣٧ ـ ٢٣٩.

والمعري: ج ـ ٢، ص ٤٨١ ـ ٤٩٥، ق ـ ١٤٥، ب ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١.

(٩٠) الديوان: ٢٤٣ ـ ٢٤٥.

والمعري: ج ـ ٢، ص ٤٩٨ ـ ٥١٤، ق ١٤٩، ب ٢١.

(٩١) الديوان، ٢٤٨ ـ ٢٥١.

والمعري، ج ـ ٢، ص ٥١٨، ق ١٥٣، ب ـ ٩، ١٠، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨.

(٩٢) عبد الوهاب عزام، ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٥٦، ص ٨٨.

(٩٣) محمد أمين غالب الطويل: المرجع السابق، ص٢٠٥.

(٩٤) الديوان: ص ٩٣ ـ ٩٦.

والمعري: ج ـ ١، ص ٣٢٥ — ٣٤٠، ق ٥٨، ب ـ ٢.

(٩٥) الديوان: ص ٣٢٥ ـ ٣٢٨.

والمعري: ج ـ ٣، ص ٢٢٥ ـ ٢٤٣، ق ١٩٢، ب ـ ١٦.

(٩٦) الشيخ يوسف البديعي: مرجع سابق، ص ١٧٤.

(٩٧) أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني: الواضح في مشكلات شعر المتنبي: تحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور. الدار التونسية للنشر ١٩٦٨، ص ١٨. ويقول الأصفهاني: وكان علوي يأتي سيف الدولة: «من بعض جبال خراسان، كل سنة، فيعطيه رسماً له جارياً على التأبيد، فأتاه وهو في بعض الثغور، فقال للخازن، أطلق له ما في الخزانة، فبلغ أربعين ألف دينار...».

وحين القى أبو الطيب قصيدته يوم نثر الورد، أمر عضد الدولة، «فحمل على فرس بمركب، والبس خلعة ملكية وبدرة بين يديه محمولة»، ص ٢٢. وهذا ما كان يفعله كافور، كما ذكرنا.

(٩٨) الأصفهاني: المرجع السابق، ص ٩ ـ ١٠.

والشيخ يوسف البديعي: مرجع سابق، ص ٧١.

(٩٩) الشيخ يوسف البديعي: المرجع السابق، ص ٧١.

(١٠٠) د. جلال الخياط: المثال والتحول في شعر المتنبي. دار الرائد العربي ـ بيروت لبنان، ١٩٨٧، ص ١٧.

(١٠١) الديوان: ص ٣٦٢ ـ ٣٦٣.

والمعري: ج ـ ٣، ص٣٥٦ ـ ٣٦١، ق ـ ٢١٤، ب ـ ١٤ و١٥.

(١٠٢) الديوان: ص ٣٧٠ ـ ٣٧٣.

والمعري: ج ـ ٣، ص ٣٧٢ ـ ٣٨٦، ق ـ ٢٢٠، ب ـ ٣٣.

(١٠٣) الديوان: ص ٣٧٠ ـ ٣٧٣.

والمعري، ج ـ ٣، ص ٣٧٢ ـ ٣٨٦، ق ـ ٢٢٠، ب ـ ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩.

(١٠٤) الديوان: ٣٣١ ـ ٣٣٤.

والمعري: ج ـ ٣، ص ٢٤٧ ـ ٢٦٣، ق ـ ١٩٤، ب ـ ١٥، ١٧، ٢٢.

(١٠٥) الديوان: ص ١٣٥ ـ ١٣٨.

والمعري: ج ـ ٣، ص ١٢٤ ـ ١٣٩، ق ـ ٧٠، ب ـ ٩ ـ ١٠.

(١٠٦) عبد الوهاب عزام: مرجع سابق، ص ٩٥ ـ ٩٦.

(١٠٧) إن كل شروح الديوان، تشير إلى الوشاة، وكذلك كل الذين أرخوا لحياة أبي الطيب، ولكن لا يذكر الشارحون والمؤرخون أحداً من هؤلاء. وكانوا يُسمون أيضاً الحساد: يراجع، مثلاً، عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي. دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٨٠، ص ١١ و٤٠.

(١٠٨) بلاشير: مرجع سابق، ص ٣٣٣.

(١٠٩) د. عصام السيوفي: مرجع سابق، ص ٤٩٢.

(١١٠) عبد الوهاب عزام: مرجع سابق، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ ـ ١٣٤.

(١١١) عبد الوهاب عزام: المرجع السابق، ص ١١٠.

ود. مصطفى الشكعة: أبو الطيب في مصر والعراقين. عالم الكتب، ١٩٨٣، ص ٣٥٥ ـ ٣٦٧.

(١١٢) عبد الوهاب عزام: مرجع سابق، ص ١٢٢.

د. سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩، ص ١٣٣ ودار النهضة العربية. ط/٢، ص ـ ٢٤٦..

والهمداني: مرجع سابق، ص ١٩٧.

وابن خلكان: مرجع سابق، ج ـ ٣ ص ٨١.

(١١٣) د. طه حسين: مرجع سابق، ص ٢٨٢.

(١١٤) عصام السيوفي: مرجع سابق، ص ٤٨٩، وقد ذهب إلى أن من حق أبي الطيب أن يأخذ المال الذي يقدمه الممدوحون.

(١١٥) الديوان: ٤٤١ ـ ٤٤٥.

والمعري: ج ـ ٤، ص ١٧. ق ـ ٢٤٣. ب ـ ١، ٢، ٣، ٤، ٥.

والمعري: ج ـ ٤، ص ـ ١٧، ق ـ ٢٤٣، ب ـ ١، ٢، ٣، ٤، ٥.

(١١٦) المعري: ج ـ ٤، ص ـ ١٧، ق ـ ٢٤٣، ب ـ ١٤ ـ ١٩.

(١١٧) الديوان: ٤٤٦ ـ ٤٤٧.

والمعري: ج ـ ٤، ص ٣٥، ق ـ ٢٤٥، ب ٢٣ ـ ٢٤.

(١١٨) الديوان: ٤٤٨ ـ ٤٥٢.

والمعري: ج ـ ٤، ص ٤١، ق ـ ٢٤٦، ب ١٦ ـ ١٧ ـ و٣٦ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠.

(١١٩) الديوان: ص ـ ٤٥٣.

والمعري: ج ـ ٤، ص ٥٨، ق ـ ٢٤٧، ب ـ ١ ـ ٨ ـ ١٣ ـ ١٤.

(١٢٠) الديوان: ٤٥٩ ـ ٤٦٢، ٤٦٦ـ٤٧٠ و٤٧٨ ـ ٤٨١.

والمعري: ج ـ ٤، ص ١٤٦، ق ـ ٢٥٨، ب ـ ٢٧ و٢٨.

(١٢١) الديوان: ٤٧١ ـ ٤٧٣.

والمعري: ج ـ ٤، ص ١١٥، ق ـ ٢٥٤.

(١٢٢) الديوان: ص ٤٧٤.

والمعري: ج ـ ٤، ص ١٣٢، ق ـ ٢٥٥.

(١٢٣) الديوان: ٤٨٢ ـ ٤٨٥، وتعرف بقصيدة الحمّى.

والمعري: ج ـ ٤، ص ١٣٤، ق ـ ٢٥٧.

(١٢٤) الديوان: ٤٤٦ ـ ٤٤٧.

والمعري: ج ـ ٤، ق ـ ٢٤٥، ب ـ ١٥، ١٧، ١٩.

(١٢٥) الشيخ يوسف البديعي: مرجع سابق، ص ١١٥.

(١٢٦) الديوان: ص ٤٥٠.

والمعري: ج ـ ٤، ص ٤٠، ق ـ ٢٤٦، ب ـ ٢٣.

(١٢٧) الديوان ص ٤٧٠.

والمعري، ج ـ ٤، ص ـ ١٠٠، ق ٢٥٣، ب ـ ٤٣.

(١٢٨) الشيخ يوسف البديعي: مرجع سابق، ١١٧.

وابن جني: الفسر، ج ـ ٢. تحقيق د. صفاء خُلوصي، دار الشؤون الثقافية. بغداد ١٩٨٨، ص ـ ٤١.

(١٢٩) الديوان: ص ـ ٤٧٥.

والشيخ يوسف البديعي: مرجع سابق، ص ١١٩.

والمعري: ج ـ ٤، ص ١٢٤، ق ٣٥٦، ب ـ ٢، ٢٣ ـ ٢٤ ـ ٢٥.

(١٣٠) الديوان: ص ٤٨٦ ـ ٤٩٠.

والمعري: ج ـ ٤، ص ٢٠٤، ق ـ ٢٧٢.

(١٣١) الديوان: ص ـ ٤٧٥.

والمعري: ج ـ ٤، ص ١٢٤، ق ٢٥٦، ب ـ ٥، ٨، ٩.

(١٣٢) الديوان: ص ـ ٥٠٠.

والمعري: ج ـ ٤، ص ٣٢، ق ـ ٢٤٤، ب ـ ١، ٢، ١٠.

(١٣٣) الديوان: ص ـ ٥٠٤.

والمعري: ج ـ ٤، ص ٨٧، ق ـ ٢٥١، ب ـ ١.

(١٣٤) الديوان: ص ـ ٥٠٦.
والمعري: ج ـ ٤، ص ١٦٧، ق ـ ٢٦٣.
(١٣٥) الديوان: ص ـ ٤٥٦.
والمعري: ج ـ ٤، ص ـ ٥٨، ق ٢٤٧، ب ـ ٣٨.
(١٣٦) الديوان: ص ـ ٤٦١.
والمعري: ج ـ ٤، ص ٧٥، ق ـ ٢٥٠، ب ـ ٢٣ و٢٤.
(١٣٧) الديوان: ص ـ ٤٦٨.
والمعري: ج ـ ٤، ص ١٠٠، ق ـ ٢٥٣، ب ـ ٢٢.
(١٣٨) الديوان: ص ـ ٤٨٠.
والمعري: ج ـ ٤، ص ١٤٦، ق ـ ٢٥٨، ب ـ ٤١.
(١٣٩) الشيخ يوسف البديعي: مرجع سابق، ص ـ ١١٢.
(١٤٠) عبد الوهاب عزام: مرجع سابق، ص ١٢٩.
(١٤١) الديوان: ص ـ ٥٠٥.
والمعري: ج ـ ٤، ص ١٦٦، ق ـ ٢٦٢، ب ـ ١ ـ ٤.
(١٤٢) د. محمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية. دار الفكر العربي، ص ١٢.
وجمال الدين بن تغرى بردى الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الثالث، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والنشر، سنة ٣٤٩. ص ٣٢٥ ـ ٣٢٧. «واضطربت امور الديار المصرية والإسكندرية، بسبب المغاربة اعوان الفاطميين، ص ٣٢٦. ويذكر أن هذا الاضطراب استمر، سنة ٣٤٩ وحتى ٣٥٢.
ود. سيدة إسماعيل كاشف: مرجع سابق، دار النهضة العربية. ط/ ٢ ص ٣٤٩.
(١٤٣) بلاشير: مرجع سابق، ص ٣٨٣.
(١٤٤) الديوان: ص ـ ٥٠٩.
والمعري: ج ـ ٤، ص ١٩٠، ق ـ ٢٦٩، ب ـ ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ و٥ و١٧ ـ ٢٠.
(١٤٥) الديوان: ص ـ ٥١٢.
والمعري: ج ـ ٤، ص ١٩٠، ق ـ ٢٦٩، ب ـ ٣٢ ـ ٣٣.
(١٤٦) د. طه حسين: مرجع سابق، ص ٣٢٩. قال طه حسين: «فالمتنبي في قصته مع كافور كلها صغير حقاً، صغير حين مدح، وصغير حين هجا، وصغير حين رضي، وصغير حين غضب» (ص ٣٢٩).
(١٤٧) أبو الفداء، الحافظ بن كثير: مرجع سابق، ص ١٦١، وأخبار القرامطة، مرجع سابق ص ٣٢، القرامطة يأسرون أبا العشائر بن حمدان سنة ٢٩٤، ص ٣٤، الحسين بن حمدان يقتل مَنْ فَرّ مِن القرامطة إلى الشام، سنة ٣١٥، خروج نصر الحاجب، وأبو الهيجاء، عبد الله بن حمدان لمواجهتهم، ص ٤٧، القرامطة يسيرون إلى حيت، وعليها سعيد بن حمدان، ص ٤٨.

ولقد استهدى القرامطة حَديداً، من سيف الدولة، سنة ٣٥٣، الهمداني ـ مرجع سابق، ص ١٨٧. وفيصل السامر: مرجع سابق، ص ٦٨. وكان اسم أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان يرعب القرامطة: علي بن ظافر الأزدي، مرجع سابق، ص١٣. ود. مصطفى الشكعة: سيف الدولة الحمداني.
عالم الكتب ومكتبة المتنبي. ص ١٠٨ و١٤٦.

(١٤٨) الهمداني: المرجع السابق، ص ٤٨ ـ و٥٢.

(١٤٩) عز الدين الشيباني (ابن الأثير): الكامل. دار صادر ـ دار بيروت ١٩٦٥.
المجلد الثامن، ص ١٥٧ و١٨٠.
والمورد، مرجع سابق، ص ٩٨.

(١٥٠) بلاشير: مرجع سابق، ص ٣٨٩ و٤١٠ ـ ٤١١.

(١٥١) د. طه حسين: مرجع سابق، ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧.

(١٥٢) بلاشير: مرجع سابق، ص ـ ٤١٦.

(١٥٣) عبد الوهاب عزام: مرجع سابق، ص ١٦٦.

(١٥٤) أبو الفداء الحافظ بن كثير: مرجع سابق، ص ٢١٥ ـ ٢٢٥.

(١٥٥) د. عصام السيوفي: مرجع سابق، ص ٥٣٤ ـ ٥٣٧.

(١٥٦) بلاشير: مرجع سابق، ص٣٨٦.

(١٥٧) الأصفهاني: مرجع سابق، ص ٢٥.
وعزام: مرجع سابق، ص ١٨٤.

(١٥٨) الديوان، ٤٢٩ ـ ٤٣٢.
والمعري: ج ـ ٣، ص ٥٧٩ ـ ٥٩١، ق ٢٣٩، ب ـ ١٦ ـ ١٧ ـ ١٨ ـ و٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٤ ـ ٣٥ ـ ٣٦ ـ ٣٧ ـ.

(١٥٩) بلاشير: مرجع سابق، ص ٣٩٠.

(١٦٠) الأصفهاني: مرجع سابق، ص ١٤ ـ ١٥.
وابن خلكان: مرجع سابق، ج ـ ٢، ص ١٢٤.

(١٦١) الأصفهاني: المرجع السابق، ص ١٤ ـ ١٥.

(١٦٢) الأصفهاني: المرجع السابق، ص ١٥.
وابن خلكان: المرجع السابق، ج ـ ٢، ص ١٦٨.
بلاشير: مرجع سابق ٣٩٦ ـ ٣٩٧.
السيوفي: مرجع سابق، ص ـ ٥٥١.
والحافظ أبو بكر بن علي الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، أو مدينة السلام. دار الفكر. المجلد الثامن، ص ١٤ ـ ١٥.
ودائرة المعارف الإسلامية. المجلد الأول، ص ١٣٠ ـ ١٣١.

(١٦٣) البديعي: مرجع سابق، ١٢٨ ـ ١٤٢.

(١٦٤) الأصفهاني: مرجع سابق، ص ١٥.

(١٦٥) وهذا ما يفسره قبول دعوة ابن العميد، والسفر إلى أرجان، ومن ثم اللقاء بعضد الدولة. وابن العميد، ليس شخصية لا تدعو للاحترام كالمهلبي.

(١٦٦) بلاشير: مرجع سابق، ٣٩٩ ـ ٤٠٠.

(١٦٧) د. طه حسين: مرجع سابق، ص ٣٥٠.
وعزام: مرجع سابق، ص ١٦٤ ـ ١٧١.

(١٦٨) الديوان: ٤٣٧ ـ ٤٤٠.
والمعري: ج ـ ٣، ص ٥٩٢ ـ ٦٥٠، ق ـ ٢٤٠.
وقد وضعنا أرقام الأبيات في النص، على غير العادة في هذه الدراسة.

(١٦٩) العكبري: مرجع سابق، ج ـ ١، ص ١٠٥.

(١٧٠) العكبري: المرجع السابق، ج ـ ١ ـ ص ١٠٥.

(١٧١) عزام: مرجع سابق، ص ١٦٥.
بلاشير: مرجع سابق، ص ٤٠٧.
البديعي: مرجع سابق، ص ١٧١.
والمعري: ج ـ ٤، ص ٢٥١ ـ ٢٥٥، ق ـ ٢٧٦.

(١٧٢) الهمداني: مرجع سابق، ص ٢٠١. حيث يقول أن ضبة تحصن من القرامطة، وان يتحصن ضبة العتبي من القرامطة، فإن ذلك يعني أنه ليس قرمطياً.

(١٧٣) الديوان: ٥١٨ ـ ٥٢١.
والمعري: ج ـ ٤، ص ٢٦٠، ق ـ ٢٧٧، ب ـ ٨، ٩.

(١٧٤) بلاشير: مرجع سابق، ص ٣٨٩.
وزكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب، دار المعارف ١٩٦١، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣.
وابن الأثير: الكامل في التاريخ ـ المجلد الثامن، ص ـ ٥٣٨ ـ ٥٤٢.
وابن كثير: مرجع سابق، ص ٢٥٥.

(١٧٥) ابن الأثير: المرجع السابق، ص ٥٥٣ ـ ٥٥٤.
وابن مسكويه: تجارب الأمم، الجزء الثاني، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٧.
وبلاشير: مرجع سابق، ص ٣٩٦.

(١٧٦) الديوان: ص ٤٩١.
والمعري: ج ـ ٤، ص ٢٢٠، ق ـ ٢٧٣.

(١٧٧) الديوان: ص ٤٩٥.
والمعري: ج ـ ٤، ص ٢٣٨، ق ـ ٢٧٥.

(١٧٨) الديوان: ص ٤٩٩.

والمعري: ج- ٤، ص- ٢٣٥، ق- ٢٧٤.

(١٧٩) الديوان: ص ٤٢٩.

والمعري: ج- ٣، ص ٥٧٩، ق- ٢٣٩.

(١٨٠) الديوان: ص-٤٣٣.

والمعري: ج- ٣، ص ٥٦٢، ق- ٢٣٨.

(١٨١) الديوان: ص-٤٣٧.

والمعري: ج- ٣، ص ٥٩١، ق- ٢٤٠.

(١٨٢) الديوان: ص-٥١٩.

والمعري: ج- ٤، ص ٢٦٠، ق- ٢٧٧.

(١٨٣) محمود محمد شاكر: مرجع سابق، ٢٢١ - ٢٢٢.

(١٨٤) الديوان: ٥١٨ - ٥٢١.

والمعري: ج- ٤، ص ٢٦٠، ق ٢٧٧.

(١٨٥) عبد الوهاب عزام: مرجع سابق، ص ١٧٨.

(١٨٦) عبد الوهاب عزام: مرجع سابق، ص ١٧٨.

(١٨٧) عبد الوهاب عزام: مرجع سابق، ص ١٧٨.

(١٨٨) عبد الوهاب عزام: مرجع سابق، ص ١٧٦.

(١٨٩) د. مصطفى الشكعة: مرجع سابق - ص - ٤٥١. ود. طه حسين: مرجع سابق، ص ٣٤٧ - ٣٤٨.

(١٩٠) د. بدوي طبانة: الصاحب بن عَبّاد الوزير الأديب العالم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٩٦٤، ص - ٢٥٨.

وعبد الغني الملاح: هل التقى المتنبي بابن جني. المورد، مرجع سابق، ص١٤٥.

(١٩١) عبد الوهاب عزام: المرجع السابق، ص ١٧٩.

(١٩٢) الأصفهاني: مرجع سابق، ص ١٩.

(١٩٣) عزام: مرجع سابق، ص ١٨٨.

(١٩٤) الأصفهاني: مرجع سابق، ص ٢٠ - ٢١.

(١٩٥) الأصفهاني: المرجع السابق، ص ٢٢.

(١٩٦) الديوان: ص ٥٣٧ - ٥٣٨.

والمعري: ج- ٤، ص ٣٢٣، ق- ٢٨٣. ب- ١ - ١٣.

(١٩٧) الديوان: ص-٥٤١.

والمعري: ج- ٤، ص ٣٣٧، ق- ٢٨٤.

(١٩٨) الديوان: ص-٩٣.

والمعري: ج- ١، ص ٣٢٥، ق- ٥٨.

(١٩٩) د. طه حسين: مرجع سابق،ص -٣٦٣، ويرى طه حسين أن شعر أبي الطيب بابن العميد متكلف، ولكن شعره في عضد الدولة غير ذلك. أمّا الشيخ إبراهيم اليازجي، فيرى شعره في عضد الدولة «أنزل رتبة من ذلك كله»، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب. الشيخ ناصيف اليازجي، دار صادر- دار بيروت، سنة ١٩٦٤، المقدمة، ص ٥٩.

(٢٠٠) الأصفهاني: مرج سابق، ص ١٦.

(٢٠١) الأصفهاني: المرجع السابق، ص ٢٥.

(٢٠٢) الديوان: ص ٥٢٧.

والمعري: ج- ٤، ص ٢٩١، ق ٢٧٩، ب- ١.

(٢٠٣) الديوان: ص ٥٢٧.

والمعري: المرجع السابق، ب- ٤.

(٢٠٤) الديوان: ص-٥٢٧.

والمعري: المرجع السابق، ب- ٨.

(٢٠٥) الديوان: ص-٥٣٩.

والمعري: ج- ٤، ص ٣٢٣، ق- ٢٨٣، ب- ٢٣.

(٢٠٦) من الملفت للنظر الا يذكر أبو الطيب الإسلام في هذه المدائح.

(٢٠٧) الديوان: ص-٥٣٣.

والمعري: ج- ٤، ص-٣٠٧، ق- ٢٨٢، ب- ٣٢.

(٢٠٨) الديوان: ص-٥٣٧.

والمعري: ج- ٤، ص ٣٢٣، ق- ٢٨٣، ب-٢١.

(٢٠٩) الديوان: ص-٥٢٢.

والمعري: ج- ٤، ص ٢٧٥، ق- ٢٧٨، ب- ٤٥.

(٢١٠) أشرنا لها سابقاً.

(٢١١) أشرنا لها سابقاً.

(٢١٢) السيوفي: مرجع سابق، ص ٦٢٠ و٦٣٨- ٦٥٢.

(٢١٣) السيوفي: المرجع السابق، ص ٦٢٠- ٦٢٢.

(٢١٤) الأصفهاني: مرجع سابق، ص-١٧.

(٢١٥) الديوان: ص-٥٦٧.

والمعري: ج- ٤، ص ٤١٠، ق- ٢٩٠، ب- ٣٨.

وأنـى شئـت يـا طـريـقـي فـكـونـي أذاة أو نـجـاة أو هـلاكـاً

(٢١٦) البديعي: مرجع سابق، ص ١٧٤.

(٢١٧) عزام: مرجع سابق، ص ١٩٠- ٢٠٨.

(٢١٨) أبو القاسم محمد كرو: ابن هانيء الأندلسي ـ الدار العربية للكتاب، سنة ١٩٨٤، ص ١٦ ـ ١٨.

(٢١٩) المفضل بن عمر الجعفي: الهفت والأظلة. تحقيق عارف تامر والأب عبده خليفة. المطبعة الكاثوليكية. المقدمة.

(٢٢٠) لقد تجنب ابن جني بحث كل ما له علاقة بالأشخاص الذين مدحهم أبو الطيب، أو بالإشارات التي وردت في قصائده. وكان أبو العلاء أوضح قليلاً، يراجع:

المعري: المرجع السابق، المجلدات الأربعة.

وتراجع دائرة المعارف الإسلامية. المجلد الأول. ص ١٢٢، مادة ابن جني، اذ تذكر ان ابن جني ولي منصب كاتب الإنشاء في بلاط عضد الدولة وخلفه. فهل هذا كان سبب امتناعه عن ذكر كل ما يوضح قضية أبي الطيب.

(٢٢١) يغلب على شروح ديوان أبي الطيب القديمة والحديثة تناول اللغة عامة، من حيث هي نحو وصرف وتعبير معجمي. ولقد وقف الشارحون كثيراً عند الأبيات أو التعبيرات الغامضة والملتبسة والجوازات والشواذ.

ـ إبراهيم العريض: فن المتنبي بعد الف عام، دار العلم للملايين ١٩٦٢، ص ـ ١٣.

(٢٢٢) الديوان: ص ١٤٤، ١٥٠، ٢٥٦ ـ ٤٤٠ ـ ٤٨٦ ـ ٤٩٩.

(٢٢٣) الحسن بن رشيق: العمدة، دار الجيل، ج ـ ١، ص ـ ٢٥٩.

(٢٢٤) د. زكي المحاسني: مرجع سابق ص ـ ٢٩١.

(٢٢٥) الهمداني: مرجع سابق، ص ١٩٥، وهو يؤرخ قتل المتنبي، سنة ٣٥٦، مع أنه قتل سنة ٣٥٤.

والبديعي: مرجع سابق، ص ـ ١٧٥.

(٢٢٦) الديوان: ص ١٩، ٣٤، ٣٦، ٣٩، ٥١، ٥٥، ٨٥، ٩٧، ١٢٠، ١٦٤ الخ.

والمعري: ج ـ ١، ص ـ ٤٠، ٥٤، ٦٩، ١٢٤، ١٢٩، ١٤٢، ٢٠٠.

(٢٢٧) الديوان وخاصة السيفيات، ص ٢٥٦ ـ ٤٤٠.

والمعري: ج ـ ٣، ص ١٣ ـ ٦٠٩.

(٢٢٨) الديوان، ص ـ ١١، ١٤، ٣٤، ٣٦، ٣٩، ٩٣، ١٧٠، ١٨٩، ٤٩٥، ٥٠٢.

(٢٢٩) البديعي: مرجع سابق، ص ـ ٩٤.

(٢٣٠) الديوان، ص ـ ٢٦، ٥٦، ٥٧، ٨٤، ١٥٤ ـ ١٥٥، ١٥٨ ـ ١٥٩.

(٢٣١) البديعي: مرجع سابق، ص ـ ٩٥.

(٢٣٢) الأصفهاني: مرجع سابق، ص ـ ١٦.

(٢٣٣) البديعي: مرجع سابق، ص ـ ٩٥.

(٢٣٤) الديوان: ص ـ ٤٤١.

المعري: ج ـ ٤، ص ١٧، ق ـ ٢٤٣، ب ـ ١٢.

(٢٣٥) الأصفهاني: مرجع سابق، ص ـ ١٦.

(٢٣٦) ايليا حاوي: مرجع سابق، ص ـ ٦٦٥، ٧٦٨.

(٢٣٧) السيوفي: مرجع سابق.

(٢٣٨) قدامه بن جعفر (أبو الفرج): نقد الشعر ـ دار الكتب العلمية، بيروت، ص ـ ٩٥ (نعت المديح)، وص ـ ١٨٤ (عيوب المديح).

ـ الحسن بن رشيق: مرجع سابق. ج ـ ٢، ص ١٢٨ ـ ١٤٣.

ـ عبد اللطيف عبد الرحمن الراوي: المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع للهجرة. مكتبة النهضة بغداد، ص ٤٩ ـ ٦٤.

(٢٣٩) عزام: مرجع سابق، ص ـ ١٦٩.

(٢٤٠) الأصفهاني: مرجع سابق، ص ـ ٧.

(٢٤١) الأصفهاني: المرجع السابق، ص ـ ٧.

(٢٤٢) الأصفهاني: المرجع السابق، ص ٧ ـ ٨.

الإمام عبد الرحمن ابن الجوزي: القرامطة. تحقيق محمد الصباغ، المكتب الإسلامي. ط/٥ ١٩٨١. ويورد ابن الجوزي السَبْعِيّة اسماً للقرامطة. ص ٣٥ و ٥٠.

(٢٤٣) المفضل بن عمر الجعفي: المرجع السابق. المقدمة ص ٧.

(٢٤٤) الخالديان: ديوان الخالديين، مجمع اللغة العربية بدمشق. جمع وتحقيق، د. سامي الدهان. ١٣٨٨/١٩٦٩. الملحق، ص ١٨١.

(٢٤٥) د. عبد الرحمن عطية: تطور الشعر في القرنين الثاني والثالث، جامعة الفاتح، سنة ١٣٩٨ ـ ١٩٧٨، ص ١٤٩ ـ ١٥٩.

(٢٤٦) محمد عبد الغني الشيخ: أبو حيان التوحيدي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣، ج ـ ١، ص ١٥٣ ـ ١٦٦، و ج ـ ٢، ص ـ ٦٣١.

(٢٤٧) الأصفهاني: مرجع سابق، ص ـ ٦.

(٢٤٨) لوي ماسينون: المتنبي إمام العصر الإسماعيلي، المورد ـ المجلد السادس، العدد الثالث، سنة ١٣٩٧ ـ ١٩٧٧، ص ـ ٦٤.

(٢٤٩) لوي ماسينون: المرجع السابق، ص ـ ٦٤.

(٢٥٠) الديوان: ص ٨، ٢٠٩، ٢٢٥.

ومحسن الأمين: مرجع سابق، ص ٤٧، وهنا تأكيد مسند بتشيعه.

(٢٥١) محمد الصدر: مرجع سابق، ص ـ ٧١ و ١٨٥ و٣٥٣.

(٢٥٢) محمد الصدر: مرجع سابق، ص ـ ٨٧.

وجوزيف الهاشم: أبو الطيب المتنبي، شاعر الطموح والعنفوان. دار المفيد، ١٩٨٢، ص ـ ١١.

(٢٥٣) د. عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم في مصر. مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٥٣، ص ٨ ـ ١٠.

(٢٥٤) سهيل زكار(ج. ت. د.): مرجع سابق، ص ٢٤.

ومحمد امين غالب الطويل: مرجع سابق، ص ٢٠٢.

(٢٥٥) سهيل زكار: مرجع سابق، ص ٣٥.
ومحمد الصدر: مرجع سابق، ص ٣٩٦ ـ ٤١٨ و٤١٩ ـ ٤٨٨ و٦٠٩.

(٢٥٦) محمد الصدر: مرجع سابق، ص ٤٤٤ و٤٧١. حيث انتحل السفير حسن بن روح مذهب أهل السنة والجماعة إمعاناً في التستر.
محمد امين غالب الطويل: مرجع سابق، ص ٢٠٢.

(٢٥٧) سهيل زكار: المرجع السابق، ص ٣٠.

(٢٥٨) سهيل زكار: المرجع السابق، ص ٣٠ ـ ٣٤.

(٢٥٩) سهيل زكار: المرجع السابق، ص ـ ٣٤.

(٢٦٠) مصطفى غالب: أعلام الإسماعيلية. دار اليقظة العربية، بيروت ١٩٦٤، ص ٩١ ـ ٩٤.

(٢٦١) عبد الغني الملاح: هوامش، مرجع سابق، آفاق عربية ـ العدد ١، السنة الثالثة، كانون ١. ١٩٧٧، ص ـ ٤.

(٢٦٢) د. محمد محمد حسين: المتنبي والقرامطة، دار الرفاعي للنشر والتوزيع والطباعة ١٩٨١، ص ٣١ ـ ٣٢.
وعارف تامر: القرامطة. دار الكاتب العربي ومكتبة النهضة. ص ٣١.

(٢٦٣) محسن الأمين: مرجع سابق، ص ٤٧. يقول: أن له في عَليّ «عدة قصائد سمّاها العلويات، وإنما حذفت من أكثر نسخ الديوان لشدة التعصبات في المذاهب».
وهدى الأرناؤوطي: ثقافة المتنبي وأثرها في شعره. وزارة الثقافة والفنون. الجمهورية العراقية ١٩٧٧، ص ـ ١٤٣.

(٢٦٤) الديوان: ص ٨ و٢٠٩، و٢٢٥.
والمعري: ج ـ ٤، ص ـ ٤٣٩، ق ـ ٥ ١ و٤٤٧، ق ـ ٣٠.

(٢٦٥) المعري، مرجع سابق، ج ـ ٢، ص ـ ٣٤٩، ق ـ ١٠٨، ب ـ ٢.
والبيت: سأطلب حقي بالقنا ومشايخ كأنهم من طول ما التثموا مُرْدُ.
ويقول المعري: «سأطلب ملكي الذي هو حقي..»

(٢٦٦) الشريف المرتضى: الديوان،٣ مج حققه رشيد الصفار ـ دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي ١٩٥٨،ص ٣ ـ ١٤٣.
والشريف المرتضى: الديوان ج ـ ١، ص ٤٤، ١٠٧، ١١٢، ١١٣، ١١٧، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٤، ٤٨٧.

(٢٦٧) د. عبد الرحمن عطبة، الصنوبري، شاعر الطبيعة، الدار العربية للكتاب، ١٩٨١، ص٢١٨.
واحمد بن محمد بن الحسن الضبي (الصنوبري): الديوان، حققه د. إحسان عباس. دار الثقافة ـ بيروت ١٩٧٠. ص ١٢٩، ق ـ ١٤٠. و٢١٦، ق ـ ٢٢١، ٢٦٧، ق ـ ٢٥٦، و٢٩٧و٣٩٧، ق ـ ٣٥٧، و٥٠٩، ق ـ ١٤٠ من الملحق.

(٢٦٨) د. حبيب حسين الحسني: السري الرفاء، حياته وشعره، ١٩٧٧، ص ١١٦ ـ ١٢٤.
والسري الرفاء: الديوان: تحقيق د. حبيب حسين الحسني. دار الرشيد ١٩٨١، ص ـ ١٢٦.
(٢٦٩) د. طه حسين: مرجع سابق، ص ـ ٣٦
(٢٧٠) د. طه حسين: المرجع السابق، ص ـ ٦٤.
(٢٧١) د. طه حسين: المرجع السابق، ص ٤٣ و٦٤، و٧٤، و٧٧.
(٢٧٢) د. طه حسين: المرجع السابق. ص ـ ١٥٣.
(٢٧٣) بلاشير: مرجع سابق، ص ١٢٢.
(٢٧٤) البديعي: مرجع سابق، ص ـ ٩٤.
والأرناؤوطي، هدى: المرجع السابق. وقد عقدت الكاتبة مقارنة بين قرمطية أبي الطيب وعدم قرمطيته، ص ١٤٧ ـ ١٥٢. وتشير الكاتبة (ص ١٤٨) إلى أن أبا الطيب شوهد يصلي ركعتين، وهذا ما أشار له أبو العلاء. والقرامطة يصلون ركعتين، قبل طلوع الشمس وركعتين قبل غروبها.
المقريزي، تقي الدين احمد بن علي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق د. جمال الدين الشيال، لجنة احياء التراث الإسلامي. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ج. ع. م، سنة ١٣٨٧ ـ ١٩٦٧، ص ـ ١٥٣.
(٢٧٥) البديعي: مرجع سابق، ص ـ ٩٤.
(٢٧٦) د. طه حسين: مرجع سابق، ص ـ ٩١.
(٢٧٧) د. سهيل زكار: مرجع سابق، ص ١١٠.
وناصر خسرو: سفر نامة، نقلها إلى العربية، د. يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، ١٩٨٣، ص ١٤٢ ـ ١٤٥.
(٢٧٨) د. سهيل زكار: المرجع السابق، ص ـ ١٩٥ ـ ١٩٧.
وناصر خسرو: المرجع السابق، ص ١٤٢ ـ ١٤٥.
(٢٧٩) د. سهيل زكار: المرجع السابق، ص ـ ١٧٢.
(٢٨٠) صالح حسن اليظي: البحتري، بين نقاد عصره، دار الأندلس، ص ٧٨ ـ ١١١.
(٢٨١) حبيب حسين الحسني: مرجع سابق، ص ٢٠٩ ـ ٢١٥.
(٢٨٢) د. عبد الرحمن عطبة: مرجع سابق، ص ـ ٢٣١.
واحمد بن محمد بن الحسن الضبي (الصنوبري): الديوان، تحقيق إحسان عباس. دار الثقافة ـ بيروت ١٩٧٠.
(٢٨٣) الديوان: ـ ص ٣٤، ٣٦، ٨١، ٩٧، ١٣٥، ١٦٨، ١٧٠، ١٨٥، ١٨٩، ٢٠٩، ٣١٨، ٣٣١، ٤٤١، ٤٥٩، ٤٦٦.
(٢٨٤) الديوان: ص ـ ١٩.
والمعري: ج ـ ١، ص ـ ٦٩، ق ـ ٨، ب ـ ٦.
(٢٨٥) الديوان: ص ـ ١٤٤ ـ ١٤٨.

والمعري: ج ـ ٢، ص ١٦١، ق ـ ٧٣، ب ـ ٤٤ ـ ٤٥.

(٢٨٦) د. محمد محمد حسين: مرجع سابق.

د. طه حسين: مرجع سابق، ص ـ ٩٨، ١٥٥.

وماسينون: مرجع سابق ـ المورد ـ المجلد السادس، العدد الثالث ١٩٧٧، ص ٦١ ـ ٦٦.

وعزام: مرجع سابق، ص ٢٥٤.

(٢٨٧) الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل: مرجع سابق، ص ـ ٧٤.

(٢٨٨) الديوان: ص ٣٦ ـ ٣٨.

والمعري: ج ـ ١، ص ١٢٩، ق ـ ٢٠، ب ـ ٢٣.

(٢٨٩) الديوان: ص ـ ٣٠١.

والمعري: ج ـ ٣، ص ١٤٥، ق ـ ١٨٣، ب ـ ١ و٢.

(٢٩٠) الديوان: ص ـ ٢٧١.

والمعري: ج ـ ٣، ص ـ ٥٦، ق ـ ١٦٤، ب ـ ٢١.

(٢٩١) د. سهيل زكار: مرجع سابق، ص ـ ٣٤.

(٢٩٢) د. سهيل زكار: مرجع سابق، ص ٣٤، ٤٧ ـ ٤٨.

(٢٩٣) الديوان: ص ـ ١٣٩، ٢٧٤، ٢٨٥، ٢٩٠، ٢٩٣.

والمعري: ج ـ ٢، ص ١٤٠، ق ـ ٧١، ب ـ ٢٠، ج ـ ٣، ص ـ ٧٠، ق ـ ١٦٥، ب ـ ٢٠.

(٢٩٤) الديوان: ص ١٩، ٩٣، ١٧٠، ٢٠٥، ٢٤٨، ٢٧٤، ٢٨٩، ٣٨١، ٣٨٥، ٣٩٨، ٤١٤، ٥٠٠، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٦.

والمعري: ج ـ ١، ص ـ ٦٩، ق ـ ٨، ب ـ ٣٢ و٣٣. وص ـ ٣٢٥، ق ـ ٥٨، ب ـ ٢ و٣ و٤ و٥. و ج ـ ٢، ص ـ ٢٤١، ق ـ ١، ب ٢. وص ٣٧٧، ق ـ ١١١، ب ١ ـ ٤. وص ٥١٨، ق ـ ١٥٣، ب ٩ و ١٠. ج ـ ٣، ص ٧٠، ق ـ ١٦٥، ب ـ ٢٠. وص ١١٥، ق ـ ١٧٣، ب ـ ١٧، وص ٤٠٥، ق ـ ٢٢٥، ب ١٩ وص ٤١٩، ق ـ ٢٢٦، ب ٤٠، ص ٤٦٤، ق ـ ٢٢٩، ب ٦٢، وص ٥٢٧، ق ٢٣٥، ب ٤٦ ـ ٤٧.

وج ـ ٤، ص ٣٢، ق ـ ٢٤٤، ب ١ ـ ١٠. وص ١٥٩، ق ـ ٢٠٩، ب ـ ١ ـ ٨. وص ١٦٢ ـ ق ـ ٢٦٠ وص ١٦٧، ق ـ ٢٦٣.

ـ عارف تامر: مرجع سابق، ص ٦١. ويتحدث الأستاذ عارف تامر عن مبادىء القرامطة المغايرة طبعاً لمبادىء أبي الطيب.

(٢٩٥) ـ د. عصام السيوفي: مرجع سابق.

(٢٩٦) المقريزي: مرجع سابق، ص ١٦٧ وما بعد.

وسامي عيّاش: الإسماعيليون في المرحلة القرمطية، دار بن خلدون، ص ٧٤ و٩٣.

وعارف تامر: مرجع سابق، ص ١١٧ ـ ١٢٦.

(٢٩٧) عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت ط/٢ ـ ١٩٧٧.

(٢٩٨) عارف تامر: مرجع سابق. ص٢٠٠، دولة آل مهرويه. وهم فرس. ورغم خلافهم مع مركز الدعوة، فقد قادوا حشوداً عربية. ويقول الأستاذ عارف تامر، إن الدعوة الإسماعيلية تنبت العصبية العربية، قبل أن تصبح عالمية، ص ١٦٩.

(٢٩٩) الهمداني: مرجع سابق، ص ٢٠١، يقول الهمداني بأن ملك الروم جاء طرابلس، سنة ٣٥٨، وأخذ مائة الف شاب وشابة من الساحل، وعزم قصد بيت المقدس، فهاب القرامطة وكانوا نزلوا الشام. وجاء المستغيثون إلى بغداد، سنة ٣٦٢، وضجوا في الجامع، وكسروا المنابر، ومنعوا الخطبة، وقلعوا شبابيك دار الخليفة المطيع، وأرسل الناس وفداً إلى عز الدولة بالكوفة،ووبخوه، ص ٢١٠.

(٣٠٠) الديوان: ص-٤٢٩-٤٣٢.
والمعري: ج- ٣، ص ٥٧٩، ق- ٢٣٩، ب-٣٥.

(٣٠١) لأنه قصد ذلك، عندما قال وسوى الروم خلف ظهرك روم، يقصد الفرس والأتراك الخ.

(٣٠٢) محمد رضا: الإمام علي. دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

(٣٠٣) الديوان: ص-٢٤٨.
والمعري: ج- ٢، ص ٥١٨، ق- ١٥٣، ب- ٩ و١٣.

(٣٠٤) الديوان: ص-٩.
والمعري: ج- ١، ص ١٢، ق- ٢، ب- ٢١، و٢٤.

(٣٠٥) الديوان: ص ٤١٨ و٣٣، ٦١، ٦٤، ٦٥، ٨١، ٨٣.

(٣٠٦) السيوفي: مرجع سابق، ص-٥٠.

(٣٠٧) الأصفهاني: مرجع سابق، ص- ٦.

(٣٠٨) البديعي: مرجع سابق، ص-٢٠.

(٣٠٩) ابن خلكان: مرجع سابق، ج- ١، ص ١٢٠- ١٢٥.

(٣١٠) السيوفي: مرجع سابق، ص ٤٥٨.

(٣١١) الديوان: ص-١٣٥.
والمعري: ج- ٢، ص ١٢٤، ق- ٧٠، ب- ١٠.

(٣١٢) الديوان: ص-٨٩.
والمعري: ج- ١، ص ٣١١، ق- ٥٧، ب- ٣٣.

(٣١٣) الديوان: ص-٥٤١.
والمعري: ج- ٤، ص ٣٣٧، ق- ٢٨٤، ب- ١ و٢.

(٣١٤) الديوان: ص-٥٣٧.
والمعري: ج- ٤، ص ٣٣٧، ق- ٢٨٤، ب- ١- ٢.

(٣١٥) الديوان: ص ٥٣٨- ٤٤٢.
والمعري: ج- ٤، ص ٣٢٣، ق- ٢٨٣، ب- ١٣.

ومحمد شرارة: المتنبي، بين البطولة والاغتراب. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨١، ص ٧٠ - ٩٤.

(٣١٦) الديوان: ص-٤٤٨.

والمعري: ج - ٤، ص-٤١، ق-٢٤٦.

(٣١٧) الديوان، ص ٢٨٥ - ٢٩٤، ٣٧٩.

والمعري: ج - ٣، ص - ١٠٠، ق - ١٧١، ب - ١٨، و١٢٧، ق - ١٧٤، ب - ١٣ و٤٠٣، ق - ٢٢٤، ب - ٣.

(٣١٨) الديوان: ص-٤١٤.

والمعري: ج - ٣، ص - ٥٢٧، ق - ٢٣٥، ب - ٤٦.

(٣١٩) الديوان: ص-٢٨٩.

والمعري: ج - ٣، ص - ١١٥، ق - ١٧٣، ب - ١٧.

(٣٢٠) الديوان: ص-٣٨١.

والمعري: ج - ٣، ص ٤٠٥، ق - ٢٢٥، ب - ٨ و٩ و١٠ و١٩ - ٢٠.

(٣٢١) الديوان: ص-٤١٤.

والمعري: ج - ٣، ص-٥٢٧، ق-٢٣٥، ب-٢٩.

(٣٢٢) الديوان: ص-٤١٦.

والمعري: ج - ٣، ص-٥١٦، ق-٢٣٤، ب-١٨.

(٣٢٣) الديوان، ص ٣٨٥ - ٣٨٩.

والمعري: ج - ٣، ص ٤١٩، ق - ٢٢٦، ب - ٣٩.

(٣٢٤) الديوان: ص-٣٨٩.

والمعري: ج - ٣، ص ٤١٩، ق - ٢٢٦، ب - ٤٥.

(٣٢٥) الديوان: ص ٤٤١ - ٤٨٥.

والمعري: ج - ٤، ص ١٧ - ١٤٦، ق - ٢٤٣ - ٢٥٨.

وان كان قد ذكر المسلمين في هجاء كافور، ج - ٤، ص ١٥٨، ق - ٢٥٩، ب - ٤.

(٣٢٦) الديوان: ص ٥٣٧ - ٥٦٩.

والمعري: ج - ٤، ص ١٧ - ٢٠٢، ق - ٢٤٣ - ٢٧١.

(٣٢٧) الديوان: ص-٣٢٥.

والمعري: ج - ٤، ص ٣٢٣ - ٤١٠، ق - ٢٨٣ - ٢٩٠.

(٣٢٨) الديوان: ص-٣٤٨.

والمعري: ج - ٣، ص ٣٨٦، ق - ٢٢١.

(٣٢٩) الديوان: ص - ٩٣.

والمعري: ج - ١، ص ٣٢٥، ق - ٥٨، ب - ٤.

(٣٣٠) الديوان: ص-٥٠٢.

والمعري: ج- ٤، ص ١٥٩، ق- ٢٥٩، ب- ٤.

(٣٣١) الديوان: ص-٥٠٣.

والمعري: ج- ٤، ص-١٦٢، ق- ٢٦٠، ب- ٣.

(٣٣٢) الديوان: ص-٥٠٦.

والمعري: ج- ٤، ص-١٦٧، ق- ٢٦٣، ب ١٨ - ١٩.

(٣٣٣) الديوان: ص-٤٣٧.

والمعري: ج- ٣، ص ٥٩١، ق- ٢٤٠، ب- ٣٩.

(٣٣٤) الديوان: ص ٤٩٥.

والمعري: ج- ٤، ص ٢٣٨، ق- ٢٧٥، ب- ١٣.

(٣٣٥) أيمن محمد زكي العشماوي، قصيدة المدح عند المتنبي، دار النهضة العربية، ص ٩٩.

(٣٣٦) الديوان: ص ٣١١.

والمعري: ج- ٣، ص ١٧٥، ق- ١٨٨، ب- ١٣.

(٣٣٧) المورد، مرجع سابق، المغزى التاريخي للعروبة في شعر المتنبي، ص ٨٤.

(٣٣٨) الديوان: ص ٤١.

والمعري: ج- ١، ص ١٤٨، ق- ٢٧.

(٣٣٩) الديوان: ص ٢٠٢.

والمعري: ج- ٢، ص ٣٦٥، ق- ١١٠.

وسيدة إسماعيل كاشف: مرجع سابق، ص ١٧٧. إذ صار علي المذكور كاتباً لكافور ومرض، سنة ٣٤٧.

(٣٤٠) الديوان: ص-٢٠٩.

والمعري: ج- ٢، ص ٣٩٣، ق- ١١٣.

(٣٤١) الديوان: ص ٤٤١ - ٤٨١.

والمعري: ج- ٤، ص ١٧ - ١٤٦، ق ٢٤٣ - ٢٥٨.

وابن خلكان: مرجع سابق، ج- ٤، يراجع كافور الأخشيدي، ص ٩٩- ١٠٥.

(٣٤٢) الديوان: ص ٤٨٦ - ٤٩٨.

والمعري: ج- ٤، ص ٢٠٤ - ٢٣٤، ق ٢٧٢ - ٢٧٣.

وابن خلكان: مرجع سابق، ج- ٤، ص ٢١ - ٢٢ أبو شجاع، فاتك الرومي.

(٣٤٣) الديوان: ص-٥١٨.

والمعري: ج- ٤، ص ٢٦٠، ق- ٢٧٧.

(٣٤٤) الديوان: ص ٥٢٢ - ٥٣٦.

والمعري: ج- ٤، ص ٢٧٥ - ٣٢٢، ق- ٢٧٨ - ٢٨٢.

وابن خلكان: مرجع سابق، ج- ٥، ابن العميد، ص ١٠٣- ١١٣.

(٣٤٥) الديوان: ص ٥٣٧.

والمعري: ج- ٤، ص ٣٢٣- ٤١٠، ق ٢٨٣- ٢٩٠.

وابن خلكان: مرجع سابق.

(٣٤٦) عزام: مرجع سابق، ص ١١٢.

والهمداني: مرجع سابق، ص ١٩٧.

(٣٤٧) الديوان: ص ٤٢٩- ٤٤٠.

والمعري: ج- ٣، ص ٥٦٢- ٦٠٥، ق ٢٣٨- ٢٤٠.

(٣٤٨) الديوان: ص ٤٦٦- ٤٧٠.

والمعري: ج- ٤، ص ١٠٠، ق ٢٥٣، ب- ٤٢.

(٣٤٩) الديوان: ص ٥٣٨.

والمعري: ج- ٤، ص ٣٢٣، ق- ٢٨٣، ب- ٢١.

(٣٥٠) قدامة بن جعفر: مرجع سابق، ٩٥- ١١٣.

وابن رشيق: مرجع سابق، ج -٢ باب ٧٤، ص ١٢٨ -١٤٣.

(٣٥١) د. مصطفى الشكعة: مرجع سابق ص ٤٧٣، ٤٧٤.

وابن خلكان: مرجع سابق، ج- ٤، ص ٥٠- ٥٥، وج- ٨- الفهرس، ص ١٦١، حيث توجد إشارات، حول عضد الدولة، في الأجزاء الأخرى.

والوزير أبو شجاع محمد بن الحسين، الملقب ظهير الدين الروذراوري، تجارب الأمم، الجزء الثالث، ص ٣٩.

(٣٥٢) الديوان: ص ١٩.

والمعري: ج - ١، ص ٦٩، ق - ٨.

(٢٥٣) الديوان: ص ١٩.

والمعري: ج - ١، ص ٦٩، ق - ٨، ب - ٣٢ و٣٣.

(٢٥٤) الديوان: ص ٢٤٨.

والمعري: ج - ٢، ص ٥١٨، ق - ١٥٣، ب - ٩.

(٣٥٥) خير الله سعيد: مرجع سابق، ص ١٣٩ - ١٦١.

ومحمد جميل شلش: الحماسة في شعر الشريف الرضي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والمكتبة العالمية. ط/٢. سنة ١٩٨٥، ص ٧٢ - «قال الخوانساري»، كان يوماً - يعني الشريف الرضي - عند الخليفة الطائع لله العباسي، وهو يعبث بلحيته، ويرفعها إلى أنفه. فقال له الطائع: «أظنك تشم منها رائحة الخلافة». فقال: «بل رائحة النبوة» ﷺ ٧٢.

(٣٥٦) الجبوري: مرجع سابق، ص ٢٠.

والبديعي: مرجع سابق، ص ٥٩.

(٣٥٧) الديوان: ص ١٤، ١٩، ٣٤، ٣٦، ٥١، ٥٥، ١٧٤، ١٩٨، ٢٠٩، ٢٤٨، ٥٠٩.

(٣٥٨) المسعودي: مروج الذهب، دار الأندلس، الطبعة/٤، المجلد الرابع ص ٨٤ ـ ٨٥. ويذكر المسعودي: علي بن محمد الطالبي، وكيف ركب وعليه ممطر «والسماء صاحية، والشمس طالعة»، «وقد عقد ذنب دابته، فعجبت من فعله، فلم يكن بعد ذلك إلا هنيهة، حتى جاءت سحابة، فأرخت عزاليها». ويقارن ذلك وأمثاله، بما روي عن أبي الطيب.

ويراجع المعري: رسالة الغفران ص ١٢٩ و١٣١.

والبديعي: مرجع سابق، ص ٦٦ ـ ٦٧.

(٣٥٩) عزام: مرجع سابق، ص ٥٣ ـ ٦٦.

(٣٦٠) الديوان: ص ١٤.

والمعري: ج ـ ١، ص ـ ٤٠، ق ـ ٤، ب ـ ٤.

(٣٦١) الديوان: ص ١٩.

والمعري: ج ـ ١، ص ـ ٦٩، ق ـ ٨، ب ـ ٣٤.

(٣٦٢) الديوان: ص ٤٠.

والمعري: ج ـ ١، ص ـ ١٤٥، ق ـ ٢٣.

(٣٦٣) الديوان: ص ٥٠٣.

والمعري: ج ـ ٤، ص ـ ١٦٢، ق ـ ٢٦٠، ب ـ ٣.

(٣٦٤) الديوان: ص ١٠١.

والمعري: ج ـ١، ص ـ ٣٥٦، ق ـ ٦٠، ب ـ ٣.

(٣٦٥) الديوان، ١٠١.

والمعري: ج ـ ١، ص ـ ٣٥٦، ق ـ ٦٠، ب ـ ٣.

(٣٦٦) الديوان: ص ٢٨٩.

والمعري: ج ـ ٣، ص ـ ١١٥، ق ـ ١٧٣، ب ـ ٣٧.

(٣٦٧) الديوان: ص ١٧٤.

والمعري: ج ـ ٢، ص ـ ٢٥٦، ق ـ ١٠١، ب ـ ٢٨.

(٣٦٨) الديوان: ص ٤٩٥.

والمعري: ج ـ ٤، ص ـ ٢٣٨، ق ـ ٢٧٥، ب ـ ٢٣ و٢٤.

(٣٦٩) الديوان: ص ٤٧٤.

والمعري: ج ـ ٤، ص ـ ١٢٢، ق ـ ٢٥٥، ب ـ ٧.

القسم الثاني

في نقد شعره

١ ـ أبو الطيب: والعودة إلى شعره.

وها نحن اليوم، نعود إلى شعر أبي الطيب. فلماذا نفعل ذلك، رغم مرور حوالى ألف عام على وفاته؟. وماذا سنقول بعد كل الذين درسوه في القديم والحديث، وهم كثر، كما ذكرنا، وما زالوا يتزايدون.

إنّه الشعر الحي الخالد، منذ أطلقه صاحبه. ولا يمر جيل، إلّا ويقتنع بحيويته وخلوده. ولهذا سار به الرواة في الأرجاء، كما لم يحدث مع شعر آخر[١]. وأكبّ عليه الدارسون، كما لم يُكبّوا على شعر آخر في القديم والحديث. ومازال يحث المعنيين على قراءته ودراسته[٢].

وكان أبو الطيب يعرف ذلك، ولذلك عبّر عنه بأكثر من طريقة، ومن ذلك:

أنا الذي نَظَر الأَعْمى إلى أَدَبي ... وأَسْمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بِهِ صَمَمُ[٣]

أنامُ مِلْءَ جُفوني عَن شَوارِدِها ... وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرَّاها وَيَخْتَصِمُ

وأكد المعنى ثانية بقوله:

وَما الدهرُ إلّا من رُواة قَصائدي ... إذا قُلْتُ شِعْراً أَصْبَح الدَهْرُ مُنْشِدا[٤]

فَسارَ بِهِ مَنْ لَا يَسيرُ مُشمِّراً ... وَغنىّ بِهِ مَنْ لَا يُغني مُغرِّدا

ولقد مرت الأيام، فَأَكّدت نبوءة أبي الطيب، كما لم يحلم بها. وظلّ شعره شاغل الدارسين والباحثين، وهدف الرواة، ومحل اهتمام جمهور واسع من السامعين[٥].

وفي كل جيل، كان شعره يتجدد مع الدارس والباحث والراوي والسامع. لأن في شعر أبي الطيب قوة تجعله يتجاوز عصره إلى كل العصور. وهذه القوة تجعل شعر المناسبة شعراً لكل المناسبات المماثلة، وصرخة اللحظة صرخة لكل

اللحظات المشابهة. إنه الشعر الذي يطلقه فارس مجروح من أعماق نفسه، فَيُغْني الملايين من قرن إلى قرن، عن كتابة شعر بديل، ويصبح لسان حال كل فارس مجروح، وكل إنسان يبحث عن الفروسية والحرية.

وزاد من أهمية شعر أبي الطيب، خلال العصور المتعاقبة ما يلي:

أولاً: تفاقم سيطرة العجم، من السلاجقة إلى العثمانيين. وكان تفاقم سلطة العجم، يزيد مذلة العرب وهوانهم.

ثانياً: تفاقم سلطة الخدم. ففي ظل انهيار سلطة الخلافة المركزية، وبروز متسلطين، قامت دول الخدم، وما رافق وجودها من ظلم واستبداد وجهل.

ثالثاً: انتشار الجهل، وتدهور وضع اللغة العربية.

وقاد ذلك كله إلى زيادة شعر أبي الطيب إشراقاً، لأنه عبّر عن روح المواجهة مع دولة العجم والخدم، ورفض المذلة والهوان. ولأنه قدّم هذه المواجهة بصيغ شعرية عربية، جعلت أبا العلاء، وهو عالم اللغة الذي لا يشق له غبار، يسمّي ديوان أبي الطيب «معجز احمد»[٦].

وعندما بدأت بشائر ما يسمّى عصر النهضة، وعلت رايات المقاومة ضد كل أشكال الاحتلال، وتعالت صيحات الحرية، أشرق شعر أبي الطيب إشراقة جديدة، لأن الإرادة القومية العربية، تبلورت تبلوراً ينسجم مع سمات عصر القومية. ولأن قضية الحرية، بكل معانيها الفردية والجماعية، اتخذت أبعادها المعاصرة.

وكان من أول أعمال الرواد الأوائل شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، كما فعل البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣)، واليازجي (١٨٠٠ - ١٨٧١)[٧].

وعاش أبو الطيب معنا، منذ إرهاصات عصر النهضة. عاش التطلعات والانكسارات، كما لم يعشها أحد من شعراء العرب، من الجاهلية حتى الآن.

وتجلى ذلك في شروح الديوان الجديدة[٨]، وطبع الشروح القديمة، وكل ما له علاقة بأبي الطيب من الأعمال[٩]. كما تجلى في الدراسات التاريخية والأدبية والنقدية التي كتبت عن أبي الطيب[١٠]، وفي الاحتفالات التي أقيمت له[١١]، وفي الأعداد الخاصة التي صدرت عنه[١٢].

ومازال تناول أبي الطيب يتسع ويتعمق[١٣].

نحن إذن أمام نص شعري يزداد أهمية، ويزداد غنى، مع مرور الأيام. وأنه يعيش معنا، لا لأننا نعود إلى الماضي، ونهوى من ابداعاته شعر أبي الطيب، بل لأن في النص قوّة وحياة، تجعله معاصراً ، وحتى راهناً.

٢ ـ أبو الطيب ونقده:

درس أبو الطيب في القديم والحديث، كما لم يدرس شاعر عربي آخر. وهو ما يستدعي أن يتساءل المتسائلون، وماذا يعني المزيد من الدراسة والنقد؟.

إن ذلك يعني أن نص أبي الطيب مازال بحاجة إلى إضاءة واكتشاف، لقدرته على مواكبة الزمن، والتجدد مع الأيام. كما يعني أننا مازلنا نرى أن النقد والدراسة في القديم والحديث، لم يُعطيا الرجل حقه، ولا أعطيا شعره العظيم حقه.

والنص، من وجهة نظرنا، يظل أغنى من الدراسة والنقد. لأن دراسة نص ونقده، ما هما إلاّ هوامش له، وانطباعات عنه، وملاحظات عليه. وهذا هو شأن الدراسة عن الإنسان أو الشجرة، أو الحيوان الخ.. وفي النص، أو الأصل، حياة لا تمتلكها الدراسة، أو يمتلكها النقد. ولذلك يظل النص موضوع النقد، ويظل في النص مادة جديدة للباحثين والدارسين. وهي في النص الأدبي أغنى منها في المادة العضوية، لأن النص الأدبي ابداع.

وتزداد قدرتنا على اكتشاف أبعاد النص، بمقدار ما تزداد قدرتنا على التناغم مع ما يَطْرح ويُوحي، وبمقدار ما نكون بحاجة لمثل هذا التناغم، بسبب الحاجة الاجتماعية والنفسية.

وفي النص، إلى جانب ذلك، بعد آخر، يتعلق بالأداء، أي بالطاقة التعبيرية. والقدرة على التناغم مع الأداء، والتفاعل مع شحنات الكلمات والجمل والنص كله، واكتشاف علاقاتها في تداخلها وتكاملها، وتجاورها وتنافرها، يعطي النص أبعاداً جديدة حقيقية.

ولذلك يستطيع كل دارس جاد، أن يكتشف في النص بُعْداً لم يكتشفه غيره.

وكلما تطور الوعي السياسي والعلمي والفني، وامتلكنا قدرة أكبر على التحليل، ومناهج علمية أشمل وأدق، كلما كنا أقدر على اكتشاف كنوز جديدة في النصوص السياسية والتاريخية والأدبية موضوع الدراسة.

ودارس الدراسات والأعمال التي تناولت أبي الطيب، في القديم والحديث، يلمس أن النقد قصّر عن اللحاق بالنص، وأن الدراسات مازات دون أن تفي بالغرض.

أ ـ الانقسام حوله:

ففي القديم: انقسم الناس حول أبي الطيب إلى ثلاث فئات:
الأولى: فئة مناصريه، والثانية، فئة معاديه، والثالثة: فئة القضاة العدول.

وإذا كان مناصروه كثراً، فإن أعداءه لم يكونوا قلة. وأشار القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (٢٩٠ ـ ٣٦٦) إلى الفريقين، الأول فئة مناصريه «من مُطْنب في تقريظه، منقطع إليه بجملته، منحط في هواه بلسانه وقلبه، يلتقي مناقبه إذا ذكرت بالتعظيم، ويشيع محاسنه، إذا حكيت بالتفخيم، ويعجب ويعيد ويكرر، ويميل على من عابه بالزراية والتقصير، ويتناول من ينقصه بالاستحقار والتجهيل، فإن عثر على بيت مختل النظام، أو نبّه على لفظ ناقص عن التمام، التزم من نصرة خطئه، وتحسين زلله، ما يزيله عن موقف المعتذر، ويتجاوز به مقام المنتصر». والثانية: فئة مُعادية، من «عائب يروم إزالته عن رتبته، فلم يُسلِّم له فضله، ويحاول حطه عن منزلة بوأه اياها أدبه، فهو يجتهد في إخفاء فضائله، وإظهار معايبه، وتتبع سقطاته، وإذاعة غفلاته».

ويضيف الجرجاني: «وكل الفريقين أما ظالم له، أو للأدب فيه»[١٤].
والجرجاني خير من يمثل الفئة الثالثة التي حاولت أن تبيّن ما للرجل، وما عليه[١٥].

ب ـ ماقام به مناصروه:

فإذا ما درسنا أعمال مناصري أبي الطيب، اكتشفنا ما يلي:

أولاً: إنهم لم يكشفوا غوامض حياته، وزادوا ماغمض منها غموضاً، وعلى رأس هؤلاء ابن جني[١٦].

ثانياً: أنهم لم يستطيعوا تقديم شعره تقديماً نقدياً يليق به، واكتفوا بالتعصب له، والدفاع عنه، أمام هجمات المغرضين. «ولم تكن الوسائل النقدية عند الأنصار، قد تطورت بما يناسب الجدة التي طلع بها المتنبي على الناس، فاكتفوا إمّا بتصوير الإعجاب المشدوه، أو تفسير المعاني، أو الدوران حول حسن الابتداء، وحسن التخلص، وما أشبه من الأمور الشكلية»[١٧].

ومع ذلك، فيمكن أن نذكر لمُناصريه أمرين:

الأول: أنهم أسسوا الحلقات لدراسة شعره، وأنهم بذلك ساعدوا على حفظ هذا الشعر، وانتشاره وفهمه.

الثاني: أن بعضهم قدم شروحاً مهمة، مثل ابن جني وأبي العلاء، مازالت مراجع أساسية لدراسته، وفهم كلماته ومعانيه[١٨].

ولكن ما يذكر لهم، لا ينفي ما يأخذه عليهم الدارسون الجادون، في «أن المنهج الذي عالج به القدامى ما أحسوه من تفرد شعر المتنبي، كان قاصراً، فلم يتجاوز ملاحظة الظواهر الشكلية التي لا تمثل بحال من الأحوال الهدف النهائي لشعر الشاعر»[١٩].

ويعود فشل القدماء في فهم إبداع أبي الطيب، إلى الأسباب التالية:

١ ـ إلى أنهم اهتموا بقواعد اللغة، والاستخدام المعجمي للكلمات، باعتبارهم نحاة ولغويين أساساً[٢٠].

٢ ـ إلى أنهم نظروا للصور الجزئية في شطر أو بيت، ولم ينظروا نظرة شاملة للقصيدة، وبنيتها اللغوية والفنية والموسيقية. ولقد اكتفوا بابداء الإعجاب أو الاستحسان، دون إبداء أسباب ذلك في معظم الأحيان[٢١].

٣ ـ وإلى أنهم لم يُحَكِّموا قواعد نقدية منهجية، تدرس بنية الشعر ومستوى الأداء.

ومال مناصرو أبي الطيب، إلى البحث عن المبررات لكل ما أخذ عليه[٢٢].

وينحو معادوه نهجاً معاكساً. فقد استهدفوا: «تحطيم شعر المتنبي، انتقاماً من شخصه وتعاظمه وتعاليه».. «وكان أكثر همهم منصرفاً إلى التأكيد على أن شعره «مرقعة» مصنوعة من معاني الآخرين»[٢٣]، واشتد اللجاج لدى معاديه، حتى: «أن الأدانة كانت عندهم، تسبق الفهم والتبرير»[٢٤].

جـ ـ مآخذ خصومه:

وانحصرت مآخذ خصومه في التالي:

أولاً: المآخذ اللغوية[٢٥]. ويتناول هذا الباب «استعمال كلمات لا أصل لها في اللغة، مثل كلمة مخشلب التي وردت في بيت أبي الطيب.

بَيـاضُ وَجْـهٍ يُـريـكَ ٱلشمس حَـالِكـةً وَدرُّ لَفْظٍ يُـريـك ٱلـدرَّ مُخْشلبـا[٢٥]

والمخشلب الخزف أو الزجاج المتكسر، والمخشلب والمشخلب لغتان للنبط. ويرى أبو الطيب أن العجاج استخدمها في شعره[٢٦].

وهناك كلمة لدن التي وردت في البيت:

فَـأرْحـامُ شِـعْـرٍ يَتّـصـلنَ لَـدُنّـه وأَرْحـامُ مـالٍ مَـا تني تَتَقـطّعُ[٢٧]

وللدن صيغ متعددة، وقيل إنها بلغت إحدى عشرة، وليس فيها لدّن بالتشديد[٢٨].

وهناك كلمات محدودة أخرى جرى النقاش طويلاً حولها[٢٩].

ثانياً: المآخذ النحوية، وتتلخص في الأبواب التالية:

١ ـ النصب بأن المحذوفة. ٢ ـ اعمال لا العاملة عمل ليس في المعارف. ٣ ـ الفصل بين المتضايفين. ٤ ـ العطف على ضمير الرفع المتصل. ٥ ـ منع صرف المنصرف ضرورة. ٦ ـ نداء ما فيه ال[٣٠].

ثالثاً: المآخذ الأخرى. ومن ذلك:

١ ـ إستعمال الكلمات الغريبة[٣١]، مثل استخدام كلمة جَفَخت، مثلاً.

٢ ـ إستخدام حروف الصلات[٣٢]، مثل:

(١) وَتُسْعِـدني فِي غَمْـرَةٍ بَعْـدَ غَمْـرَةٍ سَبـوحٌ لَهـا مِنْهـا عَليهـا شَـواهِـدُ[٣٣]

٣ ـ إستخدام الفاظ المتصوفة[٣٤]، مثل:

(٢) كَـبُـر آلـعـيـانُ عَـليّ حَـتّـى أَنّـه صـارَ اليقينُ مِن آلعَيـانِ تَـوَهُّمـا[٣٥]

٤ ـ الإكثار من استخدام ذا الإشارية[٣٦]. ومن ذلك:

لَـوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا آلورى الـذي مِنْـكَ هُـوْ عَـقِمـت بِمَـوْلِـد نَـسْـلِهـا حَـوّاءُ[٣٧]

٥ ـ إستخدام كلمات غير شعرية[٣٨]، مثل:

(٣) خَفِ آللهَ وآستُـرْ ذَا آلجَمالَ بِبَـرْقُـعٍ فإنْ لُحْتَ حَاضَتْ فِي آلخُدورِ العَواتِقُ[٣٩]

٦ ـ إختلاف النسج[٤٠] إذ يأتي، كما يقول الصاحب بن عباد، «بالفقرة الغراء مشفوعة بالكلمة العوراء». ومن ذلك المطلع:

أَتَـراهـا لِـكَـثْـرَة آلـعُـشّـاقِ تَحْسَبُ آلـدَمْـعَ خِلقـةً في آلمـآقي[٤١]

وهو بيت ما سُمع بمثله، كما يقول القدماء، ولكنه اردف بالبيت التالي:

(٤) كَيْفَ تَـرْثِي آلتي تَـرى كَـلَّ جَفْـنٍ راءَهـا غـيـر جَفْـنِهـا غـيـر راقـي[٤٢]

٧ ـ ترديد الألفاظ لغير علة جمالية[٤٣]. ومن ذلك:

(٥) فَقَلْقَلْتُ بـالهمِّ الـذي قَلْقَـلَ آلحَشـا قـلاقـلُ عِـيْسى كُـلّهـن قَـلاقِـل[٤٤]

٨ ـ التعقيد[٤٥]. ومن ذلك:

(٦) فَـتَبـيتُ تُـسْئِـدُ مُسْئِـداً فـي نَيِّـهـا إسئـادَهـا في المَـهْمَـه الأنـضـاءُ[٤٦]

أي كلما قطعت الأرض قطعت الأرض شحمها.

وهناك شبه إجماع، على أن معاديه اشتغلوا بمخاصمته أكثر مما حاولوا فهمه[٤٧]. وأنهم تشددوا في موقفهم من جوازاته[٤٨].

ويلاحظ في معاديه، أنهم كانوا بلا منهج، مثل مناصريه، ولذلك فإنهم:

١ ـ لم يدرسوه دراسة شاملة، ولم ينظروا إلى قصائده نظرة ناقد يدرس وحدة

فنية. ولذلك طرحوا ملاحظات متناثرة، كما رأينا في اللغة والنحو والأسلوب والمعاني، دون أي رابط، غير استعجال العداء.

٢ ـ لم يحترموا انتسابه لمدرسة الكوفة التي تجيز في اللغة ما لا تجيزه مدرسة البصرة[٤٩]. ولذلك اخذوا عليه كل ما يجد تبريراً له في مدرسته، «وكان أبو الطيب، في ما يذكر الرواة من أخباره، يميل إلى تغليب الاستعمال على القواعد»[٥٠].

٣ ـ لم يراعوا معرفته باللغة وأسرارها، مع أنهم يعرفون مقدار معرفته وعلمه، الذي شهد به الأصدقاء والأعداء[٥١].

٤ ـ لم يتقيدوا بقواعد الحوار الأدبي، ولم يرفعوا سوية النقد بأقوالهم وأفعالهم.

ويعود ذلك، إلى أن أبرز معاديه، كالصاحب بن عباد وابن حجاج (ـ ٣٨٨، او ٣٩١ ـ ١٠٠١م)، وابن لنكنك (ـ ٤٤٠)، والحاتمي (ـ ٣٨٨)، كانوا من موظفي الدولة البويهية، وكانوا مدفوعين بحقد البويهيين على أبي الطيب لموقفه من العجم، وعلاقته بسيف الدولة[٥٢].

ويفاخر الحاتمي، بأنه شن حملته بطلب من المهلبي[٥٣].

ويهدي أبو القاسم عبدالله بن عبد الرحمن الأصفهاني كتابه إلى بهاء الدولة بن بويه (٣٦٠ ـ ٤٠٣)، (٩٧١ ـ ١٠١٢). ويشير أبو القاسم إلى أنه ألف كتابه، واتخذه «قربة وازدلافاً إلى الباب المعمور»[٥٤].

ورغم الحملات المنظمة، والدسائس المحكمة، فإن معادي أبي الطيب، لم يفلحوا في إخماد ذكره، وتسخيف شعره، وظل ابرز الشعراء العرب، بلا منازع.

د ـ موقف العدول:

ولقد حاول «القضاة العدول»، أن يناقشوا شعره مناقشة هادئة، وأن يخففوا غلواء المناصرين والمعادين.

وكان أبرز هؤلاء القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (٢٩٠ ـ ٣٦٦) الذي ولّاه الصاحب بن عباد قضاء الري[٥٥]. ورغم موقف الصاحب المعادي لأبي الطيب، فإن الجرجاني ألف هذا الكتاب المنصف.

وتناول الجرجاني ما اعتبر عيوب شعر أبي الطيب، فأقر بوجود عيوب: «من غلط ولحن واختلال وإحالة وتعسف وغثاثة وركاكة وإفراط في الاستعارة، وإكثار لذا الأشارية، وتعقيد في التركيب» الخ[٥٦]. ولكنه، ورغم ذلك، حاول أن يناقش هذه العيوب، من منطلقين:

الأول: أن البشر، لا يطالب بما ليس في طبع البشر «والخلقة مبنية على السهو، وممزوجة بالنسيان»، وعليه، يقول الجرجاني: «وأي عالم سمعت به، ولم يزلَّ ويغلط، أو شاعر انتهى إليك ذكره لم يهفُ ولم يسقط»[٥٧].

إلّا أن هذا لا ينفي وجود تفوق، كما يرى الجرجاني، فيقول: «وللفضل آثار ظاهرة، وللتندم شواهد صادقة، فمتى وجدت تلك الآثار، وشوهدت هذه الشواهد، فصاحبها فاضل متقدم، فإن عثر له من بعد على زلة، ووجدت له بِعقْب الإحسان هفوة، ابتحل له عُذْر صادق، أو رخصة سائغة، فإن اعوز قيل: زلة عالم، وقلّ من خلا منها، وأي الرجال المهذب»[٥٨].

الخطأ إذن في الطبيعة البشرية، وليس حكراً على أبي الطيب. وضرب الجرجاني أمثلة من أغاليط الشعراء[٥٩]. وما لبث أن توجه إلى الراوي المتعتب قائلاً له: «خبّرني عمّن تعظمه من أوائل الشعراء، ومن تفتتح به طبقات المحدثين، هل خلص لك شعر أحدهم من شائبة، وصفا من كدر ومعابة؟. وما دام الأمر كذلك، فإن أبا الطيب: «واحد من الجملة، فكيف خص بالظلم من بينها، ورجل من الجماعة، فلمَ أفرد بالحيف دونها»[٦٠].

وبعد أن عرض الجرجاني آراء معادي أبي الطيب وناقديه عَرْض الناقل الأمين: «كر على هذه الآراء، محاولاً إبطالها أو التشكيك فيها»[٦١]. ويرفض الجرجاني أن يجاري المعادين والناقدين، في اعتبار: «كل ما عابوه معيباً»، وإن كان: «يقر بأن كثيراً مما عابوه ساقط عن الاختيار غير لاحق بالإحسان». ومع ذلك، فإن الجرجاني،

يرفض «مسلك هؤلاء الخصوم، انكاراً جماً، فيتهمهم بالبعد عن النصفة، والميل عن العدل»[٦٢].

وتناول الجرجاني موضوع اتهام أبي الطيب بالسرقة[٦٣]. فأفرد له قسماً مهماً من الكتاب[٦٤]، ناقش فيه موضوع السرقة عامة. وقادته المناقشة إلى تأكيد ما يلي:

١ ـ أن: «السرق ـ أيدك الله، داء قديم، وعيب عتيق، ومازال الشاعر يستعين بخاطر الآخر، ويستمد من قريحته، ويعتمد على معناه ولفظه..».

٢ ـ أن «أهل عصرنا، ثم العصر الذي بعدنا، أقرب فيه إلى المعذرة، وأبعد عن المذمة، لأن من تقدمنا استغرق المعاني، وسبق إليها».

٣ ـ أن الواحد منا، متى أجهد نفسه: «وأعمل فكره، وأتعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى يظنه غريباً مبتدعاً، ونظم بيت يحسبه فرداً مخترعاً، ثم تصفح عنه الدواوين لم يخطئه أن يجده بعينه، أو يجد له مثالاً يغض من حسنه». ويضيف الجرجاني، بعد ذلك: «ولهذا السبب أحظر على نفسي، ولا أرى لغيري بت الحكم على شاعر بالسرقة»[٦٥].

ونبه الجرجاني، بعد ذلك، إلى وجود معان مشتركة[٦٦] لا يجوز اتهام من يستخدمها بالسرقة. كما بين أن الفصل في موضوع السرقات «لا ينهض به إلّا الناقد البصير والعالم المبرز» «وجهابذة الكلام، ونقاد الشعر»[٦٧].

ثم ناقش الجرجاني، بعد ذلك، «سرقات أبي الطيب»، منطلقاً من هذه الأسس[٦٨].

ولعل ابرز ما في الوساطة النماذج التي يقدمها الجرجاني لإبراز تفوق أبي الطيب وإبداعه. وقد عقد هنا مقارنات مفيدة وبارعة لإظهار تفوق أبي الطيب[٦٩].

وخير ما نختم به حديثنا عن الوساطة، ما قاله الجرجاني نفسه، ملخصاً به موقفه من أبي الطيب: «وليس من شرائط النصفة أن تنعى على أبي الطيب بيتاً شذّ، وكلمة ندرت، وقصيدة لم يسعده فيها طبعه، ولفظة قصرت عنها عنايته، وتنسى محاسنه، وقد ملأت الأسماع، وروائعه وقد بهرت»[٧٠].

إلّا أن هذا الجهد الكبير الذي بذله الجرجاني، والذي اتسم بالأمانة والعلم والذوق وفهم الشعر، ظل ناقصاً. لأن هذا القاضي العالم الناقد الأمين الرزين، لم يحاول أن يبين لنا أسباب تفوق أبي الطيب، وسر عظمته، ولم يبذل أي جهد لإبراز سمات شعره، ومعالم إبداعه[٧١].

هـ ـ استمرار الاهتمام بأبي الطيب:

واستمر الاهتمام بأبي الطيب، بعد القرن الرابع، وان كان الاهتمام، بعد القرن الرابع قد تحوّل لمصلحة أبي الطيب. ذلك أن الدولة البويهية، قد إنتهت سنة ٤٤٧، وكانت دولة كافور، قد انتهت بغزو الفاطميين مصر، سنة ٣٥٨.

وكانت خريطة الصراعات السياسية قد اختلفت، بوصول الفاطميين إلى السلطة في مصر، وأجزاء من الجزيرة العربية والشام.

أما شعر أبي الطيب، فقد ظل موضع اهتمام كبير. وإذا كان المعادون قد ذهبوا أدراج الرياح، فإن المعجبين قد زادوا، والمناصرين قد خلا لهم الميدان.

وكان الاهتمام يتخذ السبل التالية:

١ ـ تأليف المزيد من الشروح، فمن ابن جني (٣٣٠ ـ ٣٩٢)[٧٢]، إلى أبي العلاء المعري، (٣٦٣ ـ ٤٤٩)[٧٣]، إلى أبي الحسن علي بن احمد الواحدي (ـ ٤٦٨) (ـ ١٠٧٥)[٧٤]، إلى أبي القاسم إبراهيم بن محمد الزهري، المعروف بابن الإفليلي (٣٥٢ ـ ٤٤١)[٧٥]، إلى أبي البقاء العكبري (٥٣٨ ـ ٦١٦)[٧٦]، إلى ابن المستوفي (٥٦٤ ـ ٦٣٧) (ـ ١٢٣٩)[٧٧].

ورغم كثرة هذه الشروح، وتواليها عبر القرون، فإنها اهتمت بشرح معاني الكلمات، وخاصة الغريبة، وبالإعراب، وتفسير الجمل المعقدة، ومعاني الأبيات، وإجراء مقارنات بين معاني الشعراء. كما اهتمت بإبداء ملاحظات عروضية، عند الضرورة. وقد اعتمد اللاحق من الشراح على السابق. وهذا شأن المعري، مع ابن جني وابن فورجة[٧٨]. وهذا العكبري يقول: «وجمعت كتابي هذا من اقاويل شراحه الاعلام، معتمداً على قول إمام القوم المقدم فيه، الموضح لمعانيه، المقدم في علم

البيان، أبي الفتح عثمان. وقول إمام الأدباء، وقدوة الشعراء احمد بن سليمان أبي العلاء، وقول الفاضل اللبيب، إمام كل أديب، أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب. وقول الإمام الأرشد، ذي الرأي المسدد، أبي الحسن علي بن احمد،وقول جماعة. . الخ». [٧٩].

وهذا ما يقوله ابن المستوفي، وما يفعله[٨٠].

و ـ السمات الغالبة على الشروح:

وتتسم هذه الشروح جميعاً بما يلي:

أ — شرح كل القصائد المرتبة حسب التواريخ، كما فعل المعري، أو حسب القافية، وحسب الترتيب الأبجدي، كما فعل ابن جني والعكبري. ولم تفرق هذه الشروح بين قصيدة وقصيدة، من حيث المستوى، ولا بين بيت وبيت. ولقد جرت العناية بأبيات، وأهملت أبيات تماماً، دون وجود قاعدة محددة.

ب — تناول النصوص بطريقة واحدة، تبدأ من تفسير الكلمات الصعبة، أو ما سمي الغريب، ثم تفسير الجمل والأفكار المعقدة، ثم بسط المعنى الذي يحمله البيت. وقد يجري الاهتمام هنا وهناك بنواح بلاغية. وهذا أوضح ما يكون عند ابن الإفليلي.

ج — إعراب بعض الكلمات والجمل.

د — الاستشهاد بأبيات من الشعر لمقارنة استخدام كلمة بكلمة، أو معنى بمعنى، ولإظهار مدى أخذ شاعر من آخر، ومدى التقصير عنه، أو التفوق عليه.

هـ — إيراد وجهات النظر السابقة، حول أي من القضايا التي يطرحها البيت، ولكن دون الالتزام بقاعدة. وإن كان ابن الإفليلي، مثلاً، لا يفعل ذلك.

و — إبداء ما يشاء الشارح من ملاحظات، كأن يقول هذه مبالغة[٨١]، أو كذب ظاهر[٨٢]، أو من أحسن الكلام[٨٣]، أو لا يليق، وفيه سماجة، أو من بدائع القصيدة ولطائف أبي الطيب[٨٤].

ولا يحاول أي شرح من الشروح، أن يستخلص ملاحظات عامة، حول شعر

أبي الطيب، وفي أي ميدان من الميادين، سواء كان ذلك في اللغة، أو الموسيقى، أو التصوير الفني، أو الموقف الإنساني. ويترك الشراح كل القضايا التي يثيرها أبو الطيب في مخاطبة الملوك والناس بلا تفسير علمي، ويُكتفى عادة بإشارات مثل، يتجاسر[٨٥]، أو «من بعض حمقه في صباه»[٨٦]، أو «هذا لا يقوله مجنون»[٨٧]، أو «ولو أراد ذلك» لكان من سوء أدبه[٨٨]، وهكذا. ونستطيع أن نقول أن هذه الشروح، تحوي مادة لغوية ونحوية وإيضاحات للمعاني، وأشكالاً من الاستحسان أو الاستكراه، ولكنها لا تحوي تقديماً للشعر، وتعرفاً على سماته، وأسرار قوته، ونقاط ضعفه.

ويبدو أن الهدف الرئيس لهذه الشروح، هو وضع شعر أبي الطيب بين أيدي الناس، وتركه في أيديهم، يدرسونه، فيتفاعلون معه. وهو هدف كبير، على كل حال.

٢ ـ تأليف ردود على الشروح، أو شروح لما أشكل من شعر أبي الطيب، أو بيان ما يسمى سرقاته. وكان أشهر الردود ردود الوحيد البغدادي (. . . ـ ٣٨٥) (. . . ـ ٩٩٥)[٨٩]، وابن فورجة[٩٠] على ابن جني.

ومن المؤسف ألاّ يكون شرح الوحيد البغدادي في ايدينا[٩١]. لأن الوحيد عاصر أبا الطيب، وكان في مصر حين كان أبو الطيب فيها. ولكن ما وصلنا من شرح الوحيد، يدل على أمرين:

الأول: إن ابن جني الذي تولى الدفاع عن أبي الطيب، قد أساء له كثيراً، لأن ابن جني نحوي «وليس نقد الشعر من صناعة النحو»[٩٢]. وكما أن الوحيد يرفض تزكية ابن جني أبا الطيب في خلقه دليلاً على سموه مكانته في الشعر، ويرى: «أن ليس لذكر الأخلاق هنا من معنى[٩٣]. وينكر الوحيد على ابن جني تسمية تطاول ابي الطيب على ممدوحيه تجاسراً[٩٤].

الثاني: أن أبا الطيب شاعر له حسناته وسيئاته. وأما حسناته فهي أنه «شاعر عزيز، طويل النفس، قوي المنة، جزل الكلام، يذهب إلى المبالغة في المعاني»، وبالمقابل، فهناك عيوبه، وهي أنه: «كثير الاسترسال، قليل النَقْح للكلام، يأتي كثيراً

بأفعال الاعراب، ويترك وجوهه، ويستعمل الرذلى من اللغة، ويدع الفصحى، ويدخل الغريب الوحشي في شعره، ويكرر المعاني مجاورة للأبيات، ويغمض المعاني بنقصان العبارة إغماضاً يحوج إلى الشرح الطويل، وهو عيب فاحش»[٩٥]. وعاب عليه أيضاً استخدام الفاظ الصوفية والفلاسفة، والتبدي، وعدم معرفة اقدار الناس، و عدم التفريق بين الملوك والسوقة[٩٦].

وهكذا، فإن الوحيد الذي وعد أن يأخذ من أمر أبي الطيب بالعدل، وأن يتوخى الحق، ويضع الميزان له وعليه بالقسط، وأن يرد عليه ما ضيعه ابن جني من حقوقه، وأن يستوفي منه، «ما أهل له نفسه من العلو في هذه الصناعة»، لم يفعل. فالوحيد على علاقة بابن خنزابة: جعفر بن الفضل بن جعفر ابن الفرات (٣٠٨ ـ ٣٩١)، ولم يرضه إعراض أبي الطيب عنه.

وكان الوحيد مطلعاً على ما يدور حول أبي الطيب من المؤامرات، ولكنه، أي الوحيد، لم يخبر أبا الطيب، لأنه خشي على نفسه الهلاك، كما يقول[٩٧].

وإذا كان الوحيد لم يتساهل مع أبي الطيب[٩٨]، فإنه قسا على ابن جني، إلى درجة أن قال له: «لو كان لنقد الشعر والحكم فيه محتسب لمنعك أيها الشيخ من ذلك، لأنه ليس من عملك»[٩٩].

إن كشف مخطوط كهذا ضروري، لأن الوحيد عايش أبا الطيب في مصر، وشهد قراءة شعره عليه، وحضر مجلس سيف الدولة في حلب، وتعرف على أبي فراس الحمداني، وحادَثَه في أمر أبي الطيب،والتقى ببعض عارفيه[١٠٠]. وهو ما يمكن أن يوفر لنا المزيد من المعلومات عن أبي الطيب. كما أن الوحيد حاول أن يُرسي أسس مذهب نقدي للشعر، يحرره من أسلوب ابن جني[١٠١].

وينحو الأصفهاني نحو الوحيد، من ابن جني، ومن أبي الطيب[١٠٢].

وكان أبو القاسم يرى لأبي الفتح ابن جني: «ثلاث علل، إتخذها قواعد في شعر المتنبي، إذا ضاق به الأمر. أحداها أنه يحيل بالمعنى على الفسر الكبير. والثانية: أن يقول بهذا أجابني المتنبي عند الاجتماع به. والثالثة أن يقرن بالبيت مسألة في النحو يستهلك البيت واللفظ والمعنى»[١٠٣]. وهي علل يلمسها كل من قرأ ابن جني.

أمّا بالنسبة لأبي الطيب، فإن أبا القاسم، يتخذ منه موقفاً على ثلاثة أصعدة:

الأول: شخصي، ويرى أنه «خبيث الاعتقاد»، كما بينا، وأن شعره يدل على التلوّن، من السوفسطائية، إلى الحشيشية. وأنه: «مرّ النفس، صعب الشكيمة جاد مجد..»[١٠٤].

الثاني: أَدَبي، ويرى: «أنه من حفاظ اللغة، ورواة الشعر، وكل ما في كلامه من الغريب مستقاة من الغريب المنصف..». وبالنسبة لشعره: «فهو سريع الهجوم على المعاني، ونعت الخيل والحرب من خصائصه. وما كان يَرادّ طبعه في شيء مما يسمح به. ويقبل الساقط الرذل، كما يقبل النادر البدع، في متن شعره وَهْي، وفي الفاظه تعقيد وتعويص»[١٠٥].

الثالث: تحريضي، إذ إن أبا القاسم، في مقدمة كتابه، ينهج نهجاً تحريضياً ضد أبي الطيب، فيذكر أن أبا الطيب قال بأرجان، «الملوك قرود، يشبه بعضهم بعضاً، لا على الجودة يعطون». وأبو القاسم لا يحرض الملوك على أبي الطيب فقط، بل يحرض الديلم أيضاً، لأن أبا الطيب، أجاب ابن العميد، حسب الرواية، عندما ابلغه ابن العميد عن ورود رسالة عضد الدولة يستدعيه، «مالي وللديلم»[١٠٦].

وهكذا يسهم أبو القاسم، وهو يرد على ابن جني، ويشرح مشكل ابيات أبي الطيب، في تشويه صورة أبي الطيب الشخصية، واستعداء أصحاب السلطة عليه.

ولا غرابة في ذلك، لأن أبا القاسم، من موظفي السلطة البويهية، وقد كتب كتابه تقرباً إلى بهاء الدولة، كما ذكرنا.

ولعل من أهم الكتب التي وصلت إلينا في الرد على ابن جني كتاب ابن فورجة: «الفتح على أبي الفتح»[١٠٧].

ولابن فورجة، كتابان في الرد على ابن جني، أولهما، التجني على ابن جني. ومن المؤسف أنه لم يُكْتَشَف حتى الآن، وبالتالي لم يُطْبع. وإن كانت قد وصلت منه نتف في شروح الشارحين، جمعت ونشرت[١٠٨].

وهذا الكتاب رد على ابن جني في الفسر[١٠٩].

وثاني الكتابين، هو «الفتح على أبي الفتح»، ويبدو أن ابن فورجة، رد فيه على ابن جني في الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي[١١٠]. ولهذا الكتاب تَحْقيقان، الأول قام بـــهِ الأستاذ عبد الكريم الدجيلي[١١١] والثاني، د. محسن غيـاض[١١٢].

وكتاب الفتح على أبي الفتح دراسة استهدفت التعمق في دراسة أبيات أبي الطيب الغامضة، وإظهار عجز أبي الفتح عن حل إشكالها.

وكان ابن فورجة، يتعرض لشارحي أبي الطيب الآخرين، وخاصة الصاحب والجرجاني.

والكتاب لا يتجه للتنظير الأدبي، ويكتفي في مقدمته التي ضاع القسم الأساسي منها، بتعداد أسباب الغموض في الشعر، وهي من وجهة نظره ثلاثة: ١ ـ «وهو الذي صدك جهل غريبه عن تصور غرضه»[١١٣]. وهذا ثلاثة اقسام، ٢ ـ وهو الذي «يعميه إعرابه لمجاز فيه، وحذف في اللفظ أو تقديم وتأخير»، ٣ ـ وقد سقط وضـاع[١١٤].

أما سائر الكتاب، فيحاول التعمق في فهم الأبيات المشكلة، وجلاء معانيها، بجلد ونفاذ لا مجال للشك في مستوى أيّ منهما. وهو في ذلك يتعرض لأبي الطيب وابن جني أساساً، ثم للصاحب بن عباد الجرجاني.

ويقف ابن فورجة من أبي الطيب موقف الناقد المعجب أساساً، إذ يدرس كل بيت من الأبيات المشكلة، ويبين ما فيه من قوة أو ضعف. ولذلك فكثيراً ما نجد ابن فورجة، يثني على أبي الطيب بقوله مثلاً: أن أبا الطيب: «يتجنب في شعره تكرير اللفظة الواحدة، في حشو البيت فضلاً عن القافية، بل لا يتجنب مثل ذلك الطائيان. فدواوين جميع الفحول مملوءة من التكرير، ما خلا هذا الديوان الواحد، فإن التكرير عنده مستشنع، وفي دينه مسترذل»[١١٥]. ويتساءل حيناً: «وهل يرضى مثل أبي الطيب لشعره بهذا المجاز، من كون ضميرين في بيت واحد لمختلفين لفظهما متفق»[١١٦].

ويشير ابن فورجة إلى حذق أبي الطيب في صنعه الشعر مراراً وتكراراً[١١٧]. ولكنه، وهو يثني على أبي الطيب، ويبين روائع شعره، لا يسكت عن الضعيف والمرذول، فيقول، مثلاً: قصرّ أبو الطيب[١١٨]، أو هذه القصيدة من الشعر

الرذل[١١٩]، والذنب لأبي الطيب لا للمفسر[١٢٠]، أو هذا من ضعيف شعره[١٢١]، أو البيت مدخول والمعنى مرذول[١٢٢].

ويختلف ابن فورجة، مع معظم ناقدي أبي الطيب في تفسير أبيات، كان هنالك شبه إجماع على عدم استحسانها[١٢٣]، ومن ذلك:

أ ـ رواقُ العِزِّ حَوْلَك مُسْبَطِرٌّ وَمُلْكُ عَليٍّ آبنِك في كَمَال[١٢٤]

وقد عيب على أبي الطيب استخدام كلمة اسبطر هنا. وحاول أن يؤكد نقيض ذلك[١٢٥].

ب ـ لَو آستَطَعْتُ رَكِبتُ آلنَاسَ كُلَّهم إلى سَعيد بنِ عَبْد الله بُعْرانا[١٢٦]

ورغم نقد الناقدين لهذا البيت[١٢٧]، فإن ابن فورجة يقول: «هذا بيت حسن الصنعة والمعنى».[١٢٨].

ويناقش ابن فورجة سلوك أبي الطيب، خلال التعليق على بعض أبيات شعره، فيقول تعليقاً على البيت التالي:

أَقلُّ فَعَالي بَلْه أكثره مَجْدُ وذَا الجدُّ فِيْهِ نَلْتُ أَمْ لَمْ أَنَلْ جدّ[١٢٩]

«ومعنى هذا المصراع، أني لا أفعل شيئاً إلّا ومغزاي المجد، وأياه أنحو، وإليه أدأب، كأنه لو صرّح بالأقل لقال: يومي مجد، وأكلي مجد، وشربي مجد، وأخذي مجد، وعطائي. ولو صرّح بالأكثر لقال: تغريري بنفسي، ودخولي في المهالك، وسيري في المفاوز، ولقائي الملوك وتيهي عليهم»[١٣٠].

وحين يعلق ابن فورجة على البيت التالي:

وَجَنَّبني قُرْبَ آلسَلاطينِ مَقْتُها وَما يَقْتَضيني مِنْ جَماجِمها آلنَسْرُ[١٣١]

يروي قصة حول هذا البيت، وأن أبا الطيب حاول أن يتنصل منه. فذكرت له أبيات أخرى، وتقول الرواية عن أبي الطيب:

«فلم يحر جواباً». ويضيف ابن فورجة: «وهذا من الكذب الذي لا يبارك الله فيه، إذ الرجل له في ذلك عادة، وهو يعدّه جرأة، وقدرة وقلة احتفال»[١٣٢].

ويختلف الأمر، عندما يتعلق الأمر بابن جني، فإن ابن فورجة يحاول أن يظهر مدى خلطه، ويكرر استخدام هذه الكلمة[١٣٣]. ويقول ابن فورجة سها أبو الفتح[١٣٤]، أو في كلام الشيخ زلل[١٣٥]، كما يذكر ابن فورجة أن ابن جني لم يفسر هذا البيت أو ذاك[١٣٦]، وأنه تمحل هنا أو هناك[١٣٧].

ويرى ابن فورجة أن الشيخ ابن جني: «عن صناعة الشعر بمعزل»[١٣٨]. ولكن ذلك لا يمنع ابن فورجة من أن يقول، «ومعاذ الله أن نروم شأو الشيخ أبي الفتح في اللغة والإعراب»[١٣٩].

وينهي ابن فورجة الكتاب قائلاً: «وما توخينا دعوى الفضل على أبي الفتح ابن جني، ولا سمت هممنا إلى مباراته. وبودنا لو أدركنا القراءة عليه، والاستفادة منه»[١٤٠].

وإذا كان ابن فورجة، لا يتساهل مع ابن جني، فإنه يقسو بحق على الصاحب بن عباد، في نقده لأبي الطيب[١٤١]، ويقول ابن فورجة: «قَرأتُ أوراقاً سُمِّيت «بمساوىء المتنبي» أنشأها الصاحب كافي الكفاة»، وقد «ارتكب فيها شيئاً من المزح عجباً، ليس من طريقة العلم، ولا مما أفاد غير خيلاء الوزارة، وبذخ الولاية. ولعمري أنه لو لم يُرْوَ عنه هذا الكتاب، لكان أجمل بمثله»[١٤٢].

ولا يجد ابن فورجة بداً، من أن يسمي الصاحب «هذا الظالم»[١٤٣].

وبالمقابل، فإن ابن فورجة، ينتقد القاضي الجرجاني برفق، ويقر بعلمه في الشعر[١٤٤].

إن كتاب ابن فورجة، يغوص بنا في أعماق الأبيات المعقدة لدى أبي الطيب، ويدلنا على مواقع الصنعة فيها. وإن كان لا يقدم لنا قواعد لفهم الشعر، ووعي خصائصه.

ولما كان ابن فورجة، من تلاميذ أبي العلاء، فقد عرف في أبي الطيب روحه الأبية، وقدرته الابداعية، ودافع عن شجاعته[١٤٥].

ز ـ شرح الأبيات المشكلة:

ويستدعي كتاب ابن فورجة الوقوف قليلاً، مع كتب أخرى، تناولت الأبيات

المشكلة عند أبي الطيب، دون أن يكون الهدف منها الرد على ابن جني أو غيره. ولعل من ابرز هذه الكتب اثنان:

الأول: من تأليف أبي المرشد، سليمان بن علي المعري، بعنوان «تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي»[١٤٦].

والكتاب يقوم على محاولة إيضاح المعاني المشكلة، شأنه شأن كتاب ابن جني وابن فورجة، والأصفهاني، ويعتمد أسلوبهم في الترتيب الهجائي، واختيار أبيات دون أخرى، وإن كان لا يحافظ على ترتيب الأبيات في القصيدة أحياناً[١٤٧]، ولا يفسر كل الأبيات التي يذكرها[١٤٨].

وقد عاب أبو المرشد على ابن جني «اكثاره من مسائل النحو واللغة والإعراب، ولم يسلم كتابه هو من ذلك كله»[١٤٩].

ويقول المؤلف، بأنه ألف الكتاب، بناء على سؤال، «من أوجب حقه، وأوثر موافقته، وجمع ما انتهى اليّ علمه من أقوال مفسري ديوان المذكور (أي أبي الطيب) على سبيل الإيجاز والاختصار، والاقتصاد والاقتصار»[١٥٠].

واعتمد أبو المرشد في كتابه على نوعين من المصادر، الأول: وقد ذكره في المقدمة، وينحصر في اللامع العزيزي لأبي العلاء المعري (٣٦٣ ـ ٤٤٩)، والفسر لابن جني، والفتح على أبي الفتح، لابن فورجة. وهي مراجع معروفة، أشرنا إليها. والثاني: وقد ورد في ثنايا النص، كشرح الإحساني، الذي أكثر المؤلف من الإشارة إليه، والمخزومي، ومحمد بن حمدان العجلي[١٥١].

وأبدى أبو المرشد ملاحظاته على مراجعه الأساسية، فقال عن أبي العلاء: «فلم يدع فضلة علم إلاّ رفع منارها، ولا دفينة معنى إلاّ كشفها وأثارها، فطال الكتاب، بما استودع من صنوف الآداب»[١٥٢].

ووقف عند ابن جني، ليقول: «فإنه بسّط عبارة كتابه، وجعل النحو معظم ما أتى به، حتى صار طالب البيت الواحد، يفني عدة صفحات في إختلاف مذاهب النحاة، قبل إدراك طلبه، وبلوغ أربه»[١٥٣]. واعتبر أن كتاب ابن فورجة لم يخلص «من ألفاظ غير مفيدة، ومقاصد في الرد عليه ليست بالرشيدة»[١٥٤].

ويبرز أثر أبي العلاء في هذا الكتاب واضحاً، لأن أبا مرشد يعتمد عليه أساساً. وقد اكتفى بأقوال أبي العلاء في الصفحات الأخيرة. «وإن كان يعتمد رواية ابن جني، ويأخذ بها في الأبيات المختلف في روايتها، بين الشراح»[١٥٥]. ويبدو واضحاً أيضاً أثر أبي العلاء في أحكام أبي المرشد، كالقول: «وهذا من الغلو الذي يقصده الشعراء، وهو كذب صراح»، أو «من الدعوى الباطلة»، أو «من الدعاوى الباطلة»[١٥٦].

والكتاب الثاني: من تأليف أبي الحسن، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي الأندلسي (٣٩٨ ـ ٤٥٨)، بعنوان: «شرح مشكل أبيات المتنبي»[١٥٧].

ويختلف هذا الكتاب عن الكتب الأخرى المماثلة، في جوانب عدة. فهو:

١ ـ لا يستهدف الرد على أحد من شارحي أبي الطيب السابقين. ولذلك، فإن المؤلف يقدم أفكاره حول الأبيات المشكلة، ولا يقدم عامة ما قاله غيره، من الشارحين السابقين، إلّا في حالات محددة، ومحدودة[١٥٨]. وهو في ذلك يختلف عن كل سابقيه.

٢ ـ لا يتبع أسلوباً محدداً في اختيار الأبيات التي يشرحها، لأنه يهمل قصائد كاملة دون أن يمر على بيت فيها، ويختار أبياتاً دون أبيات[١٥٩].

ويقدم ابن سيده لدى دراسة كل بيت، من شعر أبي الطيب أربعة من الملاحظات.

الأول: لغوي. وابن سيده لا يقف هنا عند الغريب، بل يتعدى ذلك إلى القواعد مثل قوله: الأفعال المقلوبة لا مصادر لها[١٦٠]، وهذا إبدال صحيح[١٦١] وكل ما كان الفرق بين مفرده وجمعه الهاء، يذكر ويؤنث[١٦٢]، وفَعول لا يكسّر على فِعَلة، ولا على فُعَلة[١٦٣]. وهي ملاحظات عارف باللغة.

الثاني: فلسفي، وهو هنا يكثر من حديث الجوهر والعرض[١٦٤] ويقدم إشارات، مثل «الشكل الأول من المنطق»[١٦٥] الخ..

الثالث: ديني أخلاقي، وهو هنا يحكم على مواقف ظاهرة في أبيات لأبي الطيب، مثل «وهذا قبيح داخل في الشَنَع»[١٦٦] «وهذا البيت شنع وكفر»[١٦٧].

الرابع: شعري، يتعلق، بالصناعة الشعرية، وهو هنا يدرس المعاني والكلمات، دراسة مدقق متعمق، ويبدي عليها ملاحظات مختلفة كقوله:

أ — هذه «استعارة ومجاز غريب»، عند التعليق على «أثّر فيها» في البيت:

(١) أَثَّـرَ فيهـا وَفي ٱلـحَـديـدِ وَمـا أَثَّـرَ فـي وَجْـهِـه مُـهَـنَّـدُهـا[١٦٨]

أو قوله غير المشترك في التقابل خير من المشترك، عند التعليق على البيت التالي:

(٢) صَغّـرت كَـلَّ كَبيـرةٍ وَكُبُـرْتَ عَن لَـكـأَنَّـه، وَعـددت سِنَّ غُـلام[١٦٩]

ورأي ابن سيده أنه: «كان ينبغي أن يقول: صَغّرت كل عظيمة»[١٧٠].

ب — هـذا معنى لـطيف فتفهمـه، وتتـردد هـذه الجملة كثيـراً وبـأشكـال مختلفـة[١٧١].

جـ — كان أصنع أن يقول في الشطر التالي:

وَذَيّا ٱلذي قَبّلْتُه ٱلبَرْقُ أم ثَغْرُ..

برق بدلاً من البرق، لأن ثغراً نكـرة، ويجب أن يكون البـرق نكـرة[١٧٢].

ويكرر المؤلف ذلك في اكثر من مكان[١٧٣]، وبـأكثر من صيغـة، كما هي الحال عند التعليق على البيت التالي:

(٣) مَسَـرّةٌ في قُلوبِ ٱلـطيبِ مفـرقُهـا وَحَـسْـرَةٌ في قُـلوبِ ٱلـبيضِ والـيَـلَبِ

«ولو قال في فؤاد الطيب، ثم قال في قلوب البيض، لساءت الصنعـة»[١٧٤].

ومما تجدر الإشارة إليه أن ابن سيده، يصف النص بقوله، هذا كلام شعري، أو مقطع شعري[١٧٥] وهو يعني أنه غير حقيقي[١٧٦]. ويطلب ابن سيده ألاّ يُتقصَّى الكلام الشعري بالمنطق فيفسد[١٧٧].

وكثيـراً مـا يثني ابن سيـده على أبي الـطيب، كقـولـه، «وهـذا من أحسن الحذف»[١٧٨]،«وهذا من ابدع الصنعة» [١٧٩]. «ولكن ابدع بقوله»[١٨٠]. «وهذا من غـريب الصنعة الشعرية»[١٨١]. ويقارن بين بيت لامرىء القيس وبيت لأبي الطيب،

فيقول: «صح به الشرف على امرىء القيس»[١٨٢]. ولكن ابن سيده، لا يتوانى عن نقد أبي الطيب كقوله: «وقد علم إعياء أبي الطيب في هذه القصيدة جداً»[١٨٣]! أو «ومعنى هذا البيت متداول كثيراً»[١٨٤]. ويرى ابن سيده أن أبا الطيب: «كان جاهلاً بصناعة القوافي»، لأنها «مهنة دقيقة، يعجز عنها الشعراء ويغلطون فيها»[١٨٥].

ورغم أن ابن سيده لا يذكر ابن جني كثيراً، إلّا أنه ينقده نقداً لاذعاً، وإن تَمَّ ذلك بأدب جمّ[١٨٦].

إن هذا الكتاب، يجعلنا أكثر قدرة على فهم أبيات أبي الطيب المشكلة، ويقدم لنا أبعاداً لغوية وفلسفية وشعرية في فهمها ونقدها، ولكنه ككل الكتب الأخرى لا يقدم أُسساً نظرية في العمل الذي يقوم به، غير قاعدته: «أن الكلام الشعري، لا يتقصّى بالمنطق». ولا يربط في ملاحظاته بين عوامل الشعر وأركانه. وهو ككل شارحي المشكل يُعطي الأولوية لشرح المعنى، وإن كان يعطي اهتماماً اكبر للقواعد على تفسير الغريب، ويتفرد بملاحظاته الفلسفية.

إن الاهتمام «بشرح المشكل من أبيات المتنبي»، لدى نفر من الأدباء الكبار، كابن سيده وابن فورجة، قاد إلى أمرين متناقضين نسبياً:

الأول: فهم ما أشكل من أبيات أبي الطيب، ومعرفة مدى قدرته في الصناعة الشعرية. وكان هذا ضرورياً لفهم شعر أبي الطيب عموماً، وإظهار مدى قدرته، سواء في ميدان اللغة أو المعاني.

الثاني: المبالغة ، بقصد أو دون قصد، في إظهاره بمظهر الشاعر المُلْغِز الذي يحتاج إلى جهد للغوص في أغواره، وإلى معرفة لغوية وفلسفية لفهم أشعاره. وكان هذا الانصراف إلى فهم مُلْغِز شعره، يشغل الجمهور عموماً، والنقاد خصوصاً، عن دراسة شعره العادي، الذي لا الغاز فيه، وعن اكتشاف ما فيه من خصائص شعرية متفوقة.

حـ ـ كتب السرقات:

ونرى من الضرورى، مادمنا قد عرّجنا على شرح المشكل من شعر أبي

الطيب، أن نقف قليلاً، مع كتب السرقات. وإذا كان المشكل من شعره، قد احتل اهتماماً خاصاً بارزاً، فكذلك الأمر بالنسبة لاتهامه بالسرقة.

ويلفت النظر أن تهمة السرقة قد لصقت به، حتى أن معظم الذين كتبوا عنه، تبنوا هذه التهمة، أو حاولوا أن يبرروها[١٨٧]. وسنقدم هنا وجهة نظر اثنين من أبرز الذين كتبوا عن سرقاته.

أول الكتابين: «المنصف في نقد الشعر، وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره». لأبي محمد الحسن، بن علي، بن وكيع التنيسي (- ٣٩٢).

وتنبع أهمية هذا الكتاب، من أن مؤلفه الشاعر الأديب الناقد ابن وكيع، عاش في مصر، خلال وجود أبي الطيب بها[١٨٨].

وليس هنالك ما يشير إلى لقاء المؤلف بأبي الطيب. ولكن أحد شيوخه، وهو أبو الحسن الحسين بن أحمد المهلبي (- ٣٨٠) اجتمع بأبي الطيب خلال وجوده في مصر[١٨٩]. كما أن المؤلف التقى، بأبي القاسم علي بن حمزة البصري (- ٣٧٥)، مُضيف أبي الطيب في بغداد[١٩٠]، ومرافقه في رحلته إلى ابن العميد وعضد الدولة[١٩١].

ومازال تاريخ تأليف الكتاب موضع خلاف، بين سنة ٣٦٠ - و٣٨٠[١٩٢].

ويتلخص الهدف الرئيس للكتاب في «نخل شعر أبي الطيب ومعانيه، وإثبات ما أجده من مسروقات قوافيه، التي لا يمكن فيها اتفاق الخواطر، ولا تساوي الضمائر، لأن ذلك يسوغ في النزر القليل، ويمتنع في المتواتر الكثير»[١٩٣].

وحاول المؤلف أن يبدو متحمساً في الرد على رجل كتب له، حول شهرة أبي الطيب. يقول ابن وكيع: «تَذْكر إفراط طائفة من متأدبي عصرنا، في مدح أبي الطيب وتقديمه، وتناهيهم في تعظيمه وتفخيمه»[١٩٤]. ويضيف ابن وكيع: «وذكرت أنهم لم يكتفوا بذلك، حتى نفوا عنه مالا تسلم فحول الشعراء من المحدثين والقدماء منه فقالوا: ليس له معنى نادر، ولا مثل سائر، إلّا وهو من نتاج فكره، وأبو عذره. وكان لجميع ذلك مبتدعاً، ولم يكن متبعاً، ولا كان لشيء من معانيه سارقاً، بل كان إلى جميعها سابقاً»[١٩٥].

ووعد ابن وكيع ان ينصف أبا الطيب: «فما استحقه على قائله سلمته له، وما قصّر فيه لم أدع التنبيه عليه، لئلاً يظن بنا الناظر في كتابنا خوراً في قصد أو تقصيراً في نقـد»[١٩٦].

ولم يكتف ابن وكيع بذلك، بل رأى أن هناك ما يلزمه: «الحاق ما فيه عيب غير السرقة بالمسروق، خوفاً من أن يقول قائل تجاوز أشياء من الغثاثات واللحون والمحالات كانت أولى من الذكر للمسارقات»[١٩٧].

وقـدّم ابن وكيع لكتـابـه بإثبـات: «وجوه السـرقات: محمـودها ومـذمومهـا وصحيحهـا وسقيمها»، والتعـريف بمـا: «يـوجب للسـارق الفضيلة، ومـا يلحقـه الرذيلة»[١٩٨].

وهذا القسم الأول من الكتاب، محاولة لتحديد أسس في النظر إلى السرقة، وكيف تكون مرذولة أو مقبولة. وهو ما لم يفعله الجرجاني، في الوساطة، التي لا يوجد ما يؤكد صدورها قبل كتاب المنصف أو بعده[١٩٩].

وحاول ابن وكيع أن يطبق قواعده في السرقات على شعر أبي الطيب. وكان يأتي بيت أبي الطيب، حسب الترتيب التاريخي للديوان، ثم يأتي بأبيات الشعر المتقاربة معه. ثم لا يلبث أن يحكم إن كان أبو الطيب قصّر عمن أخذه منه، أو ساواه، أو تفوق عليه.

ويطرح ابن وكيع، خلال هذه العملية ملاحظاته الأخرى، مثل: «وبعد ذلك أبيات في جرذ قتله رجلان، لو كان طرْحها من ديوانه لاستغنى عنها، ولا يلتمس لمثلهـا استخـراج سـرقـة، لفـراغهـا»[٢٠٠]. أو مثـل: «كلام سخيف ونسـج ضعيف»[٢٠١]، أو مثل: «ولكن أبا الطيب لا يحقر شيئاً، بل يأخذ الشعر الرفيع والوضيع»[٢٠٢]، أو «وهـو بيت فارغ»[٢٠٣]. وتتعـدد الملاحـظات، ولا تبقى في ميادين الشعر واللغة والسرقة، وتصل إلى أبي الطيب نفسه. وقد أورد ابن وكيع بيتاً لديك الجن، وآخر لأبي الطيب، ليظهر أن أبا الطيب أخذ بيت ديك الجن، وعلق على ذلك قائلاً: «وإن كانت شجاعته (يعني أبا الطيب)، التي يذكرها عن نفسه في اللقاء، كشجاعته على سرقة هذا البيت، إنه لشجاع»[٢٠٤].

ويشير ابن وكيع في اكثر من مكان لقلة ورع أبي الطيب[٢٠٥]، ولكن ابن وكيع، ينتقد أبا الطيب، لأنه يكره شرب الخمر، «فقد كره أبـو الطيب مـا أحبه الناس، هذا مع فضائل يكثر عددها»[٢٠٦].

ويسعى ابن وكيع جهده، لأن يؤكد ما يلي:

١ ـ أن أبا الطيب عالة على غيره، وأنه لم يسرق الشعراء الكبار، مثل أبي تمام والبحتري فقط، بل سرق شعراء أدنى مرتبة كالخبـزارزي (ـ ٣٢٧)[٢٠٧].

٢ ـ أن أبـا الطيب ضعيف في العـربيـة[٢٠٨]، وأنـه «أكثـر النـاس ركـوبـاً للضرورات والمجازات»[٢٠٩].

٣ ـ أن أبا الطيب لا يستحق التقديم على أبي تمام والبحتري[٢١٠].
وهناك أجماع أن صاحب المنصف كان غير منصف[٢١١].

ويرى د. ر. بلاشير أن ابن وكيع كان أشهر ممثلي «فئة مناوئة» لأبي الطيب، وتشكلت «بدافع من نفوذ أشخاص معادين للشاعر كالوزير ابن خنزابة»[٢١٢]. ولا يوافق د. إحسان عباس على ذلك، ويرى أن كتاب ابن وكيع: «كان رد شاعر مغيظ على طبقة من المتعصبين لأبي الطيب»[٢١٣].

ومهما كان الأمر، فإن كتاب ابن وكيع، شدد على الصاق تهمة السرقة بأبي الطيب، وعلى البحث عن السقطات والعثرات، مما يجعل عمله يندرج بين أعمال المعادين كالصاحب ابن عباد والحاتمي[٢١٤].

وثاني الكتابين: «الإبانـة عن سرقـات المتنبي»، لأبي سعد، محمـد بن أحمد العبيدي» (ـ ٤٣٣).

ويبدو من مقدمة الكتاب أن مؤلفه، يرد على أحد المتحمسين لأبي الطيب، ويسميه، «أحد حاملي عرشه»، الذي قال في مجلس احد الرؤساء، عندما جرى «حديث المتنبي» «سبحان من ختم بهذا الفاضـل الفحول من الشعـراء وأكرمـه، وجمع له من المحاسن ما بعثره في كل من تقدمه. ولو أنصف لعلق شعره كالسبع المعلقات في الكعبة، ولقدم على جميع شعراء الجاهلية في الرتبة»[٢١٥].

ويجيء رد العميدي، على المستوى عينه من القوة، لأنه تأمل أشعاره كلها فوجد: «الأبيات التي يفتخر بها أصحابه، وتعتبر بها آدابه، من أشعار المتقدمين منسوخة، ومعانيها من معانيهم المخترعة مسلوخة»[٢١٦].

وكان العميدي قد قدّم لذلك بحديث العدل والانصاف فلا: «رذيلة أبلغ وصمة من انكار فضيلة من يقع الاجماع على فضله»، «وما أحسن أثر القاضي، إذا عدل في الحكم وأنصف، وأقبح ذكره إذا مال عن الحق وجنف»[٢١٧].

وهو بعد ذلك كله، لا يجحد فضل المتنبي، «وجودة شعره، وصفاء طبعه، وحلاوة كلامه، وعذوبة الفاظه، ورشاقة نظمه». ولا ينكر «اهتداءه لاستكمال شروط الأخذ، إذا لحظ المعنى البديع لحظا، واستيفاء، حدود الحذق، إذا سلخ المعنى، فكساه من عنده لفظاً»[٢١٨].

ووعد العميدي ألا يطعن «أيضاً في دينه ونسبه»، وألا يذمه «لاعتقاده ومذهبه»[٢١٩].

وكتاب العميدي لا يتبع أسلوباً محدداً في اختيار أبيات أبي الطيب التي يقارنها بغيرها. فهو يختار البيت، ويأتي بالأبيات التي يراها مشابهة له، وهكذا.

ثم ان العميدي، لا يُعنى بشرح الأبيات، ولا باجراء المقارنات بينها، كما فعل ابن وكيع في المنصف، بل يسوقها سوقاً. وإذا أبدى ملاحظة هنا وأخرى هناك، فإنما ليسخر من أبي الطيب كالقول، مثلاً: «مثل هذا البيت تسميه أصحابه التوارد، ويسميه خصمهم النسخ والتعمد. وأنا أعرف أنه (أبي الطيب) تعب في نظم البيت فله فضيلة التعب»[٢٢٠]، أو: «لقد تصبب عرقاً وتقلب ارقاً، حتى استنبط هذا المعنى البديع»[٢٢١].

ويعيد العميدي ملاحظات أطلقها غيره من قبل، مثل قضية إنكار أبي الطيب معرفة أبي تمام والبحتري[٢٢٢]. كما يعيد ما طرحه غيره سابقاً من نقد لما اعتبر أخطاؤه اللغوية[٢٢٣]، أو قلة ورعه[٢٢٤].

إن العميدي لم يضف لابن وكيع شيئاً، غير السخرية المبتذلة، وقصّر عنه في

تقديم النماذج وتحليلها. وبالتالي، فإن العميدي اكتفى بشن حملة جديدة، لأن الحملات السابقة لم تُفِدْ، كما يظهر، وظل نجم أبي الطيب في صعود. فاقتضى ذلك شن حملة جديدة في المرحلة الجديدة، كما كانت الحال في المراحل السابقة.

وعلينا أن نعترف، بعد ذلك، أن كتب بيان السرقات، كانت لها فائدتان.

الأولى: أنها بينت علاقات الشعراء بعضهم ببعض، وكيف تفاعلوا تفاعلاً واعياً، أو غير واع، وكيف يقود ذلك إلى تشابه المعاني وتخالفها، وتماثل الألفاظ وتغايرها. إنه علم، كان يستحق أن يخاض فيه، دون أسباب ذاتية. ولكن الخوض فيه لأسباب ذاتية، خدم الأدب عامة، وإن أوقع بأبي الطيب ضربات قوية، ما كان لغيره أن يتحملها. ولولا عوامل تفوقه الغلابة، لما استطاع تجاوز هذه الحملات.

الثانية: أنها حفظت لنا أسماء شعراء، والكثير من أشعارهم، وإن كان ذلك في سياق إثبات السرقات. وكان يمكن أن يضيع الكثير من هذه الأسماء والأشعار، لولا كتب السرقات، والحاجة للاستشهاد بأشعار وأسماء اقتضتها الضرورة.

فماذا كان رد أبي الطيب على اتهامه بالسرقة؟. لقد قال: «كلام العرب آخذ بعضه برقاب بعض، وآخذ بعضه من بعض. والمعاني تعتلج في الصدور، وتخطر للمتقدم تارة، وللمتأخر أخرى، والألفاظ مشتركة مباحة.. وبعد، فمن هذا الذي تعرى من الاتّباع، وتفرد بالاختراع والابتداع»[٢٢٥].

ط ـ دراسات عامة عنه:

تناول بعض الدارسين أبا الطيب تناولاً عاماً، سواء بكتابة فصول عنه، أو كتابة كتب خاصة به.

وسَنُقدم هنا فكرة عن دراستين، أولاهما: كتبها أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ـ ٤٢٩). وهي جزء من كتاب يتيمة الدهر الذي الفه سنة ٣٨٤، ثم اعاد ترتيبه[٢٢٦]. وثانيهما كتاب ألفه الشيخ يوسف البديعي (ـ ١٠٧٣)، بعنوان: «الصبح المنبي عن حيثية المتنبي»[٢٢٧]..

وتجمع الدراستين سمات مشتركة، رغم بعد الشقة بينهما وابرز هذه السمات ما يلي:

١ ـ أن مادتيهما تجميع لمعظم ما كتب وقيل من قبل عن أبي الطيب، سواء كان ذلك إيجابياً أو سلبياً.

ولما كان صاحب اليتيمة، قد كتبها، سنة ٣٨٤، فإنه أخذ من المادة التي تجمعت قبله. ورغم موقفه الإيجابي من أبي الطيب، واعتباره «نادرة الفلك، وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر»[٢٢٨]، فإن صاحب اليتيمة، أخذ عن الصاحب معظم ما جاء به عن أبي الطيب. ومن ذلك: ١ ـ قبح المطالع ـ ٢ ـ استكراه اللفظ وتعقيد المعنى. ٣ ـ عسف اللغة والإعراب. ٤ ـ الخروج عن الوزن. ٥ ـ استعمال الغريب والوحشي. ٦ ـ الاستكثار من قول ذا. ٧ ـ الإفراط في المبالغة والخروج فيه إلى الإحالة. ٨ ـ تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين. ٩ ـ إساءة الأدب بالأدب. ١٠ ـ الإيضاح عن ضعف العقيدة ورقة الدين. ١١ ـ الغلط بوضع الكلام غير موضعه. ١٢ ـ الخروج عن طريق الشعر إلى طريق الفلسفة. ١٣ ـ إستكراه التخلص[٢٢٩]. وهو يذكر الصاحب بن عباد في الكثير من هذه الأبواب[٢٣٠].

وحين يتطرق صاحب اليتيمة لسرقات أبي الطيب، فإنه يقرر أن يورد أمثلة غير التي أوردها الجرجاني[٢٣١].

ولكن الثعالبي، يورد أمرين لم يوردهما من جاء قبله، وهما:

أ ـ إستعانة بعض الكتاب، بألفاظ أبي الطيب ومعانيه في رسائلهم. ويذكر منهم الصاحب بن عباد، وابن العميد، وأبا إسحاق الصابي[٢٣٢].

ب ـ سرقات الشعراء من شعر أبي الطيب[٢٣٣].

وينقل البديعي ما قال العميدي، ويرد عليه[٢٣٤]. كما ينقل ما جاء به صاحب اليتيمة[٢٣٥].

٢ ـ أن موقف المؤلفين الاثنين إزاء أبي الطيب، إيجابي. ولذلك لم يكتفيا بذكر عيوبه، بل قدّما أيضاً مزاياه.

ولهذا، فإن الثعالبي، بعد أن أنهى حديث المقابح والمعايب قال: «وأول المحاسن والروائع والبدائع والفرائد التي زاد فيها على من تقدم، وسبق بها جميع من تأخر»، ثم عددها[٢٣٦]. وهذا ما فعله البديعي في ثنايا كتابه[٢٣٧].

٣ ـ إن الدراستين تخلوان من التحليل والتدقيق، ولا تقدمان أسباب قبول خبر أو رفضه، ولا تُقارنان بين الأخبار والحوادث. وهدفهما يقتصر على جمع أخبار أبي الطيب، وتقديمها للقارىء بالطريقة التي يريانها[٢٣٨].

وكان لهذه الدراسات العامة فائدتها، لأنها لم تبحث المشكل من شعر أبي الطيب، ولا درست موضوع السرقات، بل قدّمت صورة عامة عنه. وكان لا بدّ لهذه الصورة أن تظهر ملامحه الإيجابية.

وهكذا مرت قرون طويلة، تناهز الألف عام، وأبو الطيب مجرد أخبار متناقلة، تتناول القضايا الصغرى، دون أن تتناول الكبرى. فهو بخيل يبحث عن مال. وهو باحث عن ضيعة أو ولاية. وهو صغير النفس يمدح ويهجو. أمّا ما طرحه في شعره، وقال عنه، «ما أبتغي جَلّ أنْ يُسْمى» فلا معنى له، ولا بحث فيه.

وهو شاعر، كثر البحث في أبياته المشكلة وسرقاته، ولم يجر البحث في شعره العظيم.

ولولا تعلق قطاعات واسعة به، من النخب والجمهور، وقناعة الأمراء والقادة بأنه اشعر الشعراء، لما فرض شعره على الشارحين، ولما أثار هذه الزوابع الكبرى، في كل القرون الغابرة.

ي ـ أبو الطيب والنهضة العربية:

ومنذ بدء ما يسمى عصر النهضة في الوطن العربي، ونجم أبي الطيب يتصاعد.

كانت الظروف قد تغيّرت، فلا عجم ولا روم بالمعنى التقليدي، ولا بويهيون وحمدانيون، ولا بدر ابن عمار وسيف الدولة، ولا كافور وابن كروس، ولا ناشىء ونامي الخ.. كان العالم كله يتحول، وكانت اوروبة تتوسع زراعياً واستعمارياً، وكان سائر العالم، ومنه الوطن العربي، يحاول النهوض.

وفي هذا الجو: جوّ مخاطر السيطرة الأوروبية الشاملة، وجو محاولات النهوض، بدأ نجم أبي الطيب يسطع. ولم يكن السبب أنصاره القدامى، ولا أعداؤه القدامى، لأن هؤلاء قد ذهبوا إلى غير رجعة.

كانت أجيال جديدة، تكتشف في أبي الطيب أبعاداً جديدة. وكانت هذه الأجيال تكتشف أن ابداع أبـي الطيب يتجدد مع القرون، وأن الروم يعودون مع الفرنسيين والانجليز والأسبان. وأن دول الخدم، تتجدد من خلال الحكام الجدد الذين يعينهم الأجانب، أو من خلال الحكام القدماء الذين تكيفوا مع شروط الهيمنة الاستعمارية الجديدة. وأن الإنسان بحاجة إلى الكرامة الفردية والقومية، وأن يعيش عزيزاً، أو أن يموت كريماً.

وتكشف لنـا الـدراسـة أن الاهتمـام بـأبي الـطيب، قـد مـر بثـلاث مـراحـل.

الأولى: ١٨٧٥ ـ ١٩١٩. ولم يكن الاهتمام واسعاً، ولكن هذا الاهتمام ازداد حوالي ١٨٩٥ ـ ١٩١٤. وهي مرحلة إرهاصات الحركة القومية، وتبلور برامجها وأحزابها، وخاصة مع بداية القرن العشرين[٢٣٩].

الثانية: مرحلة ١٩١٩ ـ ١٩٤٩. وقد تزايد الاهتمام بأبي الطيب في هذه المرحلة. ولكن الاهتمام الشديد برز مع بداية الثلاثينات والاحتفال بالذكرى الألفية لأبي الطيب[٢٤٠]. وهي أيضاً مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى، والهزيمة التي أصابت العرب، نتيجة اقتسام الدول الإمبريالية وطنهم. ولقد شهدت أواخر العشرينيات والثلاثينيات إرهاصات قومية جديدة أيضاً.

الثالثة: مرحلة ١٩٥٠ ـ ١٩٩٢. وهي مرحلة ما بعد هزيمة ١٩٤٨، والإرهاصات القومية التي تبعتها. ورغم اتساع نطاق الاهتمام بأبي الطيب، في الخمسينيات والستينيات، فإن السبعينيات، شهدت اهتماماً لم يسبق له مثيل.

وسنحاول الآن ابراز مدى الاهتمام بأبي الطيب ونوعه في كل مرحلة.
واتخذ الاهتمام بأبي الطيب أشكالاً متعددة، ابرزها ما يلي:

أولاً: نشر الديوان:

إن للديوان نسخاً عديدة، كما تدل محاولات حصرها[٢٤١]. وقد طبع من هذه المخطوطات عدد قليل، كما تدل الدراسات[٢٤٢].

وكان من هذه الطبعات ما طبع في بومبي وديوبند وكلكته في الهند[٢٤٣]. ومنها ما طبع في بولاق ١٢٧٣ - ١٨٥٦، والقاهرة ١٢٨٣ - ١٨٦٦، و١٣٠٢ - ١٨٨١ و١٣١٥ - ١٨٩٧، و١٣٤٢ - ١٩٢٣ و١٣٦٣ - ١٩٤٤. كما طبع في بيروت ١٨٦٠ و١٩٠٠، و١٩١٣ و١٣٨٤ - ١٩٦٤، و١٤٠٠ - ١٩٨٠[٢٤٤].

وقد إعتمدت هذه الطبعات مقدمات قصيرة[٢٤٥]، وشروحاً مختصرة للكلمات الغريبة، أو لما يظن أنه بحاجة لتفسير[٢٤٦]. ولم يحاول المشرفون على طبعها تطوير مقدمات القصائد، أو التعريف بالشخصيات الواردة أسماؤها في النص، أو التعريف بالأحداث التي قيلت فيها القصائد، أو تناولتها. ولذلك فإننا نستطيع أن نقول أن فائدة هذه الطبعات، تتلخص في أنها قدمت النص للقراء فقط، وبأكثر الأشكال بساطة وتواضعاً.

ثانياً: نشر الشروح.

إن الشروح نوعان:

الأول قديم والثاني جديد.

بالنسبة للقديم لم ينشر إلا عدد محدود جداً من الشروح، وهي:

١ - شرح الواحدي(- ٤٦٨) ونشر في بومبي (١٢٧١ - ١٨٥٤)، وقام بطبعه عبد الحسين حسام الدين. وفيه سيرة أبي الطيب، نقلاً عن ابن خلكان[٢٤٧]. وطبعة فريدرخ ديتريصي، في برلين سنة ١٨٦١، وأعادت تصويره مكتبة المثنى في بغداد، سنة ١٩٦٤[٢٤٨]. كما طبع في بولاق سنة (١٢٨٧ - ١٨٣٠).

وهذه الطبعات الآن مفقودة.

٢ - شرح العكبري (- ١٢١٩) وقد طبع أولاً، في كلكته طبعتين: الأولى في مجلدين من ٨٥٦ ص، سنة ١٢٦١ - ١٢٦٢، والثانية بإشراف يار علي بادرناوي، سنة ١٢٦٤. وطبع في بولاق ١٢٦١، ١٢٧٧، ١٢٨٧. وفي القاهرة ١٣٠٣ -

و١٣٠٨ ـ ١٨٩٠، وفي مجلدين ٤٧٢ و٤٧٤ ص، وفي هامشه كتاب الصبح المنبي، وسنة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨، في أربعة أجزاء، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ الشلبي، وبعنوان: «ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري، المسمى بالتبيان في شرح الديوان»[٢٤٩]. كما أعادت اصدار هذه الطبعة دار المعرفة ببيروت.

٣ ـ شرح ابن جني. ولابن جني شرحان، الأول مختصر، بعنوان «الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي» الذي صدر في بغداد، سنة ١٩٧٣ بتحقيق د. محسن غياض[٢٥٠]. والثاني مطول، بعنوان الفسر. وقد صدر منه حتى الآن مجلدان، الأول، سنة ١٩٨٠، والثاني سنة ١٩٨٨، بتحقيق د. صفاء خلوصي[٢٥١].

ولما كان المجلد الثاني، يغطي شرح الأبيات ذات القوافي ب، فإن هذا يعني أن شرح باقي حروف المعجم يحتاج إلى المزيد من الوقت والجهد.

والغريب أن شرح ابن جني كان أول الشروح زمانياً، لأن ابن جني عاصر أبا الطيب. ورغم ذلك، لم ينشر مع شرح الواحدي الذي نشر، قبل اكثر من مائة عام.

وأشار المحقق، في مقدمة الجزء الثاني، إلى ما لاقاه، عند تحقيق الجزء الأول، من معاناة [٢٥٢].

٤ ـ شرح أبي العلاء المعري، (٣٦٣ ـ ٤٤٩) المسمى «معجز احمد». وقد نشر في القاهرة في اربعة مجلدات بتحقيق د. عبد المجيد دياب[٢٥٣] وللمعري شرح آخر مختصر، لم يطبع بعد[٢٥٤].

٥ ـ شرح أبي البركات شرف الدين المبارك بن احمد الإربلي (ابن المستوفي) (ـ ٦٣٧) المسمى «النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام».

وقد حققه د. خلف رشيد نعمان. وصدرت منه خمسة اجزاء، الأول سنة ١٨٨٩، والثاني سنة ١٩٩٠، والثالث والرابع، سنة ١٩٩١، والخامس، سنة ١٩٩٢. وما زال باقي حرف الدال لم تنته[٢٥٥].

٦ ـ شرح أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري الأندلسي (ابن

الأفليلي) (٣٥٢ ـ ٤٤١). وقد صدر منه السفر الأول، الجزآن الأول والثاني فقط سنة ١٩٩٢، وحققه د. مصطفى عليان، بعنوان: «شرح شعر المتنبي»[٢٥٦].

وهكذا نجد أن عدد الشروح المنشورة قليل جداً، إذا ما قيس بعدد الشروح المعروفة. ونجد أن شرح الواحدي نافد من سنين طويلة، وشروح ابن جني وابن المستوفي وابن الأفليلي، مازالت لم تطبع كلها. وليس في السوق الآن، ومن الشروح القديمة، إلاّ شرحي أبي العلاء والعكبري.

أما بالنسبة للشروح الجديدة فهي أقل من قليلة. وقد تعرفنا منها على ما يلي:

١ ـ شرح بطرس البستاني الذي صدر سنة ١٨٦٠، وأعيد طبعه مراراً[٢٥٧].

٢ ـ شرح ناصيف وإبراهيم اليازجي، المعروف بعنوان: «العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب»، صدر سنة ١٨٨٢، وأعيد طبعه مراراً[٢٥٨].

٣ ـ شرح سليم إبراهيم صادر المسمى «ديوان أبي الطيب المتنبي»، صدر سنة ١٩٠٠، وأعيد طبعه أيضاً[٢٥٩].

٤ ـ شرح عبد الرحمن البرقوقي، المسمّى «شرح ديوان المتنبي»، صدر سنة (١٣٤٨ ـ ١٩٣٠)، وأعيد طبعه[٢٦٠].

وهكذا نجد أن الشروح المعاصرة قليلة جداً. وأن المتداول منها الآن، يقتصر على شرحي اليازجي والبرقوقي. أما الشرحان الآخران، فقد اختفيا من الأسواق، وحتى من معظم المكتبات العامة[٢٦١].

ولو عدنا إلى الشروح القديمة، لاكتشفنا أن الشارحين اكتفوا بمقدمات قصيرة لها[٢٦٢]، وأنهم لم يعتنوا بالتعريف بالأسماء الواردة، والوقائع المرافقة لكتابة القصائد. وهذا ما فعله محققو الواحدي[٢٦٣] والعكبري[٢٦٤].

أما محققو الشروح الأخرى، فانهم حرصوا على كتابة المقدمات فجاءت كالتالي:

١ ـ مقدمة د. صفاء خلوصي للفسر. وهي تقتصر على التعريف بنسخ المخطوطات التي اعتمدها. وليس فيها ما يتعلق بمناقشة شعر أبي الطيب، أو اسلوب ابن جني في الشرح.

٢ ـ مقدمة د. عبد المجيد دياب لشرح أبي العلاء لديوان أبي الطيب، وهي مقدمة طويلة جداً[٢٦٥]، ولكنها تقتصر على تعريف بالمخطوط وتحقيقه،وتعريف تقليدي بأبي الطيب وأبي العلاء، وبنهج أبي العلاء في الشرح[٢٦٦].

٣ ـ مقدمة د. خلف رشيد نعمان للنظام. وهي مقدمةضافية،وتتناول أبا تمام وأبا الطيب وشراحهما، ونهج ابن المستوفي في شرحه، ولكن لا جديد، بالنسبة لشعر أبي الطيب[٢٦٧].ولعل أبرز ما فيها محاولة تأكيد علوية أبي الطيب[٢٦٨]، ومحاولة إثبات أن شرح العكبري لابن عدلان[٢٦٩]، وليس للعكبري.

٤ ـ مقدمة د. مصطفى عليان لشرح الأفليلي. وهي مقدمة طويلة، وقد تضمنت سيرة أبي القاسم الافليلي، وشرحه ديوان أبي الطيب، ومصادر أبي القاسم اللغوية، وأثر شرح أبي القاسم وقيمته، وأسلوب شرح الافليلي ثم درست المقدمة أسلوب تحقيق المخطوطة والنسخ التي اعتمدت[٢٧٠]. ولم تتناول المقدمة أبا الطيب، لا في شخصيته ولا شعره.

فإذا انتقلنا من القديم إلى الجديد، وجدنا مقدمة سليم إبراهيم صادر تقليدية ومختصره[٢٧١]ووجدنا مقدمة البرقوقي طويلة[٢٧٢]، ولكنها تقليدية لا جديد فيها. وتظل مقدمة العرف الطيب الأبرز من بين هذه المقدمات جميعاً، لأن إبراهيم اليازجي، حاول أن يشرح فيها أسباب التعقيد في شعر أبي الطيب،وأسباب سوء فهم أبيات أثارت كثيراً من النقاش[٢٧٣].

ومن رأي إبراهيم اليازجي أن «المعاني الشعرية، ليست من قبيل الأسرار الصوفية، أو القضايا التعليمية التي تقتضي دقة نظر وجهد ذهن في تفهمها»[٢٧٤].وأن ما: «ذكر المتنبي من خفاء المعاني وغموضها وارد على الغالب، من قبيل الإبهام في اللفظ،والتعمية في قصورالتراكيب،والباس المعنى غير ثوبه الذي تظهر به تقاطيعه، وإنزاله في غير منزله الذي يقرع عليه بابه».ويضيف إبراهيم اليازجي: «وإذا اعتبرت جملة شعره، وجدت ذلك لا يختص منه بمواضيع الدقة والاختراع، بل كثيراً ما ترى

الأمر، بعد التحقيق ناطقاً بالخلاف، واقعاً على العكس». ولهذا يصل اليازجي إلى هذه النتيجة، وهي: «قل أن ترى له بيتاً قد خفي سره، وبعد مغزاه، إلا وهو على الأكثر، من ساقط شعره، ومبتذل معانيه»[٢٧٥].

وينتقد اليازجي الذين يذهبون «إلى تفضيل المتنبي على سائر الشعراء» نتيجة لخفاء معانيه، وبعد مأتاها، وكثرة ما يحتمل كلامه من وجوه التفسير وضرورة التأويل. ويخص اليازجي من هؤلاء الواحدي الذي ذهب هذا المذهب في مقدمة شرحه لديوان أبي الطيب[٢٧٦]. ويعلق اليازجي على كلام الواحدي بقوله «وما أرى هذا الكلام منه، إلّا صدى للمشهور، وحكاية للمتداول. وإنما سبق السماع فيه الاختيار، وغلب التقليد على صادق الاعتبار»[٢٧٧].

وليثبت اليازجي ما ذهب إليه، يقدم نماذج مما سماه «مستغلق شعر أبي الطيب»[٢٧٨]ثم يقدم بعض معانيه المبتكرة، «مما اجمع أهل العلم على تبريزه فيه، واعترف انداده وحساده من الشعراء باختراعه له». ومثل هذا الشعر «لم تكد تجد فيه خفاء ولا إشكالاً، بل هو في غالب حاله غاية الغايات في استحكام التأليف، وبداهة التعبير، وجودة السبك، ووضوح المراد»[٢٧٩].

ويقف اليازجي عند اضطراب الشراح في تفسير بعض أبيات أبي الطيب، فيعزوها إلى سببين:

الأول: عدم ربط الأبيات بعضها ببعضها الآخر، لأن كل بيت يرتبط بما قبله وما بعده[٢٨٠].

الثاني: عدم التدقيق في تفسير الغريب «فيفسرونه، بما يبدو لهم من قرائن الحال، وما تسوق إليه أدلة الظن، دون الرجوع في ذلك إلى كتب اللغة، واستثباته من نصوصها»[٢٨١].

إن ما تناولته مقدمة اليازجي بحث نوعي لم يقم أحد بمثله من الشارحين، ومحققي الشروح. وقد جلا قضايا مهمة تتعلق بشعر أبي الطيب، وكشف بعض الأفكار المتداولة عنه، وافتتح عهداً جديداً من الدراسات النوعية حول شعر أبي الطيب. وهو ما لم يستطع تابعوه من الشارحين والمحققين أن يفعلوه حتى الآن.

ثالثاً: نشر المخطوطات المتعلقة بأبي الطيب. ولعل أبرز ما نشر كتب شرح أبيات المعاني[٢٨٢] وكتب السرقات، وبعض الكتب الأخرى[٢٨٣]. وكنا تحدثنا عن بعض هذه الكتب فيما سبق، وقدمنا ملاحظاتنا عليها. وهي ملاحظاتنا على الشروح. لأن الشارحين والمحققين لم يعنوا بشخصية أبي الطيب، ولا بأدبه، إلّا بمقدار ما يقدمه النص الذي يقدمونه، فاقتصرت الخدمة على تقديم النصوص التي كان لا بدّ أن تقدم، والتي تستحق وحدها كل اهتمام.

رابعاً: نشر دراسات جديدة. إن مطامح الحياة الجديدة التي عرفها الوطن العربي، منذ بدء الحركة الدستورية في السلطنة العثمانية، حملت معها اهتماماً نوعياً جديداً بأبي الطيب، نستطيع أن نلمسه لدى دراسة الصحف التي صدرت[٢٨٣].

وكان هذا الاهتمام يزداد ويتسع، بمقدار إتساع مد الحركة السياسية، وتعاظم فعالية الحركة الثقافية.

وآتخذ هذا الاهتمام صيغاً مختلفة، من إعادة دراسة حياة أبي الطيب، إلى إعادة دراسة أدبه[٢٨٤]، ومن إصدار أعداد خاصة من المجلات[٢٨٥]، إلى الاحتفال بذكراه الألفية[٢٨٦] أو غيرها[٢٨٧].

سنحاول هنا أن نقدم أبرز ما جاءت به هذه الفعاليات، لأن الإحاطة بكل ما كتب، ومناقشة الأطروحات التي قدمت، ليس موضوع هذا الكتاب. وهناك من قام بذلك، بطريقة أو أخرى[٢٨٨].

خامساً: القيام بفعاليات جديدة. ومن ابرز هذه الفعاليات ما يلي:

١ ـ نشر المقالات والدراسات. ويمكن تتبع ذلك في الصحف التي صدرت، منذ سنة ١٨٧٥، وخاصة المقتطف[٢٨٩]، والهلال[٢٩٠]، والرسالة[٢٩١]، والحديث[٢٩٢]، والطليعة[٢٩٣]، وأبللو[٢٩٤]،والرسالة[٢٩٥]، والمشرق[٢٩٦]، وآفاق عربية[٢٩٧]، والمورد[٢٩٨]، والخ..

وإذا ما تابعنا المقتطف مثلاً، وجدنا ما يلي:

أ ـ ان هذا الاهتمام، يبدأ بمقال: «لحضرة صاحب السماحة السيد البكري،

نقيب السادة الاشراف وشيخ المشايخ» بعنوان: «مناقب المتنبي ومعايبه»[٢٩٩]، سنة ١٨٩٣. وأن هذا المقال، تبعته إشارات وتساؤلات[٣٠٠]، ولم يتبعه مقال آخر، حتى سنة ١٩٠٨، عندما نشر مقال «المتنبي والبهاء زهير» للسيدة انيسة الشرتوني[٣٠١].

ولقد نشرت المقتطف، خلال هذه الفترة، وسنة ١٩٠٢، مقتطفات بعنوان: «ارسطو طاليس والمتنبي»، اجتزئت من رسالة الحاتمي في الموضوع[٣٠٢].

وخلا المقتطف، من أية مقالات عن المتنبي، حتى نشر توفيق اسكاروس، سنة ١٩٢٠ و ١٩٢١ الفهرس الذي اعده حول «المتنبي ومخطوطاته في دار الكتب السلطانية بالقاهرة»[٣٠٣].

وواضح أن هناك محاولات للتعريف بأبي الطيب، سواء كان ذلك بنشر معلومات عنه، كنشر مقتطفات الحاتمي، وفهرست المخطوطات، أو بدراسة شخصيته، كما فعل البكري، ودراسة شعره، كما فعلت أنيسة الشرتوني.

ورغم ما يوحيه مقال البكري من توجه تقليدي، فإنه يبحث المناقب والمعايب بطريقة غير طرق القدماء. وإذا كان القدماء قد تحدثوا عن مناقبه ومعايبه الشعرية، فإن البكري يتحدث عن مناقبه ومعايبه الشخصية.

ويرى البكري أن «القوة الغضبية آخذة كل مأخذ من نفس» أبي الطيب، وأن لهذه القوة فضائل ورذائل. أما الفضائل، فهي «الشجاعة، وعظم الهمة، والأنفة، والحمية، والتثبت، والنجدة، والشهامة». وقد تحدث عن كل منها. وأما الرذائل، فهي «الكبر والعجب والقحة والحقد»[٣٠٤].

وحاول البكري أن يكون منصفاً، وإن عجز عن فهم تجاسر أبي الطيب على الرؤساء، مثل الإصرار على الإنشاد في مجلس سيف الدولة قاعداً، والوقوف أمام كافور «وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقه». وكان: «يركب بحاجبين من مماليكه، وهما بالسيوف والمناطق». وقد عد البكري ذلك «من مناقب أبي الطيب، وتلحق بالانفة». ولكن خرق أبي الطيب إجماع الشعراء في هذا المجال «يعد من كبريائه وتعاليه»[٣٠٥].

وتحاول السيدة أنيسة الشرتوني (١٨٨٣ ـ ١٩٠٦) أن تعالج مسألة الغموض في

شعر أبي الطيب، فلا تلجأ إلى اساليب القدماء، بل تتساءل: «ما الذي دعا أبا الطيب الى جعل شعره عالياً على ضعفاء الأدباء والمتأدبين؟». وما الذي حمله على الإغراب؟. وتجيب: «إن المتنبي، أظن، لكثرة ما حفظ من الفاظ اللغة، وخزن في ذاكرته من القصائد التي هي منازل لغريب اللغة، لم يعد يشعر أنها غريبة على الناس». وتضيف: «أو أنه كان لا يلتفت الى حال من يقرأ ويسمع، ولا يراعي اختلاف الطبقات في الفهم، وربما كانت نفسه تميل الى استعمال الغريب والعويص، وتعده من مظاهر الشعر».

ولكن السيدة أنيسة لا تقف هنا، بل تذهب إلى أن: «كثيراً مما هو غريب على ضعفاء الأدباء من اهل زماننا، كان متداولاً بين أدباء زمانه».

ولا تقف السيدة أنيسة هنا أيضاً، بل تضيف أن كثيراً: «ممن تقدموا المتنبي تجد في كلامهم اغراباً أكثر مما تجد في شعر المتنبي، ما خلا عنترة، ومن نحا نحوه».

وتلاحظ السيدة أنيسة أن أبا الطيب: «متى همه أن يفصح عما في نفسه، وحرص على أن يفهم معناه، ويقبل احتجاجه، ويرسخ برهانه، عدل عن الاغراب، وسلك اقرب طرق الإفهام»[٣٠٦].

ولا يلقى أبو الطيب الاهتمام عينه في الهلال. و«الدراسة» الوحيدة المنشورة، خلال هذه المدة سريعة، وتعتمد بعض المعلومات المتوارثة أساساً[٣٠٧]. وهناك إشارات أخرى، لا تضيف شيئاً[٣٠٨].

وهكذا نجد أنفسنا مع محاولات جديدة لفهم نفسية أبي الطيب وشعره. وهي وإن كانت لا تفي بالغرض، إلا أنها تفتح الطريق لمقالات وأبحاث ودراسات سنراها فيما بعد.

ب ـ إن هذا الاهتمام، يأخذ بالتزايد، منذ ١٩٢٠، ولكنه يتعاظم وسط الثلاثينيات، مع الاحتفال بالذكرى الألفية[٣٠٩]. وبينما نجد ثلاث مقالات، سنة ١٩٣٠[٣١٠]، نجد المقتطف، قد أصدر عدداً خاصاً عن أبي الطيب، سنة ١٩٣٦[٣١١]. وجاء في افتتاحية العدد: «هذا العدد، يختلف عن كل عدد». وتضيف الافتتاحية: «فالذي يقرأ هذا البحث، ويعود الى مطالعة ديوان المتنبي متدبراً تنكشف

أمامه معاني شعره، وصلتها بنفس صاحبها من ناحية، وبتاريخ عصره، من ناحية اخرى»[٣١٢]. وكان البحث المشار اليه بحث الأستاذ محمود محمد شاكر الذي سنتحدث عنه فيما بعد[٣١٣].

وسوف يكون خارج إطار هذا البحث متابعة ما صدر في الصحف من مقالات ودراسات حول أبي الطيب، من الآن فصاعداً. لأن الصحف باتت كثيرة، ولأن المقالات والدراسات تزايدت، ولأن الاهتمام ازداد كمّا ونوعاً. ويكفي أن نذكر، وهذا ما استطعنا الالمام به، أن العديد من المجلات البارزة قد اصدرت اعداداً خاصة في الذكرى الألفية. وأن هذه الظاهرة تكررت، وسط السبعينيات، ومع الاحتفال بذكرى أبي الطيب في بغداد، وهو ما سنبينه فيما بعد[٣١٤].

ولذلك، فإننا سنشير، حيث نرى ضرورياً، الى المقالات والدراسات، ونحن، نناقش ما ورد من اطروحات، حول أبي الطيب، في بعض الكتب المهمة التي صدرت عنه، وفي بعض المقالات والدراسات التي تحولت الى كتب.

٢ ـ عقد الندوات: وقد عقد العديد من الندوات في الذكرى الألفية وكان منها:

أ ـ ذكرى أبي الطيب في سان باولو ـ البرازيل[٣١٥].
ب ـ ذكرى المتنبي في دمشق وحلب وحمص[٣١٦].
ج ـ ذكرى المتنبي في الجامعة المصرية[٣١٧].
د ـ ذكرى أبي الطيب في دار المعلمين العليا، ودار المعلمين الابتدائية في بغداد[٣١٨].
هـ ـ ذكرى المتنبي في الجامعة الاميركية في بيروت[٣١٩].
و ـ ومهرجان أبي الطيب سنة ١٩٧٧ في بغداد[٣٢٠].

٣ ـ إصدار الأعداد الخاصة من المجلات، ومن ذلك:

أ ـ مجلة العصبة في سان باولو، سنة ١٩٣٥[٣٢١].
ب ـ صحيفة دار العلوم، سنة ١٩٣٦[٣٢٢].
ج ـ مجلة الهلال، سنة ١٩٣٦[٣٢٣].
د ـ مجلة المقتطف، سنة ١٩٣٦[٣٢٤].
هـ ـ مجلة الحديث في حلب، سنة ١٩٣٥[٣٢٥].

و ـ مجلة الطليعة في دمشق، سنة ١٩٣٦[٣٢٦].
ز ـ مجلة الاداب، سنة ١٩٧٧[٣٢٧].
حـ ـ مجلة المورد، سنة ١٩٧٧[٣٢٨].
ط ـ مجلة آفاق عربية، سنة ١٩٧٧[٣٢٩].

٤ ـ نشر الكتب والدراسات: وقد اخذ عدد هذه الكتب يزداد، منذ ١٩٢٠، ولكنه ازداد ازدياداً ملحوظاً، منذ بداية الخمسينيات، لتأخذ هذه الزيادة خط التصاعد في الستينيات والسبعينيات والثمانينيات.

ونجد، عند دراسة هذه الكتب والدراسات، أنها اتخذت اربعة خطوط:

الأول: يدرس حياة أبي الطيب وشخصيته ومواقفه.

الثاني: يدرس شعره.

الثالث: يدرس شارحيه وناقديه.

الرابع: ويدرس بعض المظاهر غير الشعرية في شعره.

وسنحاول أن نقدم الملامح العامة لأبرز هذه الدراسات، عن حياته وشخصيته ومواقفه.

ويلاحظ دارس هذه الكتب ما يلي:

أولاً: أنها تحاول رسم ملامح أبي الطيب الشخصية والشعرية، بالاعتماد على المعلومات المتوافرة، أو بمناقشتها ونقدها وتجاوزها. والكتب والدراسات، على هذا الصعيد قسمان:

أولهما: أميل للتقليد، ونقل الأخبار التقليدية دون دراسة، أو بشيء من الدراسة التي لا تتناول الجوهر والمنطق، بل تكتفي بمناقشة بعض التفاصيل.

وهذه الدراسات والكتب لا تبحث عن أبي الطيب، إلّا في الروايات والأخبار التي تناقلها الرواة، بكل هشاشاتها وتناقضاتها. أما السياق التاريخي والثقافي والديني والمذهبي، فلا مكان له في هذه الكتب. كما أن شعر أبي الطيب، لا تفسير له، إلّا كما جاء به القدماء، من ابن جني، الى العكبري وابن المستوفي.

ويندرج في إطار هذه الكتب والدراسات:

١ ـ كتاب عبد الرحمن عزام: «ذكرى أبي الطيب بعد الف عام»[٣٣٠]. وسمة هذا الكتاب الرئيسة أنه جمع الروايات المختلفة، وحاول أن يحدد التواريخ والأماكن، اعتماداً على دراسة الروايات المختلفة، وأن يقدم مرجعاً يغني عن قراءة العديد من الكتب التراثية الخاصة بأبي الطيب.

٢ ـ كتاب د. مصطفى الشكعة: «أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقيين»[٣٣١]. وقد حاول أن يناقش الأخبار المتداولة، وأن يرد على بعض الباحثين المحدثين، مثل د. طه حسين وعبد الغني الملاح، وإن كان لم يخرج عن الإطار التقليدي لرؤية أبي الطيب في تراثنا.

٣ ـ كتاب د. عصام السيوفي: «العوامل السياسية في شعر أبي الطيب المتنبي»[٣٣٢]. وقد حاول مؤلفه بكثير من الجهد، أن يعيد صياغة قصة حياة أبي الطيب، على ضوء الأخبار المروية، وأن يثبت أنه كان يمثل الموقف القومي في وجه العجم. وفي الكتاب محاولة جادة لرسم صورة مشرقة، تناقض الصورة التي رسمها بلاشير وطه حسين وغيرهما.

٤ ـ كتاب د. محمد عبد الرحمن شعيب: «المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث»[٣٣٣]. والكتاب عبارة عن ترداد لما ردده القدماء، دون أي جديد، إلّا محاولة إيجاد الأسانيد لتبرير ما اعتبر سقطات، تدينه. وقد بذل المؤلف هنا جهوداً لا تنكر.

وثانيهما: أميل للتجديد، سواء نجح في ذلك أم لم ينجح.

وتحاول هذه الكتب والدراسات أن تعيد دراسة شخصية أبي الطيب وشعره، باتباع أساليب جديدة، ومناقشة الأخبار المروية، والتعميمات التراثية، لتبيان ما فيها من هشاشة واختلاط، ولرسم صورة أخرى لأبي الطيب لا تلتزم بالرؤية التراثية.

ويندرج ضمن إطار هذه الدراسات والكتب ما يلي:

١ ـ دراسة إبراهيم عبد القادر المازني: «أبو الطيب المتنبي، سيرورة شعره، قوة المتنبي، عناصر قوته». وقد حاولت الدراسة أن تدرس عوامل قوته، دون الالتزام بالتراث، وأن تنفي البخل عنه، رغم إجماع الذين كتبوا عنه على ذلك[٣٣٤].

٢ ـ دراسة العقاد، التي نشرت على حلقات، أولها: «هل تنبأ المتنبي؟». وهي دراسة حاولت أيضاً أن تكتشف الأبعاد الحقيقية لشخصية أبي الطيب، دون أخذ المرويات التراثية عنه على أنها حقائق، ودون الانطلاق منها على أنها أساس كل ما سيكتب، ويقال عنه[٣٣٥].

٣ ـ كتاب محمود محمد شاكر: «المتنبي»[٣٣٦]. وهو سعي جاد يعتمد على الحدس، ويقوم على الاعتقاد بأن أبا الطيب شخصية علوية، حرمت من حقوقها، فناضلت لاستعادتها. وفي سبيل إثبات ذلك، يقوم الأستاذ محمود محمد شاكر بمناقشة كثير من الأخبار المروية، ليهز الصورة التقليدية المتوارثة عن أبي الطيب. ولكن الفكرة، على وجاهتها، والمحاولة على جديتها، افتقدت الى أسلوب البحث المنظم، وإلى البحث الدؤوب في المراجع التاريخية لإثبات حيثياتها. إلّا أن هذا المسعى، كان بداية تستحق الاحترام، لأنه يقوم على رؤية نافذة.

٤ ـ كتاب عبد الغني الملّاح: «المتنبي يسترد أباه، دراسة في نسب المتنبي»[٣٣٧]. وهو محاولة تؤكد فرضية الأستاذ محمود محمد شاكر، في أن أبا الطيب شخصية علوية، وأنه ابن الإمام الثاني عشر، كما يضيف الأستاذ الملّاح. ويعود الأستاذ الملّاح الى التراث الشيعي، ليثبت هذه الفرضية. وقد رسم الملّاح لأبي الطيب ملامح إمام شيعي، وريث للإمام الثاني عشر.

٥ ـ كتاب د. عبد الفتاح صالح نافع: «لغة الحب في شعر المتنبي»[٣٣٨]. وهو كتاب متخصص، وبحث جاد، يدرس لغة الحب عند أبي الطيب بكل جوانبها.

٦ ـ كتاب الأستاذ يوسف حناشي: «الرفض ومعانيه في شعر المتنبي»[٣٣٩]. وهو كتاب متخصص أيضاً يدرس ظاهرة الرفض في شعر أبي الطيب، بأسلوب جديد، ولم يسبق أن درس أبو الطيب بهذا الأسلوب من قبل.

٧ ـ كتاب د. حسين الواد: «المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب»[٣٤٠]. وهو دراسة جادة، تتناول وجهات نظر القدماء حول أبي الطيب. وتتسم بكثير من المتابعة والتدقيق. وقد قام حسين الواد بمحاولة اخرى في كتابه «مدخل الى شعر المتنبي»[٣٤١] تتمم ما قام به في الكتاب الأول[٣٤٢]. ولكن المشكلة الرئيسة في هذين العملين

الجادين، أنهما يدرسان أبا الطيب في المراجع التراثية التي درسته مباشرة، ولا يهتمان بدراسة المراجع الأخرى التي تسهم في كشف الغاز حياته وشعره.

٨ ـ كتاب د. محمد فتوح أحمد: «شعر المتنبي: قراءة أخرى»[٣٤٣]. وهي فعلاً قراءة أخرى، تخرج عن الأطار التقليدي. وتصلح أساساً لدراسات أخرى، أكثر شمولاً وعمقاً.

٩ ـ كتاب د. عبد العزيز الدسوقي: «في عالم المتنبي»[٣٤٤] وهي دراسة جادة، في حلقات، تناولت شعر أبي الطيب تناولاً جديداً، أظهرت سمات القوة والعظمة والفن فيه، التي لم تستطع الأساليب التقليدية أن تظهرها. أنها دراسة نوعية، تختزن تجربة ناقد مؤهل، ولكن كتابتها على حلقات، واقتصارها على دراسة بعض القصائد والجوانب، حرمنا من الفوائد الكبرى التي كنا سنجنيها، لو اتخذت الدراسة صيغة دراسة أكاديمية.

وهذا الذي ذكرناه لا يعدو الأمثلة.

وفي مقارنة ما هو أميل للتقليد، بما هو أميل للتجديد، نرى صورتين لأبي الطيب، واحدة مشوشة، يختلط فيها الأباء بالخسة، والسمو بالسقوط، والإبداع بالاجترار، والفصاحة بالركاكة، والثانية شخصية واضحة القسمات عازمة مصممة، تملك قوة إبداع عظيمة، وتقدم فناً يتجاوز الزمن، وإن كانت لا تظل بكل وضوحها وقوتها في كل اللحظات.

ثانياً: إن معظم هذه الكتب والدراسات، وخاصة، قبل بداية السبعينيات أعطي الاهتمام الأول لدراسة شخصيته، ولم يعط الاهتمام عينه لدراسة شعره. وإن كان هذه الاختلال قد أخذ في التضاؤل، منذ بداية السبعينيات، فبدأنا نرى دراسات في شعره[٣٤٥]، وحول شعره[٣٤٦].

ثالثاً: إن الخلل الأساسي في هذه الدراسات، يعود الى أنها ظلت اسيرة المعلومات المتوارثة، ولم تحاول أن تخرج من إطار هذه المعلومات الى عالم التراث الفكري والسياسي والاجتماعي والديني، لاكتشاف شخصية أبي الطيب، ولدراسة شعره. وما حدث من تجديد، ناتج عن بدء محاولات رفض الصورة التقليدية المتوارثة، وفتح آفاق جديدة للبحث، ومنذ بداية العشرينيات خاصة. ويلمس قارىء هذه

الكتب والدراسات التطور في المستوى، واتجاه التخصص، كلما اتجه صعداً من العشرينيات نحو نهايات القرن، ليجد الدراسات والكتب في السبعينيات والثمانينيات الأغنى والأشمل والأعمق والأكثر تخصصاً.

رابعاً: أن الكتب والدراسات التي صدرت منذ العشرينيات ألقت أضواء جديدة على أبي الطيب: شخصيته وشعره ونقده، ولكنها فتحت أبواباً، ما زالت بحاجة إلى المزيد من البحث والعمل.

إلّا أننا، ونحن عازمون على الانتقال الى موضوعنا الرئيسي، في نهاية هذا القسم الثاني، من الكتاب الأول، من هذا الكتاب، نرى من الضروري، أن نشير إلى بعض الكتب ذات الأهمية في دراسة أبي الطيب، وإن كنا لم نصنفها مع الكتب التي ذكرناها آنفاً. لأنها أميل للتقليد، وإن كانت غير تقليدية، وأبعد عن التجديد، وإن كانت دراسات مهمة.

وأبرز الكتب التي سنذكرها الآن ما يلي:

١ ـ كتاب د. ر. بلاشير: «أبو الطيب المتنبي، دراسة في التاريخ الأدبي». وقد صدر الكتاب بالفرنسية، وترجم الى العربية[٣٤٧]. والكتاب أوفى كتب الدراسات التاريخية عن أبي الطيب، وأغناها، وأكثرها تتبعاً لدقائق حياة أبي الطيب، وبحثاً عن تعريف للإشارات والأماكن والشخصيات الواردة في شعره. ولكن الكتاب، رغم مستواه الأكاديمي العالي، ينطلق من المعلومات التراثية المباشرة عن أبي الطيب، ولا يبحث عنه فيما عداها. ثم ان الكاتب لا يرى الشاعر غير مدّاح، وبالتالي فإن الكتاب الذي يتبع أسلوب الدراسة الأكاديمية، لا يتحلى بروح أكاديمية بالنسبة للشاعر. والكتاب يهتم بحياة أبي الطيب، أكثر مما يهتم بشعره.
ورغم ذلك، فإن الكتاب، يظل مرجعاً أساسياً، من مراجع دراسة أبي الطيب.

٢ ـ كتاب د. طه حسين: «مع المتنبي»[٣٤٨]. وهو متأثر بكتاب بلاشير السابق الذكر. وليس الكتاب دراسة أكاديمية، بل مجموعة ملاحظات وخواطر حول أبي الطيب، استندت إلى الأخبار المتوارثة. وإن كان د. طه حسين قد حاول أن يطرح أسئلة ويثير قضايا، كعادته. ورغم ذلك، فإن الموقف الذاتي من أبي الطيب واضح وضوح موقف بلاشير[٣٤٩]. وقد اعتبر د. طه حسين أن أبا الطيب: «نبات شعبي

خالص»، وأن دراسة «البيئة الشعبية الكوفية التي أنبتت هذا النبات الشاذ أقوم وأجدى من البحث عن أبيه، أكان من جعفى ـ وعن أمه أكانت من همدان»[٣٥٠]. وأن مولده كان شاذاً[٣٥١]. وكل ذلك ناتج عن نقص الدراسة العميقة والشاملة للرجل وعصره. وتتسم ملاحظات د. طه حسين حول حياة أبي الطيب بالتسرع وعدم الدقة، وكذلك ملاحظاته على شعره.

٣ ـ كتاب هدى الأرناؤوطي: «ثقافة المتنبي وأثرها في شعره»[٣٥٢]. وهو كتاب أكاديمي متخصص، من بين العديد من الكتب المتخصصة التي ظهرت في العقدين الماضيين حول أبي الطيب. ولما كان الكتاب في الأساس رسالة جامعية، فإنه لا يتجاوز ذلك. ولكن دراسته تفيد في التعرف على قسمات أبي الطيب، وعلاقاته مع بيئته السياسية والاجتماعية.

٤ ـ كتاب إيليا حاوي: «المتنبي: سيرته ونفسيته، من خلال شعره»[٣٥٣]. ويكشف عنوان الكتاب طبيعته. فهو ليس دراسة في شعر أبي الطيب، ولا دراسة في حياته. إنه دراسة في سيرته ونفسيته وفنه ومن خلال شعره. وبالتالي فإن الكتاب، ليس دراسة في السيرة، ولا دراسة في الفن، بل هو ملاحظات في السيرة والفن، من خلال الشعر فقط. ولو كان هذا المجلد الضخم في دراسة سيرة أبي الطيب أو شعره، لكان سد ثغرات ما زالت مفتوحة.

والكتاب، رغم اعتماده اسلوب دراسة قصيدة، أو مجموعة قصائد، فإنه يدرس الأبيات والمقاطع، ولا يرى الجزئيات، ضمن إطار وحدة القصيدة. إنها محاولة أقرب الى النهج التقليدي في دراسة الشعر العربي، وإن كانت تخطت دراسة الكلمة والشطر والبيت. وتظهر الملامح التقليدية في هذه الدراسة، عندما نقارنها بدراسات، مثل دراسة د. عبد العزيز الدسوقي المشار إليها سابقاً، أو دراسة خالد علي مصطفى[٣٥٤].

٥ ـ كتاب د. محمود حسن عبد ربه أبو ناجي: «الحرب في شعر المتنبي»[٣٥٥]. وهو كتاب في مجلدين، يتناول هذا الجانب من شعر أبي الطيب، الذي كان قد تناوله من قبل د. زكي المحاسني[٣٥٦]. والكتاب تقليدي في نهجه ومراجعه، ولكنه ضروري للاطلاع على هذا الجانب من حياة أبي الطيب وشعره.

وهناك الكثير من الكتب تناولت حياة أبي الطيب عامة[٣٥٧]، أو اهتمت بجانب من الجوانب المتعلقة بشعره[٣٥٨]. ولكن المجال لا يتسع للإشارة إليها هنا.

واليوم، يدرس أبو الطيب، كما لم يدرس من قبل[٣٥٩]. وتصدر عنه الكتب كما لم تصدر من قبل.

ويساعد على مواصلة دراسته، والتعمق فيها، ما يلي:

١ ـ أن شعره، يثبت قوة خاصة، لا يثبتها كثير غيره، رغم مرور الأيام، وتغير الظروف، كما قال المازني[٣٦٠].

٢ ـ أن مخطوطات ديوانه وشروح شعره التي كانت غائبة، تكتشف وتصل أيدي الباحثين، مع زيادة الاهتمام بجمع المخطوطات العربية وتصنيفها، وفتح مراكزها للباحثين.

٣ ـ أن المستوى العلمي والأكاديمي في الدراسة والبحث آخذ في التطور، نتيجة التطور العلمي والثقافي، خلال أكثر من مائة عام.

٤ ـ أن لدينا الآن ثروة من الدراسات، حول أبي الطيب، تساعد كل باحث على الانتقال من العام الى الخاص، وعلى اكتشاف الثغرات، وإضافة تراكمات لم تكن ممكنة من قبل.

ولذلك، فإننا نتوقع المزيد من الأعمال المتعلقة بأبي الطيب، والمزيد من التعمق في دراسة شخصيته وشعره.

والآن ماذا نستطيع أن نقول عن شعر أبي الطيب؟

إن ما سنقوله قسمان:

الأول: ويتعلق برأينا فيما قاله القدماء والمحدثون في نقد شعره.

والثاني: ويتعلق برأينا في شعره.

نقد شعر أبي الطيب:

بينا في تعليقاتنا على شراح شعر أبي الطيب، ومناقشي المشكل من شعره،

ومواقف خصومه وأنصاره، كيف نظر القدماء إلى شعره، وحاولنا أن نقدم بعض الملاحظات عن تعامل المحدثين مع شعر أبي الطيب.

ولكن هذه الملاحظات لا تفي بالغرض. لأنها جاءت متفرقة، ولأنها قدمت آراء بعض الشراح والنقاد، كما قدموها.

وسنحاول الآن أن نقدم صورة للموقف النقدي الذي وقفه القدماء والمحدثون.

إلّا أننا نرى من الضروري، أن نقدم لذلك ببضعة ملاحظات:

الأول: أن النقد العربي ظل قاصراً عن التعامل مع الشعر العربي على أنه شعر، وظل مشدوداً الى عوامل وجوانب، لا تستوعب العملية الشعرية في القديم والحديث. وحين كانت الرؤية النظرية، تبدو صحيحة نسبياً، كانت العملية النقدية التطبيقية، تبدو مشوشة وقاصرة تماماً.

ويعود الأمر في القديم الى ما يلي:

١ ـ أن النقد في العصر الجاهلي والقرن الأول، من صدر الإسلام، كان يعتمد على التذوق. وكانت له أعراف وتقاليد، ولم تكن له قواعد مكتوبة. وقد ظل التذوق أساس النقد، حتى بعد أن أخذ النقد يتطور في العصور اللاحقة[٣٦١]. والذوق عامل رئيسي في النقد، ولكنه وحده، لا يكفي للاحاطة بالعملية الفنية، ولتشريحها، ولكشف عوامل قوتها وضعفها. وإن كان يستطيع أن يقدم ملاحظات عن الشعر عامة، وعن بعض مظاهر الإبداع، أو الضعف فيه.

٢ ـ أن المقاييس النقدية كانت عامة، بحيث لا تبرز السمات الخاصة، وجزئية، بحيث لا تبرز خصوصية النص، وعوامل الإبداع، أو الضعف فيه، وتقتصر على ابراز الإبداع في استعارة أو تشبيه هنا، وغلط نحوي، أو ركاكة لغوية هناك[٣٦٢]. إن هذه العمومية، من جهة، كالقول أحسن، أو أجاد، أو تجاوز من قبله، أو أسفّ، و... الخ[٣٦٣]، وهذه النظرة الجزئية التي ترى «العيوب» الصغيرة هنا وهناك[٣٦٤]، كما كان الأمر مع أبي الطيب، منعتا من التعرف على الخصائص الإبداعية للقصيدة خاصة، وللشعر عامة، وأضعفتا من دور النقد العربي، في فهم شعرنا العربي، وإبراز عوامل الإبداع فيه.

٣ ـ إن إقدام كثير من علماء اللغة على التعريف، بالشعر، وروايته ونقده، جعل اللغة أساس النقد. ولذلك ارتبط شرح الشعر بتناول قضايا صرفية ونحوية، وقضايا إستخدام المتعارف عليه، أو ابتعاده عنه، ومدى سلامة تركيب الجمل، أو تشوشها[٣٦٥]. وهكذا صار شرح دواوين الشعراء متوناً في الدراسة اللغوية، كما حصل في شروح ابن جني، وابي العلاء المعري، والعكبري. وهو ما سبق، وتحدثنا فيه.

ومن المؤسف أن تكون اللغة في هذه الشروح، قد فهمت على أنها الاهتمام بالمحافظة على التقاليد اللغوية، والابتعاد عن لغة الكلام اليومية، وأهملت اللغة، من حيث هي قدرة على التعبير، وتجاوز النمط التقليدي، وحيث قبل التجديد، ارتبط قبوله بمدى الارتباط بما هو تقليدي، والانسجام معه[٣٦٦].

٤ ـ أن النقد العربي القديم أبقى الشعر الجاهلي، من جهة، والقرآن الكريم من جهة، مقياسين، لا يناقشان، لدى محاكمة النصوص الشعرية العربية، في ميدان اللغة عامة، والاستخدام اللغوي والنحوي خاصة، حتى عندما قبل تجاوز الدين في الشعر[٣٦٧].

وأدى ذلك الى التقيد الصارم بالمقاييس اللغوية التقليدية، واعتبارها قواعد لا تمس. كما قاد الى مقارنة الإبداع بالأعجاز القرآني[٣٦٨]. وهو ما يضع الشعر في موقع حرج.

٥ ـ أن وجود سلطة قوية، كما هي الحال في العصر الأموي، أو العصر العباسي الأول، ووجود إمارات، تسعى الى كسب السلطة فيما بعد، قاد الى محاولة السيطرة على الجو الأدبي، بإعطاء السلطة الأدبية لأدباء دون أدباء، ولرفع شاعر، واذلال آخر. وكان طبيعياً أن يؤدي ذلك، الى شيوع وجهات نظر أدبية، لا قوة فيها غير قوة السلطة، كما حدث مع وجهات نظر الصاحب ابن عباد والحاتمي والأصفهاني في ابي الطيب[٣٦٩]. كما كان طبيعياً ألا تذيع وجهات نظر أخرى، لم تجد سلطة ترعاها، وتؤمن لها وسائل الانتشار. ولذلك انتشرت وجهات نظر دعاوية مشوشة وضعيفة، وكمنت في بطون الكتب وجهات نظر أعمق وأرقى.

ولذلك، نستطيع أن نقول إن النقد العربي القديم، لكل ما ذكرناه عنه ضيَّق

«أمام الشاعر العربي فرصة التجديد والابتكار»... و «عاق النقاد الذين ظل أكثرهم يدورون في ميدان تلك الحدود لا يخرجون عنها»[٣٧٠].

وهذا ما جعل الشعر لا ينمو وحده، كما قيل[٣٧١] بل ينمو تحت وطأة نقاد لا يعرفون الشعر في معظمهم[٣٧٢]، ويحاولون ضبط تطوره، وتحديد ملامحه، وإخضاعه لنمط القصيدة الجاهلية، ولمقاييس الماضي[٣٧٣].

إلّا أن هذا لا يعني أن نقدنا القديم، كان مجرد كلام معطل. لأن هذا النقد، بذل جهوداً غير عادية للمحافظة على اللغة، في وجه عوامل اضمحلالها، وأسهم في تكريس القيم العربية، في وجه محاولات الأعداء لتهديمها. كما أن النقد حاول أن يفهم بعض الاشكالات الإبداعية، وأن يناقشها، ويعمق الوعي بها، فترك تراثاً يستحق كل احترام.

أمّا في العصر الحديث، فإن النقد العربي، ظل قاصراً، رغم محاولات التجديد التي بذلت، ويعود ذلك، من وجهة نظرنا الى ما يلي:

١ ـ لأن نقادنا، عادوا الى النقد القديم محاولين دراسة الاشكالية الشعرية من خلاله. وقاد هذا الى إشكاليتين:

أ ـ التمسك بما هو تقليدي والبحث فيه، عن مقاييس نقدية لشعرنا القديم والحديث والمعاصر.

ب ـ محاولة إثبات أن فيه أطروحات صالحة[٣٧٤]، وأنه ليس عقيماً الى الحد الذي حاول أن يظهره بعض المتغربين والمستشرقين[٣٧٥].

ولكن محاولة الإثبات هذه لم تستطع أن تغطي عيوب النقد العربي القديم، ولا أن تجعله أساساً للنقد العربي الحديث والمعاصر.

٢ ـ لأن نقادنا الذين عادوا الى التمسك بالقديم، واجهوا التطورات التي بدأت في وطننا، مع بداية القرن الماضي، والتي حملت معها أوضاعاً جديدة في كل الميادين، من السياسة الى الاقتصاد، ومن التعليم الى نمط العيش، بمحاولة تلقي الحديث الأجنبي بالعربي التقليدي. إلّا أن هذه المحاولة لم تستطع أن تواجه مد التغريب الزاحف. وأخذت مدارس جديدة تنشأ في الأدب والنقد عامة، والشعر خاصة. وقاد

ذلك الى اضطراب معقد. فمن جهة ما زال للنقد القديم موقعه في تاريخنا الأدبي وحياتنا القومية. وهو، وان لم يستطع أن يؤدي الوظيفة المطلوبة في زمانه، ما زال أقرب الينا، من أي نقد غريب. ومن جهة أخرى، فإن المدارس النقدية الغربية، تفتح آفاقاً رحبة لدراسة شعرنا القديم والحديث والمعاصر، وتغرينا بترك الماضي تراثاً، والبحث عن آفاق الجديد في الجديد.

إن هذه الإشكالية، جعلتنا لا نجد في القديم ما يلبي مطامحنا، ولا نستطيع امتلاك الحديث، وتطبيقه على شعرنا تطبيقاً خلاقاً.

ثم إن هذه الإشكالية أعادتنا الى الحوار التقليدي حول المحافظة والتجديد، وهو ما عاشه أدبنا عامة وشعرنا خاصة، منذ صدر الإسلام[٣٧٦].

٣ ـ لأن التطورات الفلسفية والأدبية العاصفة في العالم، منذ بداية هذا القرن، التي هزت قيم الفلسفة الأوروبية، وقيم الأدب العربي[٣٧٧]، انتقلت الى عقر دارنا مدارس أدبية، وتجارب نقدية وشعرية[٣٧٨]. وانعكست في مواقف بعضنا من أدبنا ونقدنا وشعرنا، فدعوا الى تبني الأنماط الغربية. ورد بعضنا الآخر بضرورة التمسك بالتراث، والدفاع عنه، ومحاربة التغريب. وقام طرف ثالث يدعو الى استخلاص خير ما في أدبنا ونقدنا وشعرنا، وتمثل خير ما في الأدب العربي، وخوض تجربة التجديد، وانطلاقنا من تراثنا، ولكن بالانفتاح على كل ما هو جديد[٣٧٩].

وأدخلنا ذلك في دوامات قوية، ما زلنا نعاني دوارها.

إن ذلك كله، جعل نقدنا اليوم كنقدنا بالأمس، لا يعجز عن مواكبة التجربة الشعرية فقط، بل يسهم في بلبلتها، رغم كل المحاولات الجادة التي بذلت[٣٨٠].

ولقد عانى شاعرنا أبو الطيب في القديم من ذلك كله، كما لم يعان شاعر آخر. وما زال يعاني منه في الحديث.

عانى منه في القديم لثلاثة أسباب:

الأول: لأن مقاييس النقد التقليدي جارت على شعره، ولأن الاهتمام بالجزئي واللغوي دائماً، واعتبارات اللياقة الرسمية أحياناً، جعلت النقاد، حتى من أنصاره كابن

جني، يعجزون عن كشف الثروة الابداعية في شعره، وجعل الخصوم، يعيثون في شعره فساداً، والحكام العدول، يقفون ذاهلين.

الثاني: لأن محاولة إخضاعه للمقاييس النقدية السلفية، وقياس شعره بالشعر الجاهلي أو الأموي أو العباسي الأول، جعلته يبدو خارجاً عمن سبقه، فاتهم بالتفلسف، حتى عدّ من المتفلسفين لا من الشعراء[٣٨١]. كما اتهم في لغته وأسلوبه[٣٨٢]، حتى عندما اعترف به شاعراً عظيماً.

الثالث: لأن حقد حكومات الخدم والعجم عليه، أدت الى اتهامه بالخروج على الدين[٣٨٣] وعلى السلطان، والى محاولة تشويهه، بكل الوسائل.

أما في الحديث، فأن أبا الطيب قد عانى كثيراً للأسباب التالية:

١ ـ لأن تطبيق قيم النقد التقليدي، وأقوال الرواة، على شعره، لا تحرره من وطأة نقاده القدماء، بل تزيدها شدة.

٢ ـ لأن تطبيق القيم النقدية الغربية، قد ينصف أبا الطيب أحياناً، ولكنه كثيراً ما يسيء إليه، لأنّ لكل تجربة شعرية خصوصياتها. ولا تتسع مقاييس النقد في لغة لكل شعر اللغات الأخرى. وهذا ما جعل كاتباً، مثل بلاشير، يقف موقفاً سلبياً من شخصية أبي الطيب وشعره[٣٨٤].

٣ ـ لأن ما اتهم به أبو الطيب من خروج ديني وسياسي في الماضي، يجعله هدف الذين يخافون الخروج الديني والسياسي في الحاضر والمستقبل. ويجعله أيضاً هدف المستسلمين الذين لا يريدون أن يرفعوا رؤوسهم، وشعراء البلاط الذين لا ينقمون، ولا يثورون.

ولهذا كله سنحاول أن نعود الى شعر أبي الطيب، لنسهم في محاولة التعمق بفهمه، وكشف عوامل قوته، وسر بقائه مع الأيام.

شعر أبي الطيب وخصائصه:

شعر أبي الطيب: ثلاث أقسام:

أن دراسة شعر أبي الطيب، تكشف لنا أنه يتكون من ثلاثة أقسام:

الأول: وهو ما يمكن أن نسميه «الشعر الذاتي». وفي هذا الشعر عبر أبو الطيب عن مكنونات نفسه إعجاباً أو نقمة، فرحاً أو غضباً. وهذا الشعر هو أصدق شعره وأكثره إبداعاً.

ويضم هذا الشعر قصائد من شعر الصبا والشباب[٣٨٥]، كما يضم معظم السيفيات[٣٨٦]، وبعض قصائده في مصر، وخاصة عندما اختلف مع كافور[٣٨٧]، وقصيدته التي قالها عند وصوله الكوفة هارباً من مصر[٣٨٨]. ويضم هذا الشعر أيضاً معظم قصائده في الهجاء[٣٨٩]، وقصائده في رثاء فاتك، ومقطوعات مبثوثة في كثير من قصائده الأخرى[٣٩٠].

ويجتمع في هذا الشعر الصدق مع الابداع، رغم اختلاف مراحل نظمه، لأنه يضم شعراً من شعر الصبا والشباب والكهولة.

الثاني: وهو ما يمكن أن نسميه «الشعر الرسمي». وهو الشعر الذي قاله في مناسبات، أعد لها جيّداً، كمدائحه في بعض أمراء الشام[٣٩١]، وكافور[٣٩٢]، وابن العميد، وعضد الدولة[٣٩٣]. ويختلف هذا الشعر في مستواه بين مرحلة وأخرى، ومناسبة وأخرى، ولكنه شعر يستحق الاهتمام.

الثالث: وهو ما يمكن أن نسميه شعر «المناسبات العابرة». ومعظمه إن لم يكن جله، مرتجل، ومستواه عادي أو ضعيف في كل المراحل[٣٩٤]، ما عدا القليل منه، وخاصة ما يرتبط بسيف الدولة[٣٩٥].

وفي القسم الأول، تتجلى كل خصائص شعر أبي الطيب، وتبرز معالم إبداعه، ويكمن سر قوته وخلوده. ومن هذا القسم ستكون مختاراتنا في هذا الكتاب.

فما هي أبرز خصائص هذا الشعر؟

إن الإجابة على هذا السؤال، تتطلب التأكيد على ما يلي:

١ ـ أن نقدنا التقليدي قاصر عن فهم شعرنا التقليدي والمعاصر، لأن هذا النقد نما خارج إطار الشعر، وللجمه وضبطه، لا لاستنباط قوانين الأبداع منه.

وكان النقاد في الأغلب رواة وعلماء لغة وفقهاء دين، ولم يكونوا شعراء. ولذلك قال الجاحظ: «طلبت علم الشعر عند الأصمعي، فوجدته لا يحسن إلّا غريبه،

فرجعت الى الأخفش، فوجدته لا يتقن إلّا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة، فوجدته لا ينقل إلّا ما اتصل بالأخبار، وتعلق بالأيام والأنساب»[٣٩٦]. وقال الجاحظ أيضاً: «لم أر غاية النحويين إلّا كل شعر فيه إعراب، ولم أر غاية رواة الشعر إلّا كل شعر فيه غريب، أو معنى صعب يحتاج الى استخراج»[٣٩٧].

ولذلك، ونحن ندرس النقد العربي التقليدي، يجب أن نعلم أنه نقد نما وترعرع خارج إطار الحركة الشعرية، وأنه لذلك لم يفهم القصيدة. واقتصر تعامله معها على جزئيات ثانوية في معظم الأحيان[٣٩٨].

٢ ـ أن الشعر العربي التقليدي، نما وترعرع، في ظل تقاليد الشعر الجاهلي، التي التصقت به، وواكبته حتى الآن. وحين تطور تطور، ضمن إطار حركة تطور المجتمع، ولم ينتظر مبادرات النقاد[٣٩٩]. وكان النقاد يتحركون ببطء وراءه، ليقروا ما جعله الشعر أمراً واقعاً، مثل تجاوز الشعر لقضايا الدين والأخلاق[٤٠٠]. وإن كان شراح الشعر ونقاده، قد ظلوا يدينون عدم تقيد الشعراء بالضوابط الدينية والأخلاقية[٤٠١].

ولهذا، فإن علينا أن نفهم الشعر في الشعر، لا في النقد الذي نما خارج إطاره. وأن نبحث عن مقاييس الشعر فيه، وسمات إبداع الشاعر في شعره، دون أن نتجاهل القوانين العامة للأبداع.

٣ ـ أن مقاييس النقد الأوروبي الحديث حديثة. وهي لا تصلح أساساً لفهم شعرنا العربي التقليدي، لأنها لزمان غير زمانه، ولنمط غير نمطه. ثم أن هذه المقاييس النقدية، لا تصلح لدراسة شعرنا العربي المعاصر، لأنه شعر منبثق من تجربتنا التقليدية. ولأن علاقة اللغة وثيقة وعميقة بالأبداع الأدبي. وللغة العربية قوانينها، التي لا تنطبق الى حد بعيد، مع مقاييس اية لغة أخرى، كما هي حال معظم اللغات الأخرى.

ومع ذلك، فإن دراسة النقد العربي الحديث، تفيد في تعميق الدراسات النقدية العربية، وفي كشف جوانب من تجربتنا الشعرية.

ولهذا، فإننا لن ننطلق من مقاييس النقد العربي التقليدي، وإن كنا لا نتجاهلها. ولن نطبق مقاييس النقد الغربي، وإن كنّا نرى فائدة في فهمها، والاستفادة من خبراتها.

أن هذا سيعني أننا سننطلق من التجربة الشعرية أساساً.

فهل يصلح الانطلاق من التجربة الشعرية أساساً؟.

إننا نرى ذلك. لأن مقاييس النقد لاحقة على التجارب الأدبية والفنية. ولأن هذه المقاييس النقدية مستمدة من وعي التجربة الأدبية والفنية، ومن حصيلة الثقافة العامة، في المجتمع المعني.

ثم إن وظيفة النقد، لا تستهدف خلق قوالب جاهزة، تصب فيها التجارب الأدبية والفنية، فتخرج، كما شاء صانع القوالب. بل هي عملية اكتشاف للسمات الإبداعية في العمل الأدبي والفني، ومحاولة تعميق الوعي بها، وبامكاناتها الخلاقة، وآفاقها الرحبة، ليسترشد الأديب والفنان والقارىء المعني بذلك، ولتُفْتح الآفاق لتطور العمل الإبداعي، في كل الميادين.

ومشكلة النقد العربي التقليدي أنه أراد أن يفرض قوالب، وأن يحاكم العمل الأبداعي على أساس مقاييسها. وهو ما قاد الى لجم العملية الابداعية، وخلق مفارقة بين النقد والعمل الابداعي. ومهما كانت الأسباب التي أدت الى جمود المبادىء النقدية[٤٠٢]، وقد يكون بعضها مهماً كالمحافظة على الفصاحة، والمحافظة على القيم العربية، في مواجهة عملية التعريب الواسعة، وفيضان الثقافات الأجنبية، إلّا أن هذا الجمود، أضر بالعملية الابداعية ايما ضرر.

ونعتقد أن أبا الطيب، سيقبل منا ذلك. لأنه واثق من أن شعره يصمد الآن، كما صمد أمام مقاييس النقد العربي التقليدي والغربي الحديث، وأنه سيخرج من أية محاكمة ظافراً غانماً، ومهما كانت مقاييسها.

ولما كنّا قد تحدثنا، بما فيه الكفاية، عن نقد شعر أبي الطيب في القديم والحديث، وبيَّنا العجز الذي ابتلى به هذا النقد، فإننا نرى من الضروري أن نقدم نماذج من أكثر المبادرات النقدية حداثة. لأننا سنرى، كيف تكشف هذه المبادرات غنى شعر أبي الطيب، وإن كانت لم تستطع أن تبلور اكتشافاتها في نظم وقوانين.

وهنا سنقدم ثلاثة أمثلة بارزة:

الأول: كتاب د. محمد فتوح أحمد: «شعر المتنبي، قراءة أخرى»[٤٠٣]. والكتاب

دراسة من نوع جديد، «ليست الغاية»، منها، كما يقول المؤلف: «دراسة حياة أبي الطيب المتنبي وعمره، بل ولا تمتد هذه الغاية، الى رصد عالمه الابداعي بكل زواياه وقضاياه». لأن «لهذا وذاك»، كما يقول المؤلف: «مكانهما من فيض الشروح والمراجع والتعليقات التي تمخضت لهذه الغاية، كلها أو بعضها». ولذلك فإن ما يتوخاه المؤلف تحديداً: «لا يعدو تقديم وجهٍ آخر للقراءة الشعرية، ولقراءة شعر المتنبي بالذات. وهو وجه لا ينظر فيه الى دلالة الوثيقة الشعرية، بمعزل عن البنية التي أحدثت هذه الدلالة». ويرى المؤلف أنه: «لا يكفي». . . «الوقوف عند أحد مستويات هذه البنية، حتى يوضع في مكانه من بقية تلك المستويات، منفعلاً وفاعلاً، متأثراً ومؤثراً، نتاجاً لما يعلوه من أغلفة النواة (أو البنية العميقة للنص)، ومنتجاً لما دونه منها، الأمر الذي يفضي الى الكشف عن ثراء اللغة الشعرية، واجتلاء كل معطياتها، بقدر ما يفضي ـ في الآن ذاته ودون تعاقب ـ الى سخاء الدلالة وتعددها، طبقاً لتدرج مستوى البناء»[٤٠٤].

وهذه القراءة ليست قراءة عابرة، بل قراءة تستهدف جاهدة اكتناه علاقات العمل الشعري الايقاعية والتركيبية والتصويرية، و «النفاذ من هذه العلاقات الى ايماءاتها النفسية والفكرية، ومن ثم ترتقي عملية القراءة ـ عند مرحلة من المراحل ـ الى مستوى النظر المنهجي المنظم، أو «فن تمييز الأساليب»، وهو عصب من أعصاب الدرس الأدبي الحديث»[٤٠٥].

واللغة الشعرية، كما يرى المؤلف «لغة شديدة الخصوصية». وخصائص هذه اللغة ليست خصائص مفرداتها، من الدلالات الوضعية للكلمات، الى الوظائف النحوية في الجمل، الى مستوى الصور الجزئية، «بقدر ما هي خصائص للنظام الذي تم به تنسيق هذه العناصر»[٤٠٦].

ولذلك فإن الكتاب يضم ستة أبواب، جاءت كالتالي:

١ ـ مفارقات الشكل.

٢ ـ عن ظواهر الصياغة الشعرية.

٣ ـ تقابلات البنية.

٤ ـ مستوى الصورة في البنية الشعرية.

٥ ـ تحولات الأسلوب.

٦ ـ المعجم الإيقاعي[٤٠٧].

وهو في ذلك يواجه نص أبي الطيب مواجهة مباشرة، مع ما يتطلبه ذلك من «اعتدة لغوية وفنية وثقافية ذات طبيعة خاصة»[٤٠٨]. وهذه الاعتدة «لا تستثني التراث النظري الضخم الذي كتب عن الشاعر وفنه»[٤٠٩]. إلّا أن المؤلف يرى أن: «مثل هذا التراث ينبغي إلا يقيد حركة القارىء، أو يشد خطواته بوثاق التصورات الآنفة»[٤١٠].

ويحقق المؤلف من خلال دراسته في الأبواب الستة المشار إليها، مستوى عالياً من اكتناه شاعرية أبي الطيب، دون أن يثقل نفسه، أو يثقلنا، بالعودة الى التراث النقدي العربي، أو الغربي. ويدل جهده على ذوق وعلم وقدرة على اكتشاف علاقات النص الشعري وتفاعلاته.

ولما كان تلخيص الكتاب، يضر به، وكنا حريصين على التعريف بمنهج المؤلف المذكور، فإننا، سنقدم الباب الذي ابتدأ به كتابه، حول مفارقات الشكل، والذي درس فيه قصيدة أبي الطيب: «صحب الناس قبلنا ذا الزمانا».

(١) - اسهام د. محمد فتوح احمد:

«العمل الأدبي ظاهرة عضوية متكاملة بطبيعتها. وعضويتها تقتضي بالضرورة أن يكون التأثير الجمالي مرتبطاً بها ككلّ، ومتعلقاً بها كواقعة ماثلة، وليس كمشروع مفترض. وإذا كنا نقبل التفرقة بين اللغة باعتبارها مجموعة الأعراف والقواعد التي يتم التصرّف اللغوي طبْقاً لها، والكلام باعتباره الطريقة التي تتجسد من خلالها تلك الأعراف والقواعد في موقف بعينه، ولوظيفة بعينها[١]؛ فإننا - بالمثل - ينبغي أن نقبل التفرقة بين وحدات اللغة الأدبية، وهي ما تزال بعد مادة صمّاء. وهذه الوحدات بعد أن تتخلّق نسقاً حياً من العلاقات والتراكيب والأنظمة، فهي في الوضع الأول في حالة غياب جمالي مطلق، على حين هي في الوضع الثاني رهينة حضور جمالي محتمل. كما أن عطاءها الأدبي في المرحلة الأولى لا وجود له، أو هو ليس موجوداً إلا بالقوة، على حين أن هذا العطاء في المرحلة الثانية موجود بالفعل.

فإذا انتقلنا من الأدب في عمومه، إلى الظاهرة الشعرية في خصوصيتها، استطعنا أن نكتشف نوعاً من التوازي العجيب بين علاقة اللغة بالكلام، وعلاقة الشعر بالقصيدة. باعتباره صورة ذهنية مجردة، لا يتجاوز ما نعرفه من تقاليد فنية في الإيقاع والصياغة. ولكن القصيدة تعني هذه التقاليد، وقد انبعثت - أو انتعشت - في إطار قوْلي يحتذي منظومة هذه التقاليد، أو يتصدّى لها، بالإضافة أو الحذف أو التعديل. وربما كان الشكليون، ومن اسْتلْهَمَ رأيهم من رُوَاد البنائية، يضعون أعينهم على هذه الحقيقة، حين نادوا بأن لغة القصيدة محاولة لإحياء الكلمة وإنعاشها في المقام الأول[٢]، وأن هذا الإحياء قد يفضي - أحياناً - إلى الإخلال المنهجي ببعض القواعد اللغوية، الأمر الذي يؤدّي - من ثمة - إلى إعادة النظر فيما يُدْعى بالضرورة الشعرية.

---

(١) انظر في التفرقة بين اللغة والكلام:

G.W. Turner. Stylistes. England. 1975, P.14.

(٢) أطلق فكتور شكلوفسكي على واحد من كتبه نشر سنة ١٩١٤ عنوان «بعث الكلمة»، ووضع هذا المصطلح في مقابل «تحجير الكلمة» بردّ قيمتها إلى ما تدلّ عليه، وتبعه الشكليون والبنائيون في التمسك بمنطوق هذا المصطلح ومفهومه.

والقصيدة حين تتمثل في هذا النّسق الكلّي الحي من العلاقات والأنظمة اللغوية، تطرح افتراضين للرؤية يتعلق كل منهما بزاوية النظر إليها. فهي باعتبارها عملاً إبداعياً لا يمكن تصورها إلاّ على نحو تركيبي خالص؛ لأنها في انبعاثها من حدقة المُرْسِل ـ أو لنَقُلْ المبدع ـ إنما تصدر كاملة البنية مستقلة التكوين. وهي بالنسبة له رسالة جُملية تتواكب عناصرها الصوتية والتركيبية والإيقاعية في سياق آنيّ غير خاضع لمنطق التعاقب، ضرورة أن المرسل لا يتعامل مع كلٍّ من هاتيك العناصر منفرداً. فهو لا يؤلف بين أصوات الكلمة، يتوقف ريثما يراجع دلالتها، ثم يتلبث لكي يختبر صيغتها الصرفية وموقعها التركيبي، ثم لكي يوائم بينهما وبين قوانين الإيقاع الشعري، بل إنه ـ من خلال الممارسة الإبداعية ـ يعالج كل هذه المستويات دفعة، وبطريقة مركبة، بحيث يبدو العمل الشعري في النهاية، وكأنه وليد زمن إبداعي واحد.

غير أن الزمن الإبداعي لا ينطبق بالضرورة على زمن التلقّي. فإذا كان الشاعر يتعامل مع القصيدة على هذا النحو الجملي المركّب، فإن الدّارس ـ وعمله لا يعدو أن يكون درجة عالية من درجات التلقي ـ يتعامل معها بوجْهَيْها من التحليل والتركيب. وهو يبدأ مما يدْعى بالشكل الخارجي، أعني مجموعة الوسائل التي أمكن بوساطتها إبداع النسيج اللغوي للقصيدة. ومن هذه الوسائل ما هو صوتي كالقافية، وتجنيس أوائل الكلمات أو أواخرها، ومنها ما هو عروضي يرجع إلى الوزن الشعري وسماته الزمنية والمقطعية، ومنها ما يتعلق بالتراكيب وطرق صياغتها.

كما أن منها ما يتعلق بتناسب أجزاء العمل، كالاطّراد والمفارقة، وكتوازن السياق أو توازيه، وكتشعيب الأداء بين الوصف والحوار، وبين صوت الشاعر وأصوات الآخرين.

وتنظيم المادة الكلامية على هذا النحو، يفضي بدوره إلى تنظيم البنية الداخلية للعمل الشعري، نعني بذلك بنية الصور الفنية الصادرة أساساً عما يُدعى بِطَاقة التخيّل، ابتداءً بالصور المجهرية أو العلاقات المجازية الصغرى كالتشبيه والاستعارة ونحوهما، ومروراً بالصور الكبرى كالرمز والأسطورة وما إليهما، ثم انتهاء بنُواة العمل أو محوره الفكري motive. وهذه البنية الداخلية من جانبها، تقوم بوظيفة النظام التحتي، الذي تنتشر منه الدلالة عبر كل مستوى إلى الآخر، ومن ثم يبدو المتلقي كمن

يذرع درجات سلّم صعوداً وهبوطاً، كما تبدو القصيدة محصّلة لوشائج من العلاقات الخارجية والداخلية، تتبادل التأثير فيما بينها، وتتآزر جميعاً على تصحيح مسار الرسالة الشعرية[1].

- ٢ -

قد يكون في هذا المفتتح النظري نوع من المصادرة على المطلوب. ولكنها ـ على أية حال ـ مصادرة لم أشأها ولم أقصد إليها، فضلاً عن أن ما تضمنته من أفكار حول العلاقات المتبادلة في بنية العمل الشعري، لم ينبثق إلا في ضوء مراجعة حديثة لأحد النماذج الذائعة من شعر أبي الطيب المتنبي. وبالطبع لم يكن ذيوع هذا النموذج هو سرّ التوقف عنده. كما أن بواعث ذيوعه لم تكن في كل الأحوال بواعث فنية خالصة. فقد تركزت هذه البواعث حول ما في هذا النموذج من عبارات جامعة سارت مسير المثل، أو استقطبت معنى من معاني الحكمة، أو توافقت مع ضرب من ضروب الخبرة الحية للمتلقي. أما النسيج البنائي لعلاقات هذا النموذج، وما عسى أن تكشف عنه هذه العلاقات من ظواهر أسلوبية، فأمور لم تسْتَرع بعد اهتمام القارىء التقليدي، أو ـ على الأقل ـ لم تسترع اهتمامه بدرجة كافية:

صَحِب الناس قبْلنا ذَا الزمانا ... وعناهم من شأنه ما عنانا
وتَوَلَّوا بِغُصّة كلُّهم منه ... وإنْ سرّ بعضَهم أحيانا
رُبَّما تُحسِن الصّنيعَ لياليه ... ولكنْ تكدّر الإحسانا
وكأنَّا لم يرْضَ فينا بريْب الدهر ... حتّى أعانه مَنْ أعَانا
كُلّما أنْبَتَ الزمانُ قناةً ... رَكَّب المرءُ في القَنَاة سِنَانا
ومُراد النفوس أَصْغر مِنْ أنْ ... نَتَعادَى فيه وأن نَتَفانَى
غيرَ أنّ الفتى يُلاقي المَنَايا ... كالحات ولا يُلاقي الهوانَا
ولو أنّ الحياة تَبْقَى لحيّ ... لعَدَدْنا أضلَّنا الشّجعانَا
وإذا لم يكنْ مِنَ الموت بُدٌّ ... فمن العجز أن تكون جَبَانا

(١) لمزيد من التفصيل في معنى الشكل الخارجي والشكل الداخلي للقصيدة، تراجع للمؤلف دراسة بعنوان: «الشكلية . . ماذا يبقى منها؟» ـ مجلة فصول ـ العدد الثاني ـ القاهرة ـ يناير سنة ١٩٨١ ـ ص ١٦٠ وما بعدها.

كُلّ مالم يكنْ من الصّعب في الأنفس سَهْل فيها إذا هو كَانَا[1]

والنموذج الماثل من وزن الخفيف، الذي يتولّد الإيقاع فيه من التوالي النظري لتفعيلتين تتساويان في كمّ ما تتضمنه كل منهما من مقاطع لغوية. ولكنهما تختلفان بعد ذلك في طريقة توزيع هذه المقاطع، وكيفية تواليها. فالتفعيلة الأولى «فاعلاتن»، تتكون من سببين، يفصل بينهما وتد مجموع. والتفعيلة الأخرى «مُسْتَفْعلن»، تتكون من سببين، ثم وتد مجموع كذلك.

غير أن هذا التساوي الكمي من الناحية النظرية، لا يُفترض أن يتحقق بحذافيره في البنية الإيقاعية للقصيدة. إذ يحدث في كثير من الأحوال أن يحذف الثاني الساكن من إحدى التفعيلتين أو كلتيهما، ضرورة أنّ المستوى الإيقاعي لا يتم بمعزل عن بقية المستويات الأدائية. ومن ثم، قد تفرض هذه المستويات نوعاً من صدع ـ أوْ لنقُلْ ترويض ـ الإيقاع بحيث ينسجم تماماً مع غيره من عناصر البنية الشعرية. وهو صدع نلمحه بخاصة في الأبيات: الخامس والسادس، ثم التاسع والعاشر، حيث يتم في أضرب هذه الأبيات حذف الثاني الساكن، على حين تظل بقية الأضرب فيما سوى ذلك من أبيات محتفظة بالانسجام بين صورتي الإيقاع: الصورة الذهنية المفترضة، والصورة الصياغية الماثلة.

ومردّ هذا الصدع، إلى أن البنية الرأسية للإيقاع، لا تتطابق بالضرورة تطابقاً تماماً مع البنية الأفقية للعبارة الشعرية. حقيقةً قد يحدث هذا التطابق التام أحياناً، إذ نرى بنية التعبير موازية للصورة الذهنية للتفعيلة. بيد أنه في كثير من الأحوال يحدث العكس، فنرى بنية التعبير أكثر سعة أو ضيقاً، مما يؤدي إلى تعديل مماثل في التفعيلة بالإضافة أو الحذف، الأمر الذي قد يوحى بأن مبدع العمل الشعري، قد تجاوز أو

---

(١) اعتمدنا في توثيق النص على مصدرين:

أبو البقاء العكبري: التبيان في شرح الديوان ـ تصحيح مصطفى السقا وآخرين ـ نشر دار المعرفة ـ بيروت سنة ١٩٧٨ ـ جـ ٤ ـ ص ٢٣٩ ـ ٢٤١.

عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت (د.ت) ـ جـ ٤ ص ٣٧٢.

ترخّص. والواقع أنه لا تجاوز ثمة ولا ترخص، وإنما هو نوع من كسْر النظام ـ إذا صح التعبير ـ يلجأ إليه الشاعر للمواءمة بين الإيقاع ومقتضيات الصياغة[1].

ويعني ذلك أن كسر النظام إن أَوْهَم بتَجاوز الشاعر، من ناحية، فإنه يبرهن، من ناحية أخرى، على أن مستويات الأداء الشعري لا تنفصل وإنما تتكامل، ولا تتدابر فيما بينها، بل تتفاعل مؤثرة ومتأثرة. وليس محض مصادفة أن نرى تفعيلات القوافي في هذا النموذج بخاصة، وقد أخذت مساراً عجيباً في العلاقة بين الإيقاع والتعبير، أو بين ما يسمى بالبنية الرأسية والبنية الأفقية. فعلى حين تتطابق هذه التفعيلات مع وحدات لغوية ذات معانٍ مستقلة في البيت الأول: «ما عنانا»، والثاني: «أحياناً»، والثالث: «إحسانا»، والرابع: «من أعانا»، والسادس: «نتفانى»، والثامن: «شجعانا»، والعاشر: «هو كانا»، نراها في الأبيات: الخامس والسابع والتاسع تستغرق وحدة لغوية دالّة، بالإضافة إلى مقطع من كلمة سابقة: «ةِ سنانا»، «قي الهوانا»، «نَ جبانَا».

ثم إن التطابق المشار إليه في أبيات المجموعة الأولى، لا يتم في كل الأحوال بنفس الطريقة، بل يخضع لمبدأ الوحدة من خلال التنوع. فهو في البيت الأول تطابق مع ثلاث وحدات ذات معانٍ نحوية مستقلة. وهو في البيتين الرابع والعاشر تطابق مع وحدتين، على حين أنه في بقية الأبيات تطابق مع وحدة لغوية لا تزيد، الأمر الذي يمكن لمحه بوضوح لو حاولنا ترجمة مسار هذه العلاقة طبقاً لتوالي الأبيات إلى هذا الشكل الرمزي:

ا، ب، ب، ج، د، ب، د، ب، د، ج.

ومنه يبدو أن نسبة تردد الرمز «ب» أكثر من نسبة تردد غيره، أيْ أنّ هذه العلاقة بين الإيقاع والتعبير تميل إلى التطابق أكثر مما تميل إلى التقاطع. وإذا كان التطابق يعني مزيداً من ثراء الموسيقى الداخلية للنموذج، فإن التقاطع بدوره ـ وكما

---

(١) ما أحرانا بمراجعة عروض الشعر العربي في هذا الجانب، فالحق أن ما يسمى في اصطلاح العروضيين زحافاً أو علة، ليس إلا كسر للصورة الذهنية في الإيقاع، وهو في حقيقة الأمر ضرب من المواءمة بين المستويين الموسيقي والتعبيري.

أسلفْنا ـ يعتبر مؤشراً إلى أن البنية التعبيرية تحاول باستمرار ترويض البنية الإيقاعية وتذليلها لمنطق السياق.

- ٣ -

وهذا السّياق التعبيري لا يخلو بدوره من مثل ذلك التوتر الدائم بين التوازن والتقاطع، بين الاطّراد والمفارقة، بين تتابع المتواليات السياقية وكسر تتابعها. فالأبيات الخمسة الأولى، تعتمد اعتماداً شبه مطلق على بِنَى الجمل الفعلية التي يتبادل الفاعلية فيها قطبان كبيران، يتناوبان فيما بينهما وظيفتي المؤثر والمتأثر، وهذان القطبان هما «الناس» (أو المرء)، والزمان (أو «الدهر»)، ففيما ينهض القطب الأول بوظيفة المؤثر في جملتيْ الصدر في البيتين الأولين:

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا
وتولوا بغصة كلّهم منه

نرى الثاني ينهض بنفس الوظيفة في جملتي العَجُز:

وعناهم في شأنه ما عنانا
وإن سرّ بعضهم أحيانا

مع قيد وحيد، وهو أن كلا منهما إن كان قد ذُكر في الجملة الأولى صراحة، فقد ذُكر في بقية الجمل إضماراً أو إيماءً. وفي كل الحالات كان اطّراد السياق بتكرار صيغة الماضي: صحب، عَنَى، تولى، سرّ، أو حتى بتكرار منطوق هذه الصيغة: عناهم، عنانا، كما كان كسر السياق ـ أو عنصر المفارقة فيه ـ متمثلاً في تناوب مواقع التأثر والتأثير بين القطبين المشار إليهما.

وبوسعنا أن نرى كيف أن هذه المفارقة على مستوى التركيب، قد أنتجت ـ بقوة ـ أثراً فورياً في الشكل الداخلي، وبخاصة في مستويات التصوير والدلالة الشعرية. فقد خالط الناس هذا الزمان مخالطة من يتوقعون منه الوفاء لرفقة الطريق، ومع ذلك لم يرجعوا منه إلا رجعة من يغصّ بالشراب، حين يظن أن فيه حياته. وهو قد أهَمّهم وأكرثهم حتى رجوا ما يرجوه المعاني من ثواب على عنائه، وبرغم ذلك لم تكن مسرّته إياهم إلّا لماما، ولم تكن ـ على ندرتها ـ لهم جميعاً، بل لبعضهم. وبإمكانك أن تمضي بهذه المفارقة الدلالية إلى امتداداتها الناجمة عن المفارقة التصويرية، لترى أن صورة

الإقبال التي يرسمها النموذج لرفقة الطريق، سرعان ما تنعكس إلى صورة التَوَلّي أو الإدبار ـ أخشى أن أقول الفرار ـ المقرون بإحباط من يتبع السراب على ظمأ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

ولا يقلّل من حجم هذا الإحباط الناشيء عن علاقة الناس بالزمان ذلك التعليق الشرطي: «وإن سرّ بعضهم أحيانا»، ولا تلك الصياغة الاحتمالية: «ربّما تحسن الصنيع لياليه»؛ لأنّ الشاعر قد حدّد أثر هذين ـ أو أضعفه ـ حين جعل المسرّة مرهونة بالشرط مرة، ومقيدة بالتبعيض والحينية مرة أخرى. وكذلك حين جعل الإحسان في إطار الاحتمال الذي تفيده «ربّما» مرة ثالثة. بل لعله قد ألغى هذا الأثر نهائياً بذلك الاستدراك الواضح الحاسم: «ولكن تكدّر الإحسانا»، بكل ما يعنيه من قطع الأمل في أن يحسن الزمان إحساناً يخلو من الإساءة، أو يصفو من الكدر.

وما لمحناه في البيتين الأوّلين، من تبادل مواقع الفاعلية، يستمر ملحوظاً في البيتين الثالث والرابع، مع فارق أنه كان أوّلا يتم في نطاق الصدر والعجز من كل بيت، على حين يتم هنا في نطاق البيتين مجتمعين، فالليالي ـ وهي محصلة مفردات زمنية ـ تحسن وتكدّر، والإنسان بدوره لا يرضى بحوادث الدهر حتى يعينها على غيره، بل وعلى نفسه. وقد توازت المفارقة الناجمة عن هذا التبادل مع مفارقة أخرى على مستوى الصيغة؛ إذْ نرى متواليات الماضي في بيتي البداية، تفسح المجال في البيت الثالث لمتواليات آنيّة: تحسن، تكدّر، لتعود في البيت الرابع إلى متواليات المضيّ: لم يرض (و «لم» تقلب زمن المضارع إلى الماضي)، أعانه، أعانا. بل إن المفارقة على المستويين المشار إليهما، تتساوق مع مفارقة دلالية ناتجة عنهما ومواكبة لهما، هي المفارقة بين إحسان الصنيع وتكدير الإحسان، ثم بين النفي والإثبات، أو بين عدم الرضا والإعانة. وهي مفارقة يتدرج طرفها السلبي ابتداءً من طبيعة الدهر في خلط المسرّة بالإساءة، بتلك المعونة الطوعية التي يبذلها له الإنسان من تلقاء نفسه، ثم هي مفارقة تطّرد ـ إن صح أن في المفارقة اطراداً ـ مع ما أنتجتْه أبيات البداية من دلالات العودة المقهورة والرجاء المخذول.

ومع أن المفارقة في أحد حدَّيها تعتبر خروجاً على رتابة النظام، فإنها في حدّها الآخر لا تخلو من رعاية للسّمات الموقعية التي تدفع إلى اختيار دون آخر، قد يكون هذا

الاختيار في مجال الصيغة، كالتناوب المشار إليه آنفاً، بين صيغ الماضي، وصيغ المضارع، حتى يبلغ هذا التناوب مستقره في صيغتي الماضي الشاخصتين في البيت الخامس: أنبت، ركّب. وقد يكون هذا الاختيار في مجال وظيفة الكلمة، كذلك التبادل بين الناس والزمان في الفاعلية، وهو تبادل يبلغ هو الآخر مستقره بتلك المعادلة الصريحة المتوازية في وحداتها ووظائفها:

أنبت ← الزمان ← قناة = ركّب ← المرء← سنانا.

بل إن هذا الاختيار الموقعي، يدق أحياناً إلى حدّ المفاضلة بين رموز لغوية تبدو متساوية الدلالة. وهنا يكون الانتقاء مرهوناً ـ أوّلاً ـ بالهوامش الدلالية التي تكتسبها الكلمة عبر تاريخها في الاستعمال ومكانها في السياق، ومرتبطاً ـ ثانياً ـ بالبنية الإيقاعية، ومدى مواءمتها لهذه اللفظة أو تلك. ومن ثم نرى ـ مرة أخرى ـ كيف يتفاعل الشكلان الخارجي والداخلي، بحيث يتحول كل منهما إلى الآخر في حركة تبادلية مستمرة. ولعلّ مما لا يخلو من مغزى في هذا المقام، أن نلحظ تلك المراوحة بين لفظتي الزمان والدهر، برغم اشتراكهما في الدلالة المعجمية. فقد استخدمت الأولى في البيتين الأول والخامس، ليس فقط من باب الانسجام مع الإيقاع، بل لأن دلالتها الحيادية على مطلق الزمن، تتواءم تماماً مع الاستقلال الموقعي الذي حظيت به في الحالتين منفعلة وفاعلة، على حين كانت الظلال السلبية لدلالة «الدهر» في البيت الرابع، مكملة لدلالة المضاف «ريْب»، بكل ما توحى به تلك الكلمة الأخيرة من صروف وأحداث.

ـ ٤ ـ

وحتى الآن كانت حركة البنية الشعرية دائرة في نطاق متواليات فعلية تَبادَل الزمان والإنسان فيها موقعي المؤثر والمتأثر. وغير خافٍ أن هذا التبادل ذو دلالة حدثيّة لا ينقطع توتّرها بين هذين القطبين، وغير خافٍ أيضاً أن صيغة الفعل تعني الزمان والحدث. وقد كانت من هذا الوجه مناسبة تماماً لدلالة التبادل المشار إليه. فهل لنا أن نرتب على هذا الملمح ما ينبغي أن يترتب عليه من دقة التوازن بين بنيتي السطح والعمق، أو بين الشكلين الخارجي والداخلي؟. ثم ألا يعتبر هذا الملمح ـ في الوقت

ذاته ـ ذريعة كافية لتحوّل النموذج إلى المتواليات الاسمية[1]، حين لم تعد محصلة الزمان والحدث بالنسبة له مناط العلاقات الوحيد؟.

إن هذه المتواليات الاسمية، تتصدر التركيب الشعري عبر ثلاثة أبيات متعاقبة. وكل من هذه المتواليات يمثل جملة إسمية كبرى، تتولّد منها جملة أو جمل فعلية صغرى. وهذه الجمل الصغرى ترتبط بالجملة الأمّ في إطار كل بيت ارتباطاً خبريّاً أو شرطياً:

ومراد النفوس أصغر من أن نتعادى فيه وأن نتفانى
غير أن الفتى يلاقي المنايا كالحات ولا يلاقي الهوانا
ولو أن الحياة تبقى لحيّ لعددنا أضلّنا الشجعانا

ففي صدر كل بيت، ينهض الاسم مناطاً لتلك العلاقة الخبرية أو الشرطية: مراد، الفتى، الحياة. وتصدّره على هذا النحو يوحى بتحول في النَّسَق، يستتبع بالضرورة تحولاً في علاقاته الداخلية. ولعلّ مما يسترعى الانتباه في هذا المقام، أن جرعة التعبير المباشر في هذا النسق، قد أصبحت ترجح جرعة التعبير بالصورة، ولذلك تفسيره. لأن الموقف هنا لا يخلو من تأمل ومن استبصار، ومن أحكام قاطعة تُساق في تراكيب شديدة الاكتناز. فغايات النفوس أهون من أن تكون مجالاً للصراع والإنسان يموت ولا يذلّ، والموت في نهاية الأمر مورد يستوي لديه الشجعان والجبناء. فإذا تذكّرنا في هذا الصدد ما يقال من أن التعبير بالصورة يتم في تناسب طردي مع توهج المشاعر والاستغراق العاطفي، بحيث يميل المبدع إلى اتخاذ ذلك التصوير قناعاً يستتر به كلما غلبه انفعاله[2]، أستطعنا ـ من هذا المنطلق ـ أن نفهم كيف أن تيار

---

(١) نقصد بالمتوالية هنا Proposition؛ وهي الصورة الإسنادية للجملة حين تتوالى طبقاً لنظام معين في اختيار وحدات الإسناد وطريقة ترتيبها. وهو مصطلح سبق إلى استخدامه كل من شومسكي وتزڤيتان تودورف، وتبعهما في استخدامه بعض الدارسين في المغرب العربي، وإن كانوا قد آثروا لفظ «متتالية» في الدلالة على معنى المصطلح، على حين آثرنا من جانبنا لفظ «متوالية» لخفّته النسبية. انظر: محمد بنّيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ـ ط١ ـ دار العودة ـ بيروت سنة ١٩٧٩ ـ ص ١١٣.

(٢) انظر في هذا المعنى:

David Daiches, Critical Approaches to Literature, London, 1969, P.243.

الدلالة المباشرة، قد ازداد مع ازدياد تأمل الشاعر في معادلة الناس والزمـان، حتى أصبحت هذه المعادلة في التحليل الأخير معادلة صريحة بين الحياة والموت.

وبرغم علوّ النبرة المباشرة في هذا الطور من أطوار النموذج، فإنه لم يُفْض إلى إلغاء التشكيل بالصورة إلغاءً تاماً، لسبب بسيط، وهو أن البنية الخارجية ـ في مرحلة من مراحلها ـ تكون مهيّأة لتُجِنّ بداخلها بذرة صورية، بالغـاً ما بلغ حجمهـا من الدقة. ومن ثم تصبح دلالة الاشتراك وتعدّد أطراف الصراع، التي توحي بها الصيغة الصرفية «نتعادى»، مدْرجةً إلى مستوى آخر من مستويات ذلك الصراع، يصل إلى حدّ تنازع البقاء أو تبادل الإفناء: «نتفانى». وعندئذٍ تغدو الدلالة المباشرة مؤهلة للتحول مع بداية البيت التالي إلى دلالة صورية، نبصر فيها أطراف المواجهة، وقد آلت إلى هذا النحو:

الفتى ← يلاقى ← المنايا، الفتى ← لا يلاقي ← الهوانا.

إن التبادل في موقعية المفعول في الحالتين، يوازيه التبادل في الحدث بين الإثبات والنفي: يلاقي، لا يلاقي. ومع ذلك دعنا نتوقف قليلاً عند الدلالة الهامشيّة لمحوري الصورة: الفتى، يلاقي؛ فالأول يوحي بزهو الشباب وعنفوان القوة، والثاني يـرقى باللقاء إلى درجة الاصطدام. وهكذا تطرح الصورة دلالتها على النحو التقريبي التالي: الفتى يجد القدرة على خوض معركته ضدّ حشد من المنايا الكالحة الشوهاء يلقاه منجمّة أو مجتمعة. ولكنه لا يجد القدرة ـ بل ولا الاستعداد النفسي ـ لخوض معركة مماثلة مع الهوان فرداً. فالمعركة الأولى محتملة، وإن بدت صعبة، أما الأخرى فأكثر صعوبة، وإنْ بدت بخلاف ذلـك، وصعوبتهـا هي التي تجعل من «التعـادي» و «التفاني» أمـرين مفهومين، وإن لم يكوْنا مقبولين على إطلاقيهما. فهما في أغلب الأحوال استجابة لأهواء النفـوس وتناقضـات المنازع، ولكنهـما ـ في بعض الأحيان ـ رفض للهـوان، وتحقيق لإنسانية الانسان، وإن كلّفه الرفض والتحقيق في نهاية الأمر حياته ذاتها.

تُرى هل يعتذر المتنبي عن مطامحه حين يـذكر «مـراد النفوس»، واقتتـالها في سبيله؟. أتراه يسوّغ خصومته المدوّية مع الناس والزمان، إذ يجعلها مرتبطة برفض المذّلة ونفي الهوان؟. إذا سلّمنا بذلك، كان «الفتى» المذكور معادلاً شعرياً لأبي الطيب نفسه، مقاتلاً يخرج من تحت عباءة الشاعر، ليتحدث بلسانه، وينافح بسيفه. وهو

فهم يظل مشروعاً من واقع إبداع الشاعر. ودعنا من واقع حياته، ثم هو فهم مشروع ـ كذلك ـ إذا توسّعنا قليلاً، فربطناه بثراء مادة الفتاء والفتوّة في معجم الشاعر. وفي كثير من الحالات ترد هذه المادة ومشتقاتها مقترنة بنموذج الممدوح، وأكثر منها تلك الحالات التي ترد فيها مقترنة بصورة الشاعر نفسه، صراحة أو إضماراً:

ولـربّمـا طـعـن الـفـتى أقـرانَـه ... بـالـرأي قبـل تـطاعُن الأقـران[1]
وإذا الفتى طـرح الكـلام معـرّضـاً ... في مجلس، أخـذ الكـلامَ اللَّذْعَنَى[2]
قُـضـاعـة تـعـلم أنّ الـفـتى الـذي ... ادّخـرتْ لصروف الـزمـانِ[3]
ولـكـن الـفـتى الـعـربيّ فـيـهـا ... غـريب الـوجـه واليـد واللسـان[4]

وربما إلحاح النموذج على مفارقات الشجاعة والجبن، والخلود والموت، في البيتين الثامن والتاسع؛ ففيهما يُتّخذ القياس الشرطي ذريعة لتقرير الفكرة بطريقة برهانية قاطعة. وفيهما أيضاً يتوارى التبادل بين المتواليات الاسمية والفعلية، ليصبح مركز الثقل هو ما تكشف عنه تحوّلات الصفة من نتائج مرفوضة أو مقبولة. فلو بقيت الحياة لتحولت الشجاعة إلى ضلال؛ لأنها تفضي إلى الموت، وهي نتيجة مرفوضة لفساد مقدمتها. وما دام الموت حتماً فإن الجبن يتحول إلى ضرب من العجز؛ لأنه لن يفضي إلى خلود. وهي نتيجة مقبولة؛ لأن الدلالة المضمرة في الشرط السابق، قد رشحتها ومهدت لإحداثها، فضلاً عن صحة مقدمتها في ذاتها. وهذا يعني أن تحوّل الصفات على ذلك النحو يتعلق ـ طرداً وعكساً ـ بدلالة القياس الشرطي صحة وفساداً، كما أن هذه الدلالة بدورها، لا تتّم بمعزل عن الوظيفة الأسلوبية ومعطياتها.

ولنقتنع حقاً بأن هذه الدلالة لا تحدث معزولة عن المعطيات الأسلوبية، ينبغي أن نضع في اعتبارنا أن فساد مقدمة القياس الأول، إنما تم في إطار «لوْ» التي تفيد الامتناع للامتناع. وأن وظيفة التركيب بهذا قد آلت إلى السلب، برغم ما يبدو في الظاهر من إيجاب. كما أن صحة مقدمة القياس الثاني، قد تمت في إطار شرط منفي

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي ـ تصحيح مصطفى السقا وآخرين ـ جـ ٤ ـ ص ١٧٤.
(٢) المصدر السابق. ص ٢٠٦.
(٣) المصدر نفسه ـ ص ١٨٨.
(٤) المصدر نفسه ـ ص ٢٥١.

صراحة، يتسلّط عليه نفي ضمني: «بدّ» فيلغي دلالته ويتحول بها إلى الإيجاب، برغم ما يبدو في الظاهر من سلب، وهكذا نرى أنفسنا إزاء مجموعة من تحوّلات البنية، يواكب بعضُها بعضاً، ويرفد بعضها بعضاً، ويقوّم أحدها مسار الآخر بالحذف والإضافة والتعديل.

دلالة المخالفة تلعب هنا دوراً لا يستهان به، والتنويعَ في معزوفة الموت، يغري الشاعر بالمضيّ في نفس الدرب إلى مداه. وما دام الجبن نوعاً من العجز، فإن الشجاعة ضرب من القدرة. وهي قدرة لا تستمد أسبابها الأولى من القوة الجسدية، بقدر ما تستمدها من طاقة الإنسان على التآخي مع الواقع والإيمانَ بحتميته، أي أنها ـ في التحليل الأخير ـ قدرة نفسية. لا تتسلط على تغيير طبيعة ما يقع، وإن تسلطت على تغيير مشاعرنا إزاءه، وطريقة استقبالنا له:

كلّ ما لم يكن من الصعب في الأنفس، سهل فيها إذا هو كانا

فالتقابل الدلاليّ بين «الصعب» و «السهل»، وتوازيه مع التقابل التركيبي، بين أسلوبي النفي والإثبات في صدر البيت وعجزه: لم يكن، كانا، ينبغي ألا يصرف أنظارنا عن ملمحين شديدي الأثر في توليد دلالة المركّب الشعري. أما الملمح الأول، فهو أن «الكون» منفياً ومثبتاً، ليس كوناً ناقصاً، كما قد يتبادر للذهن، بل هو «كون» تام. ومن ثم لا تنصبّ دلالته على اتصاف الواقع بالصعوبة والسهولة في ذاته، بل تنصبّ على مجرد عدم الوقوع في الحالة الأولى، ومجرد الوقوع في الحالة الثانية. وعندئذ تبرز أهمية الملمح الآخر الذي أشرنا إليه، نعني دلالة القيد الذي حرص النموذج على ترديده في الحالتين: «في الأنفس، فيها»؛ فهي دلالة تثري دلالة الملمح الأول، وتضيف إليها، حتى يصبح الصعب سهلاً، لا لتطوّر طرأ عليه بالاستئناف أو الإلغاء، بل لمجرد وقوعه، لمجرد أننا مضطّرون إلى معايشته والتكيف معه، لمجرد أنه قضاء لا يقي منه جبن ولا تعجّل به شجاعة، وهو سهل في النفس، وإن كان غير ذلك في حقيقته. ثم هو سهل فيها كحدث كان، وإن صعب عليها كصورة ذهنية لم تكن...

أتُرانا بإزاء فكرة الموت كرّة أخرى؟. صحيح أنه لا يُشار إليه هذه المرة صراحة، ولكن هل ثمة ما هو أبلغ في التطابق مع كل هاتيك الإيماءات من الموت؟. وألم يمهّد النموذج لهذه الخاتمة القائمة بالتولّي مع الغصة تارة، وبالتفاني تارة ثانية، وبالموت

الصريح تارة ثالثة؟. وإذا اعتبرنا الفكرة نُواة للشكل الداخلي، تُستقطر فيها كل مستويات الأداء متفاعلة، فهل نجد غرابة في أن يفضي كل هذا إلى مثل تلك النهاية المأساوية العابسة، وإن لم تخل ـ على جهامتها ـ من مشروعية؟!.

لقد تصورت لوهلة أن التعبير قد التوى بالبيت الأخير دون قصد، وتخيلت أن من الأنسب استبدال كلمة «السهل» بكلمة «الصعب» الواردة في صدر البيت، ورحتُ أسوّغ هذا الاستبدال بما عسى أن يتمخّض عنه من أثر التكرار ووضوح الدلالة، ثم عدتُ فتذكرت ما في المفارقة من إيحاءات لا تقل في أهميتها عما في التكرار، هذا فضلاً عن أن وضوح الدلالة لا يعني بالضرورة ـ وبمنطق اللغة الشعرية ـ دقة الأداء، فربما كانت رقعة الظلال في هذه اللغة المهيبة العجيبة أكثر عمقاً ورحابة وسخاءً من رقعة الضوء[1]، وما قراءة الشعر في جوهرها إلا مغامرة مع تلك الظلال.

---

(١) ربما كان هذا هو مبعث انبهار شرّاح المتنبي بتلك القصيدة، دون تعليل ـ في الغالب ـ يستند إلى معطيات النصّ الشعري. أقرأ هذا التعقيب الطريف الذي لخص به البرقوقي رأيه في هذا النموذج: «لعل شيطانه ـ يعني المتنبي ـ ممن كانوا يسترقون السمع، فتلقّى هذه الآيات من ذات الرجع»، يعني السماء. انظر شرح البرقوقي على الديوان ـ جـ ٤ ـ ص ٣٧٢.

ملاحظات على اسهام د. محمد:

ونلاحظ ان د. محمد فتوح احمد اختار قصيدة من شعر أبي الطيب، لم تكن موضع عناية الشراح. وقد مر بها ابو العلاء المعري مرور الكرام [٤١١]، وشرح ابياتها البسيطة الواضحة شرحاً بسيطاً ودون أي تعليق.

ولم يعلق البرقوقي عليها بشيء، عدا قوله: «وبعد فقد وفق المتنبي في هذه القطعة كل التوفيق. ولعل شيطانه، لمن كانوا يسترقون السمع، فتلقى هذه الأبيات، من ذات المرجع ـ السماء ـ فكأنها المعنية»[٤١٢].

واكتفى العكبري في التعليق على البيتين، السادس والسابع، كل على حدة بالقول: «ما أحسن هذا»[٤١٣].

وحين يتصدى إيليا حاوي لهذه القصيدة فانه يكتفي بأن يفسرها، كما يفعل الشراح[٤١٤].

والقصيدة التي كانت تردد عفوياً، لم تكن تُعطى الاهتمام، لأنها لم تكن تعتبر من قصائد أبي الطيب الأساسية. وحين كانت تردد أو تنشر في بعض المختارات[٤١٥]، كانت تعتبر «قصيدة حكمية»، ولا يعلق عليها.

وقد اختار د. محمد فتوح أحمد هذه القصيدة، وقدمها لنا، كما سلف، فبانت قصيدة غنية، زاخرة، يتألق فيها الشعر. وكشف أن وراء بساطتها الظاهرة عمقاً وغنى، يختبئان وراء الغلالة الشفافة التي تغطي جسم القصيدة الحي النابض.

ويلاحظ أن د. محمد فتوح أحمد قدم لرؤيته ببعض الملاحظات المتعلقة بعضوية العمل الأدبي وتكامله[٤١٦]. وهي الفقرة ـ ١ ـ من البحث. ولم يحاول أن يضمن هذه المقدمة أية استشهادات من التراث النقدي العربي، أو النقد الغربي.

وتناول المؤلف في الفقرة ـ ٢ ـ ما يمكن أن يسمى موسيقى القصيدة، بدراسة لا ترفض عروض الخليل، ولكنها تتجاوزه، بما تراه فيه من نغمات خاصة، يصنعها الشاعر.

ويواصل المؤلف دراسة النص في الفقرتين ٣ و ٤ كاشفاً الحركة الشعرية في القصيدة.

وهو هنا لم يبحث الشكل بعيداً عن المضمون، ولا النحو بمعزل عن النص، ولا اختار الجزئي بعيداً عن الكلي.

ولذلك وجدناه يُشرِّح جسماً، فيبين علاقة الجزء بالكل، وعلاقة التفاعل والتضاد والتوازي، كما هي العلاقات في الحياة والطبيعة.

ولقد عرفنا المؤلف على قصيدة جديدة، لم نتعرف عليها عند الشراح السابقين، وأعاد تصنيفها، لتصبح من قصائد أبي الطيب الباقية الخالدة.

وأكد المؤلف بذلك أن الناقد الشاعر، هو القادر على معرفة الشعر الجيد، وهو ما كان قد أكده الشعراء، من قبل[٤١٧].

ويحرص المؤلف على دراسة شعر أبي الطيب بهذه الروح الناقدة الشاعرة، وان كان المبحث السادس ـ المعجم الإيقاعي دون سوية سائر الكتاب[٤١٨].

فما الذي نستفيد من مثل هذه الدراسة؟

إنها:

١ ـ تدلنا على طريق جديد لاكتشاف طبيعة شعرنا عامة، ولاكتناه أسراره، والتعرف على غناه.

٢ ـ تساعدنا على التحرر من الأساليب الجامدة التي ألفناها طويلاً.

ولكن مثل هذه الدراسة، تحتاج إلى الكثير من الوقت والجهد، ليصبح نهجاً مألوفاً، وطريقة لها أهدافها ونظمها وأساليبها؛ رغم جدواها الظاهرة.

(٢) اسهام عبد العزيز الدسوقي:

الثاني: كتاب د. عبد العزير دسوقي: «في عالم المتنبي»[٤١٩]. ويتكون الكتاب من قسمين، يضم الأول خمس عشرة مقالة، ويضم الثاني خمس مقالات[٤٢٠].

ويحاول المؤلف في هذا الكتاب أن يحقق هدفين:

الأول: اختبار منهجه الجمالي على أرض الواقع، ومن خلال التذوق الشعري.

الثاني: «تخليص عالم المتنبي، مما علق به من غبار التفسيرات الاجتماعية والسياسية والتأويلات المذهبية والتحليلات النفسية، ورد النقاء الشعري لهذا العالم العظيم المفترى عليه»[٤٢١].

ويضيف المؤلف: ان منهجه في تذوق شعر المتنبي: «كان ينظر إلى الشعر من الناحية الفنية، يلج مباشرة إلى داخل النص، ويحاكمه من خلال مقاييسه الجمالية والفنية، ويصل إلى أهدافه ومراميه من خلال هذه المعايير»[٤٢٢].

ويقوم منهج المؤلف على ثلاثة أركان:

١ ـ «التشكيل اللغوي.

٢ ـ الاشعاع المعنى.

٣ ـ بناء القصيدة على طريقة اللوحة»[٤٢٣].

وقد طبق المؤلف هذا المنهج على بعض شعر أبي الطيب. وهو يرى أن ذلك هو الأمر الجديد في الكتاب[٤٢٤].

واختار د. دسوقي ثلاث قصائد من شعر أبي الطيب، ليطبق عليها منهجه وهي:

١ ـ قصيدة: «ضيف الم برأسي غير محتشم»، من شعر الصبا[٤٢٥].

٢ ـ قصيدة: «واحر قلباه ممن قلبه شبم»، من شعر أبي الطيب في سيف الدولة، وكان أبو الطيب قد لمس تغيراً تجاهه من سيف الدولة[٤٢٦].

٣ ـ قصيدة: «ليالِيَّ بعد الظاعنين شكول». من شعر أبي الطيب في سيف الدولة، سنة اثنتين وأربعين وثلاثماية[٤٢٧]. وكان أبو الطيب ما زال دون الأربعين.

وقد اعتبر د. دسوقي أن هذه القصائد الثلاث ثلاث لوحات، وسمى الأولى: لوحة الثورة[٤٢٨]. والثانية: لوحة «الهزيمة أو الفشل»[٤٢٩]. والثالثة: «لوحة الزمن»[٤٣٠].

ونقدم فيما يلي ما كتب د. دسوقي في التقديم لدراسة اللوحة الأولى[٤٣١]. وما كتبه في اختتام دراسته للوحة الثالثة[٤٣٢].

مع اللوحات الثلاث:

وتأمل معي إطار اللوحة الأولى تجد اللون الأسود يغلب عليه، وتجد الخطوط الفنية الغليظة الحادة.

يرسم المتنبي هذا الإطار من خلال هذا الشيبُ الذي يلم برأسه وهو صبي. وهو يسميه ضيفاً غير محتشم، ويزجره في حدة:

أبعد بعدت بياضاً لا بياض له لأنت أسود في عيني من الظلم

هنا يتحول كل شيء إلى ظلام. وتأمل معي طريقة التعبير بالحروف عن هذا المعنى. تتابع حرف الباء أربع مرات: وهو صوت انفجاري يرسم هذه الحدة والغلظة في اللوحة كلها. وإلى جواره حروف انفجارية أخرى كالتاء والدال والراء والظاء والسين والشين تجد كل هذا في البيتين. هذا الإيقاع الحاد يطبع بعد ذلك كل القصيدة أو اللوحة. وهو في البيت الأول يستخدم كل إيحاءات الألفاظ والمعاني. فهذا الشيب الذي ظهر فجأة في رأسه أحسن منه السيف عندما يفعل فعله باللمم، الشيب يكسب الشعر بياضاً، ولكن السيف القاطع يكسب الشعر حمرة الدم.

بيتان في أول القصيدة حاول أن يخرج بهما على المطالع التقليدية للقصيدة العربية. فهو يذكر تجربة الشيب التي ألمت برأسه دفعة واحدة، وهو بعد في غضارة الصبا، من خلال صورة فنية، يستعير فيها الضيف غير المحتشم للشيب الذي ظهر في رأسه دفعة واحدة.. ويضع إلى جانب تلك الصورة الفنية هذا التقرير الحاسم في الشطر الثاني من البيت الأول «السيف أجمل وقعاً على اللمم من الشيب». ولعله من أجل هذا زجر الشيب هذا الضيف الثقيل زجْراً حاداً عنيفاً. لأنه أسود في عينه من الظلم...

ونحن نقف عند لفظ السيف، ويتداعى إلى عيوننا لون الدم. كما نقف عند لفظة «الظلم» وما تشعه من إيحاءات. وما يتداعى حولها من معان. فنحس أن الشاعر يدبر شيئاً خفياً. بعد هذين البيتين نرى الشاعر يذكر حبيبته. ويسائل الرسم المحيل ويتذكر لحظات الوداع وكيف قبلها وهي ترنو إليه باكية. ولكن شدة انفعاله تحيل هذه الذكريات إلى شيء آخر. فتأمل معي كيف يعبر عن حبه بقوله «بحب قاتلتي والشيب تغذيتي». فهو يتغذى بحب قاتلته وشيبه. والتعبير عن الحبيبة بالقاتلة يفجر في التجربة

الفنية وهجاً حاراً ويلفتنا إلى أن نكتشف شيئاً آخر أو معنى ثانياً لهذه الحبيبة، التي فقدها وهو طفل وربط بينها وبين شيبه بعد أن بلغ الحلم هو يتذكرها دائماً ويسائل عنها كل رسم. وكل ذات خمار تريق دمه. والدم دائماً. ألا يلفتنا هذا إلى أن هذه الحبيبة لا بد أن تكون رمزاً للثورة التي تغلي في وجدان هذا الشاعر المتمرد الطموح. بذلك نتفهم تلك التعبيرات غير المألوفة في تذكر الحبيبة التي ذاق من مقبلها ماء حياة لو أصاب «تراباً أحيا سالف الأمم» ورنت إليه بعين الظبى مجهشة. تلك التي يحبها في كل أحوالها ظالمة أو منصفة.

رويد حكمك فينا غير منصفة ... بالناس كلهم أفديك من حكمِ

هذا هو الجزء الأول من اللوحة وقد أخفاه الشاعر ببراعة في الظلام. ولكنه يقودنا إلى جزء آخر تحس فيه بمساحة من الفراغ الأبيض في وسط اللوحة تمهيداً لرسم الشكل النهائي للوحة ـ هذا الجزء ابتدأ بقوله:

ليس التعلل بالآمال من أربي ... ولا القناعة بالإقلال من شيمي
ولا أظن بنات الدهر تتركني ... حتى تسد عليها طرقها همي

وبعد ذلك يطلب منا ألا نلومه على فقره بين هؤلاء الناس الذين لا مروءة لهم ولا كرامة فهم كالبهم رغم ثرائهم.

بعد هذا الجزء من اللوحة يبدأ الجزء الهام وهو المحور الأساسي الذي أبرزه إبرازاً كبيراً. وتحس أنه بدأ يرسم بالدم على هذه المساحة البيضاء...

سيصحب النصل مني مثل مضربه ... وينجلي خبري عن صمّة الصممِ
لقد تصبرت حتى لات مصطبر ... فالآن أقحم حتى لات مقتحمِ

وتأمل تتابع هذه المقاطع الحادة المعبرة، وصرير الحروف المثير. ألا تحس هذا التمرد في التعبير والتصوير «تصبرت» (أقحم) (حتى لات مقتحم).

بعد هذا يصور جو المعركة التي سيخوضها.

لأتركن وجوه الخيل ساهمة ... والحرب أقوم من ساق على قدمِ
والطعن يحرقها والزجر يقلقها ... حتى كأن بها ضرباً من اللممِ

هذه الخيل الساهمة من شدة الحرب، تتحول من هول الطعن والزجر إلى مجنونة هائجة مائجة «نَاشَتْها الرماح».

وهنا يسفر الشاعر بشكل حاد محدد عن هدفه:

بكل منصلت ما زال منتظري حتى أدلتُ له من دولة الخدمِ

إنه يهدّد هؤلاء الخدم من الأتراك الذين استولوا على العراق، وخرجوا على السلطان، بأنه سيهدم دولتهم ويفزع أمنهم.

تنسي البلاد بروق الجو بارقتي وتكتفي بالدم الجَاري عن الديمِ
رِدِي حياض الردى يا نفسي واتركي حياض خوف الردى للشَّاءِ والنعمِ
إن لم أذرك على الأرماح سائلة فلا دعيت ابن أم المجد والكرمِ
أيملك الملك والأسياف ظامئة والطير جائعة لحم على وضمِ
ميعاد كل رقيق الشفرتين غدا ومن عصى من ملوك العرب والعجمِ
فإن أجابوا فما قصدي بها لهمُ وإن تولوا فما أرضى لها بهمِ

ما هذه الدعوة التي يعد لها كل هذا الاعداد. ويجهز لها كل هذه الخيول، والتي سيخوض في سبيلها كل هذه المعارك. أعتقد أنه كان يجهز لثورة تصل به إلى حكم ولاية من تلك الولايات التي وثب عليها الخدم والعبيد. ولهذا يؤكد أنه سيحارب كل من عارضه من ملوك العرب والعجم، وإن أطاعوه فبها. وإلا فسيوردهم موارد الحتوف.

بذلك تنتهي تلك اللوحة التي يمكن أن نسميها «الثورة» أو «الحرب». وقد مزج فيها الشاعر بين اللون الأسود والأبيض والأحمر. وانصهرت صورها وألفاظها وتعبيراتها تحت وطأة هذا الانفعال الحار الذي كان يغلي في نفس الشاعر. ولفحتها تلك الجاذبية الشخصية بنارها.

أريد أن أقول إن تناول هذه القصيدة على هذا النحو، ليس إلا جزءاً صغيراً من منهج الرؤية الفنية. إنه الجزء الحي في نسيج التجربة النقدية، والذي يربط النقد الأدبي بتيارات الفنون الأخرى التي يحتدم بها عالمنا المعاصر. وهو تيار داخلي نستطيع أن نكتشف من خلاله الأبعاد المتعددة التي تشعها القصيدة. فمثلاً نستطيع أن نعرف

أن المتنبي قد ركز في هذه (القصيدة اللوحة) على إبراز الثورة التي تعتمل في نفسه، وإبراز سجاياه كفارس يبدأ حياته بالامتلاء بالثورة، وتغيير نظم الحكم التي يعيش في ظلالها. ويتوعد كل من يقف في سبيل دعوته، من خلال تعبير حاد مُوحٍ مؤد مثير، ومن خلال تصوير فني يجسد أجواء الحرب. وانظر إلى صور الخيل وهي في المعمعان، وبروق الجو، والدم الجاري، وحياض الردى والسيوف الظامئة، والطير الجائعة. كل هذه التعبيرات والصور تأخذ سمتها في إطار القصيدة اللوحة حمراء قانية بلون الدم المتفجر الذي يذكرنا بجو المعارك الساخنة الملتهبة.

ولكن كيف تحول كل هذا إلى لوحة فنية تعبر عن كل هذا؟. ذلك يتوقف على فحص ما في التجربة الشعرية من استخدام فني مرهف، وانتقاء للحروف والألفاظ والكلمات التي تفجر الجو الفني الذي يقصد إليه الشاعر. وعن طريق الصور المتحركة الشاخصة التي نراها بصورة متميزة في هذه اللوحة.

خاتمة دراسة اللوحة الثالثة

قصيدة «ليالي بعد الظاعنين شكول» التي سميتها «لوحة الزمن» لا تزال في حاجة إلى وقفات طويلة، فهي تمثل ذروة النضج الفني والفكري لشعر أبي الطيب. وهي في رأيي أعظم «سيفياته» إن لم تكن أعظم شعره على الإطلاق. ومن الخير أن نمتحنها على ضوء المصطلحات الجديدة التي نحاول أن نصطنعها لهذه الدراسة، مثل «التشكيل بالكلمات»، وبناء القصيدة على طريقة اللوحة «والإشعاع الفني»، وغيرها من مصطلحات. ولعل الأفكار التي أشرت إليها في العدد الماضي تكون مقنعة لترابط أجزاء القصيدة. وهي على أية حال قدر صالح لأن يضفي الجدة على هذا التناول الجديد لشعر المتنبي من خلال «الرؤية الفنية». فليس يكفي أن تعتمد هذه الرؤية على مصطلحات النقد القديمة فحسب. وأعتقد أننا نضفي على الأعمال الفنية جاذبية وحيوية، إذا ما زودناها بهذه المصطلحات الجديدة.

وقد حلت لنا فكرة بناء القصيدة على طريقة اللوحة، ما يبدو من تفكك ظاهري على هذه القصيدة. ففي أعلى اللوحة رسم الشاعر مساحة رمادية اللون تتمثل في المشهد الأول الذي يحس فيه أن أحلامه وآماله تتساقط كأوراق الخريف. خطوط

وألوان توحي بالظعن والارتحال. ولكنه يغرق في كل هذه الأحزان في المشهد الثاني الذي يبدأ بقوله:

لـقيـت بـــدرب القـلة الـفـجـــر لـقـيـــة شـفت كـمـــدي والليـــل فـيـــه قـتـيـلُ

ويستمر حتى البيت الرابع والخمسين.

وقد استغرق هذا المشهد أربعين بيتاً. ونلاحظ أن المتنبي استغرق في هـذا المشهد، مساحة كبيرة من اللوحة، واستخدم اللون الأحمر القاني، لون الدم الذي سال خلال المعارك، مع تشكيل لوني آخر امتزج فيه اللون الأصفر باللون الأسود. وبقيت مساحة بيضاء تحيط بهذين اللونين.

في هذا الجزء من اللوحة يعطي المتنبي لمعارك سيف الدولة أكبر قسط من الإيحاء الثري الغني... الكر والفر والتحام الـفرسان وركض الخيل، وعبور الأنهار، واجتياز السدود، والهول والفزع والغبار وجو الموت الذي يصاحب معارك الجيوش الكبيرة في اصطدامها والتحامها.

ولا أريد أن أقف طويلاً عند جو المعارك التي وصفها أبو الطيب في هذا المشهد الطويل الممتد، فما أكثر الكتب والدراسات التي تناولت شعر الحرب عند المتنبي، ولكن لا بد من الإشارة إلى الحيوية والتـدفق والتجسيد الفني العميق لجـو المعارك. فهـو يستخدم كل طاقاته التعبيرية والتصويـرية في رسم مشـاهد الحرب، ويربط في هـذا التصوير بين المكان والكائنات والأشياء، ويمزج كل هذا بالجو النفسي للمعارك. وهناك شعراء كثيرون يملكون كل هذه الطاقات التي يملكها المتنبي في التعبير والتصوير. ولكن يظل شعر أبي الطيب متفرداً بتلك الخاصية، المنبعثة عن جاذبيتـه الشخصية، والتي أطلقت عليها (الإشعاع الفني) وهو يدرك بالتذوق المثقف. وتأمل معي وصفه للخيل المحاربة التي تشترك في المعارك المتواصلة، ولا تستقر في مكان، تقبل في آخر الليل، وتتحرك للركض قبل الظهر، وقد براها الركض والطواف المتواصل:

وخيـــل بـــراهـــا الـــركض في كـــل بلدة إذا عـــرســـت فـيـــهـــا فـليس تـــقـيـــلُ

وتـــأمـــل قـــولـــه:

رمى الـدرب بـالجـرد الجياد الى العـدا ومـــا عـــلمـــوا ان الـســـهـــام خـيـــولُ

شـوائـل تشـوال العقـارب بـالقنـا لهـا مـرح مـن تحتـه وصـهـيـل

أو قوله:

سـحـائب يمـطرن الحـديـد عـليـهـم فـكـل مكـان بـالـسيـوف غسـيـلُ

هذه الأبيات كلها في وصف الخيل وهي دائمة الركض، أو وهي تتحرك إلى المعارك، وكأنها العقارب رافعة أذنابها لأنها تحمل الرماح. أو وهي تثيرالغبار، وتقذف بالأبطال الذين يستخدمون السيوف والرماح ويمطرون الأعداء بالهول والموت.

وأحياناً يصورها وهي تخوض بحراً من الدماء بين الأطلال والجماجم والقتلى، ودخان النيران المشتعلة في المواضع التي تعبرها الجيوش:

فخـاضت نجيـع الجمـع خـوضـاً كـأنـه بـكـل نـجـيـع لم تخـضـه كـفـيـلُ
تـسـايـرهـا النـيران في كـل مـسلك بـه الـقـوم صرعـى والـديـار طـلـول

وتأمل معي وصفه لمعارك العبور، عبور الخيل والجيوش الأنهار لملاقاة العدو. وكثرتها وتزاحمها في الماء، فيتوقف من هذا الهول جري النهر، ويتحول إلى شيء مذعور من الفزع. وتزداد روعة الوصف عند أبي الطيب عندما يتابع الخيل في عبورها، ويصفها سابحة في الماء لا يظهر منها إلا العنق والرأس:

وكـرت فـمـرت في دمـاء مـلطيـة مـلطيـة أم لـلبـنـين ثـكـولُ
وأضـعـفـن مـا كـلفـنـه مـن قـبـاقـب فـأضـحـى كـأن المـاء فـيـه عـليـلُ
ورعـن بـنـا قـلب الـفـرات كـأنمـا تخـر عـليـه بـالـرجـال سـيـولُ
يـطارد فـيـه مـوجُـه كـل سـابـح سـواء عـليـه غـمـرة ومـسـيـلُ
تـراه كـأن المـاء مـر بـجـسـمـه وأقـبـل رأس وحـده وتـلـيـلُ

من الممكن أن نلاحظ قدرة أبي الطيب على التصوير والتعبير، وطاقته الشعرية العاتية كظواهر الطبيعة، وأن ندرك تفوقه في التشكيل اللغوي بالكلمات. وكأنه فنان تشكيلي ينحت ـ من الصخر ـ بإزميله تماثيل صارخة الإيحاء واضحة التعبير. وهو بالفعل كذلك. فقد ساعدته معرفته الدقيقة بالألفاظ والتراكيب، وإدراكه لما تشعه هذه الألفاظ وما توحيه هذه التراكيب، على التشكيل اللغوي الفني لقصائده ولوحاته. إلى جانب حسه العميق بالبيئة، وما يحيط بها، وذاكرته البصرية التي تلتقط الحسيات بجزئياتها

الدقيقة. كل هذا يزيد في حيوية التعبير والتصوير. ولكن يبقى شيء آخر لا يمكن أن نقف عنده في تعبير أو تركيب أو صورة أو تشكيل باللفظ، ولكننا نحسه عندما نترنم بهذا الشعر سارياً كالنور يضيء من المصابيح الكهربائية، دون أن نعرف ماهية الكهرب. هذا الشيء ثمرة من ثمار سجية خاصة يتمتع بها أبو الطيب، وهي «جاذبية الشخصية». وقد سميته فيما مضى من فصول «الإشعاع الفني»، ندرك آثاره بالتذوق متمثلاً في تلك الغبطة الروحية والنشوة الانسانية والاهتزاز الفني والجلال الذي نحس به بعد فراغنا من قراءة أي عمل من أعمال المتنبي. إنه ليس مجرد طرب حسي عابر. ولكنه جيشان فكري وروحي وفني نشعر به وقتاً طويلاً. ومن هنا نصير شيئاً غير ما كنا قبل أن نقرأ العمل الفني.

ولعل هذا «الإشعاع الفني» هو الذي ساعده على أن يشكل قصائده هذا التشكيل الفني الرائع على طريقة اللوحات. يرسم عدة خطوط ثم يترك مساحات من الفراغ، ثم يرسم خطوطاً أخرى ويمزج بين الألوان. وينتقل بين المشاهد ولكنه يحيط كل هذه المشاهد والخطوط بهذا الإطار الحي الجياش «الإشعاع الفني». وبهذا نحس وحدة اللوحة وتكاملها... وهذا هو التفسير الجديد أو الرؤية الفنية التي تضيء خلالها تلك اللوحة التي سميناها «لوحة الزمن».

إنه بعد تجسيد هذه الخطوط في هذا المشهد الممتد في وصف المعارك، يعود منذ البيت الخامس والخمسين إلى وصف مشهد آخر قريب من المشهد الذي بدأ به هذه اللوحة. يعود إلى داخل نفسه وما يعتمل فيها...

أنا السابق الهادي إلى ما أقوله ... إذا القول قبل القائلين مقولُ
وما لكلام الناس فيما يريبني ... أصول ولا لِلقائِليه أصول
أعادي على ما يوجب الحب للفتى ... وأهدأ والأفكار فيَّ تجول
سوى وجع الحساد داو فإنه ... إذا حل في قلب فليس يحول
ولا تطمعن من حاسد في مودة ... وإن كنت تبديها له وتنيل
وإنا لنلقى الحادثات بأنفس ... كثير الرّزايا عندهن قليل
يهون علينا أن تصاب جسومنا ... وتسلم أعراض لنا وعقول

لا أريد أن أفسد عليك هذه المتعة وتلك النشوة الفنية، ولا هذا الإشعاع الفني الذي يسري من خلال هذا المشهد بالشرح والتحليل والتعليل.

ولكنك ـ بالتأكيد ـ ستحس عظمة النفس الإنسانية من خلال هذاالمشهد الممتد الحزين، وستشعر بالمعدن النفيس لشخصية المتنبي. وستدرك أن كل هذه الاختبارات النفسية التي عاناها ـ ويعاني منها ـ هذا الشاعر العظيم، لا تقل عظمة وجلالاً عن معارك سيف الدولة التي وصفها. ولعل هذا الربط الذي نحس به ونحن ننتقل بين المشاهد المتصارعة المتناقضة، أثر عميق من آثار هذا الإشعاع الفني الذي عبر عن وحدة هذه النفس العظيمة، نفس الشاعر المتماسكة التي تصهر وتذيب كل ما ينعكس في داخلها من متناقضات وتحوله إلى وحدة واحدة.

وإذا كانت الأحداث ومعارك سيف الدولة واختبارات المتنبي النفسية وعذابه ومعاناته من خصومه وأعدائه، قد انصهرت كلها في نفس شاعرنا العظيم، وتجلت في هذه القصيدة، فإنها توحي لنا بمعنى آخر لمحناه في الفصل السابق، وهو أن الشاعر قد وصل إلى درجة من اليأس تساوت مع طاقته المتمردة وآماله البعيدة. ولكننا نلمح من خلال الأبيات الأخيرة من المشهد الأخير من هذه اللوحة معنى جديداً يتفهمه الذين يغوصون في باطن هذا الشاعر الكبير المركب النفس والآمال. هذا المعنى هو الأمل في جولة أخرى بعيداً عن سيف الدولة. ومن الغريب أنه اتخذ سيف الدولة نفسه بوقاً هتف ـ من خلاله ـ بهذا المعنى:

شريك المنايا والنفوس غنيمة ... فكل مماتٍ لم يمته غلولُ
فإن تكن الدولات قسماً فإنها ... لمن ورد الموت الزؤام تدول
لمن هون الدنيا على النفس ساعة ... وللبيض في هام الكماة صليل

هذه خطوط رمادية تنهي لوحة الزمن، وتعيد لنا أيضاً فكرة الزمن. فالدول والأيام تدول بين الناس، ولكنها بالحتم لهؤلاء الأبطال الشجعان، الذين لا يقفون ولا يتجمدون ولا يستكينون ولا يهابون الموت.

ولعل أبا الطيب كان يوحي إلى نفسه بهذا المشهد ويحرضها على التمرد. وقد نجح بالفعل في ذلك. ثم كتب قصيدته التي أعلن فيها تمرده، والتي شرحتها في الفصل قبل السابق.. والتي بدأت بعدها رحلة من رحلات عذابه التقى فيها بكافور

ثم غادره بعد ذلك. وعاد إلى بغداد ثم عاد للكوفة... ثم ارتحل إلى عضد الدولة. ثم عاد فاغتيل في طريق العودة دون أن يحقق كل آماله وأحلامه... ولكنه على أية حال حقق ذاته بهذا الشعر العظيم الذي لا يزال ثرا غنياً خصباً ملهماً حاراً. ولا يزال يشع لكل الأجيال إشعاعات جديدة.

ملاحظات على اسهام د. دسوقي:

ونلاحظ لدى دراسة هذه «الرؤية الفنية»، كما سماها د. دسوقي، ما يلي:

١ ـ انه نظر إلى القصائد على أنها لوحات، وبين علاقة كل مقطع بالآخر، وكيف تتمم المقاطع اللوحة. فالقصيدة كل عضوي، وهي عالم من الألوان المتكاملة، والكلمات المتفاعلة. وبالتالي فانه لم يبحث قضايا الشكل بمعزل عن المضمون، ولا المعاني بمعزل عن الألفاظ، ولا الألفاظ باعتبارها كلمات مستقلة، ولا الأبيات باعتبارها عوالم خاصة، كما كان يفعل النقد العربي التقليدي.

٢ ـ انه لم يبحث عن خطأ نحوي، أو كلمة غريبة، أو جملة ضعيفة، ولم يشر إلى ذلك مطلقاً.

٣ ـ انه اختار ثلاث قصائد، لم يعط الشراح والنقاد[٤٣٤] أي اهتمام للأولى منها التي سماها «لوحة الثورة».

ويستنتج د. دسوقي أننا: «أمام تجارب المتنبي الشعرية، نحس هذه القدرة اللغوية الفائقة، وكيف يشكل من خلالها هذا العملاق فناً عظيماً»[٤٣٥]. فأبو الطيب، حسب رأي د. دسوقي: «الشاعر الوحيد الذي يشكل عملاً فنياً كاملاً، من كلمات بسيطة، وتراكيب سهلة. قد يخلو من الخيال المجنح والصور الموحية والتعبيرات الجديدة، والدلالات العميقة. ومع ذلك يهز النفس هزاً، ويثير الخيال، ويلذ القلب، ويحرك العقل»[٤٣٦].

نحن إذن أمام نمط جديد في الدراسة، يساعدنا على فهم شعر أبي الطيب، واكتشاف غناه واسراره الإبداعية.

(٣) اسهام د. حسين الواد:

الثالث: كتاب د. حسين الواد: «مدخل إلى شعر المتنبي» الذي أشرنا إليه سابقاً. ويتكون الكتاب، من أربعة أبواب:

١ ـ سيرة وتاريخ.
٢ ـ شعر وجمهور.
٣ ـ في قراءة الشعر القديم.
٤ ـ القصيدة.

والكتاب مهم في مجمله، ولكن الذي يهمنا منه الآن القصيدة التي اختارها د. حسين لكشف أسرار بنيتها. والقصيدة، من قصائد أبي الطيب التي تعتبر عفوية وبسيطة، قالها أبو الطيب في هجاء ابن كروس[٤٣٧]. ولم يهتم بها الشراح والنقاد القدامى[٤٣٨]، ولم يروا فيها ما هو غير عادي. وكذلك حصل مع الشراح والنقاد المعاصرين[٤٣٩].

ومع ذلك فإن د. حسين الواد، يكشف أسرارها، فتتألق، ويبرز غناها، كما لم يرها أحد من قبل. وهذا ما نراه في النص:

القصيدة

«قال أبو الطيّب يصف سيرَه في البوادي وما لقي في أسفاره، ويَذُمُّ الأعور ابن كروَّس بعد أن رجع من جبل جَرش:

1 عَـذِيـرِي مِـنَ عَـذَارَى مِـنْ أُمُـورِ سْكَـنَّ جَـوَانِـحِي بَـدَلَ الْـخُـدُورِ
2 وَمُـبْـتَـسِـمَـاتِ هَـيْـجَـاوَاتِ عَـصْـرٍ عَـنِ الأَسْـيَـافِ لَـيْسَ عَـنِ الـثُّغُورِ
3 رَكِـبْـتُ مُـشَـمِّـراً قَـدَمِـي إِلَـيْـهَـا وَكُـلَّ عُـذَافِـرٍ قَـلِقِ الـضُّـفُـورِ
4 أُوَاناً فِـي بُـيُـوتِ الْـبَـدْوِ رَحْـلِي وَآوِنَـةً عَـلَى قَـتَـدِ الْـبَـعِـيـرِ
5 أُعَـرِّضُ لِـلرِّمَـاحِ الـصُّـمِّ نَـحْـرِي وَأَنْـصِـبُ حُـرَّ وَجْـهِـي لِـلْهَـجِـيـرِ
6 وَأَسْـرِي فِـي ظَـلَامِ الـلَّيْـلِ وَحْـدِي كَـأَنِّـي مِـنْـهُ فِـي قَـمَـرٍ مُـنِـيـرِ
7 فَـقُـلْ فِي حَـاجَـةٍ لَمْ اقْضِ مِـنْهَـا عـلى شَـغَـفِـي بِهَـا شَـرْوَى نَـقِـيرِ
8 وَنَـفْسٍ لَا تُـجِـيـبُ إِلَـى خَـسِـيسٍ وَعَـيْـنٍ لَا تُـدَارُ عَـلَى نَـظِـيـرِ
9 وَكَـفٍّ لا تُـنَـازِعُ مَـنْ أَتَـانِـي يُـنَـازِعُنِي سِـوَى شَـرَفِي وَخِـيـرِي
10 وَقِـلَّةِ نَـاصِـرٍ جُـوزِيـتَ عـنِّـي بِـشَـرٍّ مِـنْـكَ يَـا شَـرَّ الـدُّهُـورِ
11 عَـدُوِّي كُـلُّ شَـيءٍ فِـيـكَ حَـتَّـى لَـخِـلْتُ الأُكْـمَ مُـوغَـرَةَ الـصُّـدُورِ
12 فَـلَوْ أَنِّـي حُـسِـدْتُ عـلى نَـفِـيسٍ لَـجُـدْتُ بِـهِ لِـذِي الـجَـدِّ الْـعَـثُـورِ
13 وَلَـكِـنِّـي حُـسِـدْتُ عَـلَى حَـيَـاتِـي وَمَـا خَـيْـرُ الْـحَـيَـاةِ بِـلَا سُـرُورِ
14 فَـيَـابْـنَ كَـرَوَّسٍ يَـا نِـصْـفَ أَعْـمَـى وَإِنْ تَـفْـخَـرْ فَـيَـا نِـصْـفَ الْـبَـصِـيـرِ
15 تُـعَـادِيـنَـا لِأَنَّـا غَـيْـرُ لُـكْـنٍ وَتُـبْـغِـضُـنَـا لأَنَّـا غَـيْـرُ عُـورِ
16 فَـلَوْ كُـنْـتَ امْـرِءاً يُـهْـجَـى هَـجَـوْنَـا وَلَـكِـنْ ضَـاقَ فِـتْـرٌ عَـنْ مَـسِـيـرِ.

الديوان . القصيدة 99

التحليل

مدخل:

تبيَّنا في هذه القصيدة خمسة مقاطع هي:

١ ـ البيتان ١ + ٢.

٢ ـ الأبيات ٣ + ٤ + ٥ + ٦.

٣ ـ الأبيات ٧ + ٨ + ٩ وأوّل البيت ١٠.

٤ ـ بقية البيت ١٠ + الأبيات ١١ + ١٢ + ١٣.

٥ ـ الأبيات الأخيرة وهي: ١٤ + ١٥ + ١٦.

وبنينا هذا التقطيع على:

١ ـ انتقال الشاعر من معنى شعري إلى آخر، أو من مكوّن من مكوّنات هذا المعنى إلى مكوّن آخر.

٢ ـ التحوّل في صيغ الخطاب، وهو تحوّل تدلّ عليه قرائن لفظية (الضمائر مثلاً، نوعية التراكيب...).

لكن مقاطع القصيدة، والفصل بينها منهجي لا غير، تتضافر، على أساس التمايز والتماثل، على النهوض بالغرض الذي طرقه الشاعر واستمدّ منه الخصائص التي ترقى بالإبداع إلى التفرّد.

المقطع الأول: ١ ـ ٢

يستوقف النّاظر، أوّل ما يستوقفه، في هذين البيتين تكرار الأصوات وترديدها وتجاوبها في نغم حرص الشاعر، كلّ الحرص، على إظهاره وإبرازه. ففي البيت الأول كرّر أبو الطيب صوت «الرّاء» أربع مرّات، وكرّر، في البيت الثاني، صوت «السين» مرّات ثلاثا، واختار أن تتعاود الأصوات التي حرص على ترديدها، أكثر ما تتعاود، في موطنين، من مساحة البيتين، بارزين هما صدر البيت الأول وعجز البيت الثاني.

أمّا صدر البيت الأول فقد كرّر فيه أبو الطيب صوت «الرّاء» ثلاث مـرّات، وكرّر الأداة، «من» مرّتين، وجانس بين «عذيري» و«عذارى»، فأدركت الأصـوات شأوا في التماثل والتناظر بعيداً. وأمّا عجز البيت الثاني فقد تكرّر فيه صوت «السين» مرتين، وتكررت الأداة «عن» مرّتين اثنتين أيضاً فأحدثت ضرباً من التوازن مع صدر

البيت الأول. وبين هذين الموطنين المتميزّين تعهّد الشاعر حرصاً على التجاوب بين الأصوات، فأقام بين «مبتسمات» و «هيجاوات» تناظراً في الصيغة الصرفية، يؤكّد عنايتهُ بأجراس الكلام واحتفاله به.

والذي يدلّ عليه انتقاء الأصوات هذا الانتقاء القائم على قوّة التماثل بينها، وتوزيعها على مساحة البيتين هذا التوزيع، أنّ أبا الطيب لا يقنع من صناعة الشعر بالاتزان النّاجم عن تعاود التّفعيلات (صحيحة أو منهوكة بأصناف العلل والزّحافات) التّعاود العروضي، وإنّما يسعى، شأنه في ذلك شأن كبار الشّعراء القدامى، إلى حمل الأصوات على التّداعي والتّجاوب وإشاعة موسيقى في الكلام تعتمد تخيّر أجراسه وإحكام توزيعها. وهذا يعني أن المتنبي قد أدرك أن الشعر إنما يتأسس، أولا وبالذات، على التصرف في الأصوات التصرّف الذي يولّد إيقاعاً أنسب لماهيّة الكلام الفنّي، وأوفق له في النّهوض بما يتعلّق به من عديد الوظائف[1].

وللانتقاء، في هذين البيتين، وجه آخر يتعلّق بتخيّر الألفاظ المفردة عند الخروج بها من حالها في المعجم إلى الاستعمال في الشّعر. وقد اختار أبو الطيب لفظة «عذارى» ووسّطها صدر البيت الأول، وجعلها تفيض على البيتين جميعاً وتنشر عليهما ظلالها الدلالية والايحائية. تعلّقت هذه اللفظة بالفعل «سكنّ» فبنته على المؤنّث السالم، وتعلّقت بالمفعول «جوانحي» فأوهمت بأن الشاعر إنما يقصد المعنى الغزلي، إذ الجوانح، في المتعارف عليه من شعر العرب ومن لغتهم، تضمّ القلوب، والقلب موطن العواطف والأهواء بل إنّ لفظة «عذارى» قد تعلّقت بـ «الخدور»، وإن كان ذلك على سبيل الإبعاد والنفي، والذكر بالنفي أحضر في الذهن من الصمت، فمتّنت انغراس

---

(١) في تراجم أبي الطيب وشروح أشعاره أخبار عديدة تدلّ على أنه كان واعياً بالانتقاءات التي اختار لكلامه، من ذلك مثلاً ما رواه أبن جني في هذا الخبر. قال: «وممّا استدللتُ به على حصافة لفظه وصحّة صنعته ودقّة فكره أنّني سألتُه يوماً عن قوله [من الطويل]:

وقَدْ عَادَتِ الأَجْفَانُ قَرْحاً مِنَ الْبُكَا وَعَاد بَهَاراً فِي الْخُدُودِ الشَّقَائِقُ

فقلتُ: أَقَرْحَى ممال أم «قرحا» منّون، جمع قرحة، فقال: «قَرْحَا» منوّن ثم قال: ألا ترى بعده: «وعاد بهاراً في الخدود الشقائق»؟

يقول: فكما أنّ بهاراً جمع بهارة وإنّما بينهما الهاء، فكذلك «قرحا» جمع قرحة وإنّما بينهما الحاء يوفّق بذلك بين الكلام» الفسر جـ ١ ص ٢٤.

الكلام في المتأصل في الشعر العربي من معاني الغزل. فإذا كان الخدر للمرأة عامّة، فإنه بالعذارى أخصّ إكراماً للنّفاسة وإمعاناً في الصّون. وأمّا البيت الثاني فقد بسطت لفظة «عذارى» عليه ظلالها بـ «مبتسمات» في أوّله وبـ «الثغور» في آخره. فرغم واو الاستئناف في مطلع البيت، وما قد توحي به من صرف الكلام إلى معنى آخر، ورغم الأداة «عن» وما تلحّ عليه من نزع الابتسام عن الثغور لإسناده إلى الأسياف، يظلّ الذهن مشدوداً إلى من يصدر عنه الابتسام حقيقة، وذلك لأن المجاز مستحدث من الحقائق، ولأنّ الألفاظ في الشعر أشياء. وليس من شكّ في أن المنطق الشعري الذي ينتظمها إنما يختلف عن المنطق النحوي الذي ينتظم معتاد الكلام.

إنتقى الشاعر ألفاظاً عديدة من المعجم الغزلي، وقام بتوزيعها على مساحة البيتين على نحو يوهم بأنه مقبل على التغزّل استرسالاً مع ما كانت السنّة الثقافية قد أقرته من مألوف افتتاح القصائد بالنسيب. وإذا جمعنا بين الألفاظ التالية:

عذيري من عذارى ـ سكنّ ـ جوانحي ـ الخدور ـ مبتسمات ـ عن الثغور، مِلْنَا إلى القطع بأن الشاعر إنّما يقصد إلى ذلك المعنى المتداول بين الشعراء القدامى عندما يعلنون الصبابة بالعذارى الحسان المصونات في الخدور المحميات بالسّيوف. توهم هذه الألفاظ بأنّ الشاعر يطلب عاذراً يتفهّم ما يكابده من أوجاع الهوى ومتاعب الصّبابة في سياق ما كان يشتكي منه قبله الشعراء من حبائب انتظمهنّ، من الجاهلية إلى آخر العصر القديم، نمط من الجمال والصّون والمناعة والقسوة والرقة واحد، مثلما انتظمت العلاقة بهنّ نمطية نموذجية تذوب فيها سائر التجارب والمغامرات وتظفر فيها بترجمانها.

لكن أبا الطيب، وهو يوهم بطرق المعنى الغزلي، قد عمد إلى انتقاء ألفاظ أخرى من معجم آخر. انتقى، أوّلاً، لفظة «أمور» ونزّلها في موطن التصريع من البيت الأول. وإذا كانت هذه اللفظة لا تنأى عن المعجم الغزلي، إذ هي عامّة مشتركة تطلق على ما لا يحدّ ولا يتقيّد بمعنى من المعاني مخصوص، فإنّ لفظتين اثنتين في البيت الثاني هما «هيجاوات» و «الأسياف» ترفعان اللبس، وتقحمان البيتين في غرض آخر غير النسيب. فإذا جمعنا بين: «أمور ـ وهيجاوات ـ والأسياف» ألفينا أنفسنا في معجم الحرب.

يوهم المعجم الأول بطرق غرض الحبّ، ويوهم المعجم الثاني بتناول غرض

الحرب، وفضّل الشاعر أن يتعهّد شيئاً من اللبس بين الغرضين قبل أن يوجّه الدلالة إلى الحرب دون الحبّ. وتوسّل إلى ذلك بالأدوات وبتعليق اللفظ باللفظ. فإذا كانت «من» الأولى في صدر البيت الأول سببيّة، فإنّ «من» الثانية قد جاءت لبيان الجنس نافية عن لفظة «عذارى» تعلّقها بالنّساء حتّى تتمحضّ للدلالة على «الأمور». إنّ المتكلم قد عُلّق مطالبَ وغاياتٍ أبكاراً ينهض لهنّ نهوض المحبّ إلى الحبيب. وإذا كان عجز البيت الأول لا يواصل صرف الدلالة من التعلق بالغزل إلى التعلق بالحرب، لمّا بين «الجوانح» و «الخُدور» من تقارب لا يسمح لكلمة «بدل» بأن تحقق الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني، ولأنّ المفعولين قبل كلاهما لأن يكون سكنا لكلّ ما تشغف به القلوب من عزيز النفائس، فإن البيت الثاني هو الذي يُرْفَعُ فيه اللَّبْسُ بين المعنيين، ويتمّ به الانتقال من أحدهما إلى الآخر. استهل الشاعر هذا البيت بواو الاستئناف ومن وظائفها صرف الكلام إلى معنى آخر لا يبعد عن الأول كثيراً، ثم استعمل لفظة «مبتسمات» وعلّقها بـ «هيجاوات» تعليقاً سمّاه الشرّاح القدامى «إضافة الشيء إلى نفسه»[٢]، فَنزعت عنها إمكان الإسناد إلى «عذارى» في البيت السابق، والتفتت إلى معنى الحرب، ثم استعمل الشاعر النفي الصريح بـ «ليس» إمعاناً في إثبات الابتسام لـ «الأسياف». وهكذا يكون الشاعر قد خلص من الحب إلى الحرب.

اختار أبو الطيب ألفاظه من معجمي الحب والحرب، فأوهم بأنه يتحدّث عن عذارى من النساء سكن حبُّهنّ الجوانح وألحق به ما كان يلحقه الحبّ بالعشاق من أسى مستحبّ، غير أنّه، عند تأليف الألفاظ ونظمها، قد تحوّل إلى الحديث عن المطالب الأبكار وما يقتضيه إدراكها من خوض الحروب. فالشاعر لا يستصرخ بـ «عذيري» في مطلع القصيدة أو يتعجّب أو يستفهم لأن هوى الحسان قد تيّمه فما تَيمته سوى المطامح تعلّقها أبكاراً وتعلّق السبيل إليها حروباً تتقاضى النفوس أمهاراً.

المقطع الثاني ٣ ـ ٦

جاء المقطع الثاني في أربعة أبيات واصل فيها الشاعر تخيّر الأصوات تعهّداً لعنايته بالنغم المتعاود الذي بنى عليه البيتين الأول والثاني، غير أن حرصه على تجاوب الأصوات المفردة قد تفاوت من بيت إلى آخر. ففي البيت الثالث كرّر أبو الطيب

(٢) راجع: معجز أحمد لأبي العلاء المعرّي مثلاً جـ ٢ ص ٢٣٥.

صوت الرّاء أربع مرّات، ولكنه كرّره بحركات مختلفة نازعة إلى التباين، فالتنوين بالفتح في لفظة «مشمِّراً» لا يتناغم إلّا التناغم الجزئي مع حركة الفتح في راء «ركبت»، والتنوين بالخفض في «عذافرٍ» قليل التجانس مع الرّاء المنخفضة في «الضفّور». وكرّر في البيت الرّابع صوت «التاء» ثلاث مرّات دون أن يصل التكرار إلى إظهار نغم بارز فيه لما بين حركات التاء من اختلاف. ولكن الحرص على تجاوب الأصوات يعاود الشاعر في البيت الخامس، فقد كرّر فيه صوت «الرّاء» خمس مرّات ثلاث منها مشدّدة، وبالكسر في مناسبتين اثنتين: «أعرّض» و«للرّماح». وقد جعل احتفال الشاعر بالأصوات المتعاودة من البيت الخامس موطناً متوتّراً نظراً إلى انتشار الأصوات المجهورة والشديدة والمفخّمة على مساحته. ثم يميل الاحتفال بالأصوات المفردة إلى الانحسار في البيت السادس، إذ المتعاود منها قد حدّ من قوّته التباعد في المسافة بينها.

غير أنّ أبا الطيب قد استعاض عن العناية بالأصوات المفردة في هذه الأبيات بأمرين اثنين صرف إليهما فنّه وأقام عليهما النغم الذي حرص على اشاعته في قصيدته. أمّا الأوّل فيتمثّل في الألفاظ الثلاثة التي ختم بها صدور الأبيات الرّابع والخامس والسادس، وهذه الألفاظ هي: رَحْلي ونَحْري ووَحْدِي، وبينها من ألوان التقارب والتجانس والتآلف ما لا يحتاج إلى توضيح. ثم إن هذا الأمر الأول يتمثل أيضاً في الألفاظ التي ابتدأ بها كلاً من صدر البيت الخامس وعجزه وصدر البيت السادس. وهذه الألفاظ هي: أعرّض ـ وأنصب ـ وأسري، وبينها من الشبه وجوه عديدة. ويتمثل هذا الأمر كذلك في ابتداء الشاعر في البيت الرابع بـ«أوانا» وفي استعمال جمعه في مطلع العجز «آونة» وهذا وجه آخر من وجوه التجاوب التي أسّس عليها أبو الطيب إيقاع الأبيات التي يتكوّن منها المقطع الثاني من قصيدته. غير أن أبرز ما يحدث الإيقاع في هذه الأبيات، انما هو ضمير التكلّم تسند إليه الأفعال والأشياء. فهذا الضمير حاضر مادياً في: قدمي ورحلي ونحري ووجهي ووحدي وكأنّي. وفي «أعرّض وأنصب وأسري»، وفي «ركبتُ»، وحضوره على هذا النحو يجسّم الأساس المشترك الذي تنبني عليه الأبيات الأربعة.

أمّا الأمر الثاني فيتمثّل في التراكيب التي جاءت عليها الأبيات، وهي تراكيب نازعة إلى التّعاود في هيئة تتقارب حدّ التّماثل في بعض الصدور وبعض الأعجاز.

ففي البيت الرّابع نلمس تناظراً بيّنا بين بنية الصدر وبنية العجز:
أوانا/في/ بيوت البدو.
آونة/على/ قتد البعير.

وفي البيت الخامس نلمس قرابة متينة بين بنية الصدر وبنية العجز:
أعرّض/للرماح الصمّ/ نحري.
أنصب/للهجير/ حرّ وجهي.

وتنزع هذه البنية إلى الاستمرار في البيت السادس، إلا أنها تقف عند المصراع الأول:
أسري/في ظلام الليل/ وحدي.
فهي تنقطع في المصراع الثاني مؤذنة للمقطع بالانغلاق.

يخرج الناظر في هذه الأبيات الأربعة بأن أبا الطيب لم يول الأصوات المفردة فائق عنايته، بل هو قد التفت عنها إلى الألفاظ المفردة والتراكيب بحكم توزيعها على مساحة أبياته ويجوّده بحثاً عن الإيقاع المتناظر من خلال التّعاود والتّجاوب. ويبدو أن مواطىء الكلام هي التي حملت الشاعر على أن يصرف عناية إلى اللفظ دون الصوت، وإلى الثورة التركيبية دون الصورة الصوتية، فالمقام قد تحوّل من الغنائية إلى السرد، ومن الانفعال إلى ذكر الفعل.

انطلقت الأبيات بفعل «ركبت» وقد بناه الشاعر على الماضي المجرد، وأسنده الى المتكلم بالقصيدة إخباراً عن القصة، ولكنه أتبع الفعل بالحال في «مشمّراً»، وبأداة الاستغراق «كل» عطفاً على المفعول الأول «قدمي»، فاكتسب الماضي المجرد، بذلك، صفة الدوام الناتج عن التعدد والتعاود. وهذا يعْني أن الماضي ماضٍ قصصي لا غير يُعلن عن السّرد وابتداء الحكاية. والذي يدّل على ذلك إنما يتمثّل في الصّفة التي أطلقها على البعير الذي ركبه فهو «قلق الضفّور» من كثرة ما ضرب به صاحبه وراء المطامح وسامي الغايات، وكثرة ما حمّله من مشاق وأتعاب. ثم هو يتمثل في الإلحاح على الزمن في البيت الرابع إذ ابتدأ صدره بـ «أواناً»، وابتدأ عجزه بـ «آونة»، وأخلى البيت من الفعل ليكتسب صفة الدّوام والإطلاق. واستعمل أبو الطيب في شطري البيت الخامس وصدر البيت السادس أفعالاً بناها على المضارع واستهّل بها الكلام. والذي

يختصّ به الفعلان في البيت الخامس أن كلاّ منهما قد اقتضى مفعولاً جعله الشاعر جزءاً نفسياً من المتكلم بالقصيدة «نحري» و «حرّ وجهي»؛ اتّقى بالأول من الرّماح الصمّ واحتمى بالثاني من الهجير، وبين المتقى منه في المصراعين تكامل ينزع الى الكليات إذ الأول بشري والثاني طبيعي. غير أن الشاعر سوّى بينهما في إلحاق العطب بالساعي الى الغايات البعيدة. أما الفعل في صدر البيت السادس فإنّه يقع على فاعله «أسري» ولكن السّرى من الأفعال التي تشق على الجماعة فضلاً عن الأفراد، لذلك أبرز الشاعر صفة الإنفراد «وَحْدي» إمعاناً في التفرّد. وأبقى على شيء من الغموض في التشبيه الوارد في عجز البيت، فلم يرفع عن الضمير التعمية وتركه قابلاً لأن يعود على «حرّ الوجه»، وعلى «ظلام الليل»، وللضمائر في الشعر العربي، وفي شعر أبي الطيب خاصة وضع في حاجة إلى التّدبّر والتفكّر، من ذلك مثلاً أن الضمير في «اليها» في البيت الثالث يتعهّد في ذاته شيئاً من الابهام، إذ لا ندري على وجه الدقة أعائد هو على «الهيجاوات» أم على «عذارى الأمور»، والسياق لا يرجح هذا على ذاك.

ارتكزت هذه الأبيات الأربعة على «الأنا»، وتضمّنت الأفعال التي نسبها المتكلّم بالقصيدة الى نفسه في نزوعه الى المطالب التي كلف بها وتعلقها تعلّق العشاق أحبابهم، فكان انبناؤها على الفخر بيّنا. غير أن الفخر في هذا المقطع قد اعتمد السّرد القصصي، وهو سرد كثير ما تحفل به الأشعار، وتهيىء له سبل الاندراج فيها بما يتخلّلها من وصف. وفي هذه الأبيات صفات عديدة. فالعذافر «قلق الضفور» والرماح «صمّ» والقمر «منير». وهذه الصفات تجعل الشاعر لا يصرف عنايته الى الفعل بقدر ما يصرفها الى المشقة فيه والى انعكاسه على فاعله بأصناف الأوصاف الظاهرة والمقدّرة. لهذا فإنّ السرد في الشعر يخدم الصورة ويزيدها متانة وتأكّداً، وقد أكّد أبو الطيب في هذه الأبيات الجدّ في السعي وتحمّل المشاق والصبر عليها والمخاطرة بالنفس حتى الإقدام على إتلافها قربانا للمطالب ونذراً للغايات.

المقطع الثالث: ٧ + ٨ + ٩ + بداية البيت العاشر

استهّل هذا المقطع بفعل الأمر «قل» مشدوداً بفاء النتيجة الى المقطع الثاني. وقد قلّ في هذا المقطع احتفال الشاعر بالأصوات، وبما كان أقامه بينها من ضروب التعاود

طلباً لإيقاع تتميز به القصيدة، فالأصوات المفردة لا تتكّرر أكثر من مرّتين اثنتين التكرار الذي لا يحدث رنّة نغمية قصد إليها أبو الطيب. ثم إننا لا نجد عناية من الشاعر بتوزيع الألفاظ المفردة التوزيع الذي يشيع في الأبيات موسيقى. والتعاود الذي أقامه بين «تنازع» و «يُنازعني» لا يكاد يجاوز عفو الاتفاق الى البحث الحريص على طلب النغم. غير أن أبا الطيب، وهو لا يحتفل بالمظهر الصوتي في إنشاء هذه الأبيات، قد صرف معظم عنايته إلى وجه آخر من وجوه الإبداع الشعري تجسّم في التركيب، فما بعد الفعل «قل» أبنية متناظرة شديد التناظر متناغمة كبير التناغم. وهذه الأبنية هي:

حاجة لم أقضِ منها...
ونـفس لا تجـيـب الى...
وعـين لا تـدار عـلى...
وكَـفّ لا تـنـازع مـن...

وينغلق التّعداد بـ «وقلة ناصر» فينغلق المقطع على نفسه.

هذا التناظر الذي حرص الشاعر على إشاعته في هذه الأبيات، قد أضفى على المقطع ظلالاً من الغموض، وجعل العبارة ملمّحة أكثر منها مصرّحة. فإذا كان مفعول «قل» قد ظهر في البيت السّابع في الصيغة المشهورة مَثَلاً «شروى نقير»، فإنّه قد ظلّ مسكوتاً عنه في التراكيب الأخرى. وقد حمل هذا السكوت الشراح القدامى على إظهار «ماشئت» مفعولاً للفعل واعتبروها مقدّرة تستفاد من سياق الكلام. ولكن الظلال الغامضة لا تقتصر على جواب «فقل»، فهي كائنة في البيت السابع نفسه، وفي العبارة «على شغفي» على وجه الخصوص إذ يتحمل التركيب الوقوف عند «حاجة لم أقضِ منها»، فتكون «على» بمعنى مع ومعنى رغم، ويتحمّل اعتبار «على شغفي بها» مفعولاً للفعل المجزوم «لم أقضِ». ثم إن الغموض يلازم العبارة المأثورة «شروى نقير»، إذ لا ندري على وجه الدقة أدالة هي على الحقارة والتّفاهة أم على الشدّة والصعوبة والاستحالة والامتناع. ولكن الغموض، وهو نتيجة من نتائج البنية، ولازمة من لوازم الشعر، يظلّ، في هذه الأبيات محدوداً. فقد حرص الشاعر على أن يظهر عدم الاحتفال بكلّ ما يتعارض مع الذّات ولا يدانيها في المنزلة التي ارتقت إليها. وفي هذا الاتجاه قابل بين الأنا المتعالية في نفاستها وبين غيرها، فأسمى مطالب الذات «شرف» وما ليس منه فلا قيمة له. وهذا يعني أن الشاعر يواصل المعنى الفخري الذي كان قد

شرع في تناوله في المقطع السابق. ولكنه انتهى الى منتهى التفرّد، فأفضى الى الانفراد والغربة. ويؤكد ذلك انغلاق المقطع بـ «وقلة ناصر»،وهي شكوى في قالب افتخار.

إن ما يتميّز بـه هذا المقـطع أنه من الاخبـار عن الذات في حـالات السعي والطلب، الى المخاطبة. وإذا كنّا لا نعرف الى من يتّجه المتكلم بالخطاب، فأن يخاطب نفسه يعدل أن يخاطب غيره، فإن الاتجاه الى متقبّل الكلام ينطوي على إظهار الموقف من نتائج السعي ومحاصيل الطلب. والذي يقرّره الشاعر إنما هو الموقف الذي آلت التجربة الى اتخاذه. وفي الموقف مثلما في السعي استمرار للنفس الفخري.

المقطع الرابع: بقية ١٠ + ١١ + ١٢ + ١٣

يتكوّن هذا المقطع من بقية البيت العاشر والأبيات الثلاثة الموالية، لم يول أبو الطيب الأصوات في هذه الأبيات عناية خاصّة للإيقاع المتفرد الذي يَخرج عن النطاق المتداول في صناعة الشعر. من ذلك مثلاً أن الشاعر قد كرّر لفظة «شرّ» مرّتين في عجز البيت العاشر، وكرّر صوت «السين» مرّتين أيضاً في صدر البيت الثاني عشر «حسدت» و«نفيس»، وكرّر لفظة «حسدت» مرّتين في صدري البيتين الثاني عشر والثالث عشر، وكرّر لفظة «حياة» مرّتين في البيت الثالث عشر، وكرّر الصيغة في «لجدت» و «لخلت» في عجزي البيتين الحادي عشر والثاني عشر. غير أنّ هذا التكرار لهذه الألفاظ على هذا النمط من التوزيع، لا يرقى بالنغم الى ايقاع صرف اليه أبـو الطيب مجهـوداً بارزاً. والذي يدلّ على أن الشاعر لم يكن محتفلاً بإقامة علاقات التناظر والتجاوب والتناغم بين الأصوات والتراكيب أنه اعتمد صيغاً في التعبير عديدة في هذا المقطع، فاستعمل الدعاء والمخاطبة والتـأكيد والشرط والاستـدراك والتعجّب. فكان أن أضفت هـذه الصيغ المتنوّعة على كلام الشاعر توتّراً، وليس يليق بالتوتّر أن يختار له المتكلم الأنغام التي ينتظمها إيقاع متعاود متجانس.

يختلف هذا المقطع عن المقاطع السابقة بـانتقال إبي الـطيب فيه من الحـديث الغنائي والسردي عن الانسجام بينه وبين المطالب التي أغرم بها وتعلقها ثم بينه وبين السعي الجاد الحثيث الذي نهض به في سبيلها، ثم بينه وبين الشرف الذي يرقى به عن سائر القاصرين عن المرتبة التي أحلّ نفسه فيها، الى الحديث عن محصولـه من مسعاه رغم نفاسة ذاته ونبل غاياته. وفي هذا الانتقال انفجر التوتّر وتتابعت الصيغ

المعبّرة عنه. وقد نتج التوتّر عن فساد المعادلة المنطقية بين جنس السعي وجنس الجزاء. فبقدر ما كانت المطالب سامية، والنهوض في سبيلها جاداً والفاعل رفيعاً متميزاً، كان الغنم تافها. ولا تعليل لفساد المعادلة إلّا بفساد الدهر ومواجهته الشاعر بالعداء. ثم إنه لا تعليل لما لحق الشاعر من أذى إلا بالحسد، والحسد لا يفهم ولا يعلّل. ومن هنا أنهى أبو الطيب هذا المقطع بالشكوى، وهي شكوى تنعكس على مطلع القصيدة إذ ابتدأها بالاستصراخ والاستنصار والشكوى. وكان بإمكان الشاعر أن ينهي قصيدته بهذا البيت، فنهاية البناء تتوج بالرجوع الى منطلقة. وتصبح «الحياة بلا سرور» هي التي دعت الى تعلق: «عَذَارى الأمور» واستدعت تعلق الحروب سبيلاً موفية عليها، واقتضت النهوض والاضطراب والطلب والرفّع المفضي الى التفرّد والانفراد. وعلى هذا الأساس تكون القصيدة قد انبنت على التدرج من الغنائية الى التوتّر، أو من الاستصراخ الى التشكّي، في أنغام وايقاعات تنازلت من التفجّع الى التوجّع، ومن النفير الى الزفير.

المقطع الخامس: الأبيات ١٤ ـ ١٥ ـ ١٦

لهذه الأبيات الثلاثة الأخيرة منزلة خاصّة جدّاً من بناء القصيدة، فهي، في آن واحد، شديدة الاتصال بها شديدة الانفصال عنها. ومهما قلّبنا النظر على وجوهه في الشعر القديم، وتكلّفنا التسامح مع ذلك الزعم الباطل الذي يستنقص القصيدة القديمة ويرميها بالتفكك[1]، فإننا لا نعثر الا على نماذج قليلة وقليلة جدّاً من الأبيات التي

(١) هذا الرأي متداول في كتب النقد الحديثة بداية من الربع الأول من القرن العشرين. قال طه حسين: «ولننظر في المعلقة نفسها [معلقة امرىء القيس] فلسنا نعرف قصيدة يظهر فيها التكلف والتعمّل أكثر ممّا يظهران في هذه القصيدة [ممّا] أعطى للمستشرقين صورة سيئة كاذبة عن الشعر العربي، فخيّل إليهم أنّه غير منّسق ولا مؤتلف، وأنّ الوحدة لا وجود لها في القصيدة، وأن الشخصية الشعرية لا وجود لها في القصيدة أيضاً، وأنك تستطيع أن تقدّم وتؤخّر، وأن تضيف إلى الشاعر شعر غيره دون أن تجد في ذلك حرجاً أو جُناحاً، ما دامت لم تخلُ من الوزن والقافية، في الأدب الجاهلي ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥. وقال غنيمي هلال: «ولكن الأوائل في الشعر لم يولوا عنايتهم شيئاً من هذا [يعني وحدة العمل الفني] إذ كانت تتوالى أبيات القصيدة على نحو لا يبرّره إلا واقع حياة البدوي ومشاعره النفسية، فكان غالباً ما يتخيّل أنه في رحلة، فيصادف أطلال منازل الأحبّة ورسومها، فيقف يبكيها ويتذكّر صبواته مع حبيبته النازحة، ثم ينتقل إلى وصف مطيّته في سفره... لينتقل إلى غرض القصيدة من مدح أو غيره، وينتهي من قصيدته =

تندرج في القصائد حتماً وتنفصل عنها لزوماً وتدّل، بما لا يترك مجالاً للشك، على أنّ الأبنية في الشعر القديم أبنية واعية أساسها الدراية وطول التدبّر ومحكم الاختيار وحبيك الصياغة.

أما انفصال هذه الأبيات عمّا يسبقها فيقضي به انغلاق البيت الثالث عشر على القصيدة وانعكاسه على مفتتحها انعكاساً محكوماً بما تعمّده أبو الطيب من تجويد في انتقاء الأصوات والصيغ والتراكيب المتجاوبة المتعاودة في إحكام توزيعها على مساحة الأبيات. وعندما استنفد إمكانات التصرّف في ذلك أو كاد تدّرج الى التوتّر والى الإقلاع في الغنائية. ويقضي بانفصال هذه الأبيات عمّا يسبقها أيضاً أنه يمكن حذفها دون أن يطرأ على بنيتها انخرام أو انقطاع. ويقضي أيضاً بانفصال هذه الأبيات عمّا يسبقها أنّ أبا الطيب قد رجع فيها إلى ما كان قد أقلع عنه من عناية بالإيقاع. ويبدو، من شعر هذا الشاعر، أنه قليل الرجوع، في القصيدة الواحدة، الى لون من ألوان الأسرار في الكتابة الشعرية بعد استعماله، وهذا ممّا يشهد به تدبّر ديوانه وإدامة النظر فيه.

وأمّا اتصال هذه الابيات بما يسبقها الاتصال المتين فقد طلبه الشاعر طلباً وتعمّده تعمّداً:

تعمّده أوّلاً باستهلال البيت الرابع عشر بفاء النتيجة متبوعة بياء النّداء، وللشاعر إمكانات أخرى عديدة تتيحها له اللغة انصرف عنها جميعاً لهذا النوع من الربط المتين بين هذا المقطع والمقاطع السابقة.

وتعمّده ثانياً بإظهار المعادلة المنطقية التي أشار إليها ضمنياً في المقطع الرّابع عندما نوّع من الصيغ إبرازاً للتوتّر في العلاقة مع الدّهر ومع الناس. أظهر هذه المعادلة ونحاً بها منحى الإيذاء فالمعطى يحدد النتيجة رياضياً: هو نصف أعمى باعتبار العين المتلفة، ونصف بصير باعتبار العين السليمة. وكلا المعطيين يسلم الى نتيجة واحدة موجعة.

وفي هذا المقطع رجع أبو الطيب الى العناية بإبداع نغم يتجاوز النغم الذي ينتج

كيفما ينتهي، لا يعتني بخاتمة لها. فلم تكن أوائل العرب تخصّ تركيب المعاني بفضل مراعاة». النقد الأدبي الحديث ص ٢٠٨. ولشوقي ضيف (العصر الجاهلي ص ٢٤٤) ومصطفى بدوي (دراسات في الشعر والمسرح ص ١٢) آراء مشابهة.

عن تعاود التفعيلات في البحر الى تجاوب أجراس الكلام في إيقاع تتفرّد به الأبيات، فعمد في البيت الرابع عشر الى تكرار الأصوات المفردة وتوزيعها على مساحة البيت توزيعاً مخصوصاً بالتجاوب. تكرّر في هذا البيت صوت «الفاء» خمس مرّات وصوت النون قصيرة أربع مرّات، والياء أربع مرّات أيضاً وصوت «الصاد» ثلاث مرّات وصوت الراء ثلاث مرّات أيضاً. أما البيت الخامس عشر فقد تكرّر فيه صوت «النون» طويلة ومشددة أحياناً خمس مرّات، وتكرّر صوت الرّاء ثلاث مرّات، وصوت «الغين» ثلاث مرّات أيضاً. وتكرّر في البيت السادس عشر صوت «النون» أربع مرّات (ثلاث منها ساكنة). ثم إن أبا الطيب قد كرّر من الألفاظ المفردة، في هذه الأبيات، عدداً وافراً، وهذا ظاهر للعيان لا يحتاج الى ذكر: «نصف» مرّتين، «يا» أربع مرّات، «يهجى»، «هجونا».

وعمد أبو الطيب أخيراً الى إقامة التوازي بين الصدور والإعجاز بإعادة الصور التركيبية المتقاربة.

في البيت الرابع عشر نجد:

يـا/ نـصـف /أعـمـى.

يـا/ نـصْـف /الـبـصـير.

وفي البيت الخامس عشر يبلغ التوازي حدّ التناظر والتماثل بين الصدر والعجز:

تعـادينـا/ لأنـا / غـير /لكن

تـبغـضـنـا/ لأنا / غير /عور.

وهذه العناية بإشاعة الأجراس المتقاربة تُحيلنا على مطلع القصيدة ففي أبياتها الأولى اعتنى الشاعر باحداث التناغم الإيقاعي كلّ الاعتناء.

لكن هل اضطلع البحث عن الإيقاع المتعاود بوظيفة واحدة في مطلع القصيدة وفي هذه الأبيات الثلاثة الأخيرة؟.

ذكرنا أنّ الغنائية هي التي اقتضت من أبي الطيب العناية بالأصوات عناية تؤسّس بينها علاقة التعاود. أمّا في هذه الأبيات الثلاثة الأخيرة فإن الشاعر قد تحوّل الى «ذمّ» ابن كروّس، فالمعنى الذي يطرقه يندرج في غرض الهجاء. والهجاء يرمي الى النيل من المهجوّ بإيجاعه وإشفاء النفس منه وإذلاله ونشر معايبه. وكان النقاد قد

وضعوا للهجاء شرائط اشتقوها من القصائد التي اشتهرت نماذج لهذا الفنّ. ومن هذه الشرائط أن يسهل علوقه بالأذهان حتى يجري به اللسان بيسر. وهذا يعني أن التعاود الإيقاعي الذي عمد إليه أبو الطيب إنما يرمي الى إذاعة هذه الأبيات وجعلها قريبة من الإذهان يسيرة الجريان على الألسن. إن النغم إذن يخدم الغرض وينهض به. لكن من شرائط الهجاء عند القدامى أيضاً، وإن كان الشعراء قد انتهكوها بداية من القرن الأول هجرياً انتهاكاً فاحشاً، ألاّ يعبّر المهجو بمعايب خلقية (الصفات الجسدية والعاهات). وقد عيّر أبو الطيب ابن كروّس بالعور، ولكنه عيّره بالعور من حيث انعكس ذلك على صفاته الخلقية. وإن الذي حمل أبا الطيب على التعبير بالعور ليس العور في حدّ ذاته، ولكنه أثر العور في شخصية ابن كروّس، وهو أثر تمثل في رغبته في أن يتواضع الناس أجمعين الى حيث وضعته عاهته. ومن شرائط الهجاء ثالثاً ألاّ يكون طويلاً، فإن القصر ييسّر على الأذهان حمله، بل كلّما كان الهجاء أقصر كان أوجع. وقد امتثلت هذه الأبيات لهذا الشرط الثالث، لكن امتثلت له عندما أقلع أبو الطيب عن هجاء المهجوّ لاستحالة هجائه. إن الهجاء وهو نشر للمعايب وسعي الى الاذلال يشترط في المهجوّ حدّاً أدنى من الصفات الإيجابية حتى يصبح هجاؤه ممكناً. ولما كان هجاء ابن كروس غير ممكن انتهت القصيدة بالشرط المستحيل وهو شرط يتبعه استدراك يجعل استحالته مضاعفة. فهل يعني هذا أن أبا الطيب قد رغب في أن يهجو ابن كروس فامتنع عليه هجاؤه؟. أم أن لهذه الأبيات وظيفة أخرى تتجاوز مجرّد الهجاء للاتصال بالأبيات السابقة؟.

هذه الأبيات الثلاثة، في نظرنا، مجرد تمثيل ذكر فيه الشاعر عينة ممّا جازاه ويجازيه به «شر الدهور» على المعالي التي تعلقها والهمّة التي دفعت به الى المخاطرة بالنفس في طلبها والسعي الذي قام به والترفّع والانفراد والتفرد. لهذا فهي تنضّم الى القصيدة انضمام توضيح يقوم على التجسيد.

التأويل:

إذا ثبت أن أشعار أبي الطيب تتعاقب في الديوان تاريخياً كانت هذه القصيدة قد وضعت سنة ٣٣٣ هـ أو بعدها بقليل، فالذي نخرج به من تساوق القصائد أنّ المتنبي كان في صحبة بدر بن عمّار حتّى امتحنه بإيعاز من ابن كروّس بأن أحضر في مجلسه لعبة

وطلب من الشاعر وصفها. وخرج أبو الطيب من الامتحان منتصراً إذ تأكّد لدى بدر بن عمّار أنه لم يكن يعدّ سلفاً الأبيات التي كان يقولها ارتجالاً، ولكنه خرج أيضاً كسير النفس جريح الكبرياء. وبعد هذه الأبيات التي ارتجلها المتنبي قصيدة في مدح علي بن أحمد المَرَي الخراساني أنشده إياها بجبل جرش. وبعدها أبيات ثلاثة هي:

لا تنكرنّ رحيلي عنك في عجل ... فإنني لرحيلي غير مختارِ
وربّما فارق الإنسان مهجته ... يوم الوغى غير قالٍ خشية العارِ
وقد منيت بحسّاد أحاربهم ... فاجعل نداك عليهم بعض أنصاري.

ثم تأتي هذه القصيدة. فأبو الطيب إذن قد ترك بدراً بن عمّار الى جبل جرش وما كاد ينزل به على صديق من معارفه القدامى حتى اضطرّ الى تركه «على عجل». وفي هذا الترحل والاضطراب قال قصيدته هذه. قالها ناظراً الى حاله منذ تكوّنت له عن نفسه وعن العالم الفكرة التي حدّدت موقفه منه، منفعلاً بما كاده له ابن كروّس ومن اليه من حاشية بن عمّار من دسائس، متأثراً بحال التشرد التي عاودته ودفعت به الى أن يضرب في التّيه ويمدح أناساً يعتقد كل الاعتقاد أنهم دونه قيمة بكثير. تنبعث هذه القصيدة إذن ممّا لقيه أبو الطيّب من خيبات ومني به من حسّاد وتعرّض اليه من شدائد ونكبات منذ تعلّق الغايات التي ارتسم لنفسه وسعى اليها مادحاً وثائراً وسجينا وشريداً طريداً. غير أن الخيبة وحدها ما صنعت يوماً فنّاً ولا أبدعت شعراً. فهذه القصيدة منبعثة أيضاً من ثقافة أبي الطيب الشعرية،ومن تجربته في قوله ومن الاختيارات الفنية التي اختارها سمات مميّزة للفن الذي يحمل طابعه. ثم هي منبعثة أخيراً من رغبته في أن يقول قصيدة ناجحة.

لا يكفي إذن أن نقول إن أبا الطيب قد قال هذه القصيدة لأن ابن كروّس كان حاسداً له على الحظوة التي حظيها عند بدر بن عمّار فجعل يزعم للأمير أن المتنبي لم يصحبه الى الساحل أنفة من الرّكوب معه والسير وراءه، وأنّه انما كان يعدّ سلفاً الأبيات التي يتظاهر بارتجالها. فهذا السبب، في حدّ ذاته، تافه. ثم إنه لا يكفي أيضاً أن نتوهّم أعداء علويين كانوا يكيدون في الخفاء للشاعر ويفسدون عليه الإقامة والاستقرار ولو كانت في بلاط من قبيل بلاط بدر بن عمّار، فليس لدينا ما نعوّل عليه في القطع بهذا التّوهّم. وإذا كان في الذّهاب الى أنّ هذا الحدث، نعني كيد ابن كروّس للمتنبي على نحو مبتذل، وإن كان تافها، قد نكأ جراحاً قديمة وذكّر بإهانات

سابقة وأحيى خيبات ماضية، ما يبرّر علاقة القصيدة بالسياق الذي نشأت فيه، فإن الشاعر، أي شاعر، عندما يقبل على وضع قصيدة يهتمّ بالسبل التي توفي على إبداع يحظى بتقدير المتقبلين ويفوز بإعجابهم أكثر ممّا يهتمّ بالتفريج عن الكرب. معنى هذا أن الفن وليد الجهد الواعي لا سليل التوتّر الفردي والانفعال الذاتي. فما همّ أبا الطيب أولاً وبالذات الا إبداع قصيدة في الشكوى والخيبة رغم نفاسة الطالب والمطلوب، تصادف تجاوب الجمهور معها.

إن الناظر في هذه القصيدة وفي القصائد التي سبقتها وتلتها مباشرة في الديوان يخرج بأنها لا تبوح بنوعية الهموم والمصائب والنكبات التي أفزعت أبا الطيب وحتّمت عليه التشرّد في بوادي الشام ومدنه شأن الهارب من جرم، يخفي أمره ويعرّض نفسه للعطب، ولا يقيم حتى يرحل. ثم يفخر ويتعالى ويكابر ويشكو.

وليس عزوف القصائد عن التقيّد بوقائع سير الشعراء وأحداث التاريخ بالظاهرة التي يختصّ بها معظم شعر المتنبي دون سائر أشعار الشعراء القدامى، فالمطّلعون على التراث الشعري، يعرفون جيد المعرفة، الى أيّ حدّ يتسامى الشعر العربي القديم عن الوقائع الفردية والجماعية ويتعلّق بها في آن واحد تعلقاً خاصّاً به. والسرّ في ذلك أن واقع الفنّ لا يطابق واقع التاريخ.

لهذا كانت القصيدة على صلة بالأحداث التي نشأت في سياقها، وكانت متسامية عليها نازعة الى التعبير الفني في سعيه الحثيث الى الالتحام بالمطلق الذي يفيض عن كلّ العصور. نعني بهذا أن أبا الطيب بقي، في إنشاء هذه القصيدة في الحيّز الذي يسمح لكلامه بأن ينسحب على تجربته الخاصة انسحابه على التجارب العامة، فالمفرد متعدد، والخاص عام. وينسحب الكلام الفني على التجارب الخاصة وعلى العام الذي يشملها مهما تنوّعت. لذا راوح به صاحبه بين شيء من الغموض يتعهّده بالعناية حتى لا يستغلق كل الاستغلاق، وبين الوضوح الواقف على حدود الإفهام البيّن. وبهذا يكون الكلام الفني واضحاً غير مكتف بالوضوع في سطحيته؛ وغامضاً يستدعي تعدد المعاني، وينزع الى العمق والثراء في تكاثرها.

وقد تعهّد أبو الطيب، في هذه القصيدة شيئاً من الغموض، تعهّده في البيتين الأولين، وهو يمزج بين معجمي الحب والحرب، وتعهّده في الأبيات ٨ و ٩ و١٠ عندما

جعل التركيب يتعلق تقديراً بالفعل «قل» في البيت السابع. وتعهّده أيضاً في البيت الحادي عشر، وفي المصراع الثاني منه إذ الصورة تضفي غموضاً على المعنى. وتعهّده كذلك في البيت الثالث عشر، وفي علاقة المصراع الثاني بالأوّل على وجه الخصوص. وهذا الغموض اليسير تؤيّده بعض الألفاظ الغامضة ومنها «عذيري» في مفتتح القصيدة أنقدّر لها استفهاماً أم مبتدأ (أنت) أم نداء، ومنها «عذافر» و «قلق الضفور» و «خيري» (في البيت التاسع). وينزع الغموض الى الاطلاق عندما أقدم أبو الطيب على استعمال عبارات جاهزة من المشترك العام، وهذه العبارات نجدها في صدر البيت الأول وعجز البيت الثالث وآخر البيت السادس ومنتهى البيت التاسع وآخر البيت الأخير. وليس من شكّ في أنّ العبارات الجاهزة عبارات منقطعة عن التعلّق بمراجع معينة. هكذا إذن تفارق القصيدة الوقائع المحددة والسياق المعيّن لتنزع الى العام واللامحدود، كلاماً عن ذات الشاعر وعن غير ذاته في صراعها مع الناس ومصادمتها للدّهر.

وتعهّد أبو الطيب، في هذه القصيدة، الوضوح بل تعهّد أقصى الوضوح أحياناً، حتى كاد الكلام يطابق التجارب التي كانت له مع ابن كروّس وغير ابن كروّس من الحساد التافهين الذين كانوا ينغصون عليه كلّ الفرص المواتية. تعهّده في الأبيات ٣ و٤ و٥ و٦ ثم بداية من البيت ١١ الى آخر القصيدة. ففي هذه المواطن حرص من الشاعر على تعليق كلامه بما يوحي بأنّه تجربة قد مرّ بها في واقع التاريخ. لذلك استعمل صيغة السرد. وفي صيغة السرد ينزع الكلام الى شيء من الشفافية والوضوح لأن مادته وقائع وأفعال يمكن له أن يتناولها بعبارة لا تنأى كثيراً عن عبارة «المحاورة». وعندما تصل القصيدة الى ذمّ ابن كروّس يبلغ الوضوح مدى بعيداً، وذلك لأن ابن كروّس شخص تاريخي كان لأبي الطيب معه تلك العلاقة المتوتّرة في بلاط بدر بن عمّار. إن الأبيات التي ذمّ بها الشاعر ابن كروّس أبيات متعلقة بالملموس من الصفات الجسدية وبما ينجرّ عنها من صفات خلقية.

تعهّد أبو الطيب، في هذه القصيدة، طريقتين في التعبير، سعى في أولاهما الى التعلّق بإجراء الكلام مجرى فنياً ينأى عن الواقع ويتسامى عنه حتى ينهض فيه بوظائفه الخاصّة، وكان ذلك كلّما عالج الانفعال بالواقع وأحداثه أو طرق موضوعاً سبقه الى طرقه الشعراء وتباروا في تجويد العبارة عنه. في هذه المواطن تصبح العبارة مكثّفة، وينصرف مجهود الشاعر الى التلعّب بالأصوات، والى إحداث النغم الذي توقّع به

المعاني. والثانية سعى فيها الى المحافظة على شيء من الوضوح والشفافية لا بدّ منه، وأكثر ما تستعمل هذه الطريقة في ديوان أبي الطيب عند سرد الوقائع وحكايتها. وبقدر ما تجعل الطريقة الثانية القصيدة مبنية على السياق التاريخي وتبديها على صلة بصاحبها، تخرج بها الطريقة الأولى من الانحصار في التاريخ وتنزع الى الدّائم المطلق والمتّسع الرحب من التجارب. وبهذا تكون هذه القصيدة مبنية على الخاص والعام والفردي والمشترك والذات والموضوع.

وهذه القصيدة تذكر عدداً من المعاني اختارها أبو الطيب وأرسى عليها جانباً كبيراً من الاختصاص الذي أحبّ أن يعرف به، ومن هذه المعاني ما ابتدأ به قصيدته من مزج بين لغة الحب والحرب، وهو مزج اطّرد في شعره حتى قال القدامى في تعداد محاسن شعره: «ومنها استعمال ألفاظ الغزل والنسيب في أوصاف الحرب والجدّ. وهو أيضاً ممّا لم يسبق إليه وتفرّد به وأظهر فيه الحذق بحسن النقل، وأعرب عن جودة التصرّف والتلعّب بالكلام[1]. ومن هذه المعاني أيضاً معنى الرّكوب والسّير والسّرى، وقد تكرّر ذلك في شعره حتى قال مترجموه: «وكان كثيراً ما يتجشّم أسفاراً بعيدة أبعد من آماله، ويمشي في مناكب الأرض، ويطوي المناهل والمراحل، ولا زاد الا من ضرب الحراب على صفحة المحراب، ولا مطية الا الخفّ والنعل»[2]. ومنها ما عدّه القدامى خاصية من خصائص شعره لتمثّله في «شكوى الدهر والدنيا والناس وما يجري مجراها»[3].

وإذا تتبّعنا المعاني الشعرية التي تذكرها هذه القصيدة في ديوان أبي الطيّب ألفيناها متواترة فيه من شعر الصبّا الى آخر ما قاله في فارس، وكأنّها، تبعاً لذلك، من الثوابت التي قامت عليها أشعار المتنبي، وكأن القيم التي تنهض عليها تلك المعاني هي القيم التي منحها الشاعر هواه وتعلّقها شديد التعلّق. بل إن هذه المعاني قد جسّمت القيم التي أقام عليها أبو الطيب معظم فخره، والفخر، مثلما هو شائع، أن تنسب للـ «أنا» الصفات التي يسمو بها ويتفرد عن الأنام.

---

(١) قال به الثعالبي في يتيمة الدهر وأخذه عنه سائر القدامى. أنظره في «الصبح المنبي» ص ٢٣٩.
(٢) المرجع نفسه ص ١٤٤.
(٣) المرجع نفسه ص ١٢١.

رأي في اسهام د. حسين:

ود. حسين يفعل ما فعله زميلاه، من قبل، منطلقاً من تحليل بنية النص، مبيناً ما فيه من تكامل وتفاعل، دون العودة الى ثوابت النقد العربي التقليدي.

ونرى نص د. حسين أدق هذه النصوص وأوفاها.

وهناك نصوص اخرى، تفعل ما فعل الأساتذة الثلاثة، المشار اليهم آنفاً، نذكر منها:

١ ـ دراسة الأستاذ خالد علي مصطفى، حول قصيدة: «مغاني الشعب طيباً في المغاني»(٤٤٠).

٢ ـ دراسة د. عصام السيوفي حول «قصيدة الحمى»(٤٤١).

٣ ـ دراسة د. عبد السلام المسدي حول «مفاعلات الأبنية اللغوية والمقومات الشخصانية في شعر المتنبي»(٤٤٢).

وهناك كثير من الدراسات التي تتناول الشعر العربي القديم الجاهلي والإسلامي، والتي تساعدنا في دراسة شعر أبي الطيب(٤٤٣).

والآن ماذا يمكن أن نضيف؟:

والآن، ماذا يمكن أن نضيف عن أبي الطيب؟

ما زلنا نرى أننا لم نوفِ الرجل حقه بعد. وما زال إبداعه المتفرد يستحق من وجهة نظرنا المزيد. وإذا كانت الدراسات المشار اليها، في الصفحات السابقة، وهي دراسات د. محمد فتوح أحمد، ود. عبد العزيز الدسوقي، ود. حسين الواد، ود. عصام السيوفي، وخالد على مصطفى الخ، قد فتحت الطريق لاكتشاف آفاق إبداع أبي الطيب، فإن استمرار مثل هذه الدراسات، وشمولها شعر أبي الطيب كله، وشعر الشعراء العرب الآخرين، سيساعد في تطوير وعينا لإبداعنا، وسينصف هؤلاء الشعراء الذين ظلمهم النقد العربي التقليدي، والنقد الأوروبي الحديث.

وسنحاول، حتى نساعد القارىء، على فهم ما نريد، أن نختم هذا البحث، ببعض الاستخلاصات.

لقد بقي هذا الشعر، رغم مرور ما يزيد على ألف عام. وظل موضع اهتمام

كبير، منذ ذلك الحين، حتى الآن. وهو الآن موضع اهتمام متزايد، رغم كل التطورات السياسية والاجتماعية والثقافية. ويعود ذلك، من وجهة نظرنا، الى امتلاكه سمات إبداعية متفردة، ولأنه جدير أن يبقى.

ولو حاولنا أنه نبحث عن هذه السمات الإبداعية المتفردة، لوجدنا أنها تعود الى العوامل التالية:

أولاً: خوض أبي الطيب الصراع دفاعاً عن قيم ومثل تبناها، وإصراره على المواجهة، رغم اختلال ميزان القوى اختلالاً كبيراً. وشعره الذي يصف فيه هذا الصراع، سواء كان مع الروم، العدو الذي يهدد وجود الأمة آنذاك، أو مع مغتصبي السلطة، من الخدم والعجم، والأرانب الذين صاروا سادة وحكاماً، ما زال شعراً، يستثير كثيراً من الاهتمام.

ولم يكتف أبو الطيب بوصف هذا الصراع الخارجي، بل عمد الى تصوير صراع آخر، هو صراع النفس، أو مجاهدة النفس، وهو الصراع بين الضعف والقوة، بين الخنوع والإباء، بين الشهوة والعفة، بين الاستسلام والتمرد. ولقد اختار طريق القوة والإباء والعفة والتمرد، ورفض قبول الطرق الأخرى: حتى وهو يعرف أن العصر عصر خنوع وشهوة وضعف واستسلام.

ورأى أبو الطيب أن طريق الصراع هذا، هي طريق السيف، وهي طريق الصبر والمخاطرة والمجالدة مهما كانت النتائج:

وأنّى شئت يا طرقي فكوني أذاة أو نجاة أو هلاكا

وتعود القوة الكافية في شعره، الى اختيار هذا الطريق، كما يعود معظم الاهتمام الذي حظي به، الى التزامه هذا الموقف.

وبهذا تفرد على كل الشعراء قبله وبعده.

ولم يكن في الشعراء المعاصرين له، من يُجاريه في هذا المجال، لأن منهم من عُني أساساً بالطبيعة كالصنوبري[٤٤٤]، ومنهم من خطفته الخمريات، وغزل المؤنث والمذكر كالخالديين[٤٤٥]، والسري الرفاء[٤٤٦]، رغم بعض المدائح في سيف الدولة[٤٤٧]. ولم يعاصر أبا الطيب شاعر معني عنايته بجهاد الروم، ومجاهدة النفس، ومجابهة الطغيان،

ومحاربة الهوان. ولا سلك شاعر آخر مسلكه بربط النظري بالعملي، والشعري بالواقعي، والشعاري بالنضالي.

ولا تجد مثل هذا الالتزام، فيمن سبقه أو لحقه.

كان معظم الشعراء مداحين متكسبين، أو شعراء غزل عذري كجميل بثينة (. . . - ٨٢ - . . . - ٧٠١)[٤٤٨]، أو غزل عادي، كعمر بن أبي ربيعه (٢٣ - ٩٣ - ٦٤٤ - ٧١١)[٤٤٩]. ولم تكن للشعر الرسالة التي جسَّدها أبو الطيب.

وأبو الطيب لم يعكس قيم البطولة في شعره فقط، بل عكسها في حياته العملية، بما خاض من مخاطر، ومارس من مواجهات. وكان نشيطاً لا يستقر في بلد، ولا يخشى سير الليالي، وعبور الصحاري، واقتحام المصاعب.

وتروي كتب التاريخ الأدبي، كما يروي ديوانه، وشروح ديوانه بعض هذه المواجهات. ولعل ابرزها مواجهته مع سيف الدولة، التي عبّر عنها في قصيدته: «واحر قلباه ممن قلبه شبم»[٤٥٠]، والمنشورة في هذه المختارات، ومواجهته مع كافور الإخشيدي، سواء بالامتناع عن مدحه، في العام الذي سبق خروج أبي الطيب من مصر، أو عملية الخروج عينها التي نقلته من مصر الى الكوفة، والتي عبّر عنها بقصيدته «أنا الفتى»[٤٥١].

إن تجسيد قيم البطولة العربّية نظرياً وعملياً، جعل أبا الطيب محرك وجدان كل عربي؛ في عصره، وكل العصور.

ثانياً: قدرة أبي الطيب على الأداء الشعري الرفيع، بكل ما يعنيه ذلك، من استخدام التراث الأدبي، والتوليد اللغوي، وتوظيف الأشكال البلاغية، والموسيقى، والقدرة على التصوير؛ واتقان التكثيف الشعري؛ بأنضج أشكاله.

وعندما ندرس شعر أبي الطيب، نكتشف ما يلي:

١ - أنه يعرف اللغة معرفة خبير، من حيث هي معجم واستخدام. كما يُجمع كل الذين كتبوا عنه، وهو ما أسلفنا القول فيه.

وبالتالي، فإن اللغة بالنسبة لأبي الطيب، ليست المعجم فقط، وهذا ما حاول بعض النقاد والشراح أن يحصروه فيه، بل هي لغة كلام يومي. ولأن أبا الطيب يعرف

لغة المعجم، ويعرف اللغة الدارجة في زمنه، حاول ألا يُغلِّب المعجم على الدارج، ولا الدارج على المعجم، فكسب رضا جمهرة سامعي شعره، وكسب عداء بعض النقاد الذين لم يرقهم الأسلوب الذي اتبعه، لأنه أراد أن يخاطب الناس، لا النخب فقط. ولأنه كان يتخطى تراث الجاهلية الشعري، ويواصل عملية التجديد التي بدأت قبله، والتي أعطاها أبعاداً جديدة.

ونستطيع أن نقول بأن كثيراً من الملاحظات التي أُخذت عليه، والتي أشرنا الى بعضها، والتي يمكن أن تراجع في مواقعها[٤٥٢]، لا تعدو ان تكون نقداً للغة الخطاب اليومي. وهي لغة يتحدث بها الناس، ولكنها لم تكن قد أخذت الشرعية اللغوية، من فقهاء اللغة، الذين ظلوا يعتبرون الفصاحة في تراث السلف الصالح، لا في أحاديث الناس؛ ناسين ان العربية لغة سماع، وأن مصدر السماع الناس. فلماذا يتوقف السماع، عند زمن معيّن؟. ولماذا يحق للقبائل في الجاهلية، ما لا يحق لهذه القبائل بعد الإسلام؟.

أما أبو الطيب، فإنه، وهو يحرص على افهام الفقهاء أنه يعرف اللغة معرفة عالم خبير، وأنه لا يقل جاهلية عن الجاهليين، قرر أن يؤكد لهم إصراره على ايصال الفصاحة بأجلى معانيها الى الناس، في الوقت الذي يخاطب فيه الناس بلغتهم.

وهذا من عناصر لغة أبي الطيب الشعرية.

ولذلك، فإن ما أخذ على شعره، فيما يتعلق باللغة، كالغريب والصيغ النادرة، ومنها الخروج على المألوف في استعمال الحروف، وصيغ المبالغة، واستخدام لام الابتداء، وكم الخبرية، ونون التوكيد، وأفعل التفضيل، والإكثار من استخدام كلمة أنا، والفتى والحر والعبد، وكلمة رب، والحسد، وكذا وهكذا الخ[٤٥٣].. إن ذلك كله من سمات اللغة الدارجة، ايام أبي الطيب، وفي هذه الأيام.

فالذين يتحدثون عن الغريب والوحشي، يتجاهلون أن الشعر الجاهلي، كان ما زال حتى أيام أبي الطيب، شعراً متداولاً، وأنه كان يعتبر مثالاً للشعر. وفي الشعر الجاهلي ما فيه، مما يُسمّى الغريب.

كما يتجاهل هؤلاء أن البادية لم تكن، في ذلك الحين هامشاً، في الحياة العربية،

وأن القبائل التي كانت تسكن المدن أو الأرياف، لم تكن قد انحلت. وأنها كانت ما تزال تتكلم لغة البادية وتفهمها جيداً، رغم كل ما حدث من تطورات سياسية واجتماعية.

وكان الأشراف والموسرون، يرسلون أبناءهم الى البادية لتعلم اللغة[٤٥٤].

ويجد كل من يقرأ الشعر العربي، السابق على أبي الطيب، والمعاصر له، والتالي عليه، كثيراً من الكلمات والتعابير التي تزيد غرابة على غرائب أبي الطيب[٤٥٥]. كما يجد مثل هذا «الغريب» كل من يعيش في البادية، أو يعايش الجماهير الشعبية[٤٥٦].

ويكثر في لغة الكلام اليومي استخدام كلمة أنا، حتى الآن، كما يكثر استخدام هذا وهكذا. وإذا ما عايشنا جماعات عربية، من أصول جنوبية يمنية، أو متأثرة بلغة الجنوب، وجدنا استخدام «ذا» يزداد، كما حدث مع أبي الطيب، وهذا ما نلمسه اليوم في مصر واليمن.

ولقد أوضح د. إبراهيم السامرائي شيئاً من ذلك، عندما بيّن كيف استخدم أبو الطيب بعض الكلمات التي زالت من الفصحى، ولكنها بقيت في العامية. وسأذكر هنا مثلين:

الأول: كلمة مبطوح في البيت التالي:

يخطو القتيل الى القتيل أمامه رب الجواد وخلفه المبطوحُ [٤٥٧]

يقول د. السامرائي: «إن هذه الكلمة التي وردت في شعر المتنبي، من العربية التي زالت، أو كادت تزول من استعمال المعربين في عصرنا، في حين أنها من المألوف المعروف في اللسان الدارج»[٤٥٨]. ويبدو أنها في الأساس من الدارج، لأننا لا نجدها كثيرة الاستعمال في كتب التراث.

والثاني: كلمة يُخَلِّي في البيت:

وخيال جسم لم يُخل له الهوى لحماً فينحله السقام ولادما[٤٥٩].

ويقول د. السامرائي: «أما خَلّى بمعنى ترك، كما وردت في البيت، فهي من مواد العامية الدارجة» الآن، وأن: «هذا المعنى أوشك أن يخفي أو يزول من الفصيحة»[٤٦٠].

ومن الجدير بالذكر أن دراسي شعر أبي الطيب، لم يهتموا بما يلي:

١ ـ أنه كان شاعراً، يُلقي شعره على جمهور، وبالتالي، فإنه كان يخاطب الجمهور مباشرة. وهناك وقائع تشير الى أنه القى قصيدة، وهو على ظهر فرسه في الميدان بحلب، بينما كان سيف الدولة يحتفل في إحدى المناسبات[٤٦١]، وأنه القى قصيدة للجيش في الميدان[٤٦٢].

٢ ـ أنه لم يكن معنياً بالملوك والقادة والعلماء فقط، أو أساساً، بل كان معنياً؛ بالجمهور الذي يعمل على تعبئته.

ولذلك، فإننا ما زلنا نرى أن لغة أبي الطيب بحاجة الى دراسة جديدة، لا تستند الى التراث النقدي العربي التقليدي فقط، بل تهتم بدراسة تطور اللغة، وعلاقة الشعر بالجمهور، حتى لا تصبح مقاييس اللغة والنقد، خارج إطارالمجتمع.

وما زلنا لا نعرف دراسات من هذا القبيل، وإن كانت دراسة د. إبراهيم بداية في هذا المجال، وإن لم تناقش ما نسعى اليه.

٢ ـ أنه يمتلك القدرة على التوليد اللغوي. وهذه القدرة هي التي جعلته قادراً على صياغة لغته الخاصة. ولم يكن هذا ليفهم على أنه تجديد وعلى أنه محاولة من الشاعر لصياغة لغته الخاصة، التي وإن اشتركت مع اللغة العادية في المعجم والإعراب، إلا أنها لغة خاصة، لها سماتها التي تجعلها متفردة، وسط محيطها؛ شأن كل لغة شعرية[٤٦٣].

وهذه القدرة على التوليد، هي التي أفردت أبا الطيب بين أقرانه من الشعراء، وخاصة معاصريه الذين أشرنا الى عدد منهم. وأثارت حوله كثيراً من الزوابع. فهو، وهو يبحث عن لغته الخاصة، تخطى الاستخدام التقليدي للغة. ولم يكن هذا ليلقى القبول، من حُراس اللغة المتشددين، ولا من المدافعين عن سنة السلف الصالح، في هذا المجال.

وظهرت قدرته هذه في استخدام الكلمات، كما لم يعهد استخدامها، حتى أخذت عنه، كما هي الحال، مع كلمة تفاوح التي أشار هو الى أنه كان أول من استخدمها على هذا الوجه، وأن استخدامه لها، جعلها تدخل التداول العام[٤٦٤].

وإذا كان استخدام مثل هذه الكلمة، لم يثر عليه نقداً، فإن استخدام كلمات مثل مخشلب التي اعتبرت عامية، أثار الكثير من النقد[٤٦٥].

وأثار استخدام أبي الطيب لكثير من التشبيهات والاستعارات النقد، لأنه لم يكن يبدو منسجماً مع المألوف[٤٦٦].

وطبيعي أن تؤدي هذه القدرة على التوليد، الى استخدام تراكيب لغوية جديدة، هي، من العوامل التي أعطت شعر أبي الطيب طابعة الخاص. وهي، وإن كانت قد استقبلت بالإعجاب، في بعض الأوساط، فإنها لم تتقبل بمثل ذلك في الأوساط التقليدية، التي كانت تدافع عن نمط الشعر الجاهلي، حتى ذلك الحين[٤٦٧].

٣ ـ أنه يمتلك قدرة كبيرة على الرسم الخلّاق بالكلمات. وسواء كان هذا الرسم يستهدف الإنسان، أو الحيوان، أو كان يستهدف الحالات الطبيعية، أو كان يستهدف النفس البشرية والحالات المعنوية، فإن أبا الطيب يحلق فيه، كما لا يستطيع أي شاعر آخر.

وسنحاول أن ندلِّل هنا على ذلك ببعض الأمثلة. فلو أخذنا قصيدته في الأسد: «بدر والأسد» كما اسميناها[٤٦٨]، ورأينا كيف صور الأسد، لوجدنا أنه قدّم صورة باهرة، لم يستطع البحتري ان يقدم مثلها في قصيدته المماثلة[٤٦٩]. ولو أخذنا صورة الفارس، وهو يصارع الأسد، كما جاء في القصيدة عينها، وحاولنا أن نجد إمكانية لرسم صورة أكثر تعبيراً، لما استطعنا، في قصيدة البحتري المشار اليها، أو في غيرها.

ولو انتقلنا الى تقديم الصورة الشخصية، لما وجدنا مثيلاً لقصائد أبي الطيب التي قالها في ابن كيغلغ[٤٧٠] وكافور[٤٧١].

أمّا عن المعارك، فسيفيات أبي الطيب، لا يوجد ما يضاهيها في الشعر العربي، وستظل من الشعر الخالد[٤٧٢].

ويمكن أن نضيف الى ذلك قدرته على تصوير الخيل والإبل، لأنه أبدع هنا، كما لم يبدع سابقوه ولاحقوه من الشعراء[٤٧٣].

وأخيراً، فإن أبا الطيب أبدع في رسم حالات النفس الإنسانية، من التوتر والقلق، الى التمرد والثورة، ومن الخوف والمسكنة الى الشجاعة والبطولة[٤٧٤].

ولذلك، فإننا نؤيد ما ذهب اليه د. عبد العزيز دسوقي، من أن في قصائد أبي الطيب، «لوحات فنية رائعة».

وإذا كان النقاد العرب القدماء قد ربطوا الشعر بالرسم[٤٧٥]، فإن أبا الطيب قد قدم مثلاً تطبيقياً حيّاً، يصلح مادة للدراسة. واستطاع أبو الطيب، أن يقدم لوحات خالدة، تبرز فيها قدرة رسام، لا يستخدم الألوان المحدودة فقط، بل يوظف اللغة بغناها والموسيقى الشعرية بكل تأثيراتها في عملية إبداعية نوعية، تتجاوز الرسم في تأثيرها، وقدرتها على الإيحاء.

ويزيد لوحات أبي الطيب أهمية أنها مكرسة لرصد الصراع في الحياة والمجتمع ورسمه، وتقديمه، بأسلوب غير محايد، كما فعل الشعراء الذين وصفوا الطبيعة[٤٧٦]. لقد كان أبو الطيب مشاركاً في الصراع الذي يصفه، ولذلك، فإنه لم يكن يصوره من الخارج، بل من عمق أعماقه.

وحين وصف أبو الطيب الطبيعة، كما فعل في قصيدته: «مغاني الشعب طيباً في المغاني»[٤٧٧]، لم يستطع أن يصف الشعب، وصف عابر سبيل محايد، وأصر أن يؤكد في هذه القصيدة أنه عربي غريب الوجه واليد واللسان، وأنه لو مَرّ بغوطة دمشق لما أحسّ أنه غريب، إذ لكان استضيف. ولم يكتف أبو الطيب بذلك، بل أنطق حصانه:

يقول بالشعب بوان حصاني ... أعن هذا يسار الى الطعانِ
أبوكم آدم سنّ المعاصي ... وعلّمكم مفارقة الجنانِ

وهذا الذي يجعل «لوحات»، أبي الطيب الشعرية فوارة موارة، ولكنها كاملة متكاملة لكل ذي عين ترى، ولكل ذي ذوق يتذوق.

ونود، قبل أن نختتم هذه العجالة في اسلوب أبي الطيب التصويري أن نذكر أن له في الرسم اسلوبين:

الأول: أسلوب الرسم العادي، كما تجلى في لوحاته عن معارك سيف الدولة[٤٧٨].

والثاني: اسلوب الرسم الساخر (الكاريكاتير)، كما تجلى في هجائه لابن كيغلغ، ومقطوعته «مصرع جرذ»[٤٧٩].

٤ ـ أن لديه موسيقاه الخاصة. وهذه الموسيقى ليست عروض الشعر فقط، مع أن أبا الطيب التزم قواعد العروض العربي التقليدي، ما عدا استثناءات قليلة[٤٨٠]، بل هي موسيقاه الخاصة التي يلمسها كل من يقرأ قصيدة من شعره، وخاصة قصائده التي تضمها هذه المختارات.

وتتشكل هذه الموسيقى، لا من العروض فقط، بل مجموعة عوامل، يلجأ اليها أبو الطيب بوعي منه أحياناً، وبلا وعي في احيان أخرى. ومن ذلك مثلاً:

أ ـ استخدام الحروف، بما يلائم ارتفاع حدة الوتيرة النغمية أو انخفاضها، كاستخدام الراء في القصائد التي تعبّر عن الحركة والعنف والاضطرام. ونلاحظ كثرة الراء في قصيدته «بدر الأسد» التي أشرنا اليها سابقاً. وكذلك نجدها في قصيدته «واحر قلباه»، ومنها:

أَرى ٱلنَوى تَقْتَضيني كُلَّ مَرْحَلَةٍ ... لَا تَسْتَقِلُّ بِها ٱلوخّادةُ ٱلرسُمُ[٤٨١]
لَئن تَرِكْنا ضُميراً عَن مَيامِننا ... لَيَحْدُثَنّ لِمن وَدّعتُهم نَدَمُ
إذا تَرحّلتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدرُوا ... ألّا تُفارقَهم فالراحِلونَ هُمُ
شرُّ ٱلبلادِ بِلادٌ لَا أنيس بِها ... وَشَرُّ مَا يَكْسَب الإنسانُ مَا يَصِمُ

وهو ما نلاحظه في شعر أبي الطيب، عند قراءته والتدقيق فيه.

ولقد عرفَ العرب من القديم علاقة الحروف بموسيقى اللفظ[٤٨٢]، وحاجة التعبير الى استخدام الحروف في مكانها، لتعبّر عن الحالة خير تعبير. وأبو الطيب يتقن استخدام الحروف في مكانها، وتحقيق تناغم بين الحروف، ومن ثمن بين الكلمات.

ب ـ استخدام أشكال التقسيم والترصيع[٤٨٣]، بما يعزز زخم النغم في القصيدة. وهو يكثر من ذلك، عندما يجد أن الموقف يتطلب ذلك[٤٨٤].

ومما لا شك فيه أن اختيار بحر القصيدة أساساً، له علاقة بالنغم الذي اختاره

الشاعر للتعبير عن حالته. ولأن أبا الطيب كان يعبّر عن القضايا الكبرى، فقد احتلت البحور الطويلة (الطويل والكامل والبسيط والوافر) ما يساوي ٢ و٧٤ من شعره[٤٨٥].

إن توظيف هذه العوامل وغيرها، مما لم يدرس حتى الآن دراسة منهجية واقعية، يجعل لشعره زخماً موسيقياً خاصاً، لا يتوافر لكثير سواه.

وبعد هذا كله، تأتي لغة التكثيف الخاصة التي يجيدها أبو الطيب، لتعطي شعره تلك الطاقة الإيحائية وذلك «الإشعاع الفني»، كما قال د. عبد العزيز الدسوقي[٤٨٥]. إنها درجة عالية من التكثيف التي تجعل كلمات قليلة، تطلق الكثير من الصور والإشعاع، وتأخذ السامع في أجوائها، وتنقل اليه كل ما يختزن أبو الطيب من قلق ونقمة ورجولة، واستعداد لمواجهة الخطر، وتبرم بالزمان، وطموح الى العلى. إنه التكثيف المعبر الموحي، المفجّر، الفيّاض بالصور، الجياش بالمعاني.

ويستحق تكثيف أبي الطيب دراسة خاصة.

هوامش القسم الثاني

(١) عبد الوهاب عزام، ديوان أبي الطيب المتنبي. لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٣ - ١٩٤٢. المقدمة، ص ب. ويعود الى ضياء الدين ابن الأثير في الوشي المرقوم، وابن رشيق في العمدة.

(٢) وهذا ما نراه في الكتب الجديدة التي تصدر باستمرار، وفي الدراسات التي تنشر دائماً، والتي توحي كلها بالحاجة الى المزيد.

(٣) الديوان: ص ٣٣١.
والمعري: ج - ٣، ص - ٢٤٧، ق - ١٩٤، ب - ١٥ و١٦.

(٤) الديوان: ص ٣٧٣.
والمعري: ج - ٣، ص - ٣٧٢، ق - ٢٢٠، ب - ٣٦ و٣٧. ويرويها المعري، من رواة قلائدي، ويقول: انها رويت قصائدي.

(٥) إبراهيم العريض: مرجع سابق، ص ٢٦٨. يقول إبراهيم العريض: «فلقد رأيت ديوانه، بعد القرآن، ترتل أبياته ترتيلاً عند اهل البادية، من ساحل عمان. وهي الحالة الوحيدة التي وجدت فيها شاعراً عربياً ترتل أبياته» ص ٢٦٨.

(٦) اعتمدنا «معجز أحمد» في هذه الدراسة. وفي هذه التسمية مقارنة بين القرآن، وديوان أبي الطيب، على أساس أن كلا منهما مُعْجز.

(٧) بلاشير: مرجع سابق، ص ٥١٦ - ٥١٧.

(٨) كالبستاني واليازجي وصادر والبرقوقي.

(٩) صدر عدد من الشروح القديمة، وهذا ما أوضحناه فيما بعد، كما صدر عدد من كتب السرقات، أشرنا الى بعضها، في متن الدراسة، وعدد آخر من كتب شرح المشكل، وقد أشرنا الى بعضها أيضاً في هذه الدراسة.

(١٠) كوركيس وميخائيل عواد: مرجع سابق.
وهناك حاجة لجزء ثانٍ من رائد الدراسة عن المتنبي، يغطي ما اغفله العملِ الكبير الذي قام به الأخوان عواد، وليضيف ما صدر بعد صدور دراستهما. وهذا ما نفكر بانجازه.

(١١) نظمت احتفالات في بيروت، ودمشق وحلب وحمص وبغداد والقاهرة.
يراجع:
أ - الطليعة، دمشق. العدد الرابع، سنة ١٩٣٥، ص ٩.
ب - الحديث، حلب. العدد السابع، تموز ١٩٣٥، عدد خاص عن أبي الطيب.
جـ - مجلة المجمع العلمي العربي. ايلول وتشرين الأول، سنة ١٩٣٥، ص ٤٤٢.

(١٢) تراجع الطليعة:

أ ـ العددان السادس والسابع، آب وايلول، ١٩٣٦.

ب ـ الحديث. العدد السابع ـ تموز ١٩٣٥.

وقد اشير الى هذه المجلات وغيرها في المتن.

(١٣) تدل على ذلك مراجعة الكتب التي تصدر.

(١٤) الجرجاني: مرجع سابق، ص ٣.

(١٥) الجرجاني: مرجع سابق، ص ٤.

(١٦) ابن جني: الفسر والفتح الوهبي، مرجعان سابقان. وكنا أشرنا الى ذلك في القسم الأول.

(١٧) عباس: مرجع سابق، ص ٢٥٣.

(١٨) لا يستطيع دارس أن يتجاهل اعمال ابن جني وأبي العلاء حول أبي الطيب.

(١٩) د. حسين الواد: مدخل. مرجع سابق، ص ٥٧.

(٢٠) د. الواد: التجربة الجمالية. مرجع سابق، ص ١١٨، ١٢٣، ١٣٥.

(٢١) وذلك ما يجده قارىء الواحدي والمعري والعكبري وابن فورجة وابن سيده الخ..

(٢٢) ولعل أبا العلاء وابن الأفليلي من خير الأمثلة على ذلك.

(٢٣) عباس: مرجع سابق، ص ٢٥٣.

(٢٤) الواد: التجربة الجمالية، مرجع سابق ١٥٦.

(٢٥) شعيب: مرجع سابق، ص ـ ٥٥.

(٢٦) : الديوان. ص ـ ٩٧.

والمعري: ج ـ ١، ص ـ ٣٤٠، ق ـ ٥٩، ب ـ ١٥.

(٢٧) : الديوان: ص ـ ٣٠.

والمعري: ج ـ ١، ص ـ ١١٠، ق ـ ١٧، ب ـ ١٣.

(٢٨) شعيب: مرجع سابق، ص ـ ٥٩.

(٢٩) شعيب: مرجع سابق، ص ٦٠ ـ ٧١.

(٣٠) شعيب: مرجع سابق، ص ٧١ ـ ٨١.

(٣١) شعيب: مرجع سابق، ص ـ ٩٠.

ود. إبراهيم عوض: لغة المتنبي. دراسة تحليلية. مطبعة الشباب الحر ومكتبتها، سنة ١٩٨٧، ص ١١ ـ ٣٠.

(٣٢) شعيب: مرجع سابق، ص ـ ٩٣.

(٣٣) الديوان: ص ـ ٣١٨.

والمعري: ج ـ ٣، ص ـ ١٩٩، ق ـ ١٩٠، ب ـ ١٠.

(٣٤) شعيب: مرجع سابق، ص ـ ٩٥.

(٣٥) : الديوان: ص ـ ١٥ .
والمعري: ج ـ ١، ص ـ ٤٥، ق ـ ٥، ب ـ ١٧ .
(٣٦) شعيب: مرجع سابق، ص ـ ٩٧.
(٣٧) : الديوان، ص ـ ١٢٥ .
والمعري: ج ـ ١، ص ـ ٨٠، ق ـ ٦٧، ب ـ ٤٧ .
(٣٨) شعيب: مرجع سابق، ص ـ ٩٨.
(٣٩) : الديوان، ص ـ ٧٦ .
والمعري: ج ـ ١، ص ـ ٢٦٩، ق ـ ٥١، ب ـ ٢٢ .
وقد أورد المعري «ذابت»، مكان «حاضت»، ويقول: «وروي حاضت في موضع ذابت» وفسّر معنى ذلك (ج ـ ١، ص ٢٧٧).
(٤٠) شعيب: مرجع سابق، ص ١٠٧ .
(٤١) الديوان: ص ـ ٢٣٦، والمعري: ج ـ ٢، ص ـ ٤٨١، ق ـ ١٤٥، ب ـ ١ .
(٤٢) : الديوان، ص ـ ٢٣٦ .
والمعري: ج ـ ٢، ص ـ ٤٨١، ق ـ ١٤٥، ب ـ ٢ .
(٤٣) شعيب: مرجع سابق، ص ـ ١١٣ .
ود. عوض: مرجع سابق، ص ـ ٢٥٣ .
(٤٤) : الديوان، ص ـ ٣٤ .
والمعري: ج ـ ١، ص ـ ١٤٢، ق ـ ١٩، ب ـ ٧ .
(٤٥) شعيب: مرجع سابق، ص ـ ١١٤ .
ود. عوض: مرجع سابق، ص ـ ٢١٧ .
(٤٦) : الديوان: ص ـ ١٢٥ .
والمعري: ج ـ ٢، ص ـ ٨٠، ق ـ ٦٧، ب ـ ١٠ .
(٤٧) د. الواد: التجربة الجمالية، مرجع سابق، ص ـ ١٧٠ .
(٤٨) د. الواد: مرجع سابق، ص ـ ١٨٢ .
(٤٩) د. صاحب أبو جناح: المتنبي والمشكلة اللغوية. المورد. مرجع سابق، ص ٢٣ ـ ٤١ . وفي الدراسة فصل عن «المذهب الكوفي في شعر المتنبي»، ص ـ ٣٧ .
(٥٠) د. الواد: مرجع سابق، ص ـ ١٦٢ .
(٥١) الاصفهاني: مرجع سابق، ص ـ ١٦ و٢٧ .
وابن جني: الفسر، مرجع سابق، ص ـ ٢٠ .
(٥٢) د. عصام السيوفي: مرجع سابق، ص ٥٥٢ ـ ٥٥٣ .
(٥٣) الحاتمي: مرجع سابق، ص ٢ ـ ٣ .
(٥٤) الاصفهاني: مرجع سابق، ص ـ ٥ .

(٥٥) الجرجاني: مرجع سابق، المقدمة، ص ـ د.
(٥٦) عباس: مرجع سابق، ص ـ ٣١٩.
(٥٧) الجرجاني: مرجع سابق، ص ـ ٤.
(٥٨) الجرجاني: مرجع سابق، ص ـ ٤.
(٥٩) الجرجاني: مرجع سابق، ص ـ ١٥.
(٦٠) الجرجاني: مرجع سابق، ص ـ ٥٣.
(٦١) ليلى الشايب: مرجع سابق، ص ـ ١٤١.
(٦٢) ليلى الشايب: مرجع سابق، ص ـ ١٤٢.
(٦٣) شعيب: مرجع سابق، ص ١٨٩ ـ ٢٣٥.
وقد قدمنا بعض كتب السرقات لاحقاً.
(٦٤) الجرجاني: مرجع سابق، ص ١٨٣ ـ ٤١١.
(٦٥) الجرجاني: مرجع سابق، ص ٢١٤ ـ ٢١٥.
(٦٦) عباس: مرجع سابق، ص ـ ٣٢٥.
(٦٧) الجرجاني: مرجع سابق، ص ـ ١٨٣.
(٦٨) الجرجاني: مرجع سابق، ص ـ ٢٠٦
(٦٩) الجرجاني: مرجع سابق، ص ١٠١ ـ ١٥٤.
(٧٠) الجرجاني: مرجع سابق، ص ١٠٠ ـ ١٠١.
(٧١) عباس: مرجع سابق، ص ـ ٣٢٦.
(٧٢) ذكرنا ان لابن جني حول أبي الطيب كتابين: الفسر والفتح الوهبي. وقد ذكرا سابقاً. ولم يطبع من الفسر الاّ جزئين.
(٧٣) طبع شرح أبي العلاء المسمى معجزاً أحمد في اربعة مجلدات عن دار المعارف بالقاهرة.
(٧٤) طبع شرح الواحدي، في القرن الماضي، وصدر مصوراً في بغداد. ولكنه مفقود الآن.
(٧٥) أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري الاندلسي، المعروف بابن الإفليلي. دراسة وتحقيق د. مصطفى عليان. مؤسسة الرسالة ١٤١٢ ـ ١٩٩٢.
وقد صدر منه السفر الأول، الجزءان الأول والثاني، ونحن نعد هذه الدراسة، فدرسناه، وكنا قد طلبنا المخطوطة فلم نستطع الحصول عليها.
(٧٦) أشرنا لشرح العكبري في القسم الأول.
(٧٧) أشرنا لشرح ابن المستوفي في القسم الأول.
(٧٨) ليلى الشايب: مرجع سابق، ص ـ ٦٧.
وابن فورجة: مرجع سابق، ص ـ ١٢. وتاريخ ولادة ابن فورجة ووفاته غير معروفة.
(٧٩) العكبري: مرجع سابق، ص ـ ج من المقدمة.
(٨٠) ابن المستوفي: مرجع سابق، ص ـ ١٩٢.

(٨١) المعري: مرجع سابق، ج - ١، ص - ١٧١ و ١٩٦. وج - ٢، ص - ٤٣٣.
(٨٢) المعري: مرجع سابق، ج - ١، ص - ١٠٨.
(٨٣) العكبري :مرجع سابق،ج - ١ و٢ ،ص - ١٩و٨١ و٩٣و١٣٠ و١٥٠و١٥٤و١٧٢و٢١٢.
(٨٤) المعري: مرجع سابق، ج - ٣، ص - ٢٧ و٣٣٧.
والعكبري: مرجع سابق، ج - ١ و٢، ص - ٨٨.
(٨٥) العكبري: مرجع سابق، ج - ١ و٢، ص - ٩٠.
(٨٦) العكبري: مرجع سابق، ج - ١ و٢، ص - ١٠٦.
(٨٧) العكبري: مرجع سابق، ج - ١ و٢، ص ١٠٥.
(٨٨) المعري: مرجع سابق، ج - ٣، ص - ٤٧.
(٨٩) عباس: مرجع سابق، ص - ٢٨٧.
الزركلي: الاعلام. دار العلم للملايين الطبعة التاسعة. ١٩٩٠، ج - ٣، ص - ٨٧.
عباس الزركلي: الاعلام. مصدر سابق ص - ٢١٧ ج.
(٩٠) محمد بن حمد بن فورجة: الفتح على أبي الفتح. تحقيق عبد الكريم الدجيلي. دار الحرية للطباعة، بغداد. منشورات وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية. سلسلة كتب التراث، سنة ١٩٧٤. وكان الدجيلي، سمّاه محمد بن احمد، وصححه د. محسن غياض. المورد: مرجع سابق، ص - ٢١٣.
(٩١) ليلى الشايب: مرجع سابق، ص - ٤٧.
وعباس: مرجع سابق، ص - ٢٨٧.
(٩٢) ليلى الشايب: مرجع سابق، ص - ٤٨.
(٩٣) ليلى الشايب: مرجع سابق، ص - ٤٨.
(٩٤) ليلى الشايب: مرجع سابق، ص - ٥٠.
(٩٥) ابن جني: الفسر، مرجع سابق، ص ٢٢ - ٢٣.
(٩٦) عباس: مرجع سابق، ص - ٢٩٢.
(٩٧) عباس: مرجع سابق، ص - ٢٨٧.
(٩٨) عباس: مرجع سابق، ص - ٢٨٨ و٢٩٠.
(٩٩) عباس: مرجع سابق، ص - ٢٨٩.
(١٠٠) عباس: مرجع سابق، ص ٢٨٧ - ٢٨٨.
(١٠١) عباس: مرجع سابق، ص - ٢٨٧.
وليلى الشايب: مرجع سابق، ص - ٤٧.
(١٠٢) ليلى الشايب: مرجع سابق، ص ٥١ - ٥٤.
ويراجع بشأن كتاب الاصفهاني:
د. عبده عبد العزيز قلقيلة: أبيات المعاني في شعر المتنبي. دراسة أدبية نقدية مقارنة

الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون،١٤٠٣ ـ ١٩٨٣. الفصل الأول ١١ ـ ٥٣.

(١٠٣) الاصفهاني: مرجع سابق، ص ٣٦ ـ ٣٧.

(١٠٤) الاصفهاني: مرجع سابق، ص ٧ ـ ٨.

(١٠٥) الاصفهاني: مرجع سابق، ص ٢٧ ـ ٢٨.

(١٠٦) الاصفهاني: مرجع سابق، ص ١٧ ـ ١٩.

(١٠٧) هذه وجهة نظرنا، ويراجع:

د. عبده عبد العزيز قلقيلة: مرجع سابق. الفصل الثاني، ص ٥٧ ـ ١٠٢.

(١٠٨) د. محسن غياض: المورد. مرجع سابق، ص ٢١٣ ـ ٢٦٠.

(١٠٩) د. محسن غياض: المرجع السابق، ص ـ ٢١٥.

(١١٠) ابن جني: الفتح الوهبي. مرجع سابق.

ويراجع

د. عبده عبد العزيز قلقيلة: مرجع سابق، ص ـ ٦٠. ويرى د. عبده أن ما لابن جني في الفتح على أبي الفتح أكثر مما عليه، ص ـ ٩٦، وأن ابن فورجة «يخطىء ابن جني، لكنه وقف تحت ظله» ص ١٠٢، وأن ابن فورجة هاجم الصاحب والجرجاني «مثلما بل أكثر مما هاجم ابن جني»، ص ـ ٧٤.

(١١١) أشرنا لتحقيق عبد الكريم الدجيلي في الهامش، رقم ٩٠.

(١١٢) يراجع بشأن تحقيق د. محسن غياض:

ابن جني: الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي، تحقيق د. محسن غياض ـ وزارة الاعلام. دار الحرية للطباعة. بغداد ١٣٩٣ ـ ١٩٧٣.

ويراجع: المورد. المجلد الثاني. العدد الأول.١٣٩٢ ـ ١٩٧٣. والمجلد الثاني. العدد الثاني، ١٣٩٣ ـ ١٩٧٣. د. محسن غياض: الفتح على أبي الفتح، ص ١٠٧ ـ ١٢٠. وص ٧٩ ـ ١٠٠.

ويراجع النقد الذي كتبه: محمد حسين آل ياسين، وحاتم صالح الضامن، ونعمة رجيم العزاوي. المورد. المجلد السادس. العدد الثالث، ١٣٩٧ ـ ١٩٧٧، ص ٣٩٣ ـ ٤٠٠.

(١١٣) ابن فورجة: الدجيلي. مرجع سابق، ص ـ ٣٦.

(١١٤) عباس: مرجع سابق، ص ـ ٣٩٣.

(١١٥) ابن فورجة: المرجع السابق، ص ـ ١٥.

(١١٦) ابن فورجة: المرجع السابق، ص ـ ١٦٦.

(١١٧) ابن فورجة: المرجع السابق، ص ـ ١٣٩، ٢٢٨، ٢٦٢، ٣٤٠.

(١١٨) ابن فورجة: المرجع السابق، ص ـ ٧٣.

(١١٩) ابن فورجة: المرجع السابق، ص ـ ١٧٥.

(١٢٠) ابن فورجة: المرجع السابق، ص ـ ٢٨١.
(١٢١) ابن فورجة: المرجع السابق، ص ـ ٣١١.
(١٢٢) ابن فورجة: المرجع السابق، ص ـ ٣٣٣.
(١٢٣) الصاحب أبو القاسم، إسماعيل بن عباد: الكشف عن مساوىء شعر المتنبي، بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين: مكتبة النهضة بغداد. ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥. ص ـ ٤٦ و٧٤.

عبد الرحمن بن عبدالله بن باكثير الحضرمي: تنبيه الأديب، على ما في شعر أبي الطيب من الحسن والمعيب. ت.د: د. رشيد عبد الرحمن صالح. منشورات وزارة الاعلام. الجمهورية العراقية. ١٩٧٧. ص ـ ١٧٧ و٢٣٤.

(١٢٤) الديوان: ص ـ ٢٦٥.
والمعري: ج ـ ٣، ص ـ ٣٩، ق ـ ١٦٣، ب ـ ١٥.
(١٢٥) ابن فورجة: المرجع السابق، ص ـ ١٩٨ ـ ٢٠٠.
(١٢٦ الديوان: ص ـ ١٨١.
والمعري: ج ـ ٢، ص ـ ٢٨٩، ق ـ ١٠٤، ب ـ ١٦.
(١٢٧) يراجع الهامش ١٢٣.
(١٢٨) ابن فورجة: مرجع سابق، ص ٣٣٤ ـ ٣٣٦.
(١٢٩) الديوان: ص ـ ١٩٨.
والمعري: ج ـ ٢، ص ـ ٣٤٩، ق ـ ١٠٨، ب ـ ١.
(١٣٠) ابن فورجة: المرجع السابق. ص ـ ١١٨.
(١٣١) الديوان: ص ـ ١٨٩.
والمعري: ج ـ ٢، ص ـ ٣٢٠، ق ـ ١٠٦، ب ـ ٣٥.
(١٣٢) ابن فورجة: المرجع السابق، ص ـ ١٥٢ ـ ١٥٤.
(١٣٣) ابن فورجة: المرجع السابق، ص ١٤٣، ٣٠٨، ٣٢٨.
(١٣٤) ابن فورجة: المرجع السابق، ص ـ ٨٦.
(١٣٥) ابن فورجة: المرجع السابق، ص ـ ١٣٨ و٣١٤.
(١٣٦) ابن فورجة: المرجع السابق، ص ـ ١٣٤ و١٥٧، و٢٥٦ و٢٨٣ و٣٤٤.
(١٣٧) ابن فورجة: المرجع السابق، ص ـ ٦٢ و١٨٨ و٢٠٦ و٢٢٧.
(١٣٨) ابن فورجة: المرجع السابق، ص ـ ٨٠.
(١٣٩) ابن فورجة: المرجع السابق، ص ـ ٢٣٥ ـ ٢٣٦.
(١٤٠) ابن فورجة: المرجع السابق، ص ٣٤٧.
(١٤١) ابن فورجة: المرجع السابق، ص ٧١ و٧٢ و١٦٣.
(١٤٢) ابن فورجة: المرجع السابق، ص ـ ٧١.

(١٤٣) ابن فورجة: المرجع السابق، ص ـ ٢٥٥.
(١٤٤) ابن فورجة: المرجع السابق، ص ـ ٨٠.
(١٤٥) ابن فورجة: المرجع السابق، ص ـ ٨٥ و١٣٩، و٢٢٨، و٢٦٢، و٢٦٧، و٣٤٠.
(١٤٦) أبو المرشد سليمان بن علي المعري: تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي. حققه د. مجاهد محمد محمود الطوق، ود. محسن غياض عجيل. دار المأمون للتراث، ١٣٩٩ـ ١٩٧٩.
(١٤٧) أبو المرشد المعري: المرجع السابق، ص ـ ١٢.
(١٤٨) أبو المرشد المعري: المرجع السابق، ص ـ ١٢.
(١٤٩) أبو المرشد المعري: المرجع السابق، ص ـ ١٢.
(١٥٠) أبو المرشد المعري: المرجع السابق، ص ـ ١٥.
(١٥١) أبو المرشد المعري: المرجع السابق، ص ـ ١٢.
(١٥٢) أبو المرشد المعري: المرجع السابق، ص ـ ١٥.
(١٥٣) أبو المرشد المعري: المرجع السابق، ص ـ ٦.
(١٥٤) أبو المرشد المعري: المرجع السابق، ص ـ ١٦.
(١٥٥) أبو المرشد المعري: المرجع السابق، ص ـ ١٢.
(١٥٦) أبو المرشد المعري: المرجع السابق، ص ـ ٦٧، و٧٥، و٨٥.
وابو العلاء المعري: المرجع السابق، ج ـ ١، ص ـ ١٠٨ و١٧١ و١٩٦.
(١٥٧) ابو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده المرسي الاندلسي: شرح مشكل أبيات المتنبي. ت: الشيخ محمد حسن آل ياسين. وزارة الاعلام ـ الجمهورية العراقية، ١٩٧٧.
ود. قلقيلة: مرجع سابق، ص ١٠٧ ـ ٢٠٧.
(١٥٨) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ـ ١٦١ و١٩٤ و٢٦١.
(١٥٩) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق.
ود. قلقيلة: مرجع سابق، ص ١١٠ ـ ١١٩.
(١٦٠) ابن سيده الاندلسي: مرجع سابق، ص ـ ١٤٠.
(١٦١) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ـ ١٦٤ و١٨١.
(١٦٢) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ـ ١٩٥.
(١٦٣) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ـ ٢٨٨.
(١٦٤) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ـ ٦١ و٢٥٦ و٣٦٦.
(١٦٥) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ـ ٣٩٧.
(١٦٦) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ـ ١٠٨.
(١٦٧) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ـ ٢٢٦.
(١٦٨) الديوان: ص ـ ٨.

والمعري: ج ـ ١، ص ـ ١٢، ق ـ ٢، ب ـ ٢٧.

(١٦٩) الديوان: ص ـ ٤٢٥.

والمعري: ج ـ ٣، ص ـ ٥١٦، ق ـ ٢٣٤، ب ـ ١٥.

(١٧٠) ابن سيده الاندلسي: مرجع سابق، ص ـ ١٣٠ ـ ١٣١.

(١٧١) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ١٠٧ و١٢٣ و١٤٠، و٢٤٩.

(١٧٢) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ٦٧ ـ ٦٨.

(١٧٣) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ـ ١٦٢ و١٦٦.

(١٧٤) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ـ ٣٠٩.

(١٧٥) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ـ ١٠١، و٢١٨، و٣٤٨.

(١٧٦) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ـ

(١٧٧) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ـ ١٠١.

(١٧٨) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ـ ١٠٦.

(١٧٩) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ـ ١٦٣.

(١٨٠) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ـ ١٦٥.

(١٨١) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ـ ٣٥٦.

(١٨٢) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ـ ١١٠.

(١٨٣) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ـ ٨٠.

(١٨٤) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ـ ١٦٦ ـ ١٦٧.

(١٨٥) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ـ ١٨٩.

(١٨٦) ابن سيده الاندلسي: المرجع السابق، ص ـ ٦٢.

(١٨٧) ومن هؤلاء الجرجاني في الوساطة والثعالبي في اليتيمة الخ.

(١٨٨) ابو محمد، الحسن بن علي بن وكيع التنيسي: المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره. قرأه وقدّم له، وعلّق عليه د. محمد رضوان الداية. دار قتيبة، ١٤٠٢ ـ ١٩٨٢. المقدمة، وهي غير مرقمة.

(١٨٩) عباس: مرجع سابق، ص ـ ٢٩٤.

(١٩٠) عباس: المرجع السابق، ص ـ ٢٩٤.

(١٩١) بلاشير: مرجع سابق.

(١٩٢) عباس: المرجع السابق، ص ـ ٢٩٤.

وابن وكيع: مرجع، سابق المقدمة.

(١٩٣) ابن وكيع: مرجع سابق، ص ـ ٤.

(١٩٤) ابن وكيع: مرجع سابق، ص ـ ١.

(١٩٥) ابن وكيع: مرجع سابق، ص ـ ١.

(١٩٦) ابن وكيع: مرجع سابق، ص ـ ٤.
(١٩٧) ابن وكيع: مرجع سابق، ص ٤ ـ ٥.
(١٩٨) ابن وكيع: مرجع سابق، ص ـ ٥.
(١٩٩) عباس: مرجع سابق، ص ـ ٣١٤.
(٢٠٠) ابن وكيع: مرجع سابق، ص ـ ٦٢.
(٢٠١) ابن وكيع: المرجع السابق، ص ـ ٩٣.
(٢٠٢) ابن وكيع: المرجع السابق، ص ـ ٩٥.
(٢٠٣) ابن وكيع: المرجع السابق، ص ـ ١٠٠.
(٢٠٤) ابن وكيع: المرجع السابق، ص ـ ١٢٣.
(٢٠٥) ابن وكيع: المرجع السابق، ص ١٢٨ ـ ٢٠٣.
وعباس: مرجع سابق، ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩.
(٢٠٦) ابن وكيع: المرجع السابق.
وعباس: مرجع سابق، ص ـ ٣١٠.
(٢٠٧) ابن وكيع: مرجع سابق، ص ١١٦ ـ ١١٧.
(٢٠٨) ابن وكيع: المرجع السابق، ص ـ ١٥٢.
(٢٠٩) ابن وكيع: المرجع السابق، ص ـ ١٧٤.
(٢١٠) ابن وكيع: المرجع السابق، ص ـ
وعباس: مرجع سابق، ص ـ ٣٠٤.
(٢١١) عباس: مرجع سابق، ص ـ ٣١١.
(٢١٢) بلاشير: مرجع سابق، ص ـ ٤٨٧.
(٢١٣) عباس: مرجع سابق، ص ـ ٢٩٤.
(٢١٤) عباس: مرجع سابق، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧.
(٢١٥) أبو سعد، محمد بن أحمد العميدي: الابانة عن سرقات المتنبي، تقديم وتحقيق وشرح إبراهيم الدسوقي البساطي: دار المعارف ١٩٦١. سلسلة ذخائر العرب، رقم ٣١. ص ٢٠ ـ ٢١.
(٢١٦) العميدي: المرجع السابق، ص ـ ٢٢.
(٢١٧) العميدي: المرجع السابق، ص ـ ١٩.
(٢١٨) العميدي: المرجع السابق، ص ـ ٢٣.
(٢١٩) العميدي: المرجع السابق، ص ـ ٢٤.
(٢٢٠) العميدي: المرجع السابق، ص ـ ٢٦.
(٢٢١) العميدي: المرجع السابق، ص ـ ٣٣.
(٢٢٢) العميدي: المرجع السابق، ص ـ ٢٤.
وعباس: مرجع سابق، ص ـ ٣٧٩.

(٢٢٣) العميدي: مرجع سابق، ص ـ ٢٩ و٤٠ و٥٢ الخ.
وعباس: مرجع سابق، ص ـ ٣٨٢.
(٢٢٤) العميدي: مرجع سابق، ص ـ ٢٤.
وعباس: مرجع سابق، ص ـ ٣٨٦.
(٢٢٥) الحاتمي: مرجع سابق، ص ٩٤ ـ ٩٥.
وعباس: مرجع سابق، ص ـ ٢٦٨.
(٢٢٦) الثعالبي: مرجع سابق. وقد طبع القسم الخاص عن أبي الطيب في كتاب بعنوان: أبو الطيب وأخباره. تأليف أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري، صاحب يتيمة الدهر. سنة ١٣٤٣ ـ ١٩٢٥. المكتبة التجارية الكبرى.
وعباس: مرجع سابق، ص ـ ٣٧٤.
(٢٢٧) البديعي: مرجع سابق.
(٢٢٨) الثعالبي: أبو الطيب وأخباره. ص ـ ٦.
(٢٢٩) الثعالبي: المرجع السابق، ص ٤٦ ـ ٧٧.
(٢٣٠) الثعالبي: المرجع السابق، ص ـ ٤٧ و٤٨ و٥١ الخ.
(٢٣١) الثعالبي: المرجع السابق، ص ـ ٣٠.
(٢٣٢) الثعالبي: المرجع السابق، ص ١٩ ـ ٢٥.
(٢٣٣) الثعالبي: المرجع السابق، ص ٢٥ ـ ٣٠.
(٢٣٤) البديعي: مرجع سابق، ص ١٨١ ـ ٢٦٥.
(٢٣٥) البديعي: المرجع السابق، ص ـ ٢٦٦.
(٢٣٦) الثعالبي: مرجع سابق، ص ـ ٧٧.
(٢٣٧) البديعي: مرجع سابق، ص ٣٩٤ ـ ٤٥٢.
(٢٣٨) هذا ما توصلنا اليه، من خلال الدراسة.
(٢٣٩) ناجي علوش: عصر النهضة، الانبعاث القومي، دراسة منشورة في كتاب «المعرفة والسلطة في المجتمع العربي» معهد الإنماء العربي، ١٩٨٨، ص ٥٩ ـ ١١٠.
(٢٤٠) جرت احتفالات في دمشق وحلب وحمص وبيروت وبغداد والقاهرة يراجع:
الطليعة ـ دمشق ـ العدد الرابع ١٩٣٥/٩/٧. وتشير الطليعة إلى ان الاحتفال كان مقرراً في حلب، يوم ٨/٢٣، فأجل إلى ١٩٣٥/٩/٢٧. وفي حمص، يوم ١٩٣٥/٩/٧.
والطليعة، العددان السادس والسابع، آب وأيلول ١٩٣٦.
والحديث، حلب، العدد السابع، تموز ١٩٣٥ ـ عدد خاص عن أبي الطيب، وخبر عن احتفال بيروت.
ومجلة المجمع العلمي العربي. أيلول وتشرين الأول، سنة ١٩٣٥، خبر عن اللجنة=

= التي تألفت لاحياء الذكرى الألفية في دمشق. والمجلد الرابع عشر، جزء ٥ و ٦، سنة ١٩٣٦، خبر عن اسبوع أبي الطيب.
والمشرق. السنة الثالثة والثلاثون، نيسان وحزيران ١٩٣٥ خبر عن احتفال بيروت، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٧.
والرسالة ٢ العدد ٩١، ٢٧ ذو الحجة، ١٣٥٣، و١١ ابريل ١٩٣٥ السنة الثالثة، ص ٥١٥.
والعدد ٩٢، ٥ محرم، ١٣٥٤، ٨ ابريل ١٩٣٥ السنة الثالثة، ص ٥٥٨.
والعدد ٩٩، ٢٤ صفر ١٣٥٤، ٢٧ مايو ١٩٣٥ السنة الثالثة، ص ٨٧٨.
والعدد ١٢٤، ٢١ شعبان، سنة ١٣٥٤، ١٨ نوفمبر ١٩٣٥ السنة الثالثة، ص ١٨٧٧.
والعدد ١٢٥، ٢٨ شعبان، سنة ١٣٥٤، ٢٥ نوفمبر ١٩٣٥، السنة الثالثة، ص ١٩١٧.
والعدد ١٢٩، ٢٧ رمضان، سنة ١٣٥٤، ١٣ ديسمبر ١٩٣٥ السنة الثالثة، ص ٢٠٤١ و٢٠٥٠، و٢٠٥٧.
والعدد ١٣٨، ٨ ذي الحجة، ١٣٥٤، ٢ مارس ١٩٣٦، السنة الرابعة، ص ٣٥٩.

(٢٤١) كوركيس وميخائيل عواد: مرجع سابق، ص ـ ٢٦٦.

(٢٤٢) كوركيس وميخائيل عواد: المرجع السابق، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

(٢٤٣) كوركيس وميخائيل عواد: المرجع السابق، ص ـ ٢٧٢.

(٢٤٤) كوركيس وميخائيل عواد: المرجع السابق ٢ ص ـ ٢٧٢.

(٢٤٥) يراجع:
ديوان أبي الطيب المتنبي. علّق حواشيه وفسّر كلماته اللغوية: سليم ابراهيم صادر. المطبعة العلمية ـ بيروت، سنة ١٩٠٠.
وديوان المتنبي: بدون اسم المحقق. دار بيروت للطباعة والنشر ـ ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠، المقدمة، ص ٥ ـ ٦.

(٢٤٦) تراجع المصادر المشار إليها في الهامش السابق.

(٢٤٧) كوركيس وميخائيل عواد: مرجع سابق، ص ـ ٢٩٠.

(٢٤٨) كوركيس وميخائيل عواد: مرجع سابق، ص ٢٩٠ ـ ٢٩١.
وديوان أبي الطيب المتنبي، وفي اثناء متنه شرح الامام العلامة الواحدي، واربعة فهارس. تأليف العبد الحقير الشيخ المعلم في المدرسة الكلية البرلينية فريدرخ ديتريصي. طبع في مدينة برلين المحروسة، سنة ١٨٦١ المسيحية.

(٢٤٩) كوركيس وميخائيل عواد: مرجع سابق، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

(٢٥٠) ابن جني: الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي. ت. د. محسن غياض. وزارة

الاعلام ـ الجمهورية العراقية. سلسلة كتب التراث، رقم ٢١. سنة ١٩٧٣.

(٢٥١) ابن جني: الفسر، أو شرح ديوان أبي الطيب المتنبي. ج ١ و ٢. عني بتحقيقه والتعليق عليه. د. صفاء خلوصي. وزارة الثقافة والاعلام. دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد. سنة ١٩٨٨.

(٢٥٢) ابن جني: المرجع السابق، الجزء الثاني، ص ـ ٥.

(٢٥٣) أبو العلاء المعري: شرح ديوان أبي الطيب المتنبي «معجز أحمد». ت ـ د. عبد المجيد دياب. دار المعارف. ذخائر العرب، رقم ٦٥، بدون ذكر السنة، أربعة مجلدات.

(٢٥٤) ميخائيل وكوركيس عواد: مرجع سابق، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧. ويبدو ان المخطوط مفقود.

(٢٥٥) أبو البركات شرف الدين المبارك بن احمد الاربلي، المعروف «بابن المستوفي»: «النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام». د. ت: د. خلف رشيد نعمان. سلسلة خزانة التراث. وزارة الثقافة والاعلام. دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٩. صدرت، خمسة مجلدات. وما زال الباقي.

(٢٥٦) أبو القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا الزهري الاندلسي، المعروف بابن الافليلي: شرح شعر المتنبي. صدر في جزئين. د. ت: د. مصطفى عليان. مؤسسة الرسالة، ١٤١٢ ـ ١٩٩٢.

(٢٥٧) كوركيس وميخائيل عواد: مرجع سابق، ص ـ ٢٧٢.
وبلاشير: مرجع سابق، ص ٥١٦ ـ ٥١٧.

(٢٥٨) كوركيس وميخائيل عواد: مرجع سابق، ص ـ ٢٩١.
وبلاشير: مرجع سابق، ص ـ ٥١٧.
وصدر الديوان عن دار صادر ودار بيروت، سنة ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤، كما صدرت طبعات أخرى.

(٢٥٩) كوركيس وميخائيل عواد: مرجع سابق، ص ـ ٢٧٢. وكنا أشرنا إلى هذه الطبعة في هامش سابق.

(٢٦٠) عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي. اربعة أجزاء. دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠.
وبلاشير: مرجع سابق، ص ـ ٥١٨.
وكوركيس وميخائيل عواد: مرجع سابق، ص ـ ٢٨٢.

(٢٦١) وجدنا شرح سليم صادر في المكتبة الظاهرية بدمشق. ولم نجد شرح البستاني، لا في دمشق ولا عمان.

(٢٦٢) أشرنا لذلك سابقاً.

(٢٦٣) لم يكتب الشيخ المعلم فريدرخ ديتريصي مقدمة لشرح الواحدي بالعربية، واكتفى بمقدمة المحرر باللغة الالمانية: واكتفى، بكلمة قصيرة في نهاية الشرح، تؤرخ للانتهاء من العمل فيه. ولكنه أعد فهرساً لما وجده في الديوان، «من أسماء الممدوحين والمذمومين» ص ٨٠٨ ـ ٨١٢، وفهرساً للقوافي، ص ٨١٣ ـ ٨١٨، وفهرساً لاسماء العلماء والشعراء ٨١٩ ـ ٨٣١، وفهرساً للابيات الشواهد ٨٣٢ ـ ٨٤٢.

(٢٦٤) وقد اكتفى محققو شرح العكبري لديوان أبي الطيب بكتابة تعريف موجز بأبي الطيب، من اربع صفحات ونصف، وآخر بأبي البقاء العكبري، من خمس صفحات. كما أضافوا في نهاية الجزء الرابع فهرس الاعلام والقبائل، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٣، وفهرس الاغراض ٣٠٤ ـ ٣٠٨، وفهرس ترتيب تاريخي للقصائد، ٣٠٩ ـ ٣١٧، وفهرس الشعراء الذين ذكروا في الشرح، ٣١٨ ـ ٣٢٨، وفهرس قوافي الشواهد، ٣٢٩ ـ ٣٦٦، وفهرس أنصاف الابيات، ٣٦٧ ـ ٣٧١، وفهرس الفوائد العامة التي جاءت في الشرح، ٣٧٢ ـ ٣٧٦، وخاتمة لمصححي الديوان، حول سبب اختيار ديوان أبي الطيب، واختيار شرح العكبري، ص ٣٧٧ ـ ٣٨٥.

(٢٦٥) تتكون هذه المقدمة، من ١٣٥ صفحة، ج ـ ١، ص ١ ـ ١٣٥.

(٢٦٦) وتتضمن هذه المقدمة ١ ـ مقدمة التحقيق ٥ ـ ٨. ٢ـ شرح ديوان المتنبي لابي العلاء المعري، المعروف بمعجز احمد، ص ٩ ـ ٢٧. ٣ ـ منهج التحقيق، ص ٤٦ ـ ٥٢. ٤ ـ منهج شرح الشعر قديماً، ص ٥٣ ـ ٥٨. ٥ ـ منهج أبي العلاء في شرحه، ص ـ ٥٨ ـ ٦٧. ٦ ـ ابو الطيب المتنبي، ص ٦٩ ـ ٩١. ٧ ـ ابو العلاء المعري، ص ٩٢ ـ ١٣٥.

(٢٦٧) تراجع الصفحات ٣٠ ـ ٤٠ من المقدمة البالغة مائتين وصفحة (٥ ـ ٢٠٦).

(٢٦٨) ابن المستوفي: مرجع سابق، ص ٥٠ ـ ٥١.

(٢٦٩) ابن المستوفي: المرجع السابق، ص ١٢٥ ـ ١٣٣.

(٢٧٠) ابن الافليلي: مرجع سابق، المقدمة، ص ١٣٠ ـ ١٤٩.

(٢٧١) يراجع:
ديوان أبي الطيب المتنبي، طبعة سليم ابراهيم صادر، مرجع سابق، المقدمة، ص ٣ ـ ٤.

(٢٧٢) يراجع: ديوان أبي الطيب المتنبي، طبعة البرقوقي، مرجع سابق. وتضم المقدمة سيرة المتنبي ملخصة من كتاب «ذكرى أبي الطيب» لعبد الوهاب عزام (ص ٢٠ ـ ٦٧). ثم ترجمة أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الاصفهاني لابي الطيب، من كتاب ايضاح المشكل، ص ٦٨ ـ ٨٠. ثم تعريف بشراح أبي الطيب، ص ٨١ ـ ١٢٥

(٢٧٣) يراجع:
«العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب». للعالم العلامة اللغوي الشاعر المشهور، =

الشيخ ناصيف اليازجي. مجلدان. دار صادر ـ دار بيروت ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤. المقدمة، بعنوان مقدمة الشارح، ص ٧ ـ ٩٤.

(٢٧٤) شرح اليازجي ـ المرجع السابق، ص ـ ٣٩.

(٢٧٥) شرح اليازجي ـ المرجع السابق، ص ٣٩ ـ ٤٠.

(٢٧٦) شرح اليازجي ـ المرجع السابق، ص ـ ٣٨.
والواحدي ـ المرجع السابق، ص ـ ٣.

(٢٧٧) شرح اليازجي ـ مرجع سابق، ص ـ ٣٩.

(٢٧٨) شرح اليازجي ـ المرجع السابق، ص ٤٠ ـ ٤٥.

(٢٧٩) شرح اليازجي ـ المرجع السابق، ص ـ ٤٥.

(٢٨٠) شرح اليازجي ـ المرجع السابق، ص ٦٠ ـ ٧٨.

(٢٨١) شرح اليازجي ـ المرجع السابق، ص ـ ٧٩.

(٢٨٢) ونشر منها:

ابن جني: الفتح الوهبي ـ مرجع سابق.
ابن فورجة: الفتح على أبي الفتح ـ مرجع سابق.
ابن سيده: شرح مشكل أبيات المتنبي ـ مرجع سابق.
الاصفهاني: الواضح ـ مرجع سابق.
وأبو المرشد المعري: تفسير أبيات المعاني. مرجع سابق.

(٢٨٣) من كتب السرقات:

الحاتمي: الموضحة ـ مرجع سابق.
العميدي: الابانة ـ مرجع سابق.
ابن بسام: سرقات المتنبي ـ مرجع سابق.
ابن وكيع، المنصف، مرجع سابق.
ومن الكتب الأخرى:
الحضرمي: تنبيه الأديب ـ مرجع سابق.
وعبد الرحمن ابن حسام الدين، المعروف بحسام زاده الرومي: رسالة في قلب كافوريات المتنبي. ت د. محمد يوسف نجم. دار الامانة. مؤسسة الرسالة ١٣٩٢ ـ ١٩٧٢.

(٢٨٤) نقدم النماذج التالية حول اعادة دراسة حياته:

محمد كمال حلمي بك: ابو الطيب المتنبي، حياته وخلقه وشعره واسلوبه. ادارة مكتبة ومطبعة الشباب. ١٣٣٩ ـ ١٩٢١.
محمود محمد شاكر: مرجع سابق.
والعقاد: مرجع سابق.

وحول دراسة أدبه:

أشرنا إلى عدد من المراجع فيما سبق، وسنشير إلى عدد منها فيما بعد.

(٢٨٥) ذكرنا بعضها سابقاً.

(٢٨٦) أشرنا إلى ذلك سابقاً.

(٢٨٧) ومن ذلك كتابة مسرحيات، واعداد برامج اذاعية وتلفزيونية.

(٢٨٨) يراجع:

بلاشير: مرجع سابق، ص ٥١٣ ـ ٥٤٢.

(٢٨٩) يراجع فهرس المقتطف.

هيئة الدراسات العربية: فهرس المقتطف ١٨٧٦ ـ ١٩٥٢. منشورات العيد المئوي. الجامعة الاميركية في بيروت، ص ٢١٥ ـ ٢١٦.

(٢٩٠) لم يصدر فهرس للهلال. وقد راجعت السنوات ١٨٩٣ ـ ١٩٢٠ ولم أجد فيها الكثير، خلاف المقتطف. والمقالة الابرز، نشرت في المجلد الخامس (١٨٩٧).

أبو الطيب المتنبي، وبدون اسم الكاتب. وربما كان جرجي زيدان، ص ٣٢٢ ـ ٣٣٠ وهناك اشارة في السنة الرابعة والعشرين إلى صدور كتاب بعنوان: النهج العربي إلى شرح حكم المتنبي، تأليف ابراهيم افندي عبد الخالق، ص ـ ٧٨. مع ان هناك مقالات عن الشعر المنثور بالعربية، والشعر الموزون غير المقفى، والشعر الوصفي: السنة الرابعة عشرة، ص ـ ٩٧ و ٥٨٠ و ٢١٢ و ٥٨٥، والسنة الخامسة عشرة، ص ـ ١٦٠. ومقالات عن المعري السنة الخامسة عشرة اكتوبر، ١٩٠٦ ـ يوليو ١٩٠٧ ص ـ ١٩٥ و ٢٧٩ و ٥٤. والسنة الرابعة والعشرون أكتوبر ـ ١٩١٥ ـ يوليو ـ ١٩١٦، ص ـ ٥٥٦ و ٤٣٨. السنة السادسة والعشرون، اكتوبر ١٩١٧ ـ يوليو ١٩١٨، ص ـ ٣١٠. ومقالات عن ابن الرومي السنة الثانية والعشرون، ص ـ ٦٤٠، والسنة السادسة والعشرون، ص ـ ٢١٧.

(٢٩١) يراجع الفهرست الخاص بالمجلة عامة:

والاعداد، ايلول وتشرين أول، سنة ١٩٣٥، ص ـ ٤٤٢. والمجلد الرابع عشر، جزء ٥ و ٦، أيار وحزيران ١٩٣٦. والمجلد الرابع عشر جزء ٧ و ٨ تموز وآب ١٩٣٦، وجزء ٩ و ١٠، ايلول وتشرين الأول ١٩٣٦، ص ـ ٣٣٦ ـ ٣٥٣ وجزء ١١ و ١٢، تشرين الثاني وكانون الأول، ١٩٣٦، ص ـ ٤٠٢.

(٢٩٢) الحديث. العدد السابع، تموز ١٩٣٥، عدد خاص عن أبي الطيب.

والحديث العدد الثامن، آب ١٩٣٦، ص ـ ٥٨٥ و ٥٩٣ و ٧٠٣.

(٢٩٣) الطليعة: العدد ٤، ١٩٣٥/٩/٧، والعدد الثامن ٣٥/١٠/٩ ص ٨ ـ ٩، والعددان السادس والسابع، آب وأيلول ١٩٣٦ السنة الخامسة.

(٢٩٤) ابولو: العدد الرابع ـ المجلد الأول، ديسمبر ١٩٣٢، ص ـ ٤٤٧.
والعدد الثامن ـ المجلد الأول، ابريل ١٩٣٣، ص ـ ٩٥٢.
والعدد الثالث ـ المجلد الثاني، نوفمبر ١٩٣٣، ص ـ ٢٤٣.
والعدد الثاني، المجلد الثالث، اكتوبر ١٩٣٤، ص ـ ٢٦٨.
والعدد الرابع، المجلد الثالث، ديسمبر ١٩٣٤، ص ـ ٤٩٠ و ٥٥١ و ٥٥٦ و ٦١١.
والعدد السابع، المجلد الثاني. مارس ١٩٣٤، ص ـ ٥٨٢ و ٥٩٥ و ٥٩٦ و ٦٢٧ و ٦٣٣.
والعدد العاشر، المجلد الثاني، يونيو ١٩٣٤، ص ـ ١٠٦٢.

(٢٩٥) الرسالة: العدد، ١٢٩، ٢٧ رمضان ١٣٥٤، ٢٣ ديسمبر ١٩٣٥ السنة الثالثة. ص ٢٠٤١، و٢٠٥٠، و٢٠٥٧. والعدد ١٣٠، ٤ شوال ٣٥٤، ٣٠ ديسمبر ١٩٣٥، السنة الثالثة، ص ٢٠٨١.

(٢٩٦) المشرق: نيسان ـ حزيران ١٩٣٥، النسة ٣٣ ص ٢٨٩ ـ ٢٩٧ ـ وتموز ـ أيلول ١٩٣٤، ص ٣٥١ ـ ٣٦٠، وتشرين١ ـ كانون١ ١٩٣٦ السنة ٣٤، ص ـ ٥٧٥.

(٢٩٧) وآفاق عربية: مرجع سابق.

(٢٩٨) والمورد: مرجع سابق.

(٢٩٩) السيد البكري: مناقب المتنبي ومعايبه، المقتطف، جزء ٦، سنة ٧، سنة ١٨٩٣، ص ٢٦١ ـ ٢٧١.

(٣٠٠) المقتطف: مج ٢٠، (١٨٩٦)، ص ـ ٤٥٦. وعدد ١١ ـ مج ٢٠، ١٨٩٦، ص ـ ٨٤٣.

(٣٠١) المقتطف: مج ٣٣ (١٩٠٨)، ص ـ ٢٠٧.

(٣٠٢) المقتطف: مج ٢٧ (١٩٠٢)، ص ـ ١١٤٥.

(٣٠٣) المقتطف: مج ٥٧ (١٩٢٠)، ص ـ ٢٠١، ومج ٥٨ (١٩٢١)، ص ٣٣ ـ ٥٠.

(٣٠٤) البكري: مرجع سابق، ص ـ ٣٦٦.

(٣٠٥) البكري: مرجع سابق، ص ـ ٣٦٧.

(٣٠٦) أنيسة الشرتوني: المقتطف، مج ٣٣ (١٩٠٨)، ص ـ ٢٠٧.

(٣٠٧) أشرنا لهذه المقالة في الهامش ٢٩٠.

(٣٠٨) أشرنا إلى ذلك في الهامش ٢٩٠.

(٣٠٩) قدمنا بعض المعلومات عن هذا الاحتفال، وتراجع، مثلاً، ابولو العدد الثالث، المجلد الثاني، نوفمبر ١٩٣٣، ص ـ ٢٤٣. والعدد السابع، المجلد الثاني، مارس، ١٩٣٤، ص ـ ٥٨٢.

(٣١٠) المقتطف، مج ٧٦، ص ـ ٧٨ و١٨٩.

(٣١١) المقتطف: الجزء الأول، من المجلد الثامن والثمانين، ٦ شوال ١٣٥٤، ١ يناير ١٩٣٦.

(٣١٢) المقتطف: المرجع السابق، ص ٣ ـ ٤.

(٣١٣) صدر البحث في كتاب فيما بعد، أشرنا إليه سابقاً.

(٣١٤) نشير لاحقاً إلى هذه الاحتفالات.

(٣١٥) تراجع مجلة العصبة. سان باولو ـ البرازيل، عدد ٨، سنة ١٩٣٥، ص ـ ٦٧٢. والعدد خاص بأبي الطيب. وكانت تصدر مجلة العصبة الاندلسية، يراجع.
د. نعمية مراد محمد: العصبة الاندلسية ـ هجرة الادب العربي إلى اميركا الجنوبية. منشأة المعارف. الاسكندرية. المجلة ص ٤٢ ـ ٤٧. وقد صدرت، سنة ١٩٣٤، ورئيس تحريرها حسيب مسعود، وظلت تصدر بانتظام، حتى سنة ١٩٤١، حيث اوقفتها السلطات البرازيلية، ثم عادت للظهور سنة ١٩٤٧، وتوقفت نهائياً، سنة ١٩٦٠.

(٣١٦) تراجع:
الطليعة، عدد ٤، ١٩٣٥/٩/٧.
والحديث، العدد الثامن، آب ١٩٣٦.
ومجلة المجمع العلمي العربي، ايلول وتشرين الأول ١٩٣٥.
والمجلد الرابع عشر، جزء ٥ و ٦، أيار وحزيران ١٩٣٦.

(٣١٧) الرسالة: القاهرة ٣، ١٩٣٥، ص ـ ١٥٧.
والرسالة: ٤، ١٩٣٦، ص ـ ٣٩٥.

(٣١٨) مجلة المعلم الجديد. بغداد. حزيران ـ ايلول ١٩٣٦، العدد ٣ و ٤، ص ٤٢٦ ـ ٤٢٩.

(٣١٩) الحديث، العدد السابع، تموز ١٩٣٥: حول الاحتفال الذي دعت له جمعية العروة الوثقى في الجامعة الاميركية في بيروت.

(٣٢٠) يراجع بشأنه مهرجان بغداد، ٥ ـ ١٠/١١/١٩٧٧.
يراجع: جريدة الثورة بغداد، ٦، ٧، ٨ و١٠/١١/١٩٧٧.

(٣٢١) العصبة الاندلسية. سان باولو ـ البرازيل. العدد ٨ آب ١٩٣٥.
ود. عمر الدقاق: شعراء العصبة الاندلسية في المهجر. دار الشروق. ط/٢، سنة ١٩٧٨.
ويراجع كتاب د. الدقاق بشأن العصبة، ص ـ ١١٣، وبشأن مهرجان المتنبي، ص ١٣٦ ـ ١٣٧.

(٣٢٢) صحيفة دار العلوم: أبو الطيب المتنبي، بعد ألف سنة. جزءان. العدد الرابع من السنة الثانية، ابرايل ١٩٣٦، والعدد الأول، من السنة الثالثة، يونيه ١٩٣٦.

(٣٢٣) الهلال: مج ٤٣، جزء ١٠، اغسطس ١٩٣٥. ص ١١٢٠ ـ ١٢٢٤.

(٣٢٤) المقتطف: الجزء الأول، من المجلد الثامن والثمانين، ٦ شوال ١٣٥٤، و١ يناير ١٩٣٦.

(٣٢٥) الحديث: العدد السابع، تموز ١٩٣٥.

(٣٢٦) الطليعة: العددان السادس والسابع، آب وأيلول ١٩٣٦.

(٣٢٧) الآداب: عدد ١١، نوفمبر ١٩٧٧.

(٣٢٨) المورد: المجلد السادس، العدد الثالث، ١٣٩٧ ـ ١٩٧٧.

(٣٢٩) آفاق عربية: السنة الثالثة ـ العدد ٤، كانون الأول ١٩٧٧

(٣٣٠) عبد الوهاب عزام: مرجع سابق.
(٣٣١) مصطفى الشكعة: مرجع سابق.
(٣٣٢) د. عصام السيوفي: مرجع سابق.
(٣٣٣) د. محمد عبد الرحمن شعيب: مرجع سابق.
(٣٣٤) ابراهيم عبد القادر المازني: حصاد الهشيم. دار الشعب (١٩)، ص ـ ٣٣٦.
(٣٣٥) عباس محمود العقاد: المجموعة الكاملة. المجلد الخامس والعشرون. دار الكتاب اللبناني. مكتبة المدرسة. ط/١، ١٩٨٣، ص ١٦٩ ـ ٢٤٩.
(٣٣٦) محمود محمد شاكر: مرجع سابق.
(٣٣٧) عبد الغني الملاح: مرجع سابق.
(٣٣٨) د. عبد الفتاح صالح نافع: مرجع سابق.
(٣٣٩) أ. يوسف حناشي: مرجع سابق.
(٣٤٠) د. حسين الواد: مرجع سابق.
(٣٤١) د. حسين الواد: مرجع سابق.
(٣٤٢) أي كتاب التجربة الجمالية المذكور آنفاً.
(٣٤٣) د. محمد فتوح احمد: شعر المتنبي ـ قراءة أخرى. دار المعارف ١٩٨٣.
(٣٤٤) د. عبد العزير دسوقي: في عالم المتنبي. دار الشروق ط/١. ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤.
(٣٤٥) أشرنا إلى بعض هذه الدراسات سابقاً. ونضيف:
طه مصطفى أبو كريشة: الخيال الشعري عند أبي الطيب. القاهرة. ١٩٧٧.
ـ وعلي عبد الرزاق السامرائي: السرقات الأدبية في شعر المتنبي. مطبعة المعارف. ١٩٦٩.
(٣٤٦) أشرنا إلى بعض هذه الدراسات سابقاً. ونضيف:
ـ د. محمد بن شريفة: أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة. دار الغرب الإسلامي ١٩٨٦.
ـ وزهدي صبرى الخواجا: موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء. الرياض. دار الأصالة، ١٩٨٢.
(٣٤٧) د. بلاشير: مرجع سابق.
(٣٤٨) د. طه حسين: مرجع سابق.
(٣٤٩) د. طه حسين: مرجع سابق، ص ٢٩٢ ـ ٣٠٣ و ٣٢٩.
(٣٥٠) د. طه حسين: مرجع سابق، ص ٢١ ـ ٢٢ و ٢٥.
(٣٥١) د. طه حسين: مرجع سابق، ص ـ ٢٥.
(٣٥٢) هدى الارناؤوطي: مرجع سابق.
(٣٥٣) إيليا حاوي: مرجع سابق.

(٣٥٤) خالد علي مصطفى: الاقلام. العدد ٣ ـ ٤. السنة السابعة والعشرون، آذار ـ نيسان ١٩٩٢، ص ٣١ ـ ٣٥.

(٣٥٥) د. محمود حسن عبد ربه ابو ناجي: الحرب في شعر المتنبي. دار الشروق ـ ط/٢. سنة ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠. مجلدان.

(٣٥٦) د. زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي الى عهد سيف الدولة. دار المعارف ١٩٦١.

(٣٥٧) ذكرنا كثيراً منها فيما مضى، ونذكر هنا:

أ ـ اميليو غرسيه غومث: مع شعراء الاندلس والمتنبي. سيرة ودراسات. تعريب د. طاهر احمد مكي. ط/٢، سنة ١٣٩٨ ـ ١٩٧٨.

ب ـ جورج غريب: المتنبي ـ دراسة عامة. دار الثقافة.

ج ـ جوزف الهاشم: أبو الطيب المتنبي. شاعر الطموح والعنفوان. دار المفيد. ١٩٨٢.

د ـ ابراهيم عوض: ابو الطيب: دراسة جديدة لحياته وشخصيته. القاهرة ١٩٨٧.

(٣٥٨) يراجع:

أ ـ د. نوري جعفر: الاصالة في شعر أبي الطيب المتنبي. مطبعة الزهراء. بغداد ١٩٧٦.

ب ـ د. حسن علي قرعاوي: الحكمة في شعر المتنبي. دار عمّار. عمان. ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦.

ج ـ د. زين كامل الخويسكي: الجملة الفعلية في شعر المتنبي، منفية واستفهامية ومؤكدة. دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية. ١٩٨٥.

د ـ احمد عبد الله المحسن: مقدمات سيفيات المتنبي. دار العلوم للطباعة والنشر. ١٤٠٣ ـ ١٩٨٢.

هـ ـ عباس حسن: المتنبي وشوقي. دار المعارف. مكتبة الدراسات الأدبية. ١٩٦٤.

و ـ د. محمد حسن الشماع: المرأة في شعر المتنبي. دار الوثبة.

(٣٥٩) تزداد الدراسات عنه، وترتفع في مستواها، منذ اوائل السبعينيات.

(٣٦٠) ابراهيم عبد القادر المازني: مرجع سابق.

(٣٦١) يراجع بهذا الشأن:

أ ـ د. محمدمندور:النقد المنهجي عند العرب.دار نهضة مصر للطبع والنشر.ص ١٢ ـ ١٧.

ب ـ عباس: مرجع سابق، ص ١٣ ـ ٥٩.

(٣٦٢) وكان هذا واضحاً في نقد أبي الطيب وغيره: يراجع: الواحدي والعكبري والمعري.

(٣٦٣) ابرزنا ذلك فيما قدمنا من كتب.

(٣٦٤) تراجع كتب النقد التقليدية الخاصة بالشعر العربي الجاهلي والأموي والعباسي.

(٣٦٥) هذا منهج ابن جني والمعري والواحدي والعكبري وغيرهم.

(٣٦٦) ولذلك كانت المعركة بين القديم والجديد من أكبر المعارك النقدية. يراجع:

د. محمد حسين الاعرجي: الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي، المركز العربي للثقافة والعلوم ـ بيروت.

(٣٦٧) عباس: مرجع سابق، ص ـ ٣٧.

(٣٦٨) عباس: مرجع سابق، ص ٣٣٧ ـ ٣٤٧.

(٣٦٩) لقد كان هؤلاء، من خدم الوزراء والسلاطين، ولذلك كانوا سادة الأدب الرسمي، فتركوا بصماتهم في الأدب عامة.

(٣٧٠) د. يوسف حسين بكار: بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث). دار الأندلس، ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣، ص ٣٥ ـ ٣٦.

(٣٧١) بكار: المرجع السابق، ص ـ ٣٦.

(٣٧٢) بكار: المرجع السابق، ص ـ ٣٢.

(٣٧٣) بكار: المرجع السابق، ص ـ ٣٧.

(٣٧٤) عباس: مرجع سابق، ص ١٣ ـ ٤١.

(٣٧٥) إن النقد العربي القديم أو الكلاسيكي جزء من التجربة الأدبية العربية، وإن رآه بعض المتغربين عقيماً.

(٣٧٦) الاعرجي: مرجع سابق.

(٣٧٧) Priestly: J. B. literature and the western man

(٣٧٨) مثل مدرسة شعر، ومدرسة ادونيس (علي احمد سعيد). تراجع أعمال أنسي الحاج، وادونيس (علي احمد سعيد)، وآخرها «الشعرية العربية». دار الآداب ـ بيروت، سنة ١٩٨٩، ط/٢.

(٣٧٩) لا يعيش المواطن بلا ماضٍ، مهما حاول ان يتهرب وكذلك الشعر.
د. فتحي أحمد عامر: مرجع سابق، ص ـ ١٠٩.

(٣٨٠) وهذا ما نراه اليوم لدى كثير من الشعراء والشعراء النقاد والنقاد الذين لم يدرسوا القديم، ولم يستوعبوا الحديث.

(٣٨١) ابن خلدون: تاريخ العلامة ابن خلدون. المجلد الأول. مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني: سنة ١٩٦٧. ص ـ ١١٠٧.
وعباس: مرجع سابق، ص ـ ٦١٨.

(٣٨٢) العميدي: مرجع سابق، ص ـ ٤٠ و٦٣ و٧٥.

(٣٨٣) الاصفهاني: مرجع سابق، ص ـ ٧ و١٧.

(٣٨٤) بلاشير: مرجع سابق، ص ـ ٢٠٨ و٣٢٤.

(٣٨٥) الديوان: ص ١١ و١٤ و١٦ و١٩ و٣٣ و٣٤، و٣٦ و٣٩، و٥١، و٥٢ و٥٣، و٥٥، و١٢٠، و١٦٨، و١٧٤.

(٣٨٦) الديوان: ص ٢٥٦ ـ ٤٤٠.

(٣٨٧) الديوان: ص ـ ٤٧١، و٤٧٤، و٤٨٢.
(٣٨٨) الديوان: ص ـ ٥٠٩.
(٣٨٩) الديوان: ص ـ ٢٣٣، و٢٣٤، و٥٠٠، و٥٠٢، و٥٠٣، و٥٠٦.
(٣٩٠) الديوان: ص ـ ٢٨، و٤٧، و٨٥، و٩٣، و٩٧، و١٣٥، و١٣٩، و١٦٤ الخ..
(٣٩١) الديوان: ص ١٧ و٢٩، و٤١ و٦٢، و٨٥، و٩٣، و٩٧، و١٠٩، و١١٣، و١٢١ و١٣٥، و١٣٩، و١٥٠، و١٦٤ و١٨٩، و١٩٣، و١٩٨، و٢٠٦، و٢٠٩.
(٣٩٢) الديوان: ص ـ ٤٤١ و٤٤٦، و٤٤٨، و٤٥٣، و٤٥٩، و٤٦٦ و٤٧٨.
(٣٩٣) الديوان: ص ٥٢٢ ـ ٥٦٩.
(٣٩٤) الديوان: يمكن ان تراجع المقطوعات المرتجلة كلها.
(٣٩٥) الديوان: ص ـ ٣٥٣ و٣٦٨.
(٣٩٦) بكار: مرجع سابق، ص ـ ٣٢.
(٣٩٧) بكار: مرجع سابق، ص ـ ٣٢.
(٣٩٨) بكار: مرجع سابق، ص ١٤ ـ ١٥.
(٣٩٩) يراجع:
ـ د. عبد الرحمن عطبة: مرجع سابق.
ـ د. محمد عبد العزيز الموافي: حركة التجديد في الشعر العباسي. مطبعة التقدم.
(٤٠٠) الجرجاني: مرجع سابق، ص ـ ٦٤.
ـ وعباس: مرجع سابق، ص ـ ٣٧.
وقد بينا في اكثر من مكان من هذا الكتاب، كيف كان النقاد يتحولون الى وعاظ قساة، بشأن ما اعتبروه ماساً بمفاهيم دينية أو اخلاقية.
(٤٠١) الاصفهاني: مرجع سابق، ص ٧ ـ ٨، حيث يتهم أبا الطيب بأنه خبيث الاعتقاد. وابن سيده: مرجع سابق، ص ـ ٢٢٦.
(٤٠٢) بكار: مرجع سابق، ص ٣٥ ـ ٣٦.
(٤٠٣) د. محمد فتوح احمد: مرجع سابق.
(٤٠٤) د. محمد فتوح احمد: المرجع السابق، ص ـ ٣.
(٤٠٥) د. محمد فتوح احمد: المرجع السابق، ص ـ ٤.
(٤٠٦) د. محمد فتوح احمد: المرجع السابق، ص ـ ٥.
(٤٠٧) د. محمد فتوح احمد: المرجع السابق، ص ـ ١٤٧.
(٤٠٨) د. محمد فتوح احمد: المرجع السابق، ص ـ ٧.
(٤٠٩) د. محمد فتوح احمد: المرجع السابق، ص ـ ٧.
(٤١٠) د. محمد فتوح احمد: المرجع السابق، ص ـ ٧.
(٤١١) المعري: ج ـ ٤، ص ١٢٢ ـ ١٢٤، ق ـ ٢٥٥.

(٤١٢) البرقوقي: مرجع سابق، ج ـ ٤، ٣٧٠ ـ ٣٧٢.
(٤١٣) العكبري: مرجع سابق، ج ـ ٤، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٢، ق ـ ٢٧٤.
(٤١٤) حاوي: مرجع سابق، ص ٦٥٤ ـ ٦٥٦.
(٤١٥) عبد اللطيف شرارة: أبو الطيب المتنبي. دراسة ومختارات. شعراؤنا القدامى. الشركة العالمية للكتاب. مكتبة المدرسة. الدار الافريقية العربية، ١٩٨٨. ص ١٥٨ ـ ١٥٩.
(٤١٦) د. محمد فتوح احمد: مرجع سابق. ص ١٣ ـ ١٥.
(٤١٧) د. يوسف بكار: مرجع سابق، ص ـ ١٣ و٣٢.
(٤١٨) د. محمد فتوح احمد: المرجع السابق، ص ـ ١٣٣.
(٤١٩) د. عبد العزيز دسوقي: مرجع سابق.
(٤٢٠) د. عبد العزيز دسوقي: مرجع سابق، ص ١٨٩ ـ ١٩٠.
(٤٢١) د. عبد العزيز دسوقي: المرجع السابق، ص ـ ٩.
(٤٢٢) د. عبد العزيز دسوقي: المرجع السابق، ص ـ ٩.
(٤٢٣) د. عبد العزيز دسوقي: المرجع السابق، ص ـ ١٠.
(٤٢٤) د. عبد العزيز دسوقي: المرجع السابق، ص ـ ١٠.
(٤٢٥) د. عبد العزيز دسوقي: المرجع السابق، ص ـ ٢٦
الديوان: ص ـ ٣٦.
والمعري: ج ـ ١، ص ـ ١٢٦، ق ـ ٢٠.
(٤٢٦) د. عبد العزيز دسوقي: مرجع سابق، ص ـ ٤٤.
الديوان: ـ ٣٣١.
والمعري: ج ـ ٣، ص ـ ٢٤٧، ق ـ ١٩٤.
(٤٢٧) د. عبد العزيز دسوقي: مرجع سابق، ص ـ ٣٠ و٥٥.
الديوان: ص ـ ٣٥٥
والمعري: ج ـ ٣، ص ـ ٣٣٢، ق ـ ٢١٢.
(٤٢٨) د. دسوقي: مرجع سابق، ص ـ ٣٣.
(٤٢٩) د. دسوقي: المرجع السابق، ص ـ ٤٤.
(٤٣٠) د. دسوقي: المرجع السابق، ص ـ ٥٥.
(٤٣١) د. دسوقي: المرجع السابق، ص ـ ٣٣.
(٤٣٢) د. دسوقي: المرجع السابق، ص ـ ٦٣.
(٤٣٣) المعري: ج ـ ١، ص ـ ١٢٩، ق ـ ٢٠.
والعكبري: ج ـ ٤، ص ـ ٣٤، ق ـ ٢٣٣.
(٤٣٤) الجرجاني: مرجع سابق. ولم يشر الجرجاني الى القصيدة فيما أشار اليه من شعر أبي الطيب الذي يستحق عليه قصب السبق، ص ١٠١ ـ ١٦٠.

(٤٣٥) د. دسوقي: مرجع سابق، ص ـ ٧٧.
(٤٣٦) د. دسوقي: المرجع السابق، ص ١١١ ـ ١١٧.
(٤٣٧) الديوان: ص ـ ١٦٨.
والمعري: ج ـ ٢، ص ٢٣٥. ق ـ ٩٩.
(٤٣٨) الواحدي: مرجع سابق، ص ـ ٢٥١.
والمعري: ج ـ ٢، ص ـ ٢٣٥، ق ـ ٩٩.
والعكبري: ج ـ ٢، ص ـ ١٤١، ق ـ ١١٦.
(٤٣٩) اليازجي: ج ـ ١، ص ١٦٨.
ـ البرقوقي: ج ـ ٢، ص ـ ٢٤٥.
ـ حاوي: مرجع سابق. ص ـ ١٦٧.
(٤٤٠) خالد علي مصطفى: مرجع سابق.
(٤٤١) د. عصام السيوفي: الانفعالية والابلاغية في البيان العربي. دار الحداثة، ١٩٨٦. ص ٢٤٩ ـ ٢٩٢.
(٤٤٢) دراسة قدمت لمهرجان المتنبي في بغداد. والآداب: العدد ١١، نوفمبر ١٩٧٧، السنة الخامسة والعشرون.
(٤٤٣) د. ريتا عوض: بنية القصيدة الجاهلية ـ الصورة الشعرية لدى امرىء القيس. دار الآداب ١٩٩٢.
ـ ود. كمال ابو ديب: جدلية الخفاء والتجلي ـ دراسات بنيوية في الشعر. دار العلم للملايين، ١٩٨٤.
(٤٤٤) الصنوبري، احمد بن محمد بن الحسن الطبي: ديوان الصنوبري، من الراء الى القاف، تحقيق إحسان عباس. دار الثقافة ـ بيروت، ١٩٧٠.
ـ ود. عبد الرحمن عطبة: الصنوبري ـ شاعر الطبيعة. الدار العربية للكتاب، ١٩٨١.
(٤٤٥) الخالديان: ديوان الخالديين، أبي بكر محمد، وأبي عثمان سعيد، ابني هاشم الخالدي. مجمع اللغة العربية بدمشق، ج و ت، د. سامي الدهان، ١٣٨٨ ـ ١٩٦٩.
(٤٤٦) السري الرفاء: الديوان، ت و د. حبيب حسين الحسني. (جزآن). دار الرشيد للنشر.
ـ ود. حبيب حسين الحسني: السري الرفاء ـ حياته وشعره. ط/١، سنة ١٩٧٧، ص ـ ٩٧.
(٤٤٧) د. حبيب حسين الحسني: المرجع السابق، ص ـ ٢٤٢.
(٤٤٨) أ. حنا فاخوري: تاريخ الادب العربي. ص ـ ٢٤٨.
(٤٤٩) أ. حنا فاخوري: المرجع السابق، ص ـ ٢٥٥.
(٤٥٠) الديوان: ص ـ ٣٣١.
المعري ج ـ ٣، ص ـ ٢٤٧، ق ـ ١٩٤

(٤٥١) الديوان: ص ـ ٥٠٩.
المعري: ج ـ ٤، ص ـ ١٩٠، ق ـ ٢٦٩.
(٤٥٢) وقد أشار الى ذلك بعض نقاده، يراجع:
ـ العميدي: مرجع سابق، ص ـ ٦٣.
(٤٥٣) د. ابراهيم عوض: لغة المتنبي. دراسة تحليلية. مطبعة الشباب الحر ومكتبتها، سنة ٨٧ الباب الأول، ص ـ ٩، الباب الثاني، ص ـ ٧٩، الباب الثالث، ص ـ ٩٧، الباب الرابع، ص ـ ١٥١.
(٤٥٤) محمد حسين ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب، الى نهاية القرن الثالث. دار مكتبة الحياة. ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠، ص ـ ٤٢. وكان الخلفاء والأشراف والقادة يرسلون ابناءهم الى البادية لاكتساب «فصاحة اللسان وقوة الجنان وسلامة الابدان»، وقال: الخليفة عبد الملك «أضر بنا حبنا للوليد فلم نرسل للبادية»، ص ـ ٤٢.
(٤٥٥) د. السيد محمد ديب: الغموض في شعر أبي تمام. دار الطباعة المحمدية. ١٤١٠ ـ ١٩٨٩، الالفاظ الحوشية الغامضة، ص ٦٣ ـ ٦٩، والشذوذ اللفظي، ص ٦٩ ـ ٧٢. وهذا ما نجده لدى الصنوبري، مثلاً، ولدى معظم الشعراء، قبل أبي الطيب وبعده.
(٤٥٦) ومع الأسف، فليس هناك دراسات متخصصة في هذا الموضوع.
(٤٥٧) الديوان: ص ـ ٦٦.
والمعري: ج ـ ١، ص ٢٣٨ ق ـ ٢٤٥ ب ـ ٢٤.
(٤٥٨) د. ابراهيم السامرائي: من معجم المتنبي ـ دراسة لغوية تاريخية. الجمهورية العراقية، وزارة الاعلام ـ ١٩٧٧. ص ٤٨ ـ ٤٩.
(٤٥٩) الديوان: ص ـ ١٥.
والمعري: ج ـ ١، ص ـ ٢٤٥ ق ـ ٢٥ ب ـ ٢.
(٤٦٠) د. السامرائي: مرجع سابق، ص ـ ١١٣.
(٤٦١) الديوان، ص ـ ٣٧٠.
والمعري: ج ـ ٣، ص ـ ٣٧٢، ق ـ ٢٢٠.
وابن جني: الفسر. ج ـ ٢، ص ـ ٢٥٠، ق ٥٦.
(٤٦٢) الديوان، ص ـ ٣١٦.
والمعري: ج ـ ٣، ص ـ ١٩٣، ق ـ ١٨٩.
(٤٦٣) د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص. عالم المعرفة. رقم ١٦٣، ١٩٩٢، ص ٥٦ ـ ٥٧.
(٤٦٤) البرقوقي: مرجع سابق، ج ـ ٢، ص ١٢٠ ـ ١٢١.
(٤٦٥) تحدث كل الشراح عن كلمة مخشلب، وانها غير عربية، وأثير نقد كثير حولها، وعدت من المآخذ على أبي الطيب. واعتبر أبو هلال العسكري أن «المختار من الكلام، ما كان سهلاً

= جزيلاً، لا يشوبه شيء من كلام العامة، والفاظ الحوشية، وما لم يخالف فيه الاستعمال. وانتقد العسكري أبا الطيب: ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر. بتحقيق مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، ص ـ ١٦٧.

(٤٦٦) حول الشبيهات والاستعارات:
ـ العكبري: مرجع سابق، ج ١ ـ ٢، ص ـ ٧٣، و١٠٥ و١٠٦.
ـ المعري: مرجع سابق، ج ـ ١، ص ـ ١٠٨، ١٧١، ١٩٦، ج ـ ٢، ص ـ ٤٣٣.
ـ ابن فورجة: مرجع سابق، ص ـ ١٧، ٦٧، و٧٥ و٨٥.

(٤٦٧) بكار: مرجع سابق، ص ـ ٣٠.
د. فتحي احمد عامر: من قضايا التراث العربي. دراسة نصية نقدية تحليلية مقارنة. منشأة المعارف ـ الاسكندرية، ص ـ ٩٤.

(٤٦٨) الديوان: ص ـ ١٤٤.
والمعري: ج ـ ٢، ص ـ ١٦١، ق ـ ٧٣.

(٤٦٩) البحتري: الديوان، دار صادر، المجلد الأول، ص ـ ٩٦.
وصالح حسن اليظي: البحتري، بين نقاد عصره. دار الأندلس، ص ـ ٨٣.

(٤٧٠) الديوان، ص ـ ٢٣٤، و ـ ٥٧٠.

(٤٧١) الديوان: ص ـ ٥٠٠، و٥٠٢، و٥٠٣، و٥٠٦.

(٤٧٢) زكي المحاسني: مرجع سابق، ص ـ ٢٦٢.

(٤٧٣) : الديوان، ص ـ ٤٤١.

(٤٧٤) وهذا ما نجده في المختارات، وفي شعره عامة.

(٤٧٥) د. عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي قزق. مدخل الى تحليل النص الأدبي. دار الفكر للنشر والتوزيع، سنة ١٩٩٢. ص ـ ٥٩.
وعباس: مرجع سابق، ص ـ ٩٨، و٢١٩.

(٤٧٦) كما جرى مع الصنوبري، مثلاً: الديوان، مرجع سابق.

(٤٧٧) الديوان، ص ـ ٥٤١.

(٤٧٨) الديوان: ص ـ ٢٥٦، و ٣٨٥ و ٤١٤.

(٤٧٩) الديوان: ص ـ ٢٣٤، و٥٧٠، و ١٣.

(٤٨٠) وقد أخذت عليه، واتهمه ابن سيده انه لا يفهم بعلم القوافي، وان كان يتقن العروض التقليدي جيداً، وله موسيقاه الخاصة، ما عدا بعض استثناءات ـ ابن سيده: مرجع سابق، ود. الجبوري: مرجع سابق، ص ـ ٦٥.

(٤٨١) الديوان: ص ـ ٣٨١.

(٤٨٢) ابن رشيق: العمدة، مرجع سابق، ص ٢٢ ـ ٢٧.

ـ ومحمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب. دار مكتبة الحياة ١٤٠٠ ـ ١٩٠٠. ص ـ ٨٥، و١٨٩ ـ ١٩٦.

ـ وأبو اسحق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني: زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق محمد علي البيجاوي، دار إحياء الكتب العربية ط/١ ـ ١٩٥٣، ص ـ ٥٩٢.

وأسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر ت. د. أحمد أحمد بدوي، و د. حامد عبد المجيد مراجعة الأستاذ ابراهيم مصطفى. منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي. الادارة العامة للثقافة. ج. ع. م. الاقليم الجنوبي. ص ٦١ ـ ٦٧ و ١١٦.

(٤٨٣) الديوان، ص ـ ٣٣، ٤١، ٩٧، ٣٣٦.

(٤٨٤) د. محمد فتوح احمد: مرجع سابق، ص ـ ١٣٨.

(٤٨٥) د. دسوقي: مرجع سابق، ص ـ ١٠.

الكتاب الثاني

المختارات

هذه المختارات

وجدنا، بعد دراسة شعر أبي الطيب، أن فيه ما هو أحق أن يُقرأ، وما هو أحق أن يبقى. ولذلك أعددنا هذه المختارات. ولا نعرف الى أي مدى، نجحنا في الاختيار. ولكنا على ثقة بأننا بذلنا الجهد الكافي لدراسة شعر أبي الطيب وتذوقه، واختيار ما رأيناه جديراً بالاختيار منه..

والمختارات تمثل شعره في كل المراحل، منذ بدأ يكتب الشعر، حتى مقتله. الا أن القسم الأكبر من المختارات، من شعره وهو مع سيف الدولة، وليس ذلك غريباً، لأن هذا الشعر أعظم شعره، كما يجمع النقاد والشراح والقراء المتذوقون.

وتضم المختارات مختلف ألوان شعره.

وقد اعتمدنا في ترتيبها الترتيب الذي اعتمده أبو الطيب. وهو ترتيب زمني تاريخي، مع قليل من التداخل، ناتج عن أن أبا الطيب، حاول أن يلحق قصائد، قيلت في تاريخ معين، كقصيدته التي قالها، في سيف الدولة، سنة ٣٢١ بالسيفيات. ولكن ذلك حدث اكثر من مرتين على الأرجح. ١ـ ذكرى الصبا ومراتع الآرام (المعري: ج ـ ٣، ص ـ ٥١٦، ق ـ ٢٣٤). وكانت القصيدة قد قيلت سنة ٣٢١، ولكنها ألحقت بالسيفيات. ٢ـ ومُنْتَسِب عندي الى من أحبه (المعري: ج ـ ٢، ص ـ ٥٣٧، ق ـ ١٥٩). وقد قيلت، سنة ٣٤١، فالحقت بقصائد أبي العشائر التي قيلت، سنة ٣٣٧. وهناك وجهات نظر في قصيدتين أخريين[١].

واخترنا من بعض القصائد أبياتاً، ولكنا حددنا القصيدة التي اخترنا منها، وموقعها، والأبيات التي اختيرت.

وحاولنا أن نقدم للقصائد بمقدمات، حسب الحاجة، والمعلومات المتوافرة. الاّ أننا هنا لم نوفق تماماً، لأننا لا نملك اسماء المواقع الراهنة للأسماء التي وردت في القصائد، ولا خرائط جغرافية وتاريخية لها. كما أن العديد من الأسماء التي وردت، لا توجد معلومات عنها، أو لا توجد معلومات تكشف حقائق جديدة. ورغم ذلك فقد حاولنا جهدنا، وسنواصل.

وحددنا، مع كل قصيدة، ثلاثة مراجع، يعود القارئ اليها، وهي : ١ـ شرح المعري، ٢ـ شرح العكبري، ٣ـ الديوان. وهي مراجع حددنا ناشريها وتاريخ نشرها، في القسم الأول من الكتاب. ويعتمد الأول منها الترتيب التاريخي

١ـ عزام : ذكرى أبي الطيب. مرجع سابق، ص ٢٧ـ٢٨.

لكتابة القصائد، ويرقمها حسب ورودها. بينما يعتمد الثاني ترتيب القصائد على أساس ألف باء القوافي. أما الثالث، فهو يعتمد الترتيب الأول، دون ترقيم.

وعلى هذه المراجع اعتمدنا في الشرح أساساً، واقتبسنا من النص او من روحه. ولكنا اعتمدنا أيضاً على مراجع أخرى كالواحدي والافليلي، وعدنا الى مراجع تاريخية متعددة في كتابة المقدمات[٢].

واعتمدنا ترقيم الأبيات ، كما لدى المعري والعكبري.

أما الشرح، فقد اعتمدنا الايجاز الشديد فيه، مكتفين بشرح الكلمات التي رأينا انها غير مفهومة، والمعاني التي رأيناها دقيقة أو ملتبسة فقط، دون أن ندعي أنا شرحنا كل ما يحتاج الى الشرح. وقد تركنا للقارئ أن يُدقق، وأن يصل الى الفهم والاحاطة.

ان كل شعر أبي الطيب جدير بالبحث والدراسة والتذوق. ولكن عمل الناقد والمتخصص شيء، وعمل القارئ المتذوق، شيء آخر ، خاصة اذا كان يقرأ شعراً قيل قبل ألف عام.

وأملنا أن نكون قد أحرزنا بعض التقدم في تقديم أبي الطيب للقارئ العربي.

ناجي علوش

٢ـ اعتمدنا في ذلك :

أ ـ المعري : معجز أحمد .

ب ـ اسماعيل، أبو الفداء : اليواقيت والضرب، في تاريخ حلب.
المحققان : محمد كمال وفالح البكور. دار القلم العربي ـ حلب ١٤١٠ ـ ١٩٨٩.

جـ ـ علي بن ظافر الأزدي : أخبار الدولة الحمدانية، بالموصل وحلب وديار بكر والثغور، حققته، وقدمت له : تميمة الرواف، سنة ١٤٠٦ ـ ١٩٨٥، دار حسان.

د ـ تيودور بيشوف : تحفة الأنباء في تاريخ حلب الشهباء.
تحقيق د. شوقي شعث وفالح البكور، سنة ١٩٩٢.

هـ ـ د. زكي المحاسني : شعر الحرب في أدب العرب. مرجع سابق.

و ـ د. مصطفى الشكعة : سيف الدولة الحمداني ، أو مملكة السيف، ودولة الأقلام، عالم الكتب ـ بيروت ـ مكتبة المتنبي. القاهرة ١٩٧٧. ط/٢.

ز ـ محمـود حسـن عبد ربه أبـو ناجي الحرب في شعر المتنبي ـ مرجع سابق.

ح ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ. مرجع سابق.

ط ـ جمال الدين ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة مرجع سابق.

٣ـ حسين الواد : مدخل الى شعر المتنبي، مرجع سابق . ص ـ ٨٤.

ود. عصام السيوفي : الانفعالية والابلاغية في البيان العربي. دار الحداثة سنة ١٩٨٦. ص ـ ٢٤٩.

والشيخ الامام شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي : معجم البلدان ـ دار صادر ودار بيروت.

أبلى الهوى

من أولِ الشعر الذي قاله في صباه. وهي من العراقيات الأولى*

١ـ أبلى الهوى أسفاً يومَ النوى بَدَني وفَرّقَ الهجرُ بين الجفن والوَسَنِ
٢ـ روحٌ تَردّدُ في مِثْلُ الخلالِ إذا أطارتِ الريحُ عنه الثوبَ لم يَبنِ(١)
٣ـ كَفى بجسمي نُحولاً أنّني رَجَلٌ لولا مُخاطبتي إيّاكَ لَمْ تَرَني

---

* المعري : ج ـ ١، ص ـ ٩، ق ـ ١.
والعكبري:ج ـ ٤ ، ص ـ ١٨٥، ق ـ ٢٦٣.
والديوان: ص ـ ٧.

١) الخلال: عود دقيق تخلل به الأسنان، ويروى أيضاً الخيال عن أبي الفضل العروضي، عن أبي بكر الشعراني خادم المتنبي.

لا تحسن الوفرة

قالها وهو في المكتب. وقد قيل له : ما أحسن هذه الوفرة!. وهي من العراقيات الأولى *.

١ـ لا تَحْسنُ الوفرة حَتّى تُرَى مَنْشُورَةَ الضَفْرين يَوْمَ الْقِتَالْ(١)
٢ـ عَلَى فَتَى مُعْتَقِلٍ صَعْدةً يُعَلُّها مِنْ كُلِّ وَافي السِبالْ(٢)

---

* المعري : ج ـ ١، ص ـ ٣٨، ق ـ ٣.
والعكبري: ج ـ ٣، ص ـ ١٥٩، ق ـ ١٩٣.
والديوان: ص ـ ١١.

١) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس، والضفر الخصلة المضفورة.

٢) الصعدة : الرمح القصير، ويُعلها: يسقيها، والسبال : الشوارب.

ويقول المعري : «من عادة العرب انهم يكشفون عند الحرب رؤوسهم، وينشرون شعورهم، وهو (أي المتنبي) يظهر من نفسه حب الحرب، تنبيها على شجاعته». ويضيف المعري : «لا تحسن هذه الوفرة، حتى ترى منشورة يوم القتال، وقد أمسكت برمحي، أسقيه من دم «وافي السبال»، أي طويل اللحية (المعري : ج ـ١، ص ٣٨ ـ ٣٩).

محبي قيامي

من قصائد الصبا، ومن العراقيات الأولى*

١ـ مُحبّي قِيامي ما لذلِكُم النصلِ بريئاً من الجرحى سليماً من القَتْلِ(١)
٢ـ أرَى مِنْ فِرِنْدي قِطْعةً في فِرِنْدِهِ وجودة ضَرْبِ الهامِ في جُودة الصَقْلِ(٢)
٣ـ وَخُضْرَةَ ثَوْبِ العَيْشِ في الخُضْرَةُ الّتي أرتكَ احمِرارَ المَوْتِ فِي مَدْرج النَمْلِ
٤ـ أمطْ عَنْكَ تَشْبيهي بِما وكأنّه فَما أحدٌ فَوْقي وَلا أحدٌ مِثْلِي
٥ـ وذَرْني وإيّاهُ وطِرْفي وذَابلي نَكُنْ واحداً يَلْقى الوَرَى وانْظُرنْ فِعلي(٣)

---

* المعري: ج ـ ١، ص ـ ٤٠، ق ـ ٤.
والعكبري: ج ـ ٣، ص ـ ١٦٠، ق ١٩٤.
والديوان: ص ـ ١٤.
١) قيامي، أي اعلاني الثورة.
٢) فرند السيف: جوهره. والهام: الرؤوس.
٣) الطِرْف: الفرس. والذابل: الرمح.

فثب واثقاً بالله

وقال في صباه، وهي من العراقيات الأولى *.

١ـ إلى ايّ حِينٍ أنتَ فِي زيّ مُحِرمِ وَحَتّى مَتَى فِي شَقْوةٍ وإلَى كَمِ(١)
٢ـ وإلا تَمُتْ تَحْتَ السُيوفِ مُكَرماً تَمُت وَتُقاسِ الذُلَّ غيرَ مُكَرّم
٣ـ فَثِبْ واثقاً بالله وَثْبةَ ماجِدٍ يَرى الموتَ في الهَيْجا جَنَى النَحْلِ في الفَمِ(٢)

---

* المعري : ج ـ ١، ص ـ ٥٤ ، ق ـ ٦.
والعكبري : ج ـ ٤، ص ـ ٣٣، ق ـ ٢٣٢.
والديوان: ص ـ ١٦ .
١) زي محرم : اي لابس ثياب الاحرام، وقاعد عن القتال.
٢) الهيجا : اي الهيجاء، يعني الحرب.

عش عزيزاً

من شعر الصبا، وهي أول قصيدة تبرز خطه، وتعلن موقفه بهذا الوضوح، ومن الشاميات الأولى*.

ـ ١ ـ

١ـ كَم قَتيلٍ كَما قُتِلْتُ شَهِيدِ ببياض الْطُّلى وَوَرْدِ الخُدُودِ(١)

٢ـ وَعُيونِ المَها ولا كَعُيونٍ فَتَكَتْ بالمُتَيّم المَعْمُودِ(٢)

٣ـ درّ دَرُّ الصِّبا أأيّامَ تَجْريرِ ذُيولِي بِدَار أَثْلَةَ عُودي(٣)

٤ـ عمَرك اللهَ هَلْ رأيتَ بُدوراً طَلَعت في بَراقعٍ وعُقودِ

٥ـ رَاميات بأسْهُم ريشُهَا الهُدْ بُ تَشقُّ القُلوبَ قَبْلَ الجُلودِ

٦ـ يَتَرشّفنَ مِن فَمي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيه أحلى مِن التَوْحِيدِ

٧ـ كَلُّ خَمْصَانةٍ أرقُّ مِن الْخَمْر بِقَلبٍ أقسى مِن الجُلْمودِ(٤)

٨ـ ذَاتُ فَرْع كأنّما ضَرَبَ العَنْبرُ فِيه بِمَاءِ وَرْدٍ وَعُودِ(٥)

٩ـ حالكٍ كالغُدافِ جَثْلٍ دَجُوجيّ أثيثٍ جَعْدٍ بِلاَ تَجْعِيدِ(٦)

---

* المعري : ج ـ ١، ص ـ ٦٩، ق ـ ٨.
العكبري : ج ـ ٢١ ص ـ ٣١٣، ق ـ ٦٣.
والديوان: ص ـ ١٩.

١) الطلى : الأعناق.
٢) المعمود : الذي أضناه الحب.
٣) دار أثلة : موضع بظاهر الكوفة.
٤) الخمصانة : الرشيقة الخصر .
٥) الفرع : الشعر، والعود: نوع من الطيب.
٦) الغداف : الغراب، الجثل: الكثيف الملتف، دجوجي: مظلم، الأثيث : الكثيف.

١٠ـ تَحْمِلُ المِسْكَ عن غَدائِرِها الريـ ـحُ وتَفْتَرُّ عَن شَنيبٍ بَرودِ(٧)
١١ـ جَمَعت بينَ جِسْمِ أحْمَدَ والسُّقْـ ـمِ وبينَ الجُفونِ والتَسْهيدِ

ـ ٢ ـ

١٢ـ هَذِهِ مُهْجَتي لَديْكِ لِحَيْني فانْقُصي مِنْ عَذابِها أوْ فَزيدي(٨)
١٣ـ أهلُ مابِي مِن الضَّنى بَطَلٌ صِيدٌ بِتَصْفيف طُرةٍ وبَجيدِ(٩)
١٤ـ كلُّ شيءٍ مِن الدِّماءِ حَرامٌ شُرْبُه مَا خَلا ابْنَةَ العُنْقُودِ
١٥ـ فاسْقِنيها، فِدىً لِعَيْنيكَ نَفْسي مِنْ غَزالٍ، وطَارِفي وتَليدي(١٠)
١٦ـ شَيْبُ رأسِي وذِلّتي وتُحولي ودُمُوعي عَلى هَواكَ شُهودي
١٧ـ أيَّ يَوْمٍ سَرَرْتَني بِوصَالٍ لَمْ تَرُعْنِي ثَلاثَةً بِصُدودِ

ـ ٣ ـ

١٨ـ مَا مُقامي بأرضِ نَخْلَةَ إلاّ كَمُقَام المَسيحِ بَيْنَ اليَهُودِ
١٩ـ مَفْرَشي صَهْوةُ الحِصانِ ولَكنَّ قَميصي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَديدِ
٢٠ـ لاَمةٌ فَاضَةٌ اضاةٌ دِلاصٌ أحْكَمَتْ نَسْجَها يَدا دَاودِ(١١)
٢١ـ أيْنَ فَضْلِي إذَا قَنِعْتُ مِن الدَّهْرِ بِعيشٍ مُعجَّلِ التَنْكِيدِ
٢٢ـ ضَاقَ صَدْري، وَطالَ في طَلَبَ الرِزْ قِ قِيامي، وَقَلَّ عَنْه قُعودِي

---

٧) الغدائر: خصل شعر الرأس، الشنيب : العذب، وهي صفة للفم.
٨) الحين : الهلاك .
٩) الطرة : الناصية .
١٠) الطارف : الحديث، والتليد : القديم.
١١) لامة: الدرع، ملتئمة الصنعة. فاضة : واسعة. أضاة: صفة الغدير، ويريد أنها صافية. الدلاص: الملساء وداود اي داود بني اسرائيل، حسب التوراة، لأن هناك من يقول بأنه اول من صنع الدروع.

٢٣ـ أبَداً أقْطَعُ البِلادَ وَتَجْمي فِي نُحوسٍ وَهِمَّتي في سُعودِ
٢٤ـ وَلَعَلّي مُؤَمِّلٌ بَعْضَ مَا أَبْلُغُ باللُّطْفِ مِنْ عَزيزٍ حَميدِ
٢٥ـ لِسَرِّي لِباسُه خَشِنُ القُطْنِ ومرويٌّ مَرْوَ لبسُ القرودِ(١٢)

ـ ٤ ـ

٢٦ـ عِشْ عزيزاً أو مُتْ وأنتَ كريمٌ بَيْنَ طَعْنِ القَنَا وَخَفْق البنودِ
٢٧ـ فَرؤوس الرماحِ أذْهَبُ للغيظِ وأشْفَى لِغِلِّ صَدْرِ الحَقودِ
٢٨ـ لاَ كَما قَدْ حَييتَ غَيرَ حَميدٍ وإذا متَّ مُتَّ غَيْر فَقيدِ
٢٩ـ فاطْلُبِ العِزَّ فِي لَظَىً وَدعِ الذُّلَّ وَلَوْ كَانَ فِي جِنان الخُلودِ
٣٠ـ يُقْتَلُ العَاجِزُ الجَبانُ وَقَدْ يَعْجَزُ عَنْ قَطْعُ بُخْنُقِ المَولودِ(١٣)
٣١ـ ويُوقّى الفَتى المِخشُّ وَقَدْ خَوّ ض فِي مَاء لَبَّةِ الصِنْديدِ(١٤)

ـ ٥ ـ

٣٢ـ لا بِقومي شَرُفْتُ بَلْ شَرفوا بي وبِنَفْسي فَخَرْتُ لاَ بجُدودي
٣٣ـ وَبِهِمْ فخرُ كلِّ مَنْ نَطَق الضا دَ وَعوذُ الجاني وَغَوْث الطريدِ
٣٤ـ إن أكُنْ مُعْجباً فَعُجْب عجيبٍ لم يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِه مِن مزيدِ
٣٥ـ أنا تِربُ الندى وَربُّ القوافي وَسِمامُ العِدى وَغَيْظُ الحَسودِ(١٥)
٣٦ـ أنا فِي أمّةٍ تَدارَكَهَا اللّهُ غَريبَ كَصالحٍ فِي ثَمود(١٦)

---

١٢) مرويّ : نسيج رقيق يصنع في مرو ببلاد فارس.
١٣) البخنق : خرقة يغطى بها الرأس، وتربط تحت الحنك.
١٤) المخش : الجريء ، اللبة : اعلى الصدر.
١٥) ترب: لدة، وسمام جمع سم.
١٦) ثمود : من العرب البائدة، وصالح نبي ظهر فيهم.

ومن جاهل بي

من شعر الصبا، ومن الشاميات الأولى *.

١ـ قِفا تَريا وَدْقي فَهاتَا المَخايِلُ وَلا تَخْشَيا خُلْفاً لِما أنا قائلُ(١)

٢ـ رَماني خِساسُ الناسِ مِن صَائِبِ استِه وآخَرَ قُطْنٌ من يَديه الجَنادِلُ(٢)

٣ـ ومِنْ جَاهِلٍ بِي وَهْوَ يَجْهلُ جَهْلَه وَيَجْهَلُ عِلْمي أنّه بِيَ جاهلُ

٤ـ ويَجْهَلُ أنّي مالكُ الأرض مُعْسِرٌ وأنّي على ظَهرِ السِّماكين راجِلُ

٥ـ تُحقِّر عِنْدي هِمّتي كلَّ مَطْلَبٍ وَيَقْصُر في عَيني المَدى المُتَطاوِلُ

٦ـ وما زِلتُ طوداً لا تزولُ مَناكبي الى أنْ بَدَت للضيمِ فيَّ زلازلُ

٧ـ فَقَلْقَلْتُ بالهمّ الذي قلقلَ الحِشَا قَلاقِلَ عِيسٍ كُلُّهُنَ قَلاقِلُ(٣)

٨ـ إذا الليلُ وارانا أرتنا خِفافُها بقَدْحِ الحَصى ما لا تُرينا المَشاعِلُ

٩ـ كأني من الوجنّاءِ في ظَهْرِ مَوْجَةٍ رَمَتْ بي بحاراً ما لَهُنَّ سَواحِلُ(٤)

١٠ـ يُخَيّلُ لي أنَّ البِلادَ مسامعي وأنيَّ فيها ما تقولُ العواذلُ

١١ـ ومن يبغِ ما أبغي من المَجْدِ والعُلى تَساوَ المَحايي عِنْدَه والمَقاتِلُ

---

* المعري : ج ـ ١، ص ـ ١٢٤، ق ـ ١٩.

والعكبري : ج ـ ٣ ، ص ١٧٤ ، ق ـ ١٩٧.

والديوان: ص ـ ٣٤.

١) الودق : المطر، المخايل : السحب المبشرة بالمطر.

٢) صائب استه : الذي يرمي فيصيب استه، والجنادل: الصخور التي شبهها بالقطن.

٣) العيس : الابل ، قلاقل : سريعة

٤) الوجناء : الناقة الشديدة، ويقصد بالبحار الصحاري.

١٢ـ ألا ليستِ الحاجاتُ إلا نفوسَكُم ولـيـــسَ لَنـا إلاّ السُّيُوفَ وَسائِـلُ

١٣ـ فـمـا وَرَدت روحَ أمريءٍ روحُـه له ولا صَدَرت عـن باخـلٍ وَهْـوَ بـاخـلُ

١٤ـ غـشاشـةُ عـيـشي ان تَـغَـثَّ كرامتـي ولـيـس بـغَـثٍّ أنْ تـغـثَّ الـمـآكِـلُ

لقد تصبرتُ حتى لات مصطبرُ

من شعر الصبا، ومن الشاميات الأولى *.

ـ ١ ـ

١ـ ضيفٌ ألمَّ برأسي غيرَ محتَشِمٍ . السيفُ أحسنُ فِعلاً مِنه باللِّمَم (١)
٢ـ إبعِدْ بَعِدْتَ بياضاً لا بياضَ لَهُ لأنتَ أسودُ في عيْني مِن الظُلَمِ
٣ـ بحبِّ قاتلتي والشيبِ تَغْنِيتي هوايَ طِفْلاً وَشَيْبي بَالغَ الحُلُمِ
٤ـ فما أمرّ برسمٍ لا أسائِلُه ولا بذاتِ خمارٍ لا تريقُ دَمِي(٢)
٥ـ تَنَفَّستْ عنَ وفاءٍ غيرِ مُنْصَدِع يومَ الرحيلِ وشَعْبٍ غيرِ مُلْتئمِ
٦ـ قبّلتُها ودموعي مزجُ أدْمُعِهَا وَقَبّلتني على خوفٍ فماً لِفَمِ
٧ـ قد ذُقْتُ ماء حَياةٍ من مُقَبَّلها لو صابَ تُرباً لأحيا سالفَ الأمَمِ
٨ـ ترنو اليَّ بعين الظبي مُجْهِشةً وَتَمْسحُ الطَلَّ فَوْقَ الوَرْدِ بِالعَنَم(٣)
٩ـ رويدَ حُكمِكِ فينا غَيْرَ مُنْصِفةٍ بالنّاس كُلّهم أفْدِيكَ مِنْ حَكَمِ
١٠ـ أبديتِ مثلَ الذي أبْدَيْتُ مِنْ جَزَعٍ وَلَمْ تُجنّي الذي أجْنَنْتُ مِنْ أَلَمِ
١١ـ اذنْ لَبَزِّكِ ثوبَ الحسنِ أصْغَرُهُ وَصرتِ مِثلَيَ في ثوبين من سَقَمِ(٤)

---

* المعري: ج ـ ١ ، ص ـ ١٢٩، ق ـ ٢٠.
والعكبري: ج ـ ٤ ، ص ـ ٣٤، ق ـ ٢٣٣.
والديوان: ص ـ ٣٦.

١) اللمم، جمع لمة : الشعر.
٢) الخمار : غطاء رأس المرأة.
٣) الطل : الندى والمطر الخفيف،والعنم: شجر أحمر الثمر، وقد شبه أطراف اصابعها به.
٤) بزّ : سلب .

ـ ٢ ـ

١٢ـ ليسَ التَعَلّلُ بالآمالِ مِنْ أَرَبي ... وَلا القَناعةُ بالإقْلالِ مِنْ شِيَمي

١٣ـ وَلاَ أظنُّ بَناتِ الدَّهْر تَتْرُكني ... حَتّى تَسُدَّ عَليها طُرْقَها هِمَمي

١٤ـ لُم الليالِي التِي أخْنتْ عَلى جِدَتي ... بِرِقّةِ الحَالِ وأعْذُرْني وَلاَ تَلُمِ(٥)

١٥ـ أرىَ أناساً وَمحَصُولي عَلى غَنَمٍ ... وَذِكْرَ جُودٍ وَمَحْصولي عَلى الكَلِمِ

١٦ـ وربَّ مَال فَقيراً من مُرؤَتِه ... لم يُثْر مِنْها كَما أثرى مِن العُدُمِ

ـ ٣ ـ

١٧ـ سَيَصْحَبُ النَّصْلُ مِني مِثْلَ مَضْربه ... وَيَنْجَلي خَبَري عِنِ صَمةِ الصَمَمِ(٦)

١٨ـ لَقَدْ تَصبّرتُ حَتّى لاَتَ مُصْطَبَرٌ ... فالآن أقْحَمُ حَتّى لاَتَ مُقْتَحَمِ

١٩ـ لأَتْرُكَنَّ وُجوهَ الخَيْلِ سَاهمةً ... والحربُ أقومُ مِنْ سَاقٍ عَلى قَدَمِ

٢٠ـ والطَعْنُ يَحْرقها والزُجرُ يُقْلِقها ... حَتّى كأنَّ بِها ضَرْباً من اللَّمَمِ(٧)

٢١ـ قد كَلَّمَتْها العَوالي فَهيَ كَالحةٌ ... كَأنما الصابُ مَذْرُورٌ على اللُجُمِ(٨)

٢٢ـ بكلِّ مُنْصَلِتٍ ما زالَ مُنْتَظري ... حَتّى أدلتُ لَهُ من دَوْلةِ الخَدَمِ(٩)

٢٢ـ شيخٌ يرى الصَلَواتِ الخَمْسَ نافِلةً ... وَيَسْتَحِلُّ دمَ الحُجّاجِ في الحَرَمِ

٢٤ـ وكلَّما نُطِحَت تَحْتَ العَجاجِ بِهِ ... أسْدُ الكَتائبِ رَامَتْه وَلَمْ يَرِمِ(١٠)

٢٥ـ تُنسي البِلادَ بُروقَ الجوِّ بارِقَتي ... وَتَكْتَفي بالدَّمِ الجاري عَنِ الدِيَمِ

---

٥) أخنى: أهلك، الجدة: المال.

٦) النصل : السيف، والصمة: الشجاع.

٧) اللمم : الجنون.

٨) كلّم : جرّح، العوالي: الرماح، الصاب: نبات مُرّ.

٩) المنصلت : الماضي في الأمور ، أدلت له : نصرته.

١٠) رام : زال .

ـ ٤ ـ

٢٦ـ رِدي حِياضَ الرَدَى يَا نَفْسُ واتَّرِكي حِياضَ خَوْفِ الرَدَى للشاءِ والنَعَمِ(١١)

٢٧ـ إنْ لَم أذُدْكِ عَلى الأرْماحِ سَائلةً فَلا دُعيتُ ابنَ أمّ المَجدِ والكَرَمِ

٢٨ـ أيملِكُ المُلْكَ والأسَيْافُ ظَامِئة والطَيْرُ جَائِعةٌ لَحْمٌ عَلى وَضَمِ(١٢)

٢٩ـ مَنْ لَوْ رآنيَ مآءً مَاتَ مِنْ ظَمَأ وَلَوْ عَرَضْتُ لَهُ فِي النَوْم لَمْ يَنَمِ

٣٠ـ مِيعَادُ كلّ رقيقِ الشفرتينِ غَداً وَمنْ عَصى مِن مُلوك العُرْب والعَجَمِ

٣١ـ فَإن أجَابُوا فَما قَصْدي بِها لَهُمُ وإنْ تَولّوا فَما أرْضَى لَهَا بِهُمِ

---

١١) حياض : جمع حوض، والنعم: الماشية، ويروى خياض (المعري: ج ـ ١، ص ـ ١٤١).

١٢) الوضم : خشبة الجزار.

أبا سعيد

عاتبه أبو سعيد المجيمري على ترك لقاء الملوك، فارتجل هذه القصيدة، وهي من الشاميات الأولى. وأبو سعيد هذا من بني المجيمر، من طي وسكان منبج*.

١ـ أبا سعيدٍ جَنّبِ العِتابا فَرُبَّ راءٍ خطأً صَوَابا

٢ـ فإنَّهُم قَدْ أكْثَروا الحُجّابا واسْتَوْقَفوا لِردّنا البَوابّا

٣ـ وإنّ حدَّ الصَارِمِ القِرضابا(١) والذَابِلاتِ السُمْرَ والعِرابا(٢)

تَرْفَعُ فِيما بَينَنا الحِجابا

---

* المعري : ج ـ ١، ص ـ ١٤٢، ق ـ ٢١.

والعكبري : ج ـ ١، ص ـ ١٠٥ ، ق ـ ٢٠.

والديوان: ص ـ ٣٩.

١) الصارم : القاطع ، والقرضاب كذلك، والصفة لحد السيف.

٢) الذابلات السمر : الرماح، والعراب : الخيل العربية.

أي محل أرتقي...

من شعر الصبا، قالها ارتجالاً، وهي من الشاميات الأولى*

١ـ أيَّ مَـحَـــلٍّ أَرْتَـقِـــي أيَّ عَـظـيـمٍ أَتَّـقـــي

٢ـ وَكُـلُّ مَـــا قَـدْ خَـلَـقَ الـلـهُ وَمَـا لَـمْ يَـخْـلِـقِ

٣ـ مُـحْـتَـقَـرٌ فِـي هِـمّـتِـي كَـشَـعْـرَةٍ فـي مَـفْـرِقِـي

---

* المعري : ج ـ ١، ص ـ ١٤٥، ق ـ ٢٣.

والعكبري : ج ـ ٢ ، ص ـ ٣٤١، ق ـ ١٥٥.

والديوان: ص ـ ٤٠ .

دعوتك لما براني البلاء

اعتقل ابو الطيب حوالى سنة ٣٢٢ ، كما ترجح المراجع الأساسية . وكان عمره حوالى الثماني عشرة سنة : أي ثماني عشرة أو أكثر قليلاً، قبل وجوب الحدود عليه، كما يقول في القصيدة. وربما كان قد اعتقل سنة ٣٢١، أي قبل أن يتم الثامنة عشرة، بما يجعله غير خاضع لتطبيق الحدود.

وتختلط الروايات حول اعتقاله. فهناك من يقول أنه ادعى بأنه علوي حسني، ثم ادعى النبوة. ومن يقول بأنه ادعى النبوة في بادية السماوة. ويرى أبو العلاء أن قوماً وشوا به الى السلطان، وكذبوا عليه، وقالوا : «قد انقاد له خلق من العرب، وقد عزم على أخذ بلدك ، حتى أوحشوه منه، فاعتقله وضيق عليه».

وهذا ما ذهب اليه ابن جني والواحدي.

ويعود ابو العلاء ، فيذكر في رسالة الغفران، أن أبا الطيب لما حصل في بني عدي، حاول أن يخرج فيهم، وأنّ ما طمح اليه ابو الطيب، طمح اليه من هم دونه. وهذا يعني أنه طمح بالملك.

وقد خرج اليه لؤلؤ أمير حمص الأخشيدي : «فقاتله وأسره، وشرّد من كان اجتمع اليه من كلب وكلاب وغيرهما من القبائل»، وأودعه السجن. ويبدو أنه ظل في الحبس مدة سنتين، وأنه أطلق ، نتيجة التوسط له، ولكن بعد أن استُتيب.

وكتب ابو الطيب في السجن أربع مقطوعات شعرية، يصف فيها حاله، ومقطوعة أخرى يستعطف بها الأمير، وهذه القصيدة*.

---

* عزام : ذكرى، ص ٥٣ ـ ٦٦.

والمعري : ج ـ ١، ق ـ ٣١، ص ـ ١٩ ، وق ـ ٣٠ص ـ ١٨٨، و ج ـ ٤ ملحق الزيادات، ق ـ ٣، ص ٤٣١ـ٤٣٢، وق ـ ١٢، ص ـ ٤٣٧، ق ـ ٢١ و٢٢، ص ـ ٤٤٤.

والعكبري : ج ـ ١، ص ـ ٣٤١، ق ـ ٦٦.

والديوان: ص ـ ٥٣ .

دعوتك لما براني البلاء

_ ١ _

١ـ أيـا خـدّدَ اللـهُ وردَ الخـــدودِ وقـدَّ قـدودَ الحِسـانِ الـقـــدودِ(١)
٢ـ فـهـنَّ أسلـنَ دمـاً مُقْلتـي وَعـذّبـنَ قـلـبـي بـطـولِ الصُدودِ
٣ـ وكَمْ للـهـوى مـن فتىً مُدنَـفٍ وكـم للـنَّـوى مـن قـتـيـلٍ شـهـيـدِ

_ ٢ _

٤ـ فَوا حَسْرَتَا مَا أمرَّ الفـراقَ وأَعْلَـقَ نـيـرانَـه بـالـكُـبـــودِ
٥ـ وأَغْرَى الصَّبَابَةَ بالعَاشِقينَ وأقتـلـهـا لـلـمُـحـبِّ العَمـيـدِ
٦ـ وألهـجَ نـفـسـي لـغـيـرِ الخنـا بـحـبٍّ ذوات اللَّمَى والـنُـهـــودِ(٢)

_ ٣ _

٧ـ فـكـانـت وكـنّ فـداءَ الأمـيـرِ ولا زالَ مـن نـعـمـةٍ فـي مـزيـدِ
٨ـ لقـد حـالَ بالسيفِ دونَ الوَعيدِ وحَـالـت عَطـايـاهُ دونَ الـوعـودِ
٩ـ فـأنـجُـمُ أمـوالـهِ فـي النُّحُوسِ وأنْجُـم سُـؤَالِـهِ فِـي السُّعـــودِ
١٠ـ وَلَـوْ لَـمْ أخـفْ غَـيْـرَ أعـدائـه عَـلـيـه لَـبَـشّـرْتُـه بـالـخُـلـودِ
١١ـ رَمَـى حَلَـبـاً بِـنـواصـي الخُيولِ وسُـمْـرٍ يُـرِقْـنَ دَمـاً فـي الـصـعـيدِ(٣)

---

١) خدّد : شقق، وقدّ: قطع، والقدود ، جمع قد : القامة.
٢) الهج : أولع، والخنا : الفحش.
٣) السمر : الرماح، والصعيد : التراب.

١٢ـ وبيضٍ مسافرةٍ ما يُقِمْنَ لاَ فِي الرِّقَابَ ولاَ فِي الغُمودِ(٤)
١٣ـ يَقُدْنَ الفناءَ غداةَ اللقاءِ الى كلِّ جيْشٍ كَثيرِ العَديدِ
١٤ـ فَولّى بأشْياعِه الخَرْشَنيُّ كَشآءِ أحسَّ بزأر الأسودِ(٥)
١٥ـ يَرَونَ مِن الذُّعْر صَوْتَ الرِّياحِ صَهيلَ الجيادِ وَخَفْقَ البُنودِ

ـ ٤ ـ

١٦ـ فَمَنْ كَالأمير ابن بِنْتِ الأمَيرِ أو مَنْ كَآبائِه والجُدُودِ
١٧ـ سَعَوا للمَعالي وَهُمْ صِبْيَةٌ وَسَادوا وَجَادوا وَهُم في المُهودِ
١٨ـ أمالكَ رِقّي وَمَن شأنُهُ هِباتُ اللُجينِ وعِتْقُ العَبيدِ
١٩ـ دَعَوْتُكَ عِند انقطاعِ الرجاءِ فَالمَوْتُ مِنّي كَحَبْلِ الوَريدِ
٢٠ـ دَعَوْتُكَ لَمَّا بَراني البلى وأوهنَ رجليَّ ثِقْلُ الحَديدِ
٢١ـ وقد كانَ مَشْيُهُما في النعالِ فَقَدْ صَارَ مَشْيُهُما في القُيودِ
٢٢ـ وَكُنتُ مِن الناسِ في مَحْفلٍ فها أنَا فِي مَحْفلٍ من قُرودِ
٢٣ـ تُعجِّلُ فيَّ وجوبَ الحُدودِ وَحدّيَ قُبَيْلَ وجوبِ السجودِ(٦)

---

٤) البيض : السيوف، مسافرة : أي دائمة الحركة .

٥) الخرشني : والي حلب. منسوب الى خرشنة، من بلاد الروم، وبالنسبة لبدر الخرشني، يراجع : ابن مسكويه: تجارب الأمم، المجلد الثاني، سنة ٣٢٩، ص ـ ١٧ و٢١، وسنة ٣٣٠ ، هامش ص ـ ٢٨.

٦) تُعَجِّل فيّ: اي تستعجل فيَّ. ويمكن ان تكون تَعَجَّلُ، أي : أتتعجل فيّ. والحدود لا تجب الا على البالغ. وهو يقول : انه غير بالغ، مع أن اعتقاله، حدث سنة ٣٢٢هـ او قريباً من ذلك، وأبو الطيب من مواليد ٣٠٣. فيكون عمره حوالي تسع عشرة سنة. وابن التسع عشرة بالغ. وهذا ما يؤكد ما ذهب اليه ابو العلاء (ج ـ ١، ص ـ ١٩٨)، والواحدي (ص ـ ٨٣) من أنه كان يُصغّر سنه، مع انه كان على أبواب البلوغ.

_ ٥ _

٢٤_ وقيلَ : عدوتُ على العالمينَ بينَ ولادي وبين القُعُودِ(٧)

٢٥_ فما لَكَ تَقْبَلُ زورَ الكَلامِ وَقْدرُ الشَهادة قَدْرُ الشُهُودِ

٢٦_ فلا تَسْمَعَنَّ مِنَ الكَاشِحينَ وَلاَ تَعْبَأنَّ بمَحْكِ اليَهودِ(٨)

٢٧_ وَكُنْ فَارِقاً بَيْنَ دَعْوى أردتُ وَدَعْوى فَعَلْتُ بِشَأْوٍ بَعيدِ

٢٨_ وَفي جُوْدِ كَفّيكَ مَا جُدْتَ لِي بِنَفْسِي وَلَوْ كُنْتُ أشْقى ثَمودِ(٩)

---

٧) ولادي: ولادتي. يقول : يتهمونني بأنني اعتديت على العالمين، بما نويت، وأنا ما زلت وليداً، وقبل ان استوي بالقعود، وهذا ما يُدل ان مشكلته في انتسابه لعائلة مؤهلة للسلطان.

٨) الكاشح : العدو. ومحك : اي لجاج. ويروى محل : اي السعاية. وهناك خلاف حول معنى يهود، لأن هناك كالمعري، (ج _ ١، ص _ ١٩٩) من يرى أنهم كانوا يهود ، ومن يرى كابن جني انهم لم يكونوا كذلك (الواحدي، ص ٨٤). ويبدو أن ذلك له علاقة بما اتهم به بعض قادة الاسماعيلية من أنهم يهود. وهو ما يكرره ابو الطيب في أكثر من مكان من ديوانه.

٩) ثمود : قوم من العرب البائدة. وأشقى ثمود : عاقر ناقة صالح.

أمثلي تأخذ النكبات منه

يرد على ابي عبدالإله معاذ بن اسماعيل اللاذقي، الذي نبهه الى اندفاعه. «وكان معاذ هذا يلومه على تعرضه للحروب في الأسفار»، كما يقول المعري*.

١ـ أبا عَبْدالإلهِ معاذُ : إنّي خفيٌّ عنكَ في الهيجا مُقامي(١)

٢ـ ذَكرتُ جسيمَ ما طَلَبي وَإنّا نخاطرُ فيه بالمُهَج الجِسامِ

٣ـ أمِثلي تأخُذ النَكَباتُ مِنْه وَيجْزعُ من مُلاقاة الحِمامِ(٢)

٤ـ وَلَوْ بَرزَ الزمانُ إليَّ شخصاً لَخَضّبَ شَعْر مَفْرِقه حُسامي(٣)

٥ـ وما بَلَغت مشيئَتها الليالي ولا سَارت وفي يَدِها زِمامي

٦ـ اذا امتلأتْ عُيونُ الخيلِ مِنّي فويلٌ في التيّقُظِ والمنامِ

---

* المعري : ج ـ ١، ص ـ ٢٠٠، ق ـ ٣٢. ويسميه المعري معاذ الصيدواني.
والعكبري : ج ـ ٢٤ ، ص ـ ٤٤ ، ق ـ ٢٣٤.
والديوان: ص ـ ٥١ .

١) الهيجاء : الحرب. وقد حذف الهمزة للضرورة.

٢) الحمَام : الموت .

٣) خضّب : اي صبغ ، ويقصد صبغه بدمه، والحسام : السيف.

جهلوني

بلَّغه رجل أن قوماً شككوا بنسبه، كما هو واضح. وهو ما لا تشير المراجع اليه، مكتفية بالقول بلغه عن قوم كلاماً*.

١ـ أنا عينُ المُسوّد الجَحْجاحِ هيّجتني كلابُكمْ بِالنُّباحِ(١)
٢ـ أيكونُ الهِجانُ غيرَ هجانٍ أم يَكونُ الصراحُ غيرَ صراحِ(٢)
٣ـ جَهِلوني وان عَمَرتُ قليلاً نَسَبتني لَهُمْ رؤوسُ الرماحِ

---

* المعري : ج ـ ١ ، ص ـ ٢٠٢، ق ـ ٣٣.
والعكبري : ج ـ ١ ، ص ـ ٢٤٢، ق ـ ٥٢.
والديوان: ص ـ ٥٥ .

١) الجحجاح : السيد، وعين المسوّد : اي أنا عين المدعو سيداً.

٢) الهجان : الكريم، والصراح : الخالص.

فموتي في الوغى عيشي

طلب منه صديقه أبو ضبيس أن يشرب فامتنع، وقال ارتجالاً*.

١ـ ألـذُّ مِـن المُـدامِ الخَنْدريـسِ وأحْـلى مِـنْ مُـعاطـاة الـكُـؤوسِ(١)
٢ـ مُـعاطـاةُ الصفـائـحِ والـعـوالـي وإقـحـامـي خـمـيـسـاً فـي خَميـسِ(٢)
٣ـ فـمـوتـي فـي الـوغى عيشي لأني رأيـت الـعَـيْـشَ فـي أرَبَ الـنُّـفُوسِ(٣)
٤ـ وَلَـوْ سُـقّـيْـتُـهـا بِـيـديْ نَـديـمٍ أُسَـرُّ بـه لَـكـانَ أبـا ضـبـيـسِ

---

* المعري : ج ـ ١، ص ـ ٢٠٣، ق ـ ٣٤.
والعكبري : ج ـ ٢ ، ص ـ ١٩١، ق ـ ١٢٨.
والديوان: ص ـ ٥٦ .

١) الخندريس: القديمة، اي الخمرة المعتقة.

٢) الصفائح : السيوف العريضة، والخميس : الجيش.

٣) قال ابن جني لأبي الطيب : كيف..؟ فقال ابو الطيب : «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل أحياء عند ربهم يرزقون» (المعري ج ـ ١، ص ـ ٢٠٤).
أما الواحدي فيفسر البيت كالتالي : «اذا قتلت في الحرب، فكأني قد عشت، لأن حقيقة العيش ما يكون فيما تشتهي النفس» (ص ـ ٨٦).

وعليّ ألا أشرب

قال ارتجالاً *.

١ـ لأحبَتي أنَ يَمْلأوا ... بالصَافِياتِ الأكْؤُبا

٢ـ وَعَلَيهِمُ أنْ يَبْذُلُوا ... وَعَليَّ ألاّ أشْرَبا

٣ـ حتى تَكونَ البَاتِرا ... تُ المُسمِعاتُ فأطرَبا(١)

---

* المعري : ج ـ ١، ص ـ ٢٠٥، ق ـ ٣٦.

والعكبري : ج ـ ١، ص ١٠٦، ق ـ ٢١.

والديوان: ص ـ ٥٧.

١) الباترات : السيوف . ويقول الواحدي (ص ـ ٨٧) : «يعني أنه يطرب على استماع صليل السيوف».

يحاذرني حتفي

وقال من قصيدة، يمدح بها الحسين بن اسحاق التنوخي، خلال اقامته عند التنوخيين، بعد سجنه. وكان التنوخيون قد توسطوا له للخروج من السجن. وقد مدح ايضا محمد بن اسحاق التنوخي، وعلي بن ابراهيم التنوخي*.

ومطلع القصيدة :

مـلام الـنـوى فـي ظـلـمـهـا غـايـة الظلـم
لـعـل بـهـا مـثـل الـذي بـي من السُقْم ..

والقصيدة مؤلفة من تسعة وثلاثين بيتاً. وقد اخترنا منها الأبيات ٨ و٩ و١٠و١١ و١٢.

١ـ يُحـاذِرُنـي حَتْفي كَأنَيَ حَتْفُـهُ
وَتَـنْـكُـزُنـي الأفَـعْـى فَيَـقْـتُـلُـهـا سُمّي(١)

٢ـ طِـوالُ الـرُديـنـيّـاتِ يَـقْـصِـفُـهـا دَمـي
وبِـيـضُ الـسـريجيّـاتِ يَـقْـطَـعُـهـا لَحْمي(٢)

٣ـ بَـرتَـنْـي الـسُـرى بَـرْيَ الـمُـدِى فردتّني
أخـفَّ عَـلـى الـمَـرْكـوبِ مِنْ نَفسي جرمي(٣)

---

* المعري : ج ـ ١ ، ص ـ ٢٨٢، ق ـ ٥٣.
والعكبري : ج ـ ٤، ص ٤٧، ق ـ ٢٣٧.
والديوان: ص ـ ٨٠.

١) الحتف : الموت، ونكزته الأفعى : اذا غرزته ولم تعضه.

٢) الرديني‍ات : الرماح، والسريجيات : السيوف.

٣) برتني : انحفتني. وجرمي : اي جسمي. ويعني ان جسمه صار أخف من نَفَسه.

٤ـ وأَبْصَرَ مِن زَرْقاءَ جَوّ لأنني
إذا نَظَرتْ عَيْنايَ شاءَهُما عِلْمي(٤)

٥ـ كَأنّي دَحَوْتُ الأرْضَ مِنِ خِبْرَتي بِهَا
كَأنّي بَنى الإسكَنْدرُ السدَّ مِن عَزْمي(٥)

---

٤) زرقاء جو : زرقاء اليمامة. وقصد ان علمه يرشد عينيه.

٥) دحوت : اي بسطتُ.

أفكر في معاقرة المنايا

وقال من قصيدة، يمدح بها علي بن ابراهيم التنوخي*. وقد اخترنا منها الأبيات ٣ ـ ٩. والقصيدة من ثلاثة وأربعين بيتاً. ومطلعها :

أُحادٌ أَمْ سُداسٌ فِي أُحادِ لُيْلَتَنا الْمنوطَةُ بالتَّنادي

١ـ أُفَكِّر في مُعاقَرة المَنايَا وَقَوْد الخيلِ مُشْرِفَة الهَوادي(١)

٢ـ زَعيماً للقنا الخطِّي عزْمي لِسَفْكِ دَمِ الحَواضِر والبَوادي(٢)

٣ـ الى كَمْ ذَا التخَلّفُ والتَواني وكَمْ هَذا التَّمادي في التَّمادي

٤ـ وشُغْل النَفْس عَنْ طَلَبِ المَعالي بِبَيْع الشِّعْر في سُوق الكسادِ

٥ـ وَما مَاضي الشبابِ بمستردٍّ وَلاَ يَوْمٌ يَمرُّ بِمُسْتَعادِ

٦ـ مَتَى لَحَظت بياض الشيب عَيْني فقد وَجَدَتْهُ مِنهْا في السوادِ(٣)

٧ـ مَتى ما ازددتُ مِن بَعْد التَناهي فَقَد وَقَع انتقاصي في ازدِيادِ(٤)

---

* المعري : ج ـ ١، ص ٢٩٨، ق ـ ٥٦.

والعكبري : ج ـ ١، ص ـ ٣٥٣، ق ـ ٧٠.

والديوان: ص ـ ٨٥.

١) معاقرة المنايا : ملازمتها. والهوادي، جمع هادية: العنق.

٢) القنا : الرماح.

٣) البياض في رأسه كالبياض في سواد عينه. والبياض هنا يعني العمى.

٤) اي بعد بلوغ الأربعين، وهي تناهي الأشد، تصبح كل زيادة نقصاناً.

وإنما الناس بالملوك

وقال يمدح علي بن ابراهيم التنوخي، ويصفُ بحيرة طبرية*. والقصيدة من أربعة وأربعين بيتاً، وقد اخترنا منها الأبيات ١ ـ ١١ و٣٢ـ٤١.

ـ ١ ـ

١ـ أَحَقُّ عَافٍ بِدَمْعِك الهِمَمُ أَحْدثُ شيءٍ عهداً بها القدمُ(١)
٢ـ وإنّما الناسُ بالمَلوكِ وَما تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلوكُها عَجَمُ
٣ـ لا أَدَبٌ عِنْدَهم وَلا حَسَبٌ وَلا عُهودٌ لَهُمْ وَلاَ ذِمَمُ
٤ـ بِكلِّ أرْضٍ وَطِئْتُها أُمَمٌ تُرْعَى بِعَبْدٍ كَأَنّها غنمُ
٥ـ يَسْتَخشِنُ الخزَّ حَيْنَ يَلْمَسه وكَانَ يُبْرى بِظُفْرِه القَلَمُ
٦ـ إنّي وإنْ لُمتُ حَاسِدِيَّ فَما أُنْكِرُ أنّي عُقوبةٌ لَهُمُ
٧ـ وكَيْفَ لا يُحْسد أمرؤ عَلَمٌ لَه على كلِّ هَامةٍ قَدَمُ
٨ـ تَهابُه أبْسَأ الرجالِ بِهِ وَتتقي حَدَّ سَيْفِهِ البُهَمُ(٢)
٩ـ كَفانيَ الذمَّ أنّني رَجُلٌ أكْرَمُ مَالٍ مَلَكتهِ الكَرَمُ
١٠ـ يَجْني الغِنى للئامِ لَو عَقِلوا مَا لَيْسَ يَجني عَليْهُمُ العَدَمُ(٣)
١١ـ هُمْ لأمْوالِهم وَليسَ لهُمْ والعارُ يَبْقى والجُرحَ يَلتَئِمُ

---

* المعري : ج ـ ١ . ص ٣٢٥، ق ـ ٥٨.
والعكبري : ج ـ ٤، ص ٢٥٨، ق ـ ٢٣٨.
والديوان: ص ـ ٩٣ .

١) أي : أن الهِمَم هي احق الطلول الدراسة بدمعك. لأن أحدث ما فيها قديم.

٢) أبسأ الرجال به : آنسهم به، ألْبُهَمُ : الشجعان.

٣) أي : ان اللئيم يبخل اذا غني، فيذم. أما اذا ظل معدماً، فلا أحد يلومه.

١٢ـ لـولاكَ لَـمْ أَتْـرُكِ البُحيـرةَ والـغَـوْرُ دَفيءٌ وَمـاؤُها شَـبِـمُ(٤)

١ـ والموجُ مِثْـلُ الفُحولِ مُزْبَدة تَـهْـدُرُ فِيـهـا وَمَـا بِـهـا قَطَمُ(٥)

١٤ـ والطيرُ فَوْقَ الحُبابِ تَحْسَبُها فُـرْسـانَ بُلْـقٍ تَخونُـها اللُجُمُ(٦)

١٥ـ كأنّـها والرياحُ تَضْرِبُهـا جَيْـشـا وغَـىً هَـازِمٌ وَمُنْهَـزِمُ

١٦ـ كأنّـها فِـي نَهارِهـا قَمَرٌ حَـفَّ بِـهِ مِـنْ جِنانِها ظُلَـمُ

١٧ـ نَـاعِـمَـةُ الجِسْم لاَ عِظامَ لَها لَـهـا بِـنَـاتٌ ومَا لَـهـا رَحِـمُ(٧)

١٨ـ يَبْقُـر عَنْهُنّ بطنَها أبداً وَمـا تَـشـكَّـى ولا يَـسـيـلُ دَمُ

١٩ـ تَغنَّتِ الطيرُ في جَوانبها وَجـادِتِ الـروضَ حَوْلَـهـا الديَـمُ

٢٠ـ فَهْـي كـمـاويّـة مُطَوَّقةٍ جُـرِّدَ عَـنْـهـا غِـشـاؤُهـا الأدَمُ(٨)

٢١ـ يَشينُها جَريُها عَلى بلدٍ يَـشـيـنُـه الأدَعـيـاءُ والقَـزَمُ(٩)

---

٤) شبم : بارد

٥) قطم : اي شهوة.

٦) حباب الماء : طرائقه. والبلق : الخيل البلق.

٧) لها بنات : اي فيها سمك.

٨) الماوية : المرآة.

٩) الادعياء : جمع دعي، والقزم : سقاط الناس.

والدنيا لمن غلب

وقال من قصيدة، يمدح بها المغيث بن علي بن بشر العجلي، ويرى الأستاذ محمود شاكر أنه قالها، سنة ٣٢٧ (المتنبي ـ ١/ ١٣٠) ويرى د. طه حسين أنها خير ما كتبه في انطاكية في هذه المرحلة، (مع المتنبي ـ ١٠٩). والقصيدة في تسعة وثلاثين بيتاً، اخترنا منها الأبيات ١ـ ١٠ و٣٣ـ٣٩.*

ـ ١ ـ

١ـ دَمْعٌ جَرى فَقَضى في الرَّبْعِ مَا وَجَبا
لأَهْلِهِ وَشَفى أَنّى ؟ وَلاَ كَرِبَا(١)

٢ـ عُجْنا فَأَذْهَبَ مَا أَبْقى الفِراقُ لَنا
مِن العُقولِ وَمَا رَدّ الذي ذَهَبَا(٢)

٣ـ سَقيتُه عَبَراتٍ ظَنّها مَطَراً
سَوائِلا مِن جُفونٍ ظَنَّها سُحُبا(٣)

---

* المعري : ج ـ ١ ، ص ـ ٣٤٠، ق ـ ٥٩.
والعكبري : ج ـ ١، ص ١٠٩، ق ـ ١٩٠.
والديوان: ص ـ ٩٧ .

١) أنّى : بمعنى كيف. وكرب: أي قارب. يقول : جرى دمعي في ربع المحبوبة، فقضى لأهلها ما وجب. ثم تساءل : كيف يكون ذلك، وهو لم يفعل لأنه قارب أن يفعل ذلك، ولم يفعله.

٢) عجنا : أي انعطفنا الى حي المحبوبة .

٣) العبرات : الدموع.

٤ـ دارُ الـمُـلـمّ بِـهـا طَـيْـفٌ تَـهـدّتـي

لَـيْـلا فَـمـا صَـدَقَـتْ عَـيْـنـي وَلا كَـذَبـا(٤)

٥ـ نَـائـيـتُـه فَـدنـا ، أَدْنَـيـتُـه فَـنـأى

جَـمّـشـتُـه فَـنـبـا ، قَـبّـلـتُـه فَـأبـى(٥)

٦ـ هَـامَ الفُـؤادُ بـأَعْـرابـيـةٍ سَـكَـنـت

بَـيْـتـاً مِـن الـقَـلْـبِ لَـمْ تَـمْـدُدْ لَـه طُـنُـبا(٦)

٧ـ مَـظْـلـومةُ الـقَـدّ فـي تَـشـبـيـهـه غُـصـنـاً

مَـظـلَـومةُ الـريـقِ فَـي تـشـبـيـهـهِ ضَـرَبـا(٧)

٨ـ بَـيْـضـاءَ تُـطْـمِـعُ فـيـمـا تَـحْـتَ حِـلَّـتـهـا

وَعـزَّ ذَلِـكَ مَـطْـلـوبـاً إذا طُـلـبـا

٩ـ كـأَنّـهـا الـشـمـسُ يُـعـيـي كـفَّ قَـابِـضـهِ

شُـعـاعُـهـا وَيَـراه الـطـرفُ مُـقْـتَـرِبـا

١٠ـ مَـرّتْ بـنـا بـيـن تِـرْبَـيْـهـا فَـقُـلْـتُ لـهـا :

مـن أيـنَ جَـانَـسَ هـذا الـشـادنُ الـعَـرَبـا(٨)

---

٤) الالمام : زيارة الطيف، وحرفا الألف واللام في الملم بمعنى التي. ويعني ان طيفها زاره، وهدده بالهجران، فأراه ما لا حقيقة له، وصدق بتهديده، لأنه هجره.

٥) نائيته : ابتعدت عنه؟ ودنا: اقترب، وأدنيته : أي قربته، فنأى : أي ابتعد. وجمشته : غازلته، ونبا : جفا.

٦) هام : الهيام شدة العشق. والطنب : الحبل الذي تشد به الخيمة.

٧) الضَرَب: العسل الشخين . أي ان قدها احسن من الغصن ، لأن قدها اقوم، وريقها أحلى من العسل.

٨) الشادن : الغزال اذا كبر، والترب : اللدة ، الذي يلد معك في العام عينه.

ويريد من البيت : قلت لها، عندما رأيتها بين صديقتيها، أنت غزال، وصديقتاك من العرب ، فكيف تتشبهين بهما..؟

١١ـ لـمّـا أقـمـتَ بـأنـطـاكـيّـةَ أخـتـلَـفـتْ
إلـيّ بـالـخَـبَـرَ الـرُكـبـانُ فِـي حَـلَـبـا

١٢ـ فَـسِـرتُ نَـحْـوَكَ لاَ أَلْـوي عَـلـى أحَـدٍ
أحـثّ راحِـلـتـيَّ : الـفـقـرَ والأدبـا

١٣ـ أذاقَـنـي زَمَـنـي بَـلْـوى شَـرقْـتُ بهـا
لَـو ذاقَـهـا لَـبـكـى مَـا عـاشَ وانـتـحـبـا

١٤ـ وإنْ عَـمَّـرْتُ جَـعَـلـتُ الـحَـرْبَ وَالـدةً
والـسـمـهـريَّ أخـاً والـمَـشْـرفـيَّ أبَـا(٩)

١٥ـ بكـلّ أشْـعَـثَ يَـلْـقـى الـمـوتَ مُـبْـتَـسـماً
حَـتّـى كَـأنَّ لَـه فـي قَـتْـلـهِ أرَبَـا(١٠)

١٦ـ قـحٍ يـكـادَ صـهـيـلُ الـجُـرْدِ يَـقْـذِفُـه
عَـنْ سَـرْجِـه مَـرَحـاً بـالـعـزِّ أو طَـرَبَـا(١١)

١٧ـ الـمـوتُ أعْـذَرُ لِـي، والـصـبْـرُ أجْـمـلُ بي
والـبـرُّ أوْسَـعُ، والـدّنـيـا لِـمَـنْ غَـلَـبـا(١٢)

---

٩) عمرتُ : عشتُ، والسمهري : الرمح. والمشرفي : السيف. أي ان عشت كرست نفسي للحرب، وجعلت الرمح أخاً والسيف أباً.

١٠) الأرب : الغاية والحاجة. وأشعث : مغبّر من خوض الحروب.

١١) الجُرد : الخيل قصيرة الشعر، أو السبّاقة.

١٢) أعذر لي : أي يعذرني اذا قُتلتُ شوقاً اليه.

ودهر ناسه ناس صغار

من قصيدة، يمدح بها المغيث العجلي، ويذم الزمان. والقصيدة من ثلاثة وأربعين بيتاً، وقد اخترنا منها الأبيات (١ـ١٧)*.

ـ ١ ـ

١ـ فُـؤادٌ مَـا تُـسـلّـيـهِ الـمُـدامُ وَعـمْـرٌ مِـثْـلُ مَـا يَـهـب اللِّئامُ(١)

٢ـ وَدَهْـرٌ نـاسُـهُ نَـاسٌ صِـغـارٌ وان كَـانـت لَـهـمْ جُـثـث ضـخـامُ

٣ـ ومَـا أَنـا مِـنـهـمُ بـالعيشِ فيهمْ ولـكـن مَـعـدِنُ الـذَّهـبِ الرَّغامُ(٢)

٤ـ أرانـبُ غَـيْـرَ أنـهُـمُ مُـلـوكٌ مُـفـتّـحـةٌ عُـيـونـهـمُ نِـيـامُ

٥ـ بـأجْـسـام يَـحـرُّ الـقَـتْـلُ فـيـها ومَـا أقْـرانُـهـا إلاّ الـطـعـامُ(٣)

٦ـ وخـيـلٍ مـا يَـخـرُّ لـهـا طَـعْـيـن كـأنّ قَـنـا فـوارسِـهـا ثَـمـامُ(٤)

---

* المعري : ج ـ ١، ص ـ ٣٥٦، ق ـ ٦٠.

والعكبري : ج ـ ٤، ص ـ ٦٩، ق ـ ١٣٩.

والديوان: ص ـ ١٠١ .

١) المدام : الخمر، أي ان فؤاده لا تلهيه الخمر عن مطالبه، وعمره قصير منغص مثل هبة اللئيم.

٢) الرغام : التراب.

٣) يحر : يسرع ويشتد. وأقرانها : أي اندادها. ويعني أنهم يموتون تخمة لا بمقارعة الرجال.

٤) يخر : يسقط. والقنا : الرماح. والثمام : نبت ضعيف . اي ان الخيل لا تصلح للحرب ورماح فرسانها لا تقتل، لأنها اغصان نباتات هشة.

٧ـ خليلُك أنتَ لاَ من قلتَ خِليّ وان كَثُر التَجَملُ والكلامُ(٥)

٨ـ وَلَوْ حِيزَ الحِفاظُ بِغيرِ عَقْلٍ تجنّب عُنْقَ صَيقَلهِ الحُسامُ(٦)

٩ـ وَشِبه الشيءِ مُنْجَذِبٌ اليهِ وأشْبَهُنا بِدُنْيانا الطَّغَامُ(٧)

١٠ـ ولو لم يعلُ إلا ذو محلٍّ تعالى الجيش وانحَطَّ القتامُ(٨)

١١ـ وَلَوْ لَمْ يَرْعَ إلا مُسْتَحقٌ لِرُتْبَتِه أَسَامَهُمُ المُسامُ(٩)

١٢ـ وَمَن خَبَرَ الغواني فالغواني ضِياءٌ في بَواطِنه ظَلامُ

١٣ـ إذا كانَ الشبابُ السُكْرُ والشيبُ هَمّاً فالحياةُ هِي الحِمامُ(١٠)

١٤ـ وَما كلُّ بِمَعْذُورٍ ببخْلٍ وَلاَ كلٌّ عَلى بُخْلٍ يُلامُ

١٥ـ ولم أرَ مثل جيراني ومثلي لمثلي عِند مثلهم مُقَامُ

١٦ـ بِأَرْضٍ ما اشتهيتَ رأيت فيها فليسَ يَفوتُها إلاّ الكِرامُ

١٧ـ فَهلاّ كانَ نَقْص الأهْلِ فِيها وكانَ لأهلِها مِنْها التَمامُ

---

٥) الخليل : الصديق، وكذلك الخل. والتجمل : اظهار الجميل من القول.

٦) حيز : جُمع . الحفاظ : مراعاة الحقوق والذمم. والحسام: السيف.

٧) الطغام : الجهلة.

٨) القتام : الغبار.

٩) الرعي : هنا السياسة، من رعى. وأسام المال : رعاه. وسامت السائمة، اذا رعت. ومعنى البيت : لو قاء بسياسة الناس المستحق منهم، لكانت الرعية هي الراعي، والراعي هو المرعي.

١٠) الحمام : الموت.

أسد الفراديس

ومر أبو الطيب في طريقه بمكان يعرف بالفراديس، من أرض قنسرين، بمنطقة حمص، لأن المعري، ينسبها الى دمشق. وسمع في الليل زئير الأسد، فخاطب الأسد قائلاً*:

١ـ أَجارُكِ يا أُسْدَ الفَراديسِ مُكْرَمٌ
فَتَسْكُن نَفْسي، أَمْ مُهَانٌ فَمُسْلَمُ

٢ـ وَرائي وقُدّامي عُداةٌ كثيرةٌ
أحاذرُ من لِصٍّ ومِنْكِ وَمِنْهُمُ

٣ـ فَهَلْ لَكِ في حِلْفي عَلى مَا أُريدُه
فإنّي بأَسْبابِ المَعيشةِ أَعْلَمُ

٤ـ إذَنْ لأتاكِ الرِزْقُ من كُلِّ وجْهَةٍ
وَأَثْريتِ مِمّا تَغْنمينَ وأَغْنَمُ

---

* المعري: ج ـ ٢، ص ـ ٦٧، ق ـ ٦٥.
والعكبري : ج ـ ٤، ص ٩١ ـ ق ـ ٢٤١.
والديوان: ص ـ ١٢٠

أمعفر الليث الهزبر بسوطه

وبينما كان أبو الطيب ، يتنقل في ربوع الشام، عُيّن بدر بن عمّار الأسدي الطبرستاني، قائد القوات في طبرية. وكان بدر من قادة أبي بكر محمد بن رائق الذي ولّي الشام، وطمع بمصر، وخاض الصراعات مع منافسيه من القادة العسكريين، في بغداد والشام ومصر، وصار أمير الأمراء، وصحب الخليفة الى الموصل عندما لجأ الخليفة الى ناصر الدولة بن حمدان، هرباً من البريدي الذي ملك بغداد. ورأى ناصر الدولة أن بقاء ابن رائق خطر عليه، فقتله، في رجب سنة ٣٣٠.

وكان أبو الطيب قد أعجب ببدر بن عمّار، وأقام عنده، منذ تولى طبرية، سنة ٣٢٨، ومدحه بعدد من القصائد التي تتسم بكثير من الأمل، وبمستوى فني ، يتجاوز ، ما قاله من مدح في السابق.

وكان بدر مقداماً شجاعاً. وقد خرج مرة الى أسد، فهرب. وكان قبل ذلك، قد خرج الى أسد افترس بقرة. وهاجه عنها. ولما وثب الأسد على بدر، لم يتمكن من استلال سيفه، فتلقاه بالسوط، وأخضعه، ودار به الجيش. فنظم أبو الطيب هذه القصيدة. وقد حذفنا منها المقدمة الغزلية، من ١ الى ١٦، والأبيات ٢٩ ـ ٣٢، والخاتمة من ٤٣ الى ٤٩.* ومطلع القصيدة :

في الخدّ أن عَزَمَ الخليطُ رحيلا مَطَرٌ تزيد به الخُدود مُحولا

---

* المعري : ج ـ ٢، ص ـ ١٦١ ، ق ـ ٧٣.

والعكبري : ج ـ ٣، ص ـ ٢٣٢، ق ـ ٢٠٤.

والديوان: ص ـ ١٤٤ .

١ـ أمُعَفِّرَ الليثِ الهِزَبْز بسوطِه لِمَنِ ادخرتَ الصارِمَ المَصْقولا(١)

٢ـ وَقَعَت على الأردنِّ مِنْهُ بَليَّةٌ نُضِدَت بها هامُ الرفاقِ تلولا(٢)

٣ـ وَرْدٌ إذا وَرَد البحيرةَ شارباً وَرَد الفراتَ زئيرُه والنيلا(٣)

٤ـ مُتَخَضِّبٌ بدم الفوارسِ لابسٌ في غِيلِه مِنْ لُبْدَتَيهِ غِيلا(٤)

٥ـ ما قُوبِلت عيناهُ إلاّ ظُنّتا تحتَ الدُجى نارَ الفريقِ حُلولا(٥)

٦ـ في وحْدَة الرُهبانِ إلاّ أنّه لا يَعْرف التحريمَ والتحليلا

٧ـ يَطَأُ الثرى مُتَرفِّقاً من تيهِهِ فَكَأنّه آسٍ يجسُّ عَليلا(٦)

٨ـ وَيَردُّ عُفْرَته الى يافوخه حتى تصيرَ لرأسه إكليلا(٧)

٩ـ وَتَظنّه مِمّا يُزمجرُ نَفْسَه عَنْها لِشدةِ غَيْظِه مَشْغولا

١٠ـ قَصَرت مخافَتُه الخُطى فَكَأنّما رَكِب الكَميُّ جوادَه مَشْكولا(٨)

١١ـ ألقى فريسَتَه وبربرَ دونَها وَقَرُبتَ قُرْباً خالَه تَطْفيلا(٩)

١٢ـ فَتَشابَه الخُلُقانِ في إقدامِه وَتَخالفا في بَذْلِكَ المأكولا(١٠)

---

١) معفر: من عفرته : اي ألقيته على التراب، والهزبر: من اسماء الأسد، والصارم : السيف.

٢) نضدت : كومت بعضها فوق بعض. والهام : جمع هامة : الرؤوس.

٣) ورد: من اسماء الأسد، والبحيرة بحيرة طبرية.

٤) الغيل : الغابة.

٥) الفريق : الجماعة، والدجى : الليل، وحلول : مقيمون.

٦) واس : طبيب. الثرى : التراب.

٧) العفرة : الشعر المستدير على رقبته، ويافوخه: قحف رأسه.

٨) الكمي : الشجاع، المشكول : المقيد.

٩) التطفيل : الدخول على الآكلين بغير دعوة.

١٠) أي تشابهتما في الاقدام، واختلفتما لانك كريم، وهو بخيل.

١٣ـ ما زالَ يَجْمَعُ نَفْسَه في زَوْرِه حتى حَسِبتَ العَرْضَ مِنه الطُولا

١٤ـ وَيَدقُّ بالصدرِ الحجارَ كأنّه يَبْغي الى ما في الحضيضِ سَبيلا

١٥ـ وكأنّه غَرّته عينٌ فادّنى لا يُبْصر الخَطْبَ الجليلَ جليلا(١١)

١٦ـ أنَفُ الكريمِ من الدنيئةِ تارِكٌ في عينِه العدد الكثيرَ قَليلا

١٧ـ والعارُ مضّاضٌ وليس بخائفٍ مِنْ حَتْفِه مَنْ خَافَ مِمّا قيلا(١٢)

١٨ـ سَبَق التقاءَكَهُ بوثبةِ هاجمٍ لَوْ لَمْ تُصادِمْه لجازَك مِيلا

١٩ـ خَذَلَتْه قُوَّتُه وقد كافَحْتَه فاستنصرَ التسليمَ والتَجْديلا(١٣)

٢٠ـ قَبَضَتْ مَنَيتُه يَديهِ وَعُنْقَه فَكأنّما صادَفْتَه مَغْلولا

٢١ـ سَمِعَ ابنُ عَمّتِه به وبِحالِه فنجا يُهرولُ أمسِ مِنكَ مَهُولا(١٤)

٢٢ـ وأمرُّ مما فرّ مِنْهُ فَرارُه وَكَقَتْلِهِ أن لا يموتَ قَتيلا

---

١١) ادّنى : دنا

١٢) مضاض : مؤلم. والحتف : الموت

١٣) استنصر : طلب النصرة : والتجديل : الانطراح على الأرض.

١٤) مهول : مذعور.

تعادينا لأنا غير لُكْن

وكان قد انفصل عن بدر بن عمار، فرحل الى جبل جرش ، عند صديقه علي بن أحمد المري الخراساني، ومدحه بقصيدته التي مطلعها :

لا افتخار الاّ لمن لا يضامُ مُدْرِك أو مُحارب لا ينامُ

ولم يستطع أن ينسى ابن كروس الذي عمل على افساد العلاقة، بينه وبين بدر بن عمار، فقال هذه القصيدة التي عبّر فيها عن عودته الى البراري، وما يلاقيه في أسفاره.

ومن المؤسف ألا نجد في المراجع التاريخية، ما يوضح لنا دور ابن كروس.*

---

* المعري : ج ـ ٢، ص ـ ٢٣٥ ، ق ـ ٩٩.

والعكبري : ج ـ ٢، ص ـ ١٤١، ق ـ ١١٥.

والديوان: ص ـ ١٦٨ .

١ـ عَذِيري من عَذارَى من أُمُورٍ سَكَنّ جَوانحي بَدَلَ الخُدورِ(١)

٢ـ وَمُبْتَسِمَاتِ هَيْجَاوَاتِ عصرٍ عن الأسيافِ ليسَ عنِ الثّغُورِ(٢)

٣ـ رَكِبْتُ مُشَمِّراً قَدَمي إلَيْهَا وَكُلَّ عُذَافِرٍ قَلِقِ الضُّفُورِ(٣)

٤ـ أوَاناً في بُيُوتِ البَدْوِ رَحْلي وَآونَةً عَلى قَتَدِ البَعِيرِ(٤)

٥ـ أعَرِّضُ للرّمَاحِ الصُّمّ نَحْرِي وَأنْصِبُ حُرّ وَجْهي للهَجيرِ

٦ـ وَأسْرِي في ظَلامِ اللّيْلِ وَحدي كَأني مِنْهُ في قَمَرٍ مُنِيرِ

٧ـ فَقُلْ في حَاجَةٍ لمْ أقْضِ مِنْهَا عَلى شَغَفي بهَا شَرْوَى نَقِيرِ(٥)

٨ـ وَنَفْسٍ لا تُجيبُ الى خَسِيسٍ وَعَينٍ لا تُدَارُ عَلى نَظِيرِ

٩ـ وَكَفٍّ لا تُنَازِعُ مَنْ أتَاني يُنَازِعُني سِوَى شَرَفي وخيرِي(٦)

١٠ـ وَقِلّةِ نَاصِرٍ جُوزِيتَ عَني بشَرٍّ مِنْكَ يَا شَرَ الدّهُورِ

١١ـ عَدُوّي كُلُّ شيءٍ فيكَ حَتى لِخلْتُ الأُكْمَ مَوُغَرَةَ الصّدورِ(٧)

---

١) عذيري: اي من يعذرني. الجوانح : الضلوع. الخدور، جمع خدر : ما واراك من بيت ونحوه. والمراد بالعذارى من الأمور الخطوب العظيمة التي لم يسبق لها نظير.

٢) الهيجاوات : الحروب. أي حروب عصر تبتسم عن بريق الأسياف لا عن الثغور.

٣) مشمراً : مجداً . العذافر : العظيم الشديد من الإبل . الضفور جمع ضفر : نسع تشد به الرحال، أي قصدها راجلا وراكباً.

٤) الرحل : كل ما يستصحبه الراحل من أثاث ونحوه. القتد : خشب الرحل.

٥) قوله : فقل ، أي فقل ما شئت، حذفه لضيق المقام. شروى : مثل او قَدْر، والنقير : نكتة في ظهر النواة وهو مثل للشيء الحقير.

٦) سوى: مفعول تنازع. الخير : الكرم.

٧) الأكم: التلال. موغرة : متوقدة من الغيظ.

١٢ـ فَلَوْ أني حُسِدْتُ عَلى نَفيسٍ لجُدْتُ بهِ لِذِي الجَدّ العَثُورِ(١)

١٣ـ وَلَكنِي حُسِدْتُ علَى حَيَاتّي وَمَا خَيرُ الحَيَاةِ بلا سُرُورِ

١٤ـ فيَا ابنَ كَرَوّسٍ يا نِصْفَ أعمَى وَإنْ تَفْخَرْ فَيَا نِصْفَ البَصيرِ(٢)

١٥ـ تُعَادِينَا لأنّا غَيْرُ لُكْنٍ وَتُبْغِضُنَا لأنّا غَيْرُ عُورِ(٣)

١٦ـ فَلَوْ كنتَ اُمرَأً يُهْجَى هَجَوْنا وَلكِنْ ضَاقَ فِتْرٌ عَنْ مَسِيرِ(٤)

---

١) الجد : الحظ . العثور : التعس.

٢) أراد أنه باعتبار العين الذاهبة نصف أعمى، وباعتبار الباقية نصف بصير.

٣) اللكن جمع ألكن : الثقيل اللسان.

٤) قوله ضاق فتر عن مسير: أي أن مسافة الفتر، وهي ما بين طرف الابهام وطرف السبابة، إذا فتحهما تضيق عن المسير فيها.

أفاضل الناس أغراض لدىً الزمن

واتجه أبو الطيب الى انطاكية، حوالى سنة ٣٢٨، وفيها القاضي أبو عبدالله محمد بن عبدالله الخصيبي، فمدحه. كما مدح في هذه الفترة القاضي أبا الفضل أحمد بن عبدالله بن الحسن الأنطاكي، وأخاه أبا سهل سعيد بن عبدالله الأنطاكي. وقد بينا أن هناك اضطراباً في تسجيل الأسماء. والأسماء تدل أن الثلاثة أخوة : محمد بن عبدالله، وأحمد بن عبدالله وسعيد بن عبدالله. وتقول قصيدة أبي الطيب التي نقدمها في البيت (٢٨):

أفعاله نسب لو لم يقل معها
جدي الخصيبي عرفنا العرق بالغُصنِ

واللقب الرسمي للحسين بن حمدان الخصيبي، هو أبو عبدالله، وبالتالي فان الثلاثة المذكورين احفاد الخصيبي الكبير. وهو أحد المصنفين في فقه الإمامية، وأحد الدعاة الشيعة الذين كان سيف الدولة يأتم بهم، كما بينا.

ويصف أبو الطيب الاخوة بالعلم والجود، وبالشرف، وينسبهم الى الحسن بن علي بن أبي طالب، كما جاء في مدح أبي الفضل أحمد بن عبدالله (المعري: ج ـ ٢، ص ـ ٢٧٠، ق ـ ١٠٣، ب ـ ٣٠) وكما جاء في مدح أخيه أبي سهل سعيد بن عبدالله (المعري : ج ـ ٢، ص ـ ٢٨٨، ق ـ ١٠٤، ب ـ ٢٥).

وقد ولي عبدالله قضاء مصر، سنة ٣٣٩، كما ولي قضاء دمشق والرملة وطبرية. وولي بعده ابنه محمد الذي ولد سنة ٣٠٠.

وكان عبدالله من الذين اشتهروا بالعدل وحسن السياسة. وكان أبو الفضل جعفر

ابن الفرات، المعروف بابن خنزابة والمعادي لأبي الطيب، قد أثار للقاضي اشكالات. وشغبت به العامة، بعد وصول أبي الطيب الى مصر، سنة ٣٤٨. وقد مات عبدالله في المحرم سنة ٣٤٨، وابنه محمد بعده بخمسة وأربعين يوماً.

وفي هذا العام أخذت علاقات أبي الطيب بكافور تسوء، حتى قادت الى القطيعة المعروفة*.

---

* المعري : ج ـ ٢، ص ـ ٢٤١، ق ـ ١٠٠.

والعكبري : ج ـ ٤، ص ـ ٢٩. ق ـ ٢٦٩.

والديوان: ص ـ ١٧٠ .

وأبو عمر محمد بن يوسف الكندي: الولاة والقضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين. بيروت ١٩٠٨. ص ٤٩٢ ـ ٤٩٣.

وسيدة اسماعيل كاشف : مرجع سابق، ص ٢٢٤ ـ ٢٣٨.

ومحسن الامين : مرجع سابق، ص ـ ٤٩٠.

_ ١ _

١ـ أفَاضِلُ النّاسِ أغراضٌ لَدى الزّمنِ يَخْلُو مِنَ الهَمّ أخلاهم من الفِطَنَ

٢ـ وَإنّمَا نَحْنُ في جيلٍ سَوَاسِيَةٍ شَرٌّ عَلى الحُرّ من سُقمٍ على بدَنِ(١)

٣ـ حَوْلي بكُلّ مكانٍ مِنهُمُ خِلَقٌ تُخطي إذا جِئتَ في استفهامها بِمَنِ(٢)

٤ـ لا أقْتَرِي بَلَداً إلاّ عَلى غَرَرٍ وَلا أمُرّ بخَلقٍ غَيرِ مُضْطَغِنِ(٣)

٥ـ وَلا أُعَاشِرُ من أمْلاكِهِمْ مَلِكاً إلاّ أحَقَّ بضَرْبِ الرّأسِ من وَثَنِ

٦ـ إني لأعْذرُهُمْ ممّا أعنّفُهُمْ حَتى أُعنّفُ نَفْسي فيهِمِ وَأني(٤)

٧ـ فَقْرُ الجَهُولِ بلا قَلْبٍ إلى أدَبٍ فَقْرُ الحِمَارِ بلا رَأسٍ إلى رَسَنِ

_ ٢ _

٨ـ وَمُدْقِعِينَ بسُبْرُوتٍ صَحِبْتُهُمْ عارِينَ من حُلَلٍ كاسينَ من دَرَنِ(٥)

٩ـ خُرّابِ باديَةٍ غَرْثَى بُطُونُهُمُ مَكْنُ الضّبَابِ لهُمْ زَادٌ بلا ثَمنِ(٦)

١٠ـ يَسْتَخْبرُونَ فَلا أُعطيهُمُ خَبَرِي وَمَا يَطيشُ لهم سَهْمٌ منَ الظّنَنِ

---

١) المراد بالجيل : أهل الزمان. سواسية : متساوون. الحر هنا : الكريم .

٢) الخلق جمع خلْقة : الصورة التي يخلق عليها الكائن او الشيء، ويريد انهم ليسوا بشراً. لنستخدم كلمة من في الاستفهام عنهم.

٣) أقتري : أتتبع . الغرر : من غرر بنفسه اذا عرضها للهلكة. المضطغن: الحاقد.

٤) أني مضارع ونى بمعنى فتر وترك.

٥) المدقع : اللاصق بالأرض ذلا. السبروت : القفر لا نبات فيه. الدرن : الوسخ.

٦) الخراب جمع خارب : الذي يسرق الإبل خاصة، ثم سمي به كل لص. غرثى : ضامرة من الجوع. الضباب جمع الضب : دويبة معروفة . مُكْن : بيض.

١١ـ وَخَلّةٍ في جَليسٍ ألتَقيهِ بهَا كَيما يرَى أنَنا مِثْلانِ في الوَهَنِ(٧)

١٢ـ وَكِلمْةٍ في طَرِيقٍ خِفْتُ أُعرِبُهَا فيُهتَدى لي فلَمْ أقدِرْ على اللّحَنِ

ـ ٣ ـ

١٣ـ قد هَوّنَ الصّبرُ عِندي كلَّ نَازِلَةٍ وَلَيّنَ العَزْمُ حَدَّ المَرْكَبِ الخشنِ

١٤ـ كم مَخلَصٍ وَعُلَىً في خوْض مهلكةٍ وَقَتلَةٍ قُرِنَتْ بالذمّ في الجُبُنِ

١٥ـ لا يُعْجِبَنّ مَضيماً حُسْنُ بِزّتِهِ وَهلْ تَرُوقُ دفيناً جُودَةُ الكفَنِ(٨)

ـ ٤ ـ

١٦ـ للّهِ حَالٌ أرَجيّهَا وَتُخْلِفُني وَأقْتَضي كَوْنَهَا دَهْرِي وَيَمطُلني

١٧ـ مَدَحتُ قَوْماً وإنْ عِشنا نَظمتُ لهُم قَصَائِداً من إنَاثِ الخَيْلِ وَالحُصُنِ

١٨ـ تَحْتَ العَجَاجِ قَوَافيهَا مُضَمَّرَةٌ إذا تُنُوشِدْنَ لم يَدخُلْنَ في أذُنِ(٩)

١٩ـ فَلا أُحَارِبُ مَدفُوعاً إلى جُدُرٍ وَلا أُصَالِحُ مَغرُوراً عَلى دَخَنِ(١٠)

٢٠ـ مُخَيَّمُ الجَمْعِ بالبَيْدَاءِ يَصْهَرُهُ حَرُّ الهَوَاجِرِ في صُمٍّ من الفِتَنِ(١١)

---

٧) الخلة : الخصلة. الوهن : الضعف.

٨) المضيم : المظلوم. البزة : اللباس.

٩) الخيل المضمرة : المعدة للسباق، وتضميرها يكون بربطها، وتكثير علفها ومانها، حتى تسمن. ثم يقلل ذلك مدة وتركض في الميدان حتى تهزل. ومدة التضمير عند العرب أربعون يوماً.

١٠) الجدر جمع جدار : الحائط. الدخن : الفساد. يقول لا أحارب معتصماً بالأبنية، ولا أصالح على فساد إذا حاول الأعداء أن يغرروا بي.

١١) مخيم الجمع : اي ان عسكره خيموا في الصحراء. الهواجر، جمع هاجرة : منتصف النهار. الصم، جمع صماء : الشديدة.

٢١ـ ألقَى الكِرامُ الأُلى بَادُوا مكارِمَهُم عـلى الخَصيبيّ عندَ الفَرْضِ والسُّنَنِ(١٢)

٢٢ـ فَهُنّ في الحجْرِ منهُ كلّما عرَضَتْ لَهُ اليَتَامَى بَدَا بالمَجْدِ وَالمِنَنِ(١٣)

٢٣ـ قَاضٍ إذا التَبَسَ الأمرَانِ عَنّ لَهُ رَأيٌ يُخَلِّصُ بَينَ المَاءِ وَاللَّبَنِ

٢٤ـ غَضُّ الشَبَابِ بَعيدٌ فَجْرُ لَيْلَتِهِ مُجانِبُ العَينِ للفَحْشَاءِ وَالوَسَنِ(١٤)

٢٥ـ شَرَابُهُ النَّشْحُ لا للرِّيّ يَطْلُبُهُ وَطُعْمُهُ لِقَوَامِ الجِسْمِ لا السِّمَنِ(١٥)

٢٦ـ ألقَائِلُ الصِّدْقَ فيهِ مَا يُضِرّ بِهِ وَالوَاحِدُ الحَالَتَينِ السرّ وَالعَلَنِ(١٦)

٢٧ـ ألفَاصِلُ الحُكْمَ عَيَّ الأوَّلُونَ بِهِ وَالمُظهِرُ الحقَّ للساهي على الذَّهِنِ(١٧)

٢٨ـ أفْعَالُهُ نَسَبٌ لَوْ لم يَقُل مَعَهَا جَدّي الخصِيبُ عرَفنا العِرْقَ بالغُصُنِ

٢٩ـ العارِضُ الهَتن ابنُ العارِضِ الهَتنِ اب ـنِ العارِضِ الهَتنِ ابنِ العارِضِ الهَتنِ(١٨)

٣٠ـ قد صَيَّرَتْ أوَلَ الدُّنْيَا وَآخِرَهَا آبَاؤهُ من مُغَارِ العِلْمِ في قَرَنِ(١٩)

---

١٢) أي أن الكرام الذين هلكوا ألقوا مكارمهم على هذا الممدوح، فصارت عنده بجانب فروض الدين والسنن. والخصيبي، هو الحسين بن حمدان الخصيبي، المشار اليه في القسم الأول من الكتاب، وفي مقدمة القصيدة.

١٣) فهن أي المكارم. وفي الحجر، أي في منعته وحفظه.

١٤) قيل: كنّى ببعد فجر ليلته عن كونه يسهر الليل في درس العلوم والعبادات فيرى ليله طويلاً.

١٥) النشح : الشرب القليل.

١٦) الضمير من قوله فيه للصدق، أعني أنه لا ينطق إلا بالصدق، ولو كان فيه ما يضره، ولا يتظاهر بغير ما في ضميره فالسر والعلن عنده سواء.

١٧) أي أنه يظهر حق الخصم الغبي على خصمه الذكي.

١٨) العارض : السحاب المعترض في الأفق. الهتن من الهتن : كثرة الانصباب. والمعنى أنه جواد ابن أجواد.

١٩) المغار : الحبل المحكم الفتل. القرن : حبل يُجمع به البعيران. أي أن آباءه قد أحاطوا علماً بحوادث الدنيا، حتى كأنهم وصلوا أولها بآخرها.

٣١ـ كَأنَّهُمْ وُلِدوا من قبلِ أن وُلِدوا ... أوْ كانَ فَهْمُهُمُ أيّامَ لم يكُنِ

٣٢ـ الخاطِرِينَ عَلى أعْدائِهِمْ أبَداً ... مِنَ المَحامِدِ في أوْقَى من الجُنَنِ(٢٠)

٣٣ـ للنّاظِرِينَ إلى إقْبالِهِ فَرَحٌ ... يُزِيلُ مَا بجباهِ القَوْمِ من غَضَنِ

٣٤ـ كَأنّ مالَ ابنِ عبدِاللهِ مُغْتَرَفٌ ... من رَاحَتَيْهِ بأرْضِ الرّومِ وَاليَمَنِ

٣٥ـ لم نَفْتَقِدْ بكَ من مُزْنٍ سوَى لَثَقٍ ... وَلا من البحرِ غيرَ الرّيحِ وَالسفُنِ(٢١)

٣٦ـ وَلا منَ اللّيثِ إلاّ قُبْحَ مَنْظَرِهِ ... وَمن سِوَاهُ سِوَى ما ليسَ بالحَسَنِ

٣٧ـ مُنذُ احتَبَيتَ بإنْطاكِيَةَ اعتَدَلَتْ ... حَتى كأنّ ذوِي الأوْتارِ في هُدَنِ(٢٢)

٣٨ـ وَمُذ مَرَرْتَ على أطوَادِها قَرِعَتْ ... منَ السّجُودِ فلا نَبتٌ على القُنَنِ(٢٣)

٣٩ـ أخْلَتْ مَوَاهِبُكَ الأسوَاقَ من صَنَعٍ ... أغنى نَداكَ عنِ الأعمالِ وَالمِهَنِ(٢٤)

٤٠ـ ذا جُودُ مَن لَيس مَن دهرٍ على ثِقَةٍ ... وَزُهْدُ مَن لَيسَ من دنياهُ في وَطَنِ

٤١ـ وَهذِهِ هِمّةٌ لمْ يُؤتَهَا بَشَرٌ ... وذَا اقتِدارُ لِسَانٍ ليسَ في المُنَنِ

٤٢ـ فمُرْ وَأوْمِئْ تُطَعْ قُدّستَ من جَبلٍ ... تَبارَكَ اللهُ مُجْرِي الرّوح في حَضَنِ(٢٥)

---

٢٠) خطر الرجل : مشى متبختراً، وهو أن يرفع يديه في المشي ويضعهما. أوقى : أحفظ. الجنن جمع جنة : كل ما استترت به من سلاح ونحوه، ويريد: ان محامدهم تقيهم اكثر مما يقيهم سلاحهم.

٢١) اللثق : الندى يعلق بالأرض فتصير وحلا. يريد أنه سحاب وبحر، ولكن منفعته خالصة من التعب والعناء.

٢٢) احتبى : جلس. جلس خاصة للحكم مثلاً. الهدن جمع هدنة : المصالحة والدعة والسكون.

٢٣) قرعت من قرع الرأس : ذهاب شعره. أي أنه لما مر في هذه الجبال سجدت له، حتى ذهب ما عليها من النبت فصارت قرعاء.

٢٤) الصنع : الصانع الحاذق.

٢٥) حضن : جبل عظيم بأعلى نجد.

تغرب لا مستعظماً غير نفسه

وتسلم أبو الطيب، سنة ٣٢٩، كتاباً من جدته في الكوفة، «تستجفيه فيه، وتشكو شوقها اليه، وطول غيبته عنها»، كما يقول المعري. ويبدو أنها طلبت منه الحضور، فتوجه الى العراق، ولم يتمكن من دخول الكوفة التي زارها، سنة ٣٢٥، وغادرها سنة ٣٢٦ . وتوجه الى بغداد. ومن بغداد، كتب لها رسالة يطلب منها المسير اليه. وحين تسلمت الكتاب، قبلته، وسرت به كثيراً، ولكنها ما لبثت أن حمَّت، وماتت.

وكان الوكيل الثالث للإمام الثاني عشر، قد توفي، سنة ٣٢٦ . أما الوكيل الرابع، والأخير، ابو الحسن علي بن محمد السمري، فقد توفي، سنة ٣٢٩. ولكن ما علاقة ذلك بعدم قدرة أبي الطيب على دخول الكوفة..؟. ان هذا السؤال، لا نستطيع ان نجيب عليه اجابة قاطعة. ولكننا نستطيع ان نقول : ان الخلافات التي حصلت بوفاة الامام، ووفاة وكيله، جعلت ظهور أبي الطيب «المكتوم النسب» خطراً عليه. ولذلك، اتجه الى بغداد، وامتنع عن الذهاب الى الكوفة.

ويبدو أن جدته المسنة التي كانت تريد له أن يأخذ موقعه، فرحت بوصوله قريباً منها، ولكنها حزنت لعدم قدرته على دخول الكوفة، فحمت وماتت*.

ويعلن أبو الطيب في هذه القصيدة معظم أسرار نسبه وأسباب طموحه :

---

* المعري : ج ـ ٢ ، ص ـ ٢٥٦، ق ـ ١٠١.

العكبري : ج ـ ٤، ص ـ ٢، ق ـ ٢٤٤.

والديوان: ص ـ ١٧٤ .

وعبدالغني الملاح : المتنبي يسترد أباه، دراسة في نسب المتنبي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط/٢ ١٩٨٠.

_ ١ _

١ـ ألا لا أُرِي الأحـداثَ مَدْحاً وَلا ذَمّا فَـما بَطشُها جَهْلاً وَلا كفُّها حِلمَا

٢ـ إلى مثلِ ما كانَ الفَتى مَرْجعُ الفَتى يَعـودُ كـمَا أبدى وَيُكرِي كما أرْمَى(١)

٣ـ لَكِ اللّهُ من مَفْجُوعَـةٍ بحَبيبِهَا قَتيلَـةِ شَـوْقٍ غَـيرِ مُلحِقِها وَصْمَا(٢)

٤ـ أحِنُّ إلى الكَأسِ التي شَرِبَتْ بهَا وَأهـوَى لَمَثْوَاهَـا التّـرَابَ ومَا ضَمّـا(٣)

٥ـ بَكَيْتُ عَلَيْهَـا خِيفَةً فيي حَيَاتِـهَـا وَذاقَ كِـلانَـا ثُـكْـلَ صَاحبِـهِ قِـدْمَـا

٦ـ وَلَوْ قَـتَلَ الهَجْرُ المُحبِيّـنَ كُلَّـهُـم مَضَـى بَلَدٌ بـاقٍ أجَـدّتْ لـهُ صَرْمَـا(٤)

٧ـ عَرَفتُ اللّيَالي قبلَ ما صَنَعَتْ بـنَـا فَـلَـمّـا دَهَتْـنـي لـم تَـزِدْنـي بهـا عِلْمَـا

٨ـ مَنَافِعُـهَا مَا ضَـرّ في نفْعِ غيرِهَا تَغـذّى وتـروى أن تجـوعَ وَأن تـظمَـا(٥)

_ ٢ _

٩ـ أتَاهَا كِتَـابي بَعـدَ يَـأسٍ وَتَـرْحَـةٍ فَـمـاتَـتْ سُـرُوراً بـي فَـمُـتّ بـهَـا غَـمّـا

١٠ـ حَرَامٌ عَـلى قَلْبي السّرُورُ فإنّـنـي أعُـدّ الـذي مـاتَـتْ بـهِ بَـعْـدَهـا سُمّـا

---

١) أبدى : بدأ، اكرى : نقص، أرمى : زاد.

٢) الوصم : العيب.

٣) عنى بالكأس كأس الموت. المثوى : المقام، وأراد به القبر.

٤) يقول لو كان الهجر يقتل كل محب لقتل بلدها أيضاً، لأنه كان من المحبين لها.

٥) منافعها : أي منافع المرثية . وقوله ما ضر أي ما ضرها. وهي، المرثية، تتغذى وتروى عندما تجوع وتعطش من أجل الناس.

١١ـ تَعَجَّبُ مِنْ لَفْظي وَخَطي كأنّما تَرَى بحُرُوفِ السطرِ أغرِبةً عُصْمَا(٦)

١٢ـ وتَلْثِمُهُ حَتى أصَارَ مِدَادُهُ مَحاجِرَ عَيْنَيْها وَأنْيابَها سُحْمَا

١٣ـ رَقَا دَمعُهَا الجَارِي وَجَفّتْ جفونها وَفارَقَ حُبِّي قَلبَها بَعدمَا أدْمَى(٧)

١٤ـ ولَمْ يُسْلِهَا إلاّ المَنَايَا وَإنّمَا أشَدُّ من السُّقمِ الذي أذهَبَ السُّقْمَا

١٥ـ طَلَبتُ لهَا حَظّاً فَفَاتَتْ وَفَاتَني وَقد رَضِيَتْ بي لوْ رَضِيتُ بها قِسمَا(٨)

١٦ـ فَأصْبَحْتُ أستَسقي الغَمَام لقَبرِها وَقَد كنتُ أستَسقي الوَغى وَالقنا الصُّمّا

١٧ـ وَكنتُ قُبيلَ الموْتِ أستعظِمُ النوَى فقد صَارت الصغْرى التي كانتِ العظمى(٩)

ـ ٣ ـ

١٨ـ هَبيني أخذتُ الثأرَ فيكِ من العِدَى فكيْفَ بأخذِ الثأرِ فيكِ منَ الحُمَى

١٩ـ وَمَا انسَدَتِ الدّنْيَا عَلَيّ لضِيقِهَا وَلكِنّ طَرْفاً لا أرَاكِ بِهِ أعْمَى

٢٠ـ فَوَا أسَفا ألاّ أُكِبّ مُقَبِّلاً لرَأسِكِ وَالصّدرِ اللّذَي مُلنا حزْمَا(١٠)

٢١ـ وَألاّ أُلاقي رُوحَكِ الطيّبَ الذي كَأنّ ذكيّ المِسْكِ كانَ له جسمَا

٢٢ـ وَلَوْ لم تَكُوني بِنْتَ أكْرَمِ وَالِدٍ لَكانَ أبَاكِ الضّخْم كوْنُك لي أُمّا

٢٣ـ لَئِنْ لَذّ يَوْمُ الشّامِتينَ بيَوْمِهَا لَقدْ وَلَدَتْ مِني لأنْفِهِمِ رَغْمَا

---

٦) الأغربة : جمع غراب. العصم، جمع أعصم : الذي في جناحه، بياض، وهو مثل في الغرابة لعزة وجوده.

٧) رقا الدمع : انقطع . وقوله أدمى أي أدماه.

٨) يقول : فارقتها لأطلب لها نصيباً من الرزق ففاتتني وفاتني.

٩) قوله الموت أي موتها. وقوله فقد صارت الصغرى، أي صارت النوى التي كان يستعظمها قبل موتها صغيرة بالنسبة لموتها.

١٠) قوله اللذي أي اللذين فحذف النون على لغة بعض العرب.

٢٤ـ تَغَرَّبَ لا مُسْتَعْظِماً غَيرَ نَفْسِهِ وَلا قَابلاً إلاّ لِخَالِقِهِ حُكْمَا

٢٥ـ وَلا سَالِكاً إلاّ فُؤادَ عَجَاجَةٍ وَلا وَاجِداً إلاّ لِمَكْرُمَةٍ طَعْمَا

٢٦ـ يَقُولُونَ لي مَا أنْتَ في كُلّ بَلْدةٍ وَمَا تَبتَغي؟ ما أبتَغِي جلّ أن يُسمى(١١)

٢٧ـ كَأنّ بَنِيهِمْ عَالمُونَ بأنّني جَلُوبٌ إلَيْهِم مِنْ مَعَادنهِ اليُتمَا

٢٨ـ وَمَا الجَمْعُ بينَ المَاءِ وَالنّارِ في يَدي بأصْعبَ من أنْ أجمعَ الجَدّ وَالفهمَا(١٢)

٢٩ـ وَلَكِنّني مُستَنْصِرٌ بذُبَابِهِ وَمُرْتَكِبٌ في كلّ حالٍ به الغَشمَا(١٣)

٣٠ـ وَجَاعِلُهُ يَوْمَ اللّقَاءِ تَحِيتّي وَإلاّ فلستُ السيّدَ البَطَلَ القَرْمَا(١٤)

٣١ـ إذا فَلّ عَزْمي عن مَدًى خوْفُ بعده فأبْعَدُ شَيءٍ ممكِنٌ لم يَجِدْ عزْمَا(١٥)

٣٢ـ وَإني لمِنْ قَوْمٍ كَأنّ نُفُوسَهُمْ بهَا أنَفٌ أن تسكُنَ اللّحمَ وَالعَظمَا

٣٣ـ كذا أنَا يَا دُنْيَا إذا شِئتِ فاذهبي وَيَا نَفسِ زِيدي في كرَائهِها قُدْمَا(١٦)

٣٤ـ فَلا عَبَرَتْ بي سَاعَةٌ لا تُعِزّني وَلا صَحِبَتْني مُهْجَةٌ تقبلُ الظُّلمَا

---

١١) قوله ما أنت أي ما أنت صانع.

١٢) يريد: أن الحظ من الدنيا لا يجتمع مع الفهم فهما كالنار والماء.

١٣) قوله بذبابه أي بذباب السيف، وهو حده. الغشم : بمعنى المغشم وهو الذي لا يثنيه شيء عن مراده.

١٤) قوله تحيتي : أي أحيي أعداني به يوم اللقاء أي الحرب. القرم : السيد.

١٥) فل : ثلم. المدى : الغاية.

١٦) الكرائه، جمع كريهة : النازلة أو ما يكره. القدم : التقدم.

ومن عرف الأيام معرفتي بها

كان أبو الطيب في طبرية. وكان في الرملة الأمير أبو محمد الحسين بن عبيدالله بن طغج، ممثلاً لعمه الأخشيد محمد بن طغج، وظل كذلك في عهد كافور.

وقد راسل الأمير أبا الطيب، وطلب منه الحضور الى الرملة، وألح في الطلب. واستجاب أبو الطيب. فلما وصل الرملة، ويعتقد أن ذلك كان سنة ٣٣٥، أكرمه الأمير. ولكن أبا الطيب لم يمدحه. لأن أبا الطيب، كان قد تعرض الى محاولة اغتيال، حين أعدّ له خصومه كميناً في كفر عاقب، فنجا منه، لأنه اختار طريقاً غير الطريق المألوف.

وحين لمس الأمير بطء أبي الطيب في مدحه، أرسل اليه محمد بن القاسم المعروف بالصوفي، يدعوه. فوصل الرسول، وأبلغه الرسالة بأن الأمير ينتظره. فقال له أبو الطيب : «أعلم أنه يطلب شعراً، وما قلت شيئاً». ولما لمس أبو الطيب أن الرسول، سيغادر، طلب منه أن يبقى. ودخل الى حجرة في البيت، ولبث فيها وقتاً، ثم خرج، وفي يده قصيدة لم يجف حبرها. ولما طلب منه الرسول سماع القصيدة ، قال أبو الطيب : الساعة تسمعها. وسار أبو الطيب والرسول، وحين وصلا كان الأمير ينتظر، وسأل عن سبب الابطاء . فأخبره الرسول. وما كان من الأمير الا أن سلم على ابي الطيب، وأجلسه ارفع مجلس.

فأنشد أبو الطيب هذه القصيدة :*

---

* المعري : ج ـ ٢، ص ـ ٣٩٣، ق ـ ١١٣.

والعكبري: ج ـ ٤، ص ـ ١١٠ ـ ق ـ ٢٤٥.

والديوان: ص ـ ٢٠٩ .

ـ ١ ـ

١ـ أنا لائمي إنْ كنتُ وَقتَ اللّوائِمِ عَلِمتُ بمَا بي بَينَ تِلكَ المَعالِمِ(١)
٢ـ وَلَكِنّني مِمّا شُدِهْتُ مُتَيَّمٌ كَسالٍ وَقَلبي بَائِحٌ مِثلُ كاتِمِ(٢)
٣ـ وَقَفْنَا كَأنّا كُلّ وَجْدِ قُلُوبِنَا تَمَكّنَ من أذْوَادِنَا في القَوائِمِ(٣)
٤ـ وَدُسْنَا بأخْفَافِ المَطِيّ تُرَابَهَا فَمَا زِلْتُ أستَشفي بلَثْمِ المَنَاسِمِ(٤)
٥ـ دِيَارُ اللّوَاتي دَارُهُنّ عَزِيزَةٌ بطُول القَنَا يُحفَظْنَ لا بالتّمَائِمِ
٦ـ حِسَانُ التَثَّني يَنقُشُ الوَشْيُ مثلَهُ إذا مِسْنَ في أجسَامِهِنّ النّواعِمِ
٧ـ وَيَبْسِمْنَ عَن دُرٍّ تَقَلّدْنَ مثلَهُ كَأنّ التّرَاقي وشّحَتْ بالمَبَاسِمِ(٥)

ـ ٢ ـ

٨ـ فَمَا لي وَللدّنْيَا! طِلابي نُجُومُهَا وَمَسعَايَ منها في شُدُوقِ الأرَاقِمِ(٦)
٩ـ من الحِلمِ أنْ تَستعملَ الجهلَ دونَه إذا اتّسعتْ في الحلمِ طرْقُ المظالِمِ(٧)

---

١) قوله لائمي أي لائم نفسي، وقوله وقت اللوائم أي وقت لوم اللوائم. المعالم جمع معلم : الأثر يستدل به على الطريق. يقول : إن كنت حين لامتني اللوائم قد علمت بما عراني بين تلك الآثار من الوجد ونحوه فأنا لائم نفسي على ذلك.

٢) شدهت : دهشت وتحيرت.

٣) الأذواد جمع ذود: ما بين الثلاثة الى العشرة من الإبل ، أي أننا أطلنا وقوفنا بين تلك المعالم، وكأن ما في قلوبنا من الوجد قد حل في قوائم ابلنا حتى إنها صارت لا تبرح.

٤) المناسم جمع منسم : خف البعير أو باطنه.

٥) التراقي جمع ترقوة : أعلى الصدر. المباسم جمع مبسم : الثغر أي الفم والأسنان، يعني أن ثغورهن مثل اللؤلؤ الذي في قلائدهن، فكأن أعالي صدورهن قد حليت بثغورهن.

٦) الأراقم : ذكور الحيات. يقول : كيف أبلغ ما أنا ساع في طلبه من العلى، وطرقي إليه محفوفة بالمكاره كأني أسعى في أفواه الأراقم.

٧) يقول إذا كان حلمك داعياً الى ظلم الناس لك، فمن الحلم أن تستعمل الجهل معهم لتقابلهم بالمثل.

١٠ـ وَأنْ تَرِدَ المَاءَ الذي شَطْرُهُ دَمٌ فتُسقَى إذا لم يُسْقَ مَن لم يُزَاحِمِ

١١ـ وَمَنْ عَرَفَ الأيّامَ مَعْرِفَتي بهَا وَبالنّاسِ رَوّى رُمحَهُ غَيرَ راحِمِ

١٢ـ فَلَيسَ بمَرْحُومٍ إذا ظَفِرُوا بهِ وَلا في الرَدَى الجارِي عَليهم بآثِمِ

١٣ـ إذا صُلْتُ لم أتْرُكْ مَصَالاً لِفَاتِكٍ وَإنْ قُلْتُ لم أتْرُكْ مَقَالاً لِعَالِمِ

١٤ـ وَإلاَ فخَانَتْني القَوَافي وَعَاقَني عنِ ابنِ عُبَيدِاللهِ ضُعْفُ العزَائِمِ(٨)

١٥ـ عَنِ المُقْتَني بَذْلَ التّلادِ تِلادَهُ وَمُجتَنِبِ البُخلِ اجتِنَابَ المحَارِمِ

١٦ـ تَمَنّى أعَادِيهِ مَحَلّ عُفَاتِهِ وَتَحْسُدُ كَفّيْهِ ثِقَالُ الغَمَائِمِ

١٧ـ وَلا يَتَلَقّى الحَرْبَ إلاّ بمُهْجَةٍ مُعَظَّمَةٍ مَذْخُورَةٍ لِلعَظَائِمِ

ـ ٣ ـ

١٨ـ وَذِي لجَبٍ لا ذُو الجَنَاحِ أمَامَهُ بنَاجٍ وَلا الوَحْشُ المُثَارُ بسَالِمِ(٩)

١٩ـ تَمُرّ عَلَيْه الشمسُ وَهيَ ضَعيفَةٌ تُطَالِعُهُ من بَينِ رِيشِ القَشَاعِمِ(١٠)

٢٠ـ إذا ضَوْؤهَا لاقَى من الطّيرِ فُرْجَةً تَدَوّرَ فَوْقَ البَيضِ مثلَ الدرَاهِمِ(١١)

٢١ـ وَيَخْفَى عَليكَ الرّعدُ وَالبرْقُ فوْقه منَ اللّمْعِ في حَافَاتِهِ وَالهَمَاهِمِ(١٢)

---

٨) وإلا : أي وان لم أفعل ما قلت.

٩) ذي. نعت لمحذوف أي. وبجيش ذي لجب: أي مختلط الأصوات. المثار : الذي نفره الخوف من مكمنه.

١٠) تطالعه : تطلع عليه. القشاعم : النسور. يقول : أن الشمس اذا مرت على هذا الجيش يضعف ضوؤها من شدة الغبار ومن كثرة ما يخيم عليه من النسور، فلا ينفذ اليه ضوؤها إلا من بين ريشها.

١١) الفرجة : الخلل.

١٢) الهماهم : اي ان البرق يخفى لما في أسلحة الجيش من اللمعان، والرعد يخفى لما يثيره الجيش من الأصوات.

ـ ٤ ـ

٢٢ـ أرَى دُونَ مَا بَيـنَ الفُرَاتِ وَبَـرْقَـةٍ ضِرَاباً يُمشّي الخيلَ فـوْقَ الجماجِـمِ(١٣)

٢٣ـ وَطَعْنَ غَطَـارِيفٍ كَـأنّ أكُـفَّـهُـم عَـرَفْنَ الرَّدَيـنِيّـاتِ قبـلَ المَعـاصِـمِ(١٤)

٢٤ـ حَمَتْـهُ على الأعدَاءِ من كلّ جانبٍ سُيـوفُ بنـي طُغجَ بـن جُفّ القَماقِمِ(١٥)

٢٥ـ هُمُ المُحسنونَ الكرّ في حوْمةِ الوَغى وَأحسَنُ منـهُ كَـرُّهُـمْ فـي المَـكـارِمِ

٢٦ـ وَهم يحسنُونَ العَفوَ عن كلّ مُذنبٍ . وَيحتَمِلـوُنَ الغُـرْمَ عـن كـلّ غـارِمِ(١٦)

٢٧ـ حَيِـيّونَ إلاَ أنّـهُـمْ في نِـزَالِـهِـم أقَـلّ حَيَـاءً مِـنْ شِفَـارِ الصّـوَارِمِ

٢٨ـ وَلَـوْلا احتِـقَارُ الأسْدِ شَبّهتُهم بهَا وَلَـكِـنّـهَـا مَـعْـدُودَةٌ فـي البَـهَـائِـمِ

ـ ٥ ـ

٢٩ـسَرَى النَـوْمُ عَني في سُرايَ إلى الذي صَنَـائِـعُـهُ تَسْـرِي إلى كُـلّ نَـائِـمِ

٣٠ـ إلى مُطلقِ الأسَرى وَمُـختَـرِمِ العِدى وَمُشكي ذوِي الشكوَى وَرَغم المُرَاغِمِ(١٧)

٣١ـ كَـرِيمٌ لَفَظْـتُ النّاسَ لمّا بَـلَـغْـتُـهُ كَـأنّـهُـمُ مـا جَـفّ مِـنْ زَادِ قَـادِمِ(١٨)

٣٢ـ وَكادَ سُـرُورِي لا يَـفي بـنَـدَامَـتي عَـلـى تَـرْكِـهِ فـى عُـمْـرِيَ المُـتَـقَـادِمِ

٣٣ـ وفَـارَقْـتُ شـرّ الأرْضِ أهلاً وَتُـرْبَـةً بـهـا عَـلَـوِيّ جَـدّهُ غَـيـرُ هَـاشِـمِ(١٩)

---

١٣) برقة : قرية في العراق، ويقول المعري (ج ـ ٢، ص٤٠١)، مدينة قريبة من الاسكندرية.

١٤) الغطاريف : السادة. والرديـنيات : الرماح.

١٥) جمع قمقام، واستخدمها صفة لبني طغج. طغج بن جف : جد الممدوح. القماقم : السادات.

١٦) الغرم : ما يلزم الانسان أداؤه من دية ونحوها.

١٧) الاختـرام : الهلاك والاستئصال . المراغم : المغاضب .

١٨) لفظت : طرحت.

١٩) يقصد أنه غادر طبرية، كما أشرنا في القسم الأول ، لأن بها علوياً، لا ينتمي الى هاشم. ويشير هذا الى الخلاف بين العلويين المنتمين لهاشم، والعلويين الذين انتموا الى علي دون نسب، ولكنهم أخذوا يصارعون العلويين الهاشميين على القيادة.

ولا بد من يوم أغر محجل

وهذه القصيدة، من أبرز قصائد أبي الطيب التي تطرح قضية انتسابه العلوي. فهي، كما تقول الرواية، جاءت بناء على طلب الأمير أبي محمد الحسين بن طغج، والي الرملة الأخشيدي. وقد ألح الأمير في الطلب، واعتذر ابو الطيب، بحجة أنه لا يمدح سوى الأمير، الى أن قال له الأمير : قد كنت عزمت أن أسألك قصيدة أخرى فيّ، فاجعلها في أبي القاسم. فاستجاب . ويروي محمد بن القاسم الصوفي، أنه ذهب والمطلبي برسالة طاهر لوعد أبي الطيب، فاختلى أبو الطيب في حجرة، حتى كتب القصيدة، وساروا الى طاهر. وحين دخلوا عليه، كان عنده جماعة من أهل بيته، وتقول الرواية : «جماعة من اشراف الناس»، أو «اشراف وكتاب». وما ان أقبل أبو الطيب، حتى نزل ابو القاسم طاهر عن سريره، وتلقاه بعيداً من مكانه، وأخذه، بعد أن سلم عليه، وأجلسه في المرتبة التي كان فيها قاعداً، وجلس بين يديه، وتحادثا طويلاً، ثم أنشد المتنبي القصيدة.

وأبو الطيب في هذه القصيدة، يعلن أنه لا بد من يوم أغر محجل، ينتصر فيه طبعاً. ويحذر أبا القاسم، من أنه لا يهرب من عضاض الأفاعي، الى لسع العقارب. ويشير الى الكمين الذي أعده له الأدعياء، في كفر عاقب. ويهزأ بهم، ويؤكد أبو الطيب أن أبا القاسم فاطمي، وان كل علوي لا يكون مثله، يكون حجة لأعداء علي ابن ابي طالب.

ويعتبر أبو الطيب أن الجمع بينه وبين أبي القاسم مدعاة لابعاد النوائب عنه.

وفي هذه القصيدة، يصر أبو الطيب على التعامل معاملة الند مع أبي

القاسم، ويذكره بأنه لا يخاف الأدعياء، وأنه سيهزمهم يوماً. كما أن أبا القاسم، يقدم أبا الطيب، ويقر بعلو مقامه، لا في الشعر فقط، بل وفي المكانة الاجتماعية*.

---

* المعري : ج ـ ٢، ص ـ ٤٢٩، ق ـ ١٣٨.

والعكبري : ج ـ ١، ص ـ ١٤٧، ق ـ ٣٣.

والديوان: ص ـ ٢٢٥.

و . عصام السيوفي : العوامل السياسية في شعر أبي الطيب المتنبي ـ دار الفكر اللبناني ـ ١٩٨١، ص ٩٨ ـ ١٠٠.

_ ١ _

١ـ أعِيدوا صَبَاحي فَهْوَ عندَ الكَوَاعبِ ورَدّوا رُقَادِي فَهوَ لحَظُ الحبائبِ(١)
٢ـ فَإنّ نَهَارِي لَيْلَةٌ مُدْلَهِمّةٌ عَلى مُقْلَةٍ من بَعْدِكم في غيَاهِبِ(٢)
٣ـ بَعِيدَةِ مَا بَينَ الجُفُونِ كَأنّمَا عَقَدتُم أعالي كلّ هُدبٍ بحاجِبِ(٣)
٤ـ وَأحْسَبُ أني لَوْ هَوِيتُ فِرَاقَكمْ لَفَارَقْتُهُ وَالدهرُ أخبَثُ صَاحِبِ
٥ـ فَيَا لَيْتَ مَا بَيني وَبَينَ أحِبّتي مِنَ البُعدِ ما بَيني وَبَينَ المصَائِبِ

_ ٢ _

٦ـ أُرَاكِ ظَنَنتِ السّلكَ جِسمي فُعقْتَهُ عَلَيْكِ بدُرٍّ عن لِقَاءِ التّرَائِبِ(٤)
٧ـ وَلَوْ قَلَمٌ أُلقِيتُ في شَقّ رَأسِهِ من السقمِ ما غيّرْتُ من خطّ كاتِبِ
٨ـ تُخَوّفُني دونَ الذي أمَرَتْ بِهِ ولَم تَدرِ أنّ العَارَ شَرُّ العَوَاقِبِ
٩ـ وَلا بُدّ من يَوْمٍ أغَرّ مُحَجّلٍ يَطُولُ استِمَاعي بَعدَهُ لِلنّوادِبِ
١٠ـ يَهُونُ عَلى مِثْلي إذا رَامَ حَاجَةً وُقُوعُ العَوَالي دُونَهَا وَالقَوَاضِبِ
١١ـ كَثِيرُ حَيَاة المَرْءِ مِثْلُ قَلِيلِهَا يَزُولُ وَبَاقي عَيْشِهِ مِثْلُ ذاهِبِ

---

١) الكواعب جمع كاعب : الشابة التي أخذ ثدياها بالنهود. والحبائب : جمع حبيبة. اللحظ : الرؤية، أي ردوهن علي حتى يرتد صباحي ورقادي.

٢) المدلهمة : الشديدة السواد. الغياهب : الظلمات.

٣) يقصد: إن أعالي أهداب جفونه عقدت بالحاجبين فلا يمكن انطباقها.

٤) أراك : أظنك . يقول : أظنك توهمت أن السلك الذي في قلادتك هو جسمي لشابهته إياه في الدقة، فجعلت الدر الذي نظم فيه بينه وبين ترائبك لئلا يمس صدرك.

١٢ـ إلَيْكَ فإني لَسْتُ ممّن إذا اتّقَى عِضَاضَ الأفاعي نام فوْقَ العقارِبِ

١٣ـ أتَاني وَعِيدُ الأدْعِيَاءِ وَأنّهُم أعَدّوا ليَ السودانَ في كَفْرِ عاقِبِ(٥)

١٤ـ وَلَوْ صَدَقُوا في جَدّهِمْ لحَذِرْتُهم فَهَل فيّ وَحدي قَوْلُهُم غيرُ كاذِبِ

١٥ـ إليّ لَعَمري قَصْدُ كُلّ عَجِيبَةٍ كَأني عَجِيبٌ في عُيُونِ العَجائِبِ

١٦ـ بأيّ بِلادٍ لم أجُرّ ذُؤابَتي وَأيّ مَكَانٍ لم تَطَأهُ رَكَائِبي(٦)

١٧ـ كَأنّ رَحِيلي كانَ من كَفّ طاهِرٍ فَأثْبَتَ كُورِي في ظُهُورِ المَوَاهِبِ(٧)

١٨ـ فَلَمْ يَبْقَ خَلْقٌ لمْ يَرِدْنَ فِنَاءهُ وَهُنّ لَهُ شِرْبٌ وَرُوّدَ المَشَارِبِ(٨)

١٩ـ فَتىً عَلّمَتْهُ نَفْسُهُ وَجُدُودُهُ قِرَاعَ العَوَالي وَابتِذَالَ الرّغَائِبِ

٢٠ـ فَقد ْغَيّبَ الشُّهّادَ عن كلّ مَوْطِنٍ وَرَدّ إلى أوْطَانِهِ كُلّ غَائِبِ(٩)

٢١ـ كَذَا الفَاطِمِيّونَ النّدَى في بنانهم أعَزّ أمَحَاءً من خُطوطِ الرّوَاجِبِ(١٠)

---

٥) الأدعياء، جمع دعي : المنتسب الى غير أبيه، ويقصد هنا العلويين غير المنتمين الى هاشم. كفر عاقب : اسم قرية بالشام.

٦) الذؤابة من النعل : ما أصاب الأرض من المرسل على القدم.

٧) يقول : كأني رحلت من كف هذا الممدوح راكباً ظهور مواهبه، فلم تترك مكاناً من الأرض إلا وردت بي عليه.

٨) يقول : لم يبق أحد الا وردت مواهب الممدوح منزله، كما ترد الناس المشارب.

٩) يقول : غيب الناس عن أوطانهم بالحضور اليه وردهم مغمورين بنعمته.

١٠) الرواجب : مفاصل الاصابع، أي أن الجود راسخ في أكفهم، حتى إنه يمكن أن تمحي هذه الخطوط منها، وهو لا يمحي.

٢٢ـ أنَاسٌ إذا لاقَوْا عدًى فَكَأنّمَا سِلاحُ الذي لاقَوْا غُبَارُ السلاهِبِ(١١)

٢٣ـ رَمَوْا بنَوَاصِيهَا القِسيّ فَجِئْنَهَا دَوَامِي الهَوَادِي سَالماتِ الجَوَانِبِ(١٢)

٢٤ـ أُولَئِكَ أحْلى مِنْ حَيَاةٍ مُعَادَةٍ وَأكْثَرُ ذِكْراً من دُهُورِ الشبائِبِ(١٣)

ـ ٤ ـ

٢٥ـ نَصَرْتَ عَلِيّاً يا ابْنَهُ بِبَوَاتِرٍ من الفِعْلِ لا فَلٌّ لهَا في المَضَارِبِ(١٤)

٢٦ـ وَأبْهَرُ آياتِ التّهَامِيّ أنّهُ أبُوك وَأجدى ما لكُم من مناقِبِ(١٥)

٢٧ـ إذا لم تكُنْ نَفسُ النّسيبِ كأصْلِهِ فمَاذا الذي تُغني كِرَامُ المَناصِبِ(١٦)

٢٨ـ وَمَا قَرُبَتْ أشْبَاهُ قَوْمٍ أبَاعِدٍ وَلا بَعُدَتْ أشْبَاهُ قَوْمٍ أقَارِبِ

٢٩ـ إذا عَلَوِيّ لم يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ فَمَا هُوَ إلاّ حُجّةٌ للنّوَاصِبِ(١٧)

٣٠ـ يَقُولُونَ تَأثيرُ الكوَاكبِ في الوَرَى فَمَا بَالُهُ تأثيرُهُ في الكَوَاكِبِ

٣١ـ عَلا كَتَدَ الدّنْيَا إلى كُلّ غَايَةٍ تَسيرُ بِهِ سَيْرَ الذّلُولِ بِرَاكِبِ(١٨)

٣٢ـ وَحُقّ لَهُ أنْ يَسْبِقَ النّاسَ جالساً وَيُدرِكَ ما لم يُدرِكوا غَيرَ طَالِبِ

٣٣ـ وَيُحْذَى عَرَانِينَ المُلُوكِ وَإنّهَا لَمِنْ قَدَمَيْهِ في أجَلّ المَرَاتِبِ

---

١١) أي أن سلاح أعدائهم عندهم مثل غبار خيلهم.

١٢) الهوادي : الأعناق .

١٣) الشبائب : جمع شبيبة.

١٤) قوله علياً أراد به علي بن أبي طالب لأن الممدوح علوي.

١٥) المراد بالتهامي النبي محمد ﷺ. أجدى : أنفع. المناقب : المفاخر. ويعني ان العلويين من معجزات النبي وآيات لتصديقه. وقد ثار نقاش طويل حول هذا البيت (الواحدي: ص ـ ٣٣١).

١٦) النسيب : الشريف. المناصب : الأصول.

١٧) النواصب : الخوارج الذين نصبوا العداوة لعلي بن أبي طالب.

١٨) الكتد : ما بين الكاهل الى الظهر، وضمير تسير للدنيا. الذلول : الدابة المذللة للركوب.

٣٤ـ يَدٌ للزّمانِ الجَمْعُ بَيْني وَبَيْنَهُ لِتَفْرِيقِهِ بَيْني وَبَينَ النّوَائِبِ
٣٥ـ هُوَ ابنُ رَسُولِ اللّهِ وَابنُ وَصِيّهِ وَشِبْهُهُمَا شَبّهتُ بَعدَ التّجارِبِ(١٩)
٣٦ـ يَرَى أنّ ما ما بانَ مِنكَ لِضَارِبٍ بِأقْتَلَ مِمّا بَانَ مِنْكَ لِعَائِبِ(٢٠)

ـ ٥ ـ

٣٧ـ ألا أيّهَا المَالُ الذي قَد أبَادَهُ تَعَزَّ فَهَذا فِعْلُهُ بِالكَتَائِبِ
٣٨ـ لَعَلَكَ في وَقْتٍ شَغَلْتَ فُؤادَهُ عنِ الجُودِ أوْ كَثّرْتَ جيش مُحَارِبِ
٣٩ـ حَمَلْتُ إلَيْهِ من لِسَاني حَدِيقَةً سقاهاالحجى سقيَ الرّياض السحائِبِ(٢١)
٤٠ـ فَحُيِّيتَ خيرَ ابنٍ لخَير أبٍ بهَا لأشرَفِ بَيتٍ في لُؤيّ بنِ غالِبِ(٢٢)

---

١٩) المراد بوصيّه علي بن أبي طالب، والضمير للرسول. شبههما عطف على ابن . وقوله شبهت بعد التجارب أي شبهته بهما بعد التجربة.

٢٠) يرى العيب أشد من القتل.

٢١) الحديقة : البستان، عنى بها القصيدة. الحجى : العقل. وقوله سقي الرياض السحائب أي سقي السحائب الرياض.

٢٢) ضمير بها يرجع الى الرياض، لأنه كان من عادتهم أن يحيوا بالأزهار والرياحين.

فلا تقنع بما دون النجوم

وكانت لأبي الطيب فرس، تسمى الحمامة، ولها مهر يسمى الطخرور. ونزل الثلج بأنطاكية، ولبث في الأرض، فتعذر الرعي على المهر. فنظم في ذلك قصيدته: ما للمروج الخضر والحدائق (المعري : ج ـ ٢، ص ٤٤٤، ق ـ ١٣٩).

ثم كبست أنطاكية، فقتل المهر وأمه. فقال أبو الطيب.*

---

* المعري : ج ـ ٢، ص ـ ٤٥٥، ق ـ ١٤٠.

والعكبري : ج ـ ٤، ص ـ ١١٩، ق ـ ٢٤٨.

والديوان: ص ـ ٢٣٢.

١ـ إذا غَـامَرْتَ في شَـرَفٍ مَـرُومِ فَـلا تَقْنَـعْ بمَـا دُونَ النّجُـومِ

٢ـ فَطَعْمُ المَوْتِ في أمْـرٍ حَقِيرٍ كَطَعْـمِ المَـوْتِ فـي أمْـرٍ عَظِيـمِ

٣ـ سَتَبـكي شَجوهَا فَرَسي وَمُهـرِي صَفَائِحُ دَمعُهـا مـاءُ الجُسُـومِ(١)

٤ـ قُرِينَ النّـارَ ثـمّ نَشَـأنَ فِيهَا كـمَـا نَشَـأ العَـذَارَى في النّعِيـمِ(٢)

٥ـ وَفَـارَقْـنَ الصَيَـاقِـلَ مُخلَصَاتٍ وَأيْـدِيـهَـا كَثِيـرَاتُ الكُـلُومِ(٣)

٦ـ يَـرَى الجُبَنَاءُ أنّ العَجْزَ عَقْـلٌ وَتِلْـكَ خَدِيعَـةُ الطّبْـعِ اللّئِيـمِ

٧ـ وَكُلّ شَجـاعَـةٍ فـي المَـرْءِ تُغْني وَلا مِثْـلَ الشجـاعَـةِ في الحَكِيـمِ

٨ـ وَكَمْ من عـائِـبٍ قَـوْلاً صَحِيحاً وَآفَـتُـهُ مِـنَ الفَـهْـمِ السّقِيـمِ

٩ـ وَلَـكِـنْ تَـأخُـذُ الآذَانُ مِـنْـهُ عَـلى قَـدَرِ القَـرَائِـحِ وَالعُـلُـومِ

---

١) الشجو : الحزن . ماء الجسوم : كناية عن الدم.

٢) قرين من القرى، والضمير راجع إلى الصفائح، والنار مفعول ثان.

٣) مخلصات : خالصات من الغش . أي أن الصياقل تركت هذه السيوف وأيديها مثخنة بالجراح لشدة مضائها.

وإن الذي سماه سيفاً لظالمه

وما إن استقر سيف الدولة في حلب، سنة ٣٣٧، بعد حروب طاحنة مع الروم من جهة، والاخشيديين من جهة أخرى، حتى قرر أن يفتح حصن برزويه، التابع لجند حمص، والواقع على سن جبل شاهق.

وكان هذا الحصن مأوى للصوص والسراق. وظفر سيف الدولة بالحصن، واتجه الى أنطاكية في جمادى الآخر، والتقى أبو الطيب به، بعد سنين طويلة، اذ يفترض أنهما التقيا سنة ٣٢١، في رأس العين، من أنحاء الجزيرة الفراتية. وقد مدح أبو الطيب سيف الدولة بقصيدته :

ذكر الصبا ومرابع الآرام جلبت حمامي قبل وقت حمامي

(المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٥١٦، ق ـ ٢٣٤).

ولكن أبا الطيب لم ينشد سيف الدولة القصيدة، على ما تقوله كل المراجع.

وتشير المراجع المختلفة، الى أن سيف الدولة تعرف بأبي الطيب في انطاكية، وان كانت الوقائع تشير لغير ذلك. وهذا ما حاول الأستاذ محمود شاكر ان يؤكده حين اعتبر أن هناك علاقة سابقة (شاكر، ج ـ ١، ص ـ ١٩٢).

ونحن نرى أن هناك علاقة، تعود الى أيام الطفولة، لأن والد سيف الدولة، أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان، كان يتولى أمر القوات العباسية في الكوفة، سنة ٣١٢، حين أسره القرامطة. وفي هذا العام خرج أبو الطيب من الكوفة، الى الصحراء. ولذلك لم يكن عفوياً أن يلحق أبو الطيب بسيف الدولة في رأس العين، ولا كان عفوياً أن يلتحق بأبي العشائر بن حمدان، في انطاكية، رغم أن أبا الطيب كان معززاً مكرماً عند الاخشيديين.

وكانت القصيدة التالية أول قصائد أبي الطيب، سنة ٣٣٧، بسيف الدولة.

وكان سيف الدولة جالساً تحت شراع من الديباج ، عليه رسوم وتصاوير، حين ألقى أبو الطيب القصيدة*.

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ١٣، ق ـ ١٦٠.

والعكبري : ج ـ ٣، ص ـ ٣٢٥، ق ـ ٢١٨.

والديوان: ص ـ ٢٥٦.

_ ١ _

١_ وَفَاؤُكُما كالرَّبْعِ أشْجاهُ طاسِمُهْ بأنْ تُسْعِدا والدمعُ أشفاهُ ساجمُهْ(١)

٢_ وَمَا أنَا إلاّ عَاشِقٌ كُلُّ عَاشِقٍ أعَقُّ خَلِيلَيْهِ الصَّفِيّينِ لائِمُهْ(٢)

٣_ وَقَدْ يَتَزَيّا بالهَوَى غَيرُ أهْلِهِ وَيَستَصْحبُ الإنسانُ من لا يُلائِمُهُ

_ ٢ _

٤_ بَليتُ بِلى الأطلالِ إنْ لم أقِفْ بهَا وُقوف شحيحٍ ضَاعَ في التربِ خاتمُهْ

٥_ كَئِيباً تَوَقّاني العَوَاذِلُ في الهَوَى كمَا يَتَوَقّى رَيّضَ الخَيلِ حازِمُه(٣)

_ ٣ _

٦_ قِفي تَغرَمِ الأولى من اللحظِ مُهجَتي بثَانِيَةٍ وَالمُتْلِفُ الشّيءَ غَارِمُهْ(٤)

٧_ سَقَاكِ وحَيّانَا بكِ اللّهُ إنّمَا على العِيسِ نَوْرٌ والخدورُ كمائِمُهْ(٥)

٨_ وما حاجةُ الأظعانِ حَوْلَكِ في الدّجى إلى قَمَرٍ ما واجدٌ لكِ عادِمُهْ(٦)

---

١) طاسم : طامس أو دارس. وأشجاه أشده شجواً، والساجم : السائل. ويخاطب أبو الطيب صاحبيه : ان وفاءكما مثل الحي الذي درس، والحي يكون اكثر شجواً اذا عفا ودرس، كما أن الدمع يشفي بمقدار ما يسيل.

٢) أعقّ : من عق، أي نكر الجميل، والصفي: الذي يصفي الود، أي يا صاحبيّ أكثركما عقوقاً هو الذي يلومني.

٣) رَيّض هُنا : الصعب من الخيل ، وان كانت تعني أيضاً الذي ذُلّل. والحازم الذي يسوس الحصان، ويشد حزامه، ويعني أنه يقف حزيناً، يتجنبه العواذل في الهوى، كما يتجنب السائس الفرس الصعب.

٤) تغرم : تدفع الغرامة، ويريد ان عليها ان تقف لينظر اليها نظرة ثانية، لأن النظرة الأولى اتلفته، والثانية تحييه، ويستند في طلبه الى ان متلف الشيء يُغَرَمُه.

٥) العيس : الابل البيض. والنوْر، من الزهر ما كان أبيض. والكمائم : اوعية الزهر، ولما جعلها نوراً ، طلب لها السقيا. وحيانا بك، اي جعلك تحية لنا، اذ كانت العادة أن يُحيّى بالزهر.

٦) الأظعان : جمع ظُعْن، القوم المرتحلون، والدجى : الليل. اي ان المسافرين معك لا يحتاجون للقمر وانت معهم.

٩ـ إذا ظَفِرَتْ منكِ العُيونُ بنَظرَةٍ أثابَ بها مُعيي المَطيّ ورازِمُهْ(٧)

ـ ٤ ـ

١٠ـ حَبيبٌ كأنّ الحُسنَ كانَ يُحِبّهُ فآثَرَهُ أوْ جارَ في الحُسنِ قاسِمُهْ
١١ـ تَحُولُ رِماحُ الخَطّ دونَ سِبائِهِ وتُسبَى لَهُ مِنْ كلّ حَيّ كرائِمُهْ(٨)
١٢ـ وَيُضْحي غُبارُ الخَيلِ أدنَى سُتُورِهِ وآخِرُها نَشْرُ الكِباءِ المُلازِمُهْ(٩)

ـ ٥ ـ

١٣ـ وما اسْتَغْرَبَتْ عَيني فِراقاً رأيْتُهُ ولا عَلّمَتْني غَيرَ ما القلبُ عالَمُهْ
١٤ـ فَلا يَتّهِمْني الكاشِحونَ فإنّني رَعيتُ الرّدى حتى حَلَتْ لي علاقِمُهْ(١٠)
١٥ـ مُشِبُّ الذي يَبكي الشّبابَ مُشيبُهُ فكَيفَ تَوَقّيهِ وبانِيهِ هادِمُهْ(١١)
١٦ـ وتَكْمِلَةُ العَيشِ الصّبَى وعَقيبُهُ وغائِبُ لَوْنِ العارِضَينِ وقادِمُهْ(١٢)
١٧ـ وما خَضَبَ النّاس البَياضَ لأنّهُ قَبيحٌ ولكِنْ أحْسَنُ الشّعرِ فاحِمُهْ(١٣)

---

٧) أثاب : أرجع. والمعيي: الذي أصابه الاعياء. والرازم : الذي قام من الاعياء. يريد انّ من يراك، يقوم بعد اعياء. ونسب ذلك للخيل والابل، كعادته في محاولة اضفاء طابع انساني على مشاعر الخيل والابل.
٨) الخط : موضع باليمامة، تنسب اليه الرماح الخطية. والسباء : السبي. يريد ان أهل هذا الحبيب أعزاء. ولذلك لا تسمح رماحهم بسبي كريمتهم، ولكن تُسبى الكرائم لتخدمها.
٩) الكباء : العود والبخور. والنشر : الفوح. ويريد ان غبار خيل قومها أول الحواجز بينها وبين الأعداء، وآخرها دخان بخورها. وقد جعل الحاجز الأول، غبار الخيل، وهو الأبعد، والثاني دخان البخور وهو الأقرب اليها. لأن غبار الخيل، هو الأول في مواجهة الأعداء.
١٠) الكاشحون : جمع الكاشح، المعادي. والعلقم : شجر مر.
١١) المشب : الذي يأتي بالشباب. والمشيب الذي يأتي بالشيب. ولما كانا واحداً، فكيف الوقاية. والباني هو الهادم.
١٢) يريد انّ العيش لا يكتمل الاّ بالصبا وما يعقبه، وغياب السواد، وقدوم البياض.
١٣) خضب : صبغ . فاحم : أسود. يريد ان صباغ الشيب لا يتم لأن البياض قبيح. ولكن لأن أحسن الشعر هو الاسود، وهو دليل عدم حلول الشيخوخة.

١٨ـ وأحسَنُ مِنْ ماءِ الشَّبيبَةِ كُلِّهِ حَيَا بارِقٍ في فازَةٍ أنا شائِمُهْ(١٤)

١٩ـ عَلَيها رِياضٌ لم تَحُكْها سَحابَةٌ وأغصانُ دَوْحٍ لمْ تُغَنّ حَمائِمُهْ(١٥)

٢٠ـ وفَوْقَ حَواشي كلّ ثَوْبٍ مُوَجَّهٍ من الدُّرّ سِمْطٌ لم يُثَقِّبْهُ ناظِمُهْ(١٦)

٢١ـ تَرَى حَيَوانَ البَرّ مُصْطَلِحاً بِهِ يُحارِبُ ضِدٌ ضِدَّهُ ويُسالِمُهْ(١٧)

٢٢ـ إذا ضَرَبَتْهُ الرّيحُ ماجَ كَأنّهُ تجولُ مَذاكيهِ وتَدأى ضَراغِمُهْ(١٨)

٢٣ـ وفي صورةِ الرّوميّ ذي التّاجِ ذِلّةٌ لأبْلَجَ لا تيجانَ إلاّ عَمائِمُهْ(١٩)

ـ ٦ ـ

٢٤ـ تُقَبِّلُ أفْواهُ المُلُوكِ بِساطَهُ ويَكْبُرُ عَنها كُمُّهُ وبَراجِمُهْ(٢٠)

٢٥ـ قِياماً لِمَنْ يَشفي مِنَ الدّاءِ كَيُّهُ ومَنْ بَينَ أُذْنَيْ كلّ قَرْمٍ مَواسِمُهْ(٢١)

---

١٤) حيا : المطر. البارق : السحاب الذي يبرق. والفازة : الخيمة، وشام: رأى. وكان يشير الى سيف الدولة الجالس في الفازة.

١٥) يريد ان البساتين الظاهرة في الفازة، ليست من صنع المطر، لأنها مرسومة، وان الحمام لا يهدل، لأنه مجرد رسوم.

١٦) يريد : ان الدر المطرز على الثياب، لم يثقبه ناظمه، لأنه ليس درأ حقيقياً.

١٧) يريد : ان على الفازة صور حيوانات، تتعادى وتتصالح، ولكنها تتعايش معاً.

١٨) المذاكي : الخيل التي اكتملت اسنانها. والضراغم : الأسود. وتدأى : تتهيأ للوثوب.

١٩) الرومي ذو التاج : ملك الروم. الابلج : النقي ما بين الحاجبين، وقصد به سيف الدولة. ويريد بلا تيجان الا عمائمه، ان زي سيف الدولة هو الغالب.

٢٠) البراجم : جمع برجمة، وهي المفاصل أو رؤوس السلاميات، من ظاهر الكف، يريد ان الملوك تقبل بساطه، وان يده وكمه يكبران على ذلك.

٢١) قَرْم : سيد. والمواسم : جمع ميسم، وهو الذي يوسم به. يريد ان الملوك يقومون لسيف الدولة الذي يعالج الأمور معالجة جدية. فآخر الدواء الكي. وهو الذي يترك علاماته في قفا رؤوس السادة الهاربين أمامه.

٢٦ـ قَبائِعُها تَحْتَ المرافقِ هَيْبَةً وَأَنْفَذُ مِمَّا في الجُفونِ عَزائِمُهْ(٢٢)

٢٧ـ لَهُ عَسكَرا خَيْلٍ وطَيرٍ إذا رَمَى بها عَسكَراً لم يَبقَ إلاّ جَماجِمُهْ(٢٣)

٢٨ـ أجِلّتُها مِنْ كلّ طاغٍ ثِيابُهُ ومَوطِنُها مِن كلّ باغٍ مَلاغِمُهْ(٢٤)

٢٩ـ فَقَدْ مَلّ ضَوْءُ الصّبْحِ ممّا تُغيرُهُ ومَلّ سَوادُ اللّيلِ ممّا تُزاحِمُهْ

٣٠ـ ومَلّ القَنَا ممّا تَدُقّ صُدورُهُ ومَلّ حَديدُ الهِنْدِ ممّا تُلاطِمُهْ

٣١ـ سَحابٌ مِنَ العِقبانِ يزْحَفُ تحتَها سحابٌ إذا استَسقتْ سقتها صَوارِمُهْ(٢٥)

ـ ٧ ـ

٣٢ـ سلَكتُ صرُوفَ الدّهرِ حتى لقيتُهُ على ظَهرِ عَزْمٍ مُؤيَداتٍ قَوائِمُهْ(٢٦)

٣٣ـ مَهالِكَ لم تَصْحَبْ بها الذئبَ نَفسُه ولا حَمَلَتْ فيها الغُرابَ قَوادِمُهْ(٢٧)

٣٤ـ فأبصَرْتُ بَدراً لا يَرَى البدرُ مِثْلَهُ وخاطَبْتُ بحْراً لا يرى العِبْرَ عائِمُهْ(٢٨)

٣٥ـ غَضِبْتُ لَهُ لمّا رَأيْتُ صِفاتِهِ بلا واصِفٍ والشّعرُ تهذي طَماطِمُهْ(٢٩)

٣٦ـ وكنتُ إذا يَمّمْتُ أرضاً بَعيدَةً سرَيتُ فكنْتُ السرَّ واللّيلُ كاتمُهْ

---

٢٢) القبائع : جمع قبيعة، اي الحديدة او الفضة، التي فوق مقبض السيف. والجفون : أغمدة السيف. يريد ان الملوك يقفون متكئين على سيوفهم، وهي تحت مرافقهم، وعزائم سيف الدولة أمضى من سيوفهم.

٢٣) يريد : ان خيله اذا رمى بها الأعداء، هزمهم، وأتم الطير المرافق للجيش المهمة، فأكلهم، ولم يبق منهم الاّ الجماجم.

٢٤) أجلتها : أي ما تغطى ظهورها به، من ثياب الطغاة الذين يقتلهم. والملاغم : ما حول الفم. أي أن خيله تطأ في أفواه أعدائه البغاة.

٢٥) الصوارم ، جمع صارم: السيف. يريد ان في الجو سحاباً من العقبان التي ترافق جيشه، وان هذا السحاب، اذا طلب الشرب فان سيوفه تسقيه.

٢٦) مؤيدات : محكمات .

٢٧) مهالك : مفاوز مهلكة . والقوادم : صدور ريش الجناح. يريد : أن الذئب لا يستطيع قطعها، ولا الغراب الطيران فيها.

٢٨) العِبرْ : الشط.

٢٩) الطماطم : جمع طِمطِمة، ما لا يفهم من الكلام. وطمطم، هو الرجل الذي لا يفصح.

٣٧ـ لقد سَلّ سيفَ الدولَةِ المَجدُ مُعلَماً فلا المَجدُ مُخفيهِ ولا الضَّرْبُ ثالُمْ

٣٨ـ على عاتِقِ المَلْكِ الأغَرّ نِجادُهُ وفي يَدِ جَبّارِ السّماواتِ قائِمُهْ(٣٠)

٣٩ـ تُحارِبُهُ الأعداءُ وهْيَ عَبيدُهُ وتَدّخِرُ الأمْوالَ وهْيَ غَنائِمُهْ

٤٠ـ ويَستَكبِرُونَ الدّهرَ والدّهْرُ دونَهُ ويَستَعظِمونَ المَوتَ والموْتُ خادِمُهْ

٤١ـ وإنّ الذي سَمّى عَلِيّاً لمُنْصِفٌ وإنّ الذي سَمّاهُ سَيفاً لَظالِمُهْ

٤٢ـ وما كلّ سَيفٍ يَقْطَعُ الهَامَ حَدُّهُ وتَقْطَعُ لَزْباتِ الزّمانِ مَكارِمُهْ(٣١)

---

٣٠) المَلْك: المَلك. ويريد الخليفة. والمُلْكَ : المملكة. والعكبري (ج ـ ٣، ص ٣٤١) يرجع ذلك. والأغر: الأبيض الكريم، ونجاده : حمائل سيفه، والعاتق : موضع النجاد على الكتف.

٣١) لَزِبات : وقد سكّنها للضرورة، الشداند.

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل

وكان أبو الحسن أحمد بن بويه الديلمي، الملقب بمعز الدولة، قد دخل بغداد، سنة ٣٣٤. وبعد أن وطّد لنفسه، قصد الموصل، في ذي القعدة سنة ٣٣٧، وعليها ناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حمدان، أخو سيف الدولة الأكبر. فاستعد سيف الدولة لنصرة أخيه، ولرد هجوم معز الدولة. فلما أحس معز الدولة بتحرك سيف الدولة، صالح ناصر الدولة، وعاد الى بغداد.

فقال أبو الطيب هذه القصيدة :

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٧٠، ق ـ ١٦٥.

والعكبري : ج ـ ٣، ص ـ ٣٤، ق ـ ١٧٧.

والديوان: ص ـ ٢٧٤ .

ـ ١ ـ

١ـ أعْلى المَمَالِكِ مَا يُبْنى عَلى الأسَلِ وَالطَّعْنُ عِنْدَ مُحِبّيهِنَّ كالقُبَلِ(١)

٢ـ وَمَا تَقِرّ سُيُوفٌ في مَمَالِكِهَا حتى تُقَلقَلَ دَهراً قبلُ في القُلَلِ(٢)

٣ـ مِثْلُ الأميرِ بَغَى أمراً فَقَرّبَهُ طولُ الرّماحِ وَأيدي الخيلِ وَالإبِلِ(٣)

٤ـ وَعَزْمَةٌ بَعَثَتْهَا هِمّةٌ زُحَلٌ مَنْ تحتَها بمَكانِ التّرْبِ من زُحَلِ(٤)

٥ـ على الفُرَاتِ أعاصِيرٌ وَفي حَلَبٍ تَوَحُّشٌ لمُلَقّى النّصْرِ مُقْتَبَلِ(٥)

٦ـ تَتْلُو أسِنّتُهُ الكُتْبَ التي نَفَذَتْ وَيَجعَلُ الخيلَ أبدالاً من الرّسُلِ(٦)

٧ـ يَلقَى المُلوكَ فَلا يَلقَى سِوَى جَزَرٍ وَمَا أعَدوا فَلا يَلقَى سِوَى نَفَلِ(٧)

ـ ٢ ـ

٨ـ صَانَ الخليفَةُ بالأبْطَالِ مُهْجَتَهُ صِيَانَةَ الذّكَرِ الهِنْدِيّ بالخِلَلِ(٨)

٩ـ ألفَاعِلُ الفِعْلَ لَمْ يُفْعَلْ لِشِدّتِهِ وَالقَائِلُ القَوْلَ لم يُتْرَكْ وَلم يُقَل

---

١) الأسل : الرماح.

٢) تقلقل : تحرك. القلل : الرؤوس. يعني أن الملك لا يتوطد إلا بعد قطع رؤوس المقاومين.

٣) يقول : إن الأمير إذا طلب أمراً بعيداً قربته عليه الرماح.

٤) زحل : كوكب بعيد.

٥) المقتبل : الذي لم يظهر فيه أثر الكبر. يقول : على الفرات رياح تثير الغبار من جيوش أخيك، وفي حلب وحشة لك لغيابك عنها.

٦) تتلو: تتبع. نفذت : بمعنى أرسلت وبلغت. يعني إذا لم تفد الكتب أرسل الجيوش.

٧) الجزر : اللحم الذي تأكله السباع. النفل : الغنيمة. أي إذا لقي الملوك جعلهم ماكلا للسباع، وأخذ ما أعدوه غنيمة.

٨) الضمير من مهجته لسيف الدولة. الذكر : صفة للسيف. الخلل :أغشية الأغماد.

١٠ـ وَالباعِثُ الجَيشَ قد غالَتْ عَجاجتُه ضَوْءَ النهار فصار الظُهر كالطَفلِ(٩)

١١ـ الجَوَ أضْيَقُ مَا لاقاهُ سَاطِعُهَا وَمُقْلَةُ الشمسِ فيها أحيرُ المُقَلِ(١٠)

١٢ـ يَنَالُ أبْعَدَ منهَا وَهْيَ نَاظِرَةٌ فَمَا تُقَابِلُهُ إلاّ عَلى وَجَلِ

١٣ـ قد عرّض السيْفَ دونَ النازِلاتِ بِهِ وَظاهرَ الحزْمَ بينَ النفسِ وَالغِيَلِ(١١)

١٤ـ وَوَكّلَ الظنّ بالأسرارِ فانكَشَفَتْ لَهُ ضَمائِرُ أهلِ السهلِ وَالجَبَلِ

١٥ـ هُوَ الشْجاعُ يَعدّ البُخْلَ من جُبُنٍ وَهْوَ الجَوَادُ يَعُدّ الجُبنَ من بَخَلِ

١٦ـ يَعُودُ مِنْ كُلّ فَتْحٍ غيرَ مُفتَخِرٍ وقَد أغَذّ إلَيْهِ غَيرَ مُحْتَفِلِ

١٧ـ وَلا يُجيرُ عَلَيْهِ الدّهرُ بُغْيَتَهُ وَلا تُحَصّنُ دِرْعٌ مُهْجَةَ البَطَلِ

١٨ـ إذا خَلَعْتُ عَلى عِرْضٍ لَهُ حللاً وَجَدْتُها مِنْهُ في أبهَى من الحُلَلِ(١٢)

١٩ـ بِذِي الغَبَاوَةَ من إنْشَادِهَا ضَرَرٌ كَمَا تُضِرّ رِيَاحُ الوَرْدِ بالجُعَلِ(١٣)

ـ ٣ ـ

٢٠ـ لَقد رَأتْ كلُّ عَينٍ منكَ مَالِئَهَا وَجَرّدَتْ خيرَ سيْفٍ خيرَةُ الدوَلِ

٢١ـ فَمَا تُكَشّفُكَ الأعْدَاءُ عن مَللٍ من الحُرُوبِ وَلا الآرَاءُ عن زَلَلِ(١٤)

---

٩) غالته : ذهبت به. الطفل : آخر النهار.

١٠) الساطع : المنتشر، والضمير للعجاجة.

١١) عرضه : جعله معترضاً. النازلات : المصائب. ظاهر بين الثوبين : اذا لبس أحدهما فوق الآخر. الغيل : جمع الغيلة ، وهي أخذ الإنسان من حيث لا يدري. يقول : جعل سيفه معترضاً بينه وبين نوائب الدهر، فلا تصل إليه، ولبس الحزم فوق درعه، فجعله حاجزاً بين نفسه والغوائل.

١٢) العرض : موضع المدح والذم من الإنسان. واراد بالحلل المدائح.

١٣) الجعل : ضرب من الخنافس تضر به ريح الورد.

١٤) تكشفك عن ملل : أي تكرهك على اظهاره، يعني ان اعداءك لا يحملونك على الملل من الحرب، وآراءك لا تفضي بك الى الزلل، لأنها سديدة.

٢٢ـ وَكَمْ رِجَالٍ بلا أرْضٍ لِكَثْرَتِهِم تَرَكْتَ جَمعَهُمُ أرْضاً بلا رَجُلِ(١٥)

٢٣ـ ما زَالَ طِرْفُك يجري في دِمائِهِمُ حتى مَشَى بكَ مشْيَ الشارِبِ الثمِلِ(١٦)

ـ ٣ ـ

٢٤ـ يا مَنْ يَسيرُ وَحُكمُ الناظِرَينِ لَهُ فيما يَرَاه وَحُكمُ القلبِ في الجدَلِ(١٧)

٢٥ـ إن السَعَادَةَ فيمَا أنْتَ فَاعِلُهُ وُفِّقتَ مُرْتحِلاً أوْ غَيرَ مُرْتحِلِ

٢٦ـ أجْرِ الجِيادَ عَلى ما كنتَ مُجرِيَها وَخُذْ بنَفسِكَ في أخلاقِكَ الأوَلِ

٢٧ـ يَنْظُرْنَ مِنْ مُقَلٍ أدمَى أحِجتَّهَا قَرْعُ الفَوَارِسِ بالعَسَّالةِ الذُّبُلِ(١٨)

٢٨ـ فلا هَجَمتَ بهَا إلاّ عَلى ظَفَرٍ وَلا وَصَلْتَ بهَا إلاّ الى أمَلِ

---

١٥) يقول : إن كثيرين من أعدائك كانت أرضهم تضيق عليهم، فأهلكتهم حتى صارت أرضهم بلا رجال.

١٦) طرفك : فرسك.

١٧) الناظرين : العينين. . الجدل : الخصومة. أي له حكم عينيه فيما يراه، وله حكم قلبه في الخصومة.

١٨) الأحجة جمع حجاج : وهو العظم فوق العين. العسالة : اللينة المهتزة، صفة للرماح.

ولكن صدم الشر بالشر أحزم

وما كاد سيف الدولة يرتب علاقاته مع الاخشيديين، سنة ٣٣٦، حتى قام بغزوة لأرض الروم، كعادته. ولم يوفق في هذه الغزوة، فاستولى الروم على مرعش، سنة ٣٣٧ ونهبوا طرسوس.

وفي هذه السنة توفيت والدة سيف الدولة، فرثاها أبو الطيب بقصيدته :

نعد المشرفية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال

وفي السنة التالية، ٣٣٨، تقدم لاون الدمستق، الى بوقا، وبها حصنها الذي بني في أيام هشام بن عبدالملك، فخرج اليه محمد بن ناصر الدولة الذي استخلفه سيف الدولة في حلب، فكسر الدمستق محمداً، و«قتل من عسكره خلقاً»، كما جاء في التاريخ المنسوب الى أبي الفدا.

وفي هذا العام، توفي ابن سيف الدولة، أبو الهيجاء عبدالله في ميافارقين، فرثاه أبو الطيب بقصيدته :

بنا منك، فوق الرمل ما بك في الرمل
وهذا الذي يضني كذاك الذي يبلي

ثم ما لبث أن توفي أبو وائل تغلب بن داود، ابن عم سيف الدولة، وأحد قادته، في جمادى الأولى، تشرين الأول ٩٤٩، فرثاه أبو الطيب أيضاً.

وقرر سيف الدولة في ذكرى مرور عام على وفاة والدته، ان يزور قبرها في ميافارقين، فتحرك بخمسة آلاف من قواته، وعرضها في ميافارقين التي وصلها في شوال ٣٣٨/ نيسان ٩٥٠. ويبدو أنه كان يستعد لغزوة، فلم تمكنه الظروف.

وكان أبو الطيب يرافقه، فقال القصيدة التالية :*

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ١٤٩، ق ـ ١٨٥.
العكبري : ج ـ ٣، ص ـ ٣٥٠، ق ـ ٢٢١.
والديوان: ص ـ ٣٠٢.

١ـ إذا كانَ مَدحٌ فَالنَسِيبُ المُقَدَّمُ أكُلُّ فَصِيحٍ قالَ شِعْراً مُتَيَّمُ

٢ـ لَحُبُّ ابنِ عَبدِاللهِ أوْلى فإنَّهُ بِهِ يُبْدَأُ الذِّكْرُ الجَمِيلُ وَيُخْتَمُ

٣ـ أطَعْتُ الغَوَاني قبلَ مَطْمَحِ ناظِري إلى مَنظَرٍ يَصْغُرْنَ عنهُ وَيَعظُمُ(١)

٤ـ تَعَرَّض سَيْفُ الدَوْلَةِ الدَهرَ كلَّهُ يُطَبِّقُ في أوْصَالِهِ وَيُصَمِّمُ(٢)

٥ـ فَجَازَ لَهُ حَتى على الشمسِ حكمُهُ وَبَانَ لَهُ حَتى على البَدرِ مِيسَمُ(٣)

٦ـ كأنَّ العِدى في أرْضِهِم خُلَفَاؤُهُ فإنْ شاءَ حازُوها وَإنْ شاء سلَّمُوا

٧ـ وَلا كُتْبَ إلاّ المَشْرَفِيَّةُ عِنْدَهُ وَلا رُسُلٌ إلاّ الخَمِيسُ العَرَمْرَمُ(٤)

٨ـ فَلَمْ يَخْلُ من نصرٍ لَهُ مَنْ لَهُ يَدٌ وَلم يَخْلُ من شُكْرٍ لَهُ من له فَمُ

٩ـ وَلم يَخْلُ من أسمَائِهِ عُودُ مِنبَرٍ وَلم يَخْلُ دِينَارٌ وَلم يَخْلُ دِرْهَمُ(٥)

١٠ـ ضَرُوبٌ وَمَا بَينَ الحُسَامَينِ ضَيِّقٌ بَصِيرٌ وَمَا بَينَ الشُّجاعَينِ مُظْلِمُ(٦)

١١ـ تُبَارِي نُجُومَ القَذْفِ في كلِّ ليلَةٍ نُجُومٌ لَهُ مِنْهُنَّ وَرْدٌ وَأدْهَمُ(٧)

---

١) يريد : كنت تعلقت بالغواني، قبل أن أطمح الى معالي الأمور، فلما طمحت صغر شأن الغواني، وعظم في عينيّ شأن المعالي.

٢) تعرض : جاء من الجانب. يطبق : يقطع من المفصل. والتصميم : القطع في العظم. وهذا يعني ان سيف الدولة، يعالج الأمور برفق وحكمة حيناً وبعنف حيناً.

٣) الميسم : العلامة هنا.

٤) المشرفية : السيوف. والخميس : الجيش. والعرمرم : الكبير.

٥) يريد : ان الدعوة تتم له على المنابر، والعملة تضرب باسمه.

٦) يريد : يستطيع الضرب وما بين السيفين لا يتسع لضيقه، ويستطيع ان يرى والغبار يجعل ما بين المقاتلين مظلماً.

٧) يريد : ان نجومه وهي خيله، تسابق النجوم المنقضة، ومن خيله الورد، اي الأشقر من الخيل، والأدهم، أي الأسود.

١٢ـ يَطَأنَ مِنَ الأبطَالِ مَن لا حَملنَه وَمِنْ قِصَدِ المُرَانِ مَا لا يُقَوَّمُ(٨)

١٣ـ فَهُنَّ مَعَ السِّيدَانِ في البَرِّ عُسَّلٌ وَهُنَّ مَعَ النِّينَانِ في المَاءِ عُوَّمُ(٩)

١٤ـ وَهُنَّ مَعَ الغِزْلانِ في الوَادِ كُمَّنٌ وَهُنَّ مَعَ العِقبانِ في النِّيقِ حُوَّمُ(١٠)

١٥ـ إذا جَلَبَ النَاسُ الوَشيجَ فإنَّهُ بِهِنَّ وَفي لَبَاتِهِنَّ يُحَطَّمُ(١١)

١٦ـ بِغُرَّتِهِ في الحَرْبِ وَالسِّلمِ وَالحِجَى وَبَذلِ اللُّهَى وَالحمدِ وَالمجدِ مُعلمُ(١٢)

١٧ـ يُقِرَّ لَهُ بالفَضْلِ مَنْ لا يَوَدُّهُ وَيَقضي لَهُ بالسَّعدِ مَن لا يُنَجِّمُ

١٨ـ أجَارَ عَلى الأيَامِ حَتى ظَنَنْتُهُ يُطَالِبُهُ بالرَّدِّ عَادٌ وَجُرْهُمُ(١٣)

ـ ٢ ـ

١٩ـ ضَلالاً لِهذِي الرِّيحِ مَاذا تُرِيدُهُ وَهَدياً لِهذا السَّيلِ مَاذا يُؤَمِّمُ(١٤)

٢٠ـ ألَمْ يَسألِ الوَيْلُ الذي رَامَ ثَنْيَنَا فَيُخبِره عَنْكَ الحَدِيدُ المُثَلَّمُ(١٥)

---

٨) قِصَد: قِطع. والمران : الرماح اللينية. يريد ان خيله تطأ الأبطال من غير فرسانها، وتدوس قطع الرماح التي لا تقوَم لتشظيها.

٩) السِّيدان : جمع سيد، الذئب. وعُسَّل: جمع عاسل، سريع العدو. والنينان: جمع نون، الحوت.

١٠) كُمَّنٌ: جمع كامن. والنيق : رأس الجبل.

١١) الوشيج : أصول الرماح، وقصد بها الرماح هنا، واللبات : الصدور.

١٢) الحجا : العقل، واللها : العطايا، اي ان سيف الدولة معروف بغرته في الحرب والسلم ومعروف بالعقل والعطاء والمجد.

١٣) أجارَ: أي حمى، وعاد وجرهم، من العرب البائدة.

١٤) يؤمم : يقصد. وكانت الريح هبت، والمطر قد تساقط، يريد أبو الطيب : ما أضل هذه الريح، فما الذي تقصده، من عصفها، ويا ليت هذا السيل يهتدي، فيعرف من يقصد.

١٥) الويل : المطر.

ـ ٣ ـ

٢١ـ ولَمّا تَلَقّاكَ السّحَابُ بصَوْبِهِ تَلَقّاهُ أعلى مِنهُ كَعْباً وأكْرَمُ

٢٢ـ فَبَاشَرَ وَجْهاً طَالَما بَاشَرَ القَنَا وَبَلّ ثِياباً طَالَما بَلّهَا الدَّمُ

٢٣ـ تَلاكَ وَبَعضُ الغَيثِ يَتبَعُ بَعضَهُ مِنَ الشأمِ يَتْلُو الحَاذِقَ المُتَعَلّمُ(١٦)

٢٤ـ فَزَارَ التي زَارَتْ بكَ الخَيلُ قَبرَهَا وَجَشّمَهُ الشّوقُ الذي تَتَجشّمُ(١٧)

ـ ٤ ـ

٢٥ـ وَلَمّا عَرَضْتَ الجَيْشَ كانَ بهَاؤُهُ على الفَارِسِ المُرْخى الذؤابةِ منهُمُ(١٨)

٢٦ـ حَوَالَيْهِ بَحْرٌ للتّجَافِيفِ مَائِجٌ يَسيرُ بهِ طَوْدٌ من الخَيلِ أيْهَمُ(١٩)

٢٧ـ تَسَاوَتْ بهِ الأقْطَارُ حَتى كأنّهُ يُجَمّعُ أشتَاتَ الجِبَالِ وَيَنظِمُ

٢٨ـ وَكُلُّ فَتىً للحَرْبِ فَوْقَ جَبِينِهِ مِنَ الضّرْبِ سَطرٌ بالأسِنّةِ مُعجَمُ(٢٠)

٢٩ـ يَمُدّ يَدَيهِ في المُفَاضَةِ ضَيْغَمٌ وَعَيْنَيْهِ من تَحتِ التّريكَةِ أرْقَمُ(٢١)

٣٠ـ كَأجْنَاسِهَا رَايَاتُهَا وَشِعَارُهَا وَمَا لَبِسَتْهُ وَالسّلاحُ المُسَمّمُ(٢٢)

---

١٦) الحاذق : الذي يتقن عمله، والمتعلم الذي يتعلم منه، اي ان المطر تبعك، لأنك مطر مثله، ولكنك اكثر عطاء، ولذلك تبعك كما يتبع المتعلم استاذه.

١٧) يريد : فزار المطر قبر أمك التي زارته الخيل بك، وكلفه الشوق ما كلّفك.

١٨) الذؤابة : الضفيرة من الشعر، وقصد بها ابو الطيب الضفيرة المرخاة من عمامة سيف الدولة ، وهي من زي امراء العرب في الحرب.

١٩) التجافيف : جمع تجفاف، سلاح يلبسه الفرسان ويلبّس للخيل. والطود: الجبل. والايهم: الفلاة لا يهتدى فيها.

٢٠) الأسنة : جمع سنان، رؤوس الرماح. والمُعْجَم : أي الذي وضعت النقط على حروفه. ويريد: أن ضربات السيوف كانت سطراً طويلاً، وضربات الرماح، كانت نقطاً على السطر. والضرب في الوجه دليل الاقدام.

٢١) المفاضة : الدرع الواسعة، والتريكة : الخوذة، اي أن يدي الفتى يدا أسد، وعينيه عينا أفعى.

٢٢) المسمم : الذي أشرب السم.

٣١ـ وَأدَبَهَا طُولُ القِتَالِ فَطَرْفُهُ يُشِيرُ إلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ فَتَفهَمُ

٣٢ـ تُجَاوِبُهُ فِعلاً وَمَا تَسْمَعُ الوَحَى وَيُسْمِعُهَا لَحْظاً وَمَا يَتَكَلَّمُ(٢٣)

٣٣ـ تَجَانَفُ عَنْ ذاتِ اليَمِينِ كأنّهَا تَرِقّ لِمَيّافَارِقِينَ وَتَرْحَمُ(٢٤)

٣٤ـ وَلَوْ زَحَمَتْهَا بالمَنَاكِبِ زَحْمَةً دَرَتْ أيّ سورَيْهَا الضّعيفُ المُهَدَّمُ(٢٥)

٣٥ـ على كلّ طاوٍ تحتَ طاوٍ كأنّهُ من الدمِ يُسقى أوْ من اللحم يُطعَمُ(٢٦)

٣٦ـ لها في الوَغى زِيّ الفَوَارِسِ فَوْقَهَا فكُلّ حِصَانٍ دَارِعٌ مُتَلَثّمُ(٢٧)

٣٧ـ ومَا ذاكَ بُخلاً بالنفوسِ على القَنَا وَلَكِنّ صَدمَ الشرّ بالشرّ أحزَمُ

ـ ٥ ـ

٣٨ـ أتَحسَبُ بيضُ الهِندِ أصْلَكَ أصْلَها وَأنّكَ مِنْهَا؟ سَاءَ مَا تَتَوَهّمُ(٢٨)

٣٩ـ إذا نَحْنُ سَمّيْنَاكَ خِلْنَا سُيوفَنَا من التّيهِ في أغْمَادِهَا تَتَبَسّمُ

٤٠ـ ولَم نَرَ مَلْكاً قَطّ يُدعَى بدُونِهِ فَيرْضَى وَلَكِنْ يَجْهَلُونَ وَتَحلُمُ

٤١ـ أخَذْتَ على الأرْوَاحِ كُلّ ثَنِيّةٍ من العَيْشِ تُعطي من تَشاءُ وَتحرِمُ(٢٩)

٤٢ـ فَلا مَوْتَ إلاّ من سِنَانِكَ يُتّقَى وَلا رِزْقَ إلاّ من يَمِينِكَ يُقْسَمُ

---

٢٣) الوحى : الصوت.

٢٤) تجانف : أي تتجانف، بمعنى تتجنب.

٢٥) اي لو قصدت الخيل سور ميافارقين، لعرفت اي السورين أضعف، وقد جعل من اصطفاف الخيل سوراً.

٢٦) طاو : ضامر، والأولى للفارس والثانية لفرسه.

٢٧) أي أن الخيل كفرسانها، تلبس الدروع، وتتلثم.

٢٨) بيض الهند : سيوف الهند. ويريد أبو الطيب سيوف الهند، اذا ظنت أن أصلها من أصلك، أخطأت. لأنك عربي، وهي هندية، وانت شريكها في الاسم فقط، لا في الخصال.

٢٩) ثنية : طريق.

عرفتك والصفوف معبآت

وظهر الروم في أراضي أنطاكية ، فتحرك سيف الدولة في ربيع الأول ٣٣٩ ـ آب ـ ايلول ٩٦٠ لردهم، على رأس جيش كبير، يبلغ ثلاثين ألفاً. فانهزم الروم، وتبعهم سيف الدولة، عبر الأمانوس، فدخل كيليكيا، واتصل بجنود طرسوس. ثم تسلق وادي سيحان وكارملاس، مطارداً العدو، حتى جبل القبق. واتجه بسرعة نحو قيسارية. واخترق جبل اللكام، متوجهاً الى سمندو.

وكان يرافقه من الشعراء الببغاء وأبو فراس وأبو الطيب. وكان أبو الطيب متقدماً. وحين التفت رأى سيف الدولة ، فعرفه. فما كان من أبي الطيب، الا أن عاد، فساير سيف الدولة، وأنشده هذه القصيدة*.

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ١٧١، ق ـ ١٨٧.

العكبري : ج ـ ١، ص ـ ٢٣٧، ق ـ ٥٠.

والديوان: ص ـ ٣٠٩.

وبلاشير : ص ـ ٢٧٢.

ـ ١ ـ

١ـ لهذا اليَوْمِ بَعْدَ غَدٍ أرِيجُ ... وَنَارٌ في العَدُوّ لهَا أجِيجُ(١)

٢ـ تَبِيتُ بهَا الحَوَاضِنُ آمِنَاتٍ ... وَتَسْلَمُ في مَسالِكِها الحَجِيجُ(٢)

٣ـ فلا زَالَتْ عُداتُك حيثُ كانَتْ ... فَرَائِسَ أيّهَا الأسَدُ المَهِيجُ

٤ـ عَرَفْتُكَ وَالصّفوفُ مُعَبّآتٌ ... وَأنتَ بغَيرِ سَيْفِك لا تَعِيجُ(٣)

٥ـ وَوَجْهُ البَحْرِ يُعْرَفُ من بَعيدٍ ... إذا يَسجُو فكَيْفَ إذا يَمُوجُ(٤)

٦ـ بأرْضٍ تَهْلِكُ الأشْوَاطُ فيهَا ... إذا مُلِئَتْ من الرّكضِ الفُرُوجُ(٥)

٧ـ تحاوِلُ نَفسَ مَلْكِ الرّومِ فيهَا ... فَتَفْدِيهِ رَعِيّتُهُ العُلُوجُ(٦)

ـ ٢ ـ

٨ـ أبِالغَمَرَاتِ تُوعِدُنَا النَّصَارَى ... وَنَحنُ نُجُومُهَا وَهيَ البُرُوجُ(٧)

٩ـ وَفِينَا السّيْفُ حَمْلَتُهُ صَدُوقٌ ... إذا لاقَى وَغَارَتُهُ لَجُوجُ(٨)

---

١) الأريج : الرائحة الطيبة. الأجيج : الاشتعال.

٢) الحواضن : المربيات.

٣) لا تعيج : لا تبالي.

٤) يسجو : يسكن.

٥) الفروج : ما بين قوائم الفرس.

٦) العلوج، جمع علج : الجافي من رجال العجم.

٧) الغمرات : الشدائد.

٨) لج في الأمر : الح . ولجوج : دائبة.

١٠ـ نُعَوِّذُهُ مِنَ الأعْيَانِ بَأساً وَيَكْثُرُ بالدّعاءِ لهُ الضّجيجُ[٩]

١١ـ رَضِينَا وَالدُّمُسْتُقُ غَيرُ رَاضٍ بمَا حَكَمَ القَواضِبُ وَالوَشيحُ[١٠]

١٢ـ فإنْ يُقْدِمْ فَقَد زُرْنَا سَمَنْدُو وَإنْ يُحجِمْ فمَوْعِدُنا الخليجُ[١١]

---

٩) الأعيان : العيون، اي نعوذ بأسه من اصابة العين.

١٠) الدمستق : صاحب جيش الروم. والوشيج : منابت الرماح، ثم سميت بها الرماح.

١١) سمندو : مدينة ببلاد الروم يعتقد أنها بلفراد الحالية. يحجم : يتأخر. والمراد بالخليج، القسطنطينية.

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع

عبر سيف الدولة بجيشه، في ربيع الأول ٣٣٩/آب ٩٥٠، الى مدينة سمندو (Tzamandos)، واجتاز نهر آلس (Halys) ، ونزل مدينة ضارجة (DHARIJA) التي سمّاها العرب صارخة، وكما جاء في شعر أبي الطيب أيضاً. ثم اتجه الى مدينة خرشنة (Charsianon) وأقام هناك بعض الوقت. وما لبث أن سار، فعبر نهر آلس، خلال رجوعه. وحين أمسى، ترك السواد، وأكثر الجيش ، وسرى مجتازاً خرشنة، الى بطن اللقان، ظهر اليوم التالي.

ولما شعر بتقدم الجيش الرومي، أنفذ سرية لمواجهة الدمستق، فظنها الدمستق كل جيش سيف الدولة. وبدأ القتال، فثبت الدمستق للسرية، واستطاع ان يهزمها. وفي هذا الوقت تقدمت قوات سيف الدولة، وهاجمت الجيش الرومي، فهزمته، وقتلت من فرسانه الكثير، كما أسرت قوات سيف الدولة الكثير من قادة الروم. ولكن الدمستق أفلت.

وعاد سيف الدولة الى سواده وعسكره، وقرر العودة. وفي طريق العودة، وصل الى عتبة تسمى مقطعة الأثفار أو مقطع الاظفار، واذا بالعدو يكمن على رأسها، فحمى سيف الدولة مؤخرة الجيش، فعبروا، وحين عَبرَ أشرف عليه العدو، فنزل على نهر عظيم، يدعى بردى. وكانت أمامه عقبة كبيرة، لم يستطع صعودها لضيقها، وكثرة العدو بها، فاتجه الى اليسار، بناء على نصيحة أدلائه. وظل يحمي ساقة الناس.

وهاجم العدو آخر النهار مؤخرة جيش سيف الدولة، وكانت قوات سيف الدولة مثقلة ومتعبة. فقاتل سيف الدولة، حتى العشاء، يوم السادس من جمادى الثانية ٩٥٠/١١/٢٠. وحين أظلم الليل، أخذت سرايا سيف الدولة تتسلل

للوصول الى سوادها. فلما رأى سيف الدولة الأعداد تتناقص لحق بالسواد، تحت عقبة قريبة من بحيرة الحدث. وكان العدو قد سيطر على الجبلين، من الجانبين. ورغم ذلك فان سيف الدولة قرر أن يخوض المعركة، فاستنفر قواته، فلم ينفر أحد، لأن من نجا من العقبة نهاراً لم يرجع، ومن بقي مكانه لم تكن فيه نصرة. ولما رأى سيف الدولة وضع الجيش أمر بقتل أسراه. وانصرف سيف الدولة في طريقه، فطاردته قوات الروم، ولم ينج الا بصعوبة، حين قفز به حصانه من على عدوة جبل. ولذلك سمّيت غزوة القفزة، وسمّاها أهل الثغور غزوة المصيبة أو الفناء.

وقد دامت هذه الغزوة ثلاثة اشهر، من ربيع الأول، سنة ٣٣٩ الى جمادى الآخرة، من السنة عينها. وكان أبو الطيب يرافق سيف الدولة في هذه الغزوة، ومَرّ آخر الليل بجماعة من أفراد قوات سيف الدولة ينامون بين قتلى الروم من التعب. وقد قال هذه القصيدة في جمادى الآخرة، سنة ٣٣٩، منتقداً التخاذل والمتخاذلين*.

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ١٧٥. ق ـ ١٨٨.

والعكبري : ج ـ ٢، ص ـ ٢٢١، ق ـ ١٣٨.

والديوان: ص ـ ٣١١.

١ـ غَيـري بأكثـرِ هـذا النّـاسِ يَنْخَـدعُ إنْ قـاتَـلُـوا جبُنُـوا أوْ حـدّثـوا شجعُوا

٢ـ أهـلُ الحَفيظَـةِ إلاّ أنْ تُجَـرّبَـهُـمْ وَفـي التجـارِبِ بـعـد الـغَـيّ ما يَزَعُ(١)

٣ـ ومَـا الحَيَـاةُ وَنَفسـي بعـدَمـا عَلِمَتْ أنّ الحَيَـاةَ كمَـا لا تَشتَهـي طَـبَـعُ(٢)

٤ـ لَيـسَ الجَمَـالُ لِـوَجـهٍ صَـحّ مَارِنُهُ، أنْـفُ العَـزِيـزِ بـقـطـع العِزّ يُجْتَدعَ(٣)

٥ـ أأطْـرَحُ المَجـدَ عـن كِتْفي وَأطلُبُهُ وَأتْـرُكُ الغَيـثَ في غِمـدي وَأنـتَجـعُ(٤)

٦ـ وَالمَشْـرَفِيّـةُ لا زَالَـتْ مُشَـرَّفَـةً دَوَاءُ كـلّ كَـرِيـمٍ أوْ هـيَ الـوَجَـعُ(٥)

٧ـ وَفَـارِسُ الخـيـلِ مـن خَفّـتْ فوَقّرَهَا في الـدّرْبِ وَالـدمُ فـي أعطافهِ دُفَـعُ(٦)

٨ـ فَـأوْحَـدَتْـهُ وَمَـا في قَـلْـبِـهِ قَلَـقٌ وَأغـضَـبَـتـهُ وَمَـا فـي لَفْـظِـهِ قَـذَعُ(٧)

ـ ٢ ـ

٩ـ بالجَيْـشِ تَـمـتـنـعُ السّـادَاتُ كُـلّهُـمُ وَالجَيْـشُ بـابْـنِ أبـي الهَيْجـاءِ يَـمـتَـنعُ

---

١) الحفيظة : الحمية. الغي : الضلال. يزع : يردع، أي أنهم أهل حمية ما لم يجربوا، وفي التجربة ما يمنع من الاغترار بعد ضلال.

٢) الطَبَع : الدنس في الأصل، ثم استخدمت للعيب والعار.

٣) المارن : الأنف، اجتدع الأنف : قطعه، ويعني بذلك أن المذلة تجدع أنف العزيز.

٤) الانتجاع : طلب الكلأ، وسمّي السيف المجد والغيث، وتساءل كيف يمكن أن أطرح السيف عن كتفي واتركه في غمده، وأطلب الخير.

٥) المشرفية : السيوف، وقد دعا لها ان تظل شريفة، لأنها دواء أوجاع كل كريم، اذ يدرك العزّ بها، أو انها وجعه لأنه يقتل بها.

٦) خفت : أصيبت بالذعر، وقَّرها : ثبتها وسكنها. الدرب: المضيق وكل مدخل الى بلاد الروم. أعطافه : جوانبه. الدُفع، جمع دُفْعة: ما تحرك مرة واحدة. والمراد بفارس الخيل سيف الدولة.

٧) أوحدته : تركته وحيداً. القذع : سوء القول والفحش. أي أنه ترك وحيداً، فلم يصبه القلق، وغضب فلم يفحش في القول.

١٠ـ قَادَ المَقَانِب أقصَى شُرْبِهَا نَهَلٌ على الشّكيمِ وَأدنى سَيْرِها سَرَعُ(٨)

١١ـ لا يَعْتَقي بَلَدٌ مَسْرَاهُ عَنْ بَلَدٍ كالمَوْتِ لَيسَ لَهُ رِيّ وَلا شِبَعُ(٩)

١٢ـ حَتى أقَامَ عَلى أرْبَاضِ خَرْشَنَةٍ تَشْقَى بِهِ الرّومُ وَالصُّلبَانُ وَالبِيعُ(١٠)

١٣ـ لِلسَّبيِ مَا نكحَوا، والقَتْلِ ما وَلَدوا والنهْبِ ما جَمَعوا، والنَّارِ مَا زَرعُوا

١٤ـ مُخْلىً لَهُ المَرْجُ مَنْصُوباً بصَارِخَةٍ لَهُ المَنَابِرُ مَشهُوداً بهَا الجُمعُ(١١)

١٥ـ يُطَمّعُ الطّيرَ فيهِم طُولُ أكْلِهِمِ حتى تَكادَ على أحيَائِهِمْ تَقَعُ

١٦ـ وَلَوْ رَأَهُ حَوَارِيّوهُمُ لَبَنَوْا على مَحَبّتِهِ الشرْعَ الذي شَرَعُوا

ـ ٣ ـ

١٧ـ لامَ الدّمُستقُ عَينَيهِ وَقَد طَلَعَتْ سُودُ الغَمَامِ فظَنّوا أنّهَا قَزَعُ(١٢)

١٨ـ فيهَا الكُمَاةُ التي مَفطُومُهَا رَجُلٌ على الجِيَادِ التي حَوْلِيّهَا جَذَعُ(١٣)

١٩ـ يَذرِي اللُّقَانُ غُبَاراً في مَنَاخِرِهَا وَفي حَنَاجِرِهَا من آلِسٍ جُرَعُ(١٤)

٢٠ـ كَأنّهَا تَتَلَقّاهُمْ لِتَسْلُكَهُمْ فالطّعنُ يفتحُ في الأجوَافِ ما يسع(١٥)

---

٨) المقانب: الجماعات من الخيل. النهل : أول الشرب. الشكيم جمع شكيمة : حديدة اللجام. السرع الإسراع.

٩) يعتقي : يعيق.

١٠) الأرباض : الانحاء .

١١) المرج : مكان . صارخة: مدينة.

١٢) القزع : القطع من السحاب.

١٣) الحولي : الذي مر عليه حول، أي سنة. والجذع : الذي مرت عليه سنتان، أي أن الصغير في جيش كبير.

١٤) اللقان : جبل في بلاد الروم، وآلس : نهر. يقال بينهما يومان، أي أن خيله، وهي ما زالت مرتوية من نهر آلس، تصل اللقان، وتثير غباره، ليملأ مناخرها.

١٥) أي كأن خيله، تلتقي الروم لتنفذ فيهم، لأن الطعن يفتح جراحاً واسعة.

٢١ـ تَهْدِي نَواظِرَهَا وَالحَرْبُ مُظلِمَةٌ مِنَ الأسِنَّةِ نَارٌ وَالقَنَا شَمَعُ(١٦)

٢٢ـ دُونَ السَّهَامِ وَدُونَ القُرِّ طَافِحَةٌ عَلى نُفُوسِهِمِ المُقْوَرَّةُ المُزَعُ(١٧)

٢٣ـ إذا دعا العِلْجُ عِلجاً حالَ بَيْنَهُمَا أظمَى تُفَارِقُ مِنهُ أُختَهَا الضَّلَعُ(١٨)

٢٤ـ أجَلُّ مِن وَلَدِ الفُقَاسِ مُنكَتِفٌ إذْ فاتَهُنَّ وَأمضَى منهُ مُنصَرِعُ(١٩)

٢٥ـ وَمَا نَجَا من شِفَارِ البِيضِ مُنفَلِتٌ نَجَا وَمِنهُنَّ في أحشائِه فَزَعُ(٢٠)

٢٦ـ يُبَاشِرُ الأمنَ دَهْراً وَهْوَ مختَبَلٌ وَيَشرَبُ الخمرَ حَوْلاً وَهوَ ممتَقِعُ(٢١)

٢٧ـ كَمْ مِنْ حُشَاشَةِ بِطْرِيقٍ تَضَمَّنَهَا لِلبَاتِرَاتِ أمِينٌ ما لَهُ وَرَعُ(٢٢)

٢٨ـ يُقَاتِلُ الخَطْوَ عَنْهُ حِينَ يَطلُبُهُ وَيَطرُدُ النَّوْمَ عَنهُ حِينَ يَضْطَجِعُ(٢٣)

٢٩ـ تَغدُو المَنَايَا فَلا تَنفَكّ وَاقِفَةً حَتى يَقُول لَهَا عُودِي فَتَندَفِعُ(٢٤)

---

١٦) أي أن الأسنة، كأنها نار، والقنا شمع تهدي عيون الخيل في ظلمة المعركة.

١٧) السهام : السموم. القر : البرد. طافحة : فائضة. المقورة: الضامرة ويعني الخيل. المزع: المسرعة، يريد ان سيف الدولة يغزو مرتين، واحدة قبل سموم الصيف، وواحدة قبل الشتاء. وان خيله الضامرة السريعة تفيض عليهم، قبل السموم، وقبل برد الشتاء. ويروى : السهام بالكسر والفر، يريد الفرار. أي أن خيله تفيض عليهم، رغم السّهام، ورغم الفرار.

١٨) الأظمى : من صفات الرمح. يريد أن الرمح الذي يفصل الضلع عن الضلع، يفصل بين الرومي والرومي اذا تداعيا.

١٩) الفقاس : الدمستق . المنكتف : المشدود الكتفين. اي اعظم من الدمستق الذي فرَّ منْ أُسر من قادته، وأشجع منه من صُرع رغم انه هرب من خيلك.

٢٠) يريد ان الذي أفلت من حد السيوف، ما نجا، لأنه هرب، وفي احشائه فزع.

٢١) اختبل : اصابته لوثة. المتقع : المتغير اللون.

٢٢) الحشاشة : بقية الروح. تضمنها : كفلها. والمراد بالأمين القيد. الورع : التقوى، يريد أن القيد يضمن للسيوف، أنه يسلمها الأسرى متى طُلبَ منه. وربما قصد بالأمين سيف الدولة، وأنه لا يتورع عن قتلهم.

٢٣) يريد: أن القيد يمنع الأسير من المشي، ويطرد النوم عنه، أو أن سيف الدولة، حين يطلب البطريق، لا يستطيع المشي، وحين ينام لا يستطيع النوم.

٢٤) ضمير يقول لسيف الدولة : التي تمر المنايا فتنتظر أمره، فاذا قال لها : عودي جاءت مندفعة.

ـ ٤ ـ

٣٠ـ قُلْ للدَمُستُقِ إنّ المُسْلَمينَ لَكُم خانُوا الأميرَ فجازاهُم بما صَنَعُوا(٢٥)

٣١ـ وَجَدتُمُوهُمْ نِيَاماً في دِمَائِكُمُ كأنّ قَتْلاكُمُ إيّاهُمُ فجَعُوا

٣٢ـ ضَعْفَى تَعِفّ الأيَادِي عن مِثَالِهِمُ منَ الأعادِي وَإنْ همّوا بهم نزعوا(٢٦)

٣٣ـ لا تحسَبوا من أسرْتم كان ذا رَمَقٍ فَلَيسَ يأكلُ إلاّ المَيْتَةَ الضَّبُعُ

٣٤ـ هَلاَّ على عَقَبِ الوَادي وَقد طَلَعَتْ أُسْدٌ تَمُرّ فُرَادَى لَيسَ تجتَمِعُ(٢٧)

٣٥ـ تَشُقّكُمْ بفَتَاهَا كُلُّ سَلْهَبَةٍ وَالضَّرْبُ يأخذُ منكم فوْقَ ما يدعُ(٢٨)

٣٦ـ وَإنّمَا عَرّضَ اللّهُ الجُنُودَ بكُمْ لكَيْ يَكونوا بلا فَسلٍ إذا رَجعوا(٢٩)

٣٧ـ فكُلّ غَزْوٍ إلَيكُمْ بَعدَ ذا فَلَهُ وَكلّ غازٍ لسَيْفِ الدَوْلَةِ التَّبَعُ(٣٠)

ـ ٥ ـ

٣٨ـ تَمشي الكِرَامُ على آثَارِ غَيرِهِمُ وَأنتَ تَخلُقُ ما تأتي وَتَبتَدِعُ

٣٩ـ وَهَلْ يَشِينُكَ وَقْتٌ كُنتَ فَارِسَه وَكانَ غيرُكَ فيه العاجزُ الضَّرَعُ

٤٠ـ من كان فوْقَ مَحلّ الشمسِ مَوْضِعُه فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيءٌ وَلا يَضَعُ

٤١ـ لم يُسلِم الكُّر في الأعقابِ مُهْجَتَهُ إنْ كان أسلمَها الأصْحابُ وَالشيَعُ(٣١)

٤٢ـ لَيتَ المُلُوكَ على الأقدارِ مُعْطِيَةٌ فلَم يكُنْ لدَنيءٍ عندَهَا طَمَعُ

---

٢٥) المُسلمين : أي الذين أُسْلموا لكم.

٢٦) نزعوا : مالوا وأعرضوا.

٢٧) هلا : حرف توبيخ، ويريد : لماذا لم تظهروا عندما مر الشجعان واحداً واحداً من عقبات الوادي، او من آخر الوادي.

٢٨) السلهبة : الطويلة من الخيل.

٢٩) الفسل : الضعيف من الرجال. وعرّضه : أمكنه منه، يريد: ان الله مكنكم من جيش سيف الدولة، حتى لا يكون في الجيش ضعفاء عندما يعود.

٣٠) يريد : ان كل غزو، بعد هذا الغزو لسيف الدولة، وكل غازٍ تابع له.

٣١) يسلم : يخذل. الكر : الرجوع الى الحرب. الأعقاب : الأواخر، ويريد: أواخر الخيل هنا. الشيع : الأتباع.

٤٣ـ رَضِيتَ مِنْهُمْ بأن زُرْتَ الوَغى فرأوْا وَأن قرَعتَ حَبيك البَيض فاستَمعوا(٣٢)

٤٤ـ لَقد أبَاحَكَ غِشّاً في مُعَامَلَةٍ مَن كنتَ منه بغيرِ الصّدقِ تَنتَفعُ

٤٥ـ الدهرُ مُعتَذِرٌ وَالسّيْفُ مُنْتَظِرٌ وَأرْضُهُمْ لكَ مُصْطافٌ وَمُرْتَبَعُ

٤٦ـ وَمَا الجِبَال لنَصْرَانٍ بحَامِيَةٍ وَلوْ تَنَصّرَ فيها الأعصَمُ الصَّدَعُ(٣٣)

٤٧ـ وَمَا حَمِدتُكَ في هَوْلٍ ثَبَتّ بِهِ حتى بَلَوتُكَ والأبْطَالُ تمتَصِعُ(٣٤)

٤٨ـ فقَدْ يُظَنّ شُجاعاً مَنْ بِهِ خَرَق وَقد يُظَنّ جبَاناً مَن بهِ زَمَعُ(٣٥)

٤٩ـ إنّ السّلاحَ جَميعُ الناسِ تَحْمِلُهُ وَلَيسَ كلّ ذوَاتِ المِخْلَبِ السَّبُعُ

---

٣٢) حبيك، جمع حبيكة : الخوذة. أي رضيت من الشعراء الذين رافقوك ان يشاهدوا الحرب، وان يسمعوا صوت الضرب على الخوذ.

٣٣) الأعصم : الوعل الذي في إحدى يديه بياض . الصدع : الفتي.

٣٤) بلوتك : جربتك. تمتصع : تفرّ.

٣٥) الخرق : الخفة والطيش. الزمع : الارتعاد.

وما الخوف إلاّ ما تخوفه الفتى

ولم تفتَّ الهزيمة السابقة، من عضد سيف الدولة. ولذلك بدأ غزوة صيفية جديدة، مع بداية سنة ٣٤٠/٩٥١. وما إن بلغ الخبر الروم، حتى طلب الدمستق فردس فقاس الهدنة. فرفض سيف الدولة. وسار عبر الرها وحران، ليقضي على أرمني، كون لنفسه سلطة محلية، بمساعدة الروم في منطقة ملطية، ومد سلطانه الى سميساط. وبات بذلك يهدد آمد على نهر دجلة، وطريق ميافارقين.

ودخل سيف الدولة آمد، وواصل زحفه نحو الشمال الغربي، لينقض على قلعة القبق الشرقية.

وتوقف ببقعة عربسوس، قرب المصيصة، وعبأ قواته، يريد سمندو، فبلغه ان العدو حشد أربعين ألفاً في انتظاره، وهز ذلك معنويات قوات سيف الدولة، فأنشد أبو الطيب القصيدة التالية*:

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ١٩٣، ق ـ ١٨٩.

والعكبري : ج ـ ٤، ص ـ ١٦٥، ق ـ ٢٥٩.

والديوان: ص ـ ٣١٦.

وبلاشير : ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

١ـ نَـزُورُ دِيَـاراً مـا نُحِـبّ لهَـا مَغْنـى وَنَسْـأَلُ فـيـهـا غـيـرَ ساكِنِهَا الإذنـا(١)

٢ـ نَـقُـودُ إلَـيْـهَـا الآخِـذَاتِ لَـنـا المَدى عَـلَـيـهـا الكُـمـاةُ المُحسِنـونَ بها ظَنّا

٣ـ وَتُصْفي الذي يُكنى أبا الحسنِ الهوَى وَتُرْضـي الـذي يُسمى الإلـهَ وَلا يُكْنى(٢)

٤ـ وَقَـد عَـلِـمَ الـرّومُ الشّقِيّـونَ أنّنَـا إذا مـا تـركـنـا أرْضَـهُـم خلفَنا عُدْنا

٥ـ وأنّـا إذا ما المَوْتُ صرّحَ في الوَغَى لبسنا إلى حاجاتِنـا الضـرْبَ والطَـعْـنا(٣)

٦ـ قَـصَـدْنَـا لَـهُ قَـصْـدَ الحَبيـبِ لِقَاؤهُ إلَـيْـنَـا وَقُـلْـنَـا للسّيُـوفِ هلمّنـا(٤)

٧ـ وَخَـيْـلٍ حَشَوْنَـاهَـا الأسِنّةَ بَعدَمَـا تكـدّسـنَ مـن هَنّـا عَلَيْنـا وَمـن هنّا(٥)

٨ـ ضُـرِبـنَ إلَـيْـنَـا بالسّيَـاطِ جَهَالَـةً فَـلَـمّـا تَـعـارَفـنَـا ضُـرِبـنَ بـهَـا عَـنّـا

٩ـ تَعَـدَّ القُـرَى وَالمُـسْ بنا الجيشَ لَمسةً نُـبَـارِ إلـى مـا تَشتَهـي يَدَكَ اليُمْنى(٦)

١٠ـ فـقَـد بَـرَدَتْ فَـوْقَ اللُّقَـانِ دِمَاؤهم وَنـحـنُ أُنَـاس نُـتْـبِـعُ الـبـارِدَ السّخنَا

١١ـ وَإن كنتَ سْيفَ الدوْلةِ العَضْبَ فيهمِ فـدَعـنـا نكـنْ قبـل الضـرَابِ القنا اللدنَا

١٢ـ فـنَـحـنُ الألـى لا نأتَـلي لـكَ نُصْرَةً وَأنْـتَ الـذي لَـوْ أنّـهُ وَحـدَهُ أغـنـى

١٣ـ يَقيكَ الرّدَى من يَبتَغي عندك العُلى ومَـن قـالَ لا أرْضى من العيش بالأدنى

١٤ـ فـلَـوْلاكَ لم تَجرِ الدّماءُ وَلا اللُّهَى وَلـم يَـكُ للدّنْـيَـا وَلا أهـلِـهـا مَـعـنى

١٥ـ وَمَـا الخَـوْفُ إلاّ مـا تَخَوّفَهُ الفَتى وَمَـا الأمـنُ إلا مـا رآهُ الفَـتـى أمْـنَـا

---

١) المغنى : المنزل، ويريد نزور ديار الأعداء التي لا نحبها، بإذن من سيف الدولة، لا منهم.
٢) نصفي : نصدق له الود. أبو الحسن كنية سيف الدولة واسمه علي.
٣) صرح : ظهر وانكشف.
٤) هلم : تعال، والأصل هلمي، ثم ادخلت عليها النون الثقيلة.
٥) تكدسن : تجمعن وركب بعضهن بعضاً وهنّا، اي هنا.
٦) تعدّ : تجاوز.

خليليّ إني لا أرى غير شاعر

وحاول سيف الدولة ان يواصل غزوته، ألا ان تساقط الثلوج، حال دون ذلك، فعاد الى حلب، عبر آمد. وأوحى ذلك لأبي الطيب بهذه القصيدة، في رمضان، سنة ٣٤٠، شباط سنة ٩٥٢.*

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ١٩٩، ق ـ ١٩٠.

والعكبري : ج ـ ١، ص ـ ٢٦٨، ق ـ ٥٩.

والديوان: ص ـ ٣١٨.

_ ١ _

١ـ عَـوَاذِلُ ذاتِ الـخـالِ فـيّ حَـوَاسِـدُ وَإنّ ضَـجـيـعَ الـخَـوْدِ منـي لمَاجِـدُ(١)

٢ـ يَـرُدّ يَـداً عـن ثَـوْبِهَـا وَهْـوَ قَـادِرٌ ويَعصـي الهـوَى في طيفها وَهوَ رَاقِدُ(٢)

٣ـ متى يَشتفي من لاعج الشوْقِ في الحشا مُـحِـب لـهَـا فـي قُـرْبِـهِ مُتَبَاعِـدُ(٣)

٤ـ إذا كنتَ تَخشَى العارَ في كـلّ خَلوةٍ فَلِـم تَتَصَبّـاكَ الحِسَـانُ الخـرَائِـد(٤)

٥ـ ألَـحَ عَـلـيّ السّقْـمُ حتـى ألِفْتُـهُ وَمَـلّ طَبِيبـي جَانـبـي وَالعَـوَائِـدُ(٥)

٦ـ مَرَرْتُ على دارِ الحَبيبِ فحَمْحمـتْ جَـوَادي وهَـل تُشجي الجيادَ المعاهدُ(٦)

٧ـ ومَا تُنكِرُ الدّهمـاءُ مـن رَسمِ مَنزِلٍ سَقتهـا ضَرِيـبَ الشّـوْلِ فيـه الـوَلائِدُ(٧)

_ ٢ _

٨ـ أهُـمّ بشَـيءٍ وَاللّيَـالـي كَـأنّـهَـا تُطَـارِدُنـي عَـنْ كَـوْنِـهِ وَأُطَـارِدُ(٨)

٩ـ وَحِـيـدٌ مِـنَ الخُـلاّنِ في كـلّ بَلدَةٍ إذا عَظُـمَ المَطلُـوبُ قَـلّ المُسـاعِـدُ

---

١) الخود : المرأة الناعمة، يقول : ان لاتمات المرأة ذات الخال لعلاقتها بي حاسدات. لأن الرجل الذي يضاجع هذه المرأة مِنّي رجل ماجد.

٢) يريد : انه عفيف في صحوته، وهو قادر، وعفيف في حلمه.

٣) لاعج : محرق. يريد : متى يشفى شوق حارق في حشا محب لها، يعف حتى وهو قريب.

٤) تتصباك : تدعوك الى الصبوة. الخرائد : جمع خريدة، المرأة الحيية. يقول : اذا كنت تخاف العار كلما اختليت بها، فلماذا تشوقك النساء الحييات.

٥) العوائد : الزوار.

٦) المعاهد : المنازل. وتشجي : تحزن.

٧) الدهماء : السوداء، يعني فرسه. ضريب : اللبن. والشول ، جمع شائل: الناقة التي قل حليبها. الولائد، جمع وليدة، الجارية.

٨) يريد : أنه يهم بأمر، وكأن الليالي تطاردني لتمنع تحققه، وأطاردها. وقال كأن : لأن الليالي ليست عاقلة.

١٠ـ وَتُسْعِدُنـي في غَمـرَةٍ بَعْـدِ غَمْـرَةٍ سَبُـوحٌ لـهَـا مِنْهَـا عَلَيْهَـا شَوَاهِـدُ(٩)

١١ـ تَـثَـنّـى عَـلى قَـدْرِ الطِّعَـانِ كَأَنّمَا مَفَاصِلُهَـا تَحـتَ الـرِّمَـاحِ مَـرَاوِدُ(١٠)

١٢ـ وَأُورِدُ نَفسـي وَالمُهَنّـدُ في يَـدِي مَـوَارِدَ لا يُصْـدِرْنَ مَـن لا يجالِدُ(١١)

١٣ـ وَلكِـنْ إذا لـم يَحْمِلِ القَلْبُ كفَّـهُ عـلى حالَـةٍ لـم يحمِـلِ الكَفَّ ساعِدُ(١٢)

ـ ٣ ـ

١٤ـ خَليـلَيّ إنـي لا أرَى غَيـرَ شَاعِـرٍ فَـلِـمْ منهـمُ الدعـوَى ومِنّـي القَصَـائِدُ

١٥ـ فَـلا تَعجَبَـا إنّ السّيُـوفَ كَـثِيـرَةٌ وَلكِـنّ سَيْـفَ الـدّوْلَـةِ اليـوْمَ وَاحـدُ

١٦ـ له من كريم الطبع في الحَرْبِ مُنتَضٍ ومَـن عـادةِ الإحسـان وَالصّفـحِ غـامـدُ

١٧ـ وَلمّـا رَأيـتُ النّـاسَ دُونَ مَحَلّـهِ تَيَقّنْـتُ أنّ الـدّهْـرَ للنّـاسِ نَـاقِـدُ

١٨ـ أحَقُّهُـمُ بالسّيْـفِ مَـن ضرَبَ الطُّلى وبَالأمنِ مـن هـانَـتْ عليـه الشـدائدُ(١٤)

١٩ـ وَأشقَى بلادِ اللهِ ما الـرّومُ أهلُهَـا بهـذا ومَـا فيـهـا لـمَـجـدِكَ جَـاحِدُ

٢٠ـ شَنَنْـتَ بهـا الغَـارَاتِ حتى تَرَكتَهَا وَجَفـنُ الـذي خَـلْـفَ الفـرَنـجـةِ ساهِدُ

٢١ـ مُـخَـضَّـبَـةٌ وَالقَـوْمُ صَرْعَـى كَأنّهَا وَإنْ لـم يَكُونـوا ساجديـنَ مَسـاجِـدُ(١٥)

---

٩) أسعده : ساعده. غمرة : شدة. السبوح : الفرس التي كأنها تسبح. يقول : وتساعدني في الشداند فرس سابح، لها دلائل على كرم أصلها.

١٠) تثنى : تتثنى. مراود ، جمع مرود: حديدة تدور في اللجام.

١١) المهند : السيف. وأورد : أقصد الماء. يصدر : يعود عن الماء. يقول : أدْخِل نفسي في معارك، والسيف في يدي لا يخرج منها من لا يحسن المجالدة.

١٢) يريد : أن الكف، ان لم يحمل القلب، لم يحمل الكف الساعد.

١٣) انتضى السيف : سلّه. غامد : الذي يضع السيف في غمده.

١٤) الطلى : الرقاب.

١٥) مخضبة : ملطخة بالدماء.

٢٢ـ تُنَكِّسُهُمْ وَالسَّابِقَاتُ جِبَالُهُمْ وَتَطْعَنُ فِيهِمْ وَالرِّمَاحُ المَكَابِدُ(١٦)

٢٣ـ وتَضرِبهم هبراً وَقد سكنوا الكُدَى كما سكَنتْ بطنَ التُرَابِ الأساوِدُ(١٧)

٢٤ـ وَتُضْحي الحصُون المشمخرّات في الذُّرَى وَخَيْلُكَ في أعنَاقِهِنّ قَلائِدُ(١٨)

٢٥ـ عَصَفْنَ بهِمْ يَوْمَ اللُّقَانِ وَسُقنهم بهنرِيطَ حتى أبيَضّ بالسبي آمِدُ(١٩)

٢٦ـ وَألحَقن بالصّفصَافِ سابورَ فانهَوَى وذَاقَ الرّدَى أهلاهُما وَالجلامِدُ(٢٠)

٢٧ـ وَغَلّس في الوَادِي بِهِنّ مُشَيَّعٌ مُبَارَكُ ما تحتَ اللثَامَينِ عابِدُ(٢١)

٢٨ـ فَتًى يَشْتَهي طُولَ البِلادِ وَوَقتُهُ تَضِيقُ بِهِ أوْقَاتُهُ وَالمَقَاصِدُ(٢٢)

٢٩ـ أخُو غَزَوَاتٍ مَا تُغِبّ سُيُوفُهُ رِقَابَهُمُ إلاّ وَسَيْحَانُ جَامِدُ(٢٣)

٣٠ـ فلَم يَبقَ إلاّ مَن حَمَاهَا من الظُّبى لَمَى شَفَتَيْهَا وَالثُّدِيّ النّوَاهِدُ(٢٤)

---

١٦) نكسه عن فرسه : اذا اوقعه عنه . يريد : ان سيف الدولة يطيح بهم وهم متحصنون بجبالهم، وهي خيلهم التي يمتطونها، ويطعنهم برماح دهاته.

١٧) هبراً : يضرب هبراً، يفصل اللحم عن العظم. والكدى : جمع كدية، الأرض الصلبة، والأساود، جمع أسود، الحية.

١٨) المشمخرات : جمع مشمخر، العالي. والذرى : جمع ذروة، رؤوس الجبال. يريد أن خيل سيف الدولة تحيط بالحصون في رؤوس الجبال احاطة القلائد بالأعناق.

١٩) عصفن بهم : أطحن بهم. وابيض بالسبي آمد، أي صارت آمد بيضاء من كثرة السبي لأن الروم بيض الألوان، وسور آمد وحجارتها سوداء (المعري : ج ـ ٣ ص ـ ٢٠٩).

٢٠) الصفصاف وسابور حِصْنان. والردى : الموت. والجلامد : الصخور. يريد : ان خيل سيف الدولة اسقطن حصني سابور والصفصاف. وهلك أهلوهما وحجارتهما.

٢١) غلس : سار في آخر الليل. مشيع: شجاع. يريد : سار في آخر الليل بالخيل شجاع، مبارك الوجه ملثم بلثامين، الأول : لثام الوجه من قماش ونحوه، والثاني : ما يرسل على الوجه من حلق الخوذة.

٢٢) يريد : ان سيف الدولة فتى يشتهي ان تتسع البلاد له ولجيشه، وان يطول وقته، اي عمره، ولكن عمره يضيق بأيامه وأهدافه.

٢٣) تغب : تتأخر. وسيحان نهر. يريد : ان سيوف سيف الدولة، لا تتأخر عن الروم الا عندما يتجمد نهر سيحان.

٢٤) الظبى ، جمع ظبية: السيف. لمى : سواد الشفتين.

٣١ـ يُبَكّى عَلَيهنّ البَطارِيقُ في الدجى وَهُنّ لَدَيْنَا مُلْقَيَاتٌ كَوَاسِدُ

ـ ٤ ـ

٣٢ـ بذا قَضَتِ الأيّامُ ما بَينَ أهْلِهَا، مَصَائِبُ قَوْمٍ عندَ قَوْمٍ فَوَائِدُ
٣٣ـ وَمن شَرَفِ الإقدَامِ أنّكَ فِيهِمِ على القَتلِ مَوْمُوقٌ كأنّك شَاكِدُ(٢٥)
٣٤ـ وَأنّ دَماً أجرَيتَهُ بكَ فَاخِرٌ وَأنّ فُؤاداً رُعْتَهُ لكَ حَامِدُ
٣٥ـ وَكلٌّ يَرَى طُرُقَ الشجاعةِ وَالندى وَلكِنّ طَبْعَ النّفسِ للنفس قَائِدُ

ـ ٥ ـ

٣٦ـ نَهَبْتَ من الأعمَارِ ما لَوْ حَوَيْتَهُ لَهُنّئتِ الدّنْيَا بأنّكَ خَالِدُ
٣٧ـ فأنْتَ حُسامُ المُلْكِ وَاللّهُ ضَارِبٌ وَأنْتَ لِوَاءُ الدّينِ وَاللّهُ عاقِدُ
٣٨ـ وَأنْتَ أبو الهَيْجَا بنُ حمدانَ يا ابنهُ تَشَابَهَ مَوْلُودٌ كَرِيمٌ وَوَالِدُ(٢٦)
٣٩ـ وَحَمدانُ حمدونٌ وَحمدونُ حارثٌ وَحَارِثُ لُقْمَانٌ وَلُقْمَانُ رَاشِدُ(٢٧)
٤٠ـ أُولئِكَ أنْيَابُ الخِلافَةِ كُلُّهَا وَسَائِرُ أمْلاكِ البِلادِ الزّوَائِدُ

ـ ٦ ـ

٤١ـ أُحِبّكَ يا شمسَ الزّمَانِ وَبَدْرَهُ وَإنْ لامَني فيكَ السُّهَى والفَرَاقِدُ
٤٢ـ وذَاكَ لأنّ الفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرٌ وَلَيسَ لأنّ العَيشَ عندَكَ بَارِدُ(٢٨)
٤٣ـ فإنّ قَليلَ الحُبّ بالعَقْلِ صَالِحٌ وَإنّ كَثِيرَ الحُبّ بالجَهْلِ فَاسِدُ

---

٢٥) موموق : المحبوب. والشاكد : المعطي.
٢٦) حمدان، جد سيف الدولة. وأبو الهيجاء ، والده واسمه عبدالله.
٢٧) يسلسل أجداد سيف الدولة.
٢٨) العيش البارد : الهني، الطيب.

هنيئاً لأهل الثغر رأيك فيهم

وكان سقوط مرعش، سنة ٣٣٧ ـ ٩٤٩، قد أثر في نفس سيف الدولة، كما أن موقع مرعش، ضايق سيف الدولة في حركاته الحربية. ولذلك، قرر في الشهر الأول من سنة ٣٤١، وحزيران ٩٥٢، ان يستعيد مرعش. فهاجمها بقوة، واستولى عليها دون صعوبة، وأخذ يعيد بناءها. وفي هذه الأثناء، قام الدمستق بهجوم مضاد، فألحق به سيف الدولة هزيمة كبيرة. فقال أبو الطيب القصيدة التالية *:

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٢٢٥، ق ـ ١٩٢.

والعكبري : ج ـ ١ ، ص ـ ٥٦، ق ـ ١٣.

والديوان: ص ـ ٣٢٥.

_ ١ _

١ـ فَدَيْنَاكَ من ربعٍ وَإنْ زِدتَنا كَرْبا فإنّك كنتَ الشرْقَ للشمس وَالغَرْبَا(١)

٢ـ وَكَيْفَ عَرَفنا رَسْمَ مَنْ لم يَدَعْ لنَا فُؤاداً لِعِرْفَانِ الرَّسُوم وَلا لُبّا

٣ـ نَزَلْنَا عَنِ الأكْوَارِ نَمشي كرَامَةً لمَنْ بَانَ عَنهُ أنْ نُلِمّ بهِ رَكْبَا(٢)

٤ـ نَذُمّ السَحَابَ الغُرَّ في فِعْلِهَا بهِ وَنُعرِضُ عَنْهَا كلّما طَلَعتْ عَتْبَا

٥ـ وَمن صَحِبَ الدنيا طَوِيلاً تَقَلّبَتْ على عَيْنِهِ حتى يَرَى صِدقَها كذبَا

٦ـ وَكَيْفَ التذاذي بالأصَائلِ وَالضّحَى إذا لم يَعُدْ ذاك النّسيمُ الذي هَبَا

٧ـ ذكرْتُ بهِ وَصْلاً كأنْ لم أفُزْ بِهِ وَعَيْشاً كأني كنتُ أقطَعُهُ وَثْبَا

_ ٢ _

٨ـ وَفَتّانَةِ العَيْنَينِ قَتّالَةِ الهَوَى إذا نَفَحَتْ شَيْخاً رَوَائِحُهَا شَبّا

٩ـ لها بَشَرُ الدُّرّ الّذي قُلّدَتْ بِهِ وَلَم أرَ بَدْراً قَبْلَهَا قُلّدَ الشُّهْبَا

١٠ـ فَيَا شَوْقُ ما أبقَى ويَا لي من النّوَى وَيَادَمعُ ما أجرَى، ويَا قلبُ ما أصْبَى(٣)

١١ـ لَقد لَعِبَ البَينُ المُشِتُّ بهَا وَبي وَزَوّدَنِي في السّيرِ ما زَوّدَ الضّبّا(٤)

---

١) الكرب : الحزن.

٢) الأكوار : جمع كور، الرحل.

٣) ما أبقى، أي ما أبقاك، ويا دمع ما أجراك، ويا قلب ما أصباك.

٤) المشت : المفرق. الضب : دويبة معروفة، وهو مثل في الحيرة، ولذلك قيل «أضل من ضب».

ـ ٣ ـ

١٢ـ وَمن تكنِ الأُسدُ الضَّوَارِي جُدودَهُ يكُنْ لَيْلُهُ صُبْحاً وَمَطعمهُ غصْبَا

١٣ـ وَلَسْتُ أُبَالي بَعدَ إدرَاكيَ العُلى أكَانَ تُرَاثاً ما تناوَلتُ أمْ كَسْبَا؟

١٤ـ فَرُبَّ غُلامٍ عَلّمَ المَجْدَ نَفْسَهُ كتعليم سيْفِ الدوْلة الطعن وَالضرْبَا(٥)

١٥ـ إذا الدَوْلَةُ استَكْفَتْ بهِ في مُلِمّةٍ كفاها فكانَ السيْفَ وَالكَفّ وَالقَلبَا

١٦ـ تُهابُ سيوفُ الهِندِ وَهْيَ حَدائِدٌ فكَيْفَ إذا كانَتْ نِزَارِيّةً عُرْبَا(٦)

١٧ـ وَيُرْهَبُ نابُ الليثِ وَالليثُ وَحدَهُ فكَيْفَ إذا كانَ اللّيوثُ لهُ صَحْبَا

١٨ـ وَيُخْشَى عُبَابُ البَحْرِ وَهُوَ مكانَه فكَيْفَ بمَنْ يَغشَى البلادَ إذا عَبَا(٧)

١٩ـ عَلِيمٌ بأسرَارِ الدّيَانَاتِ وَاللُّغَى لهُ خَطَرَاتٌ تَفضَحُ النَاسَ وَالكُتبَا

٢٠ـ فَبُورِكتَ من غَيثٍ كأنّ جُلُودَنَا بهِ تُنبِتُ الديباجَ وَالوَشْيَ وَالعَصْبَا(٨)

٢١ـ وَمن وَاهِبٍ جَزْلاً وَمن زَاجِرٍ هَلا وَمن هاتِكٍ دِرْعاً وَمن ناثرٍ قُصْبَا(٩)

ـ ٤ ـ

٢٢ـ هَنِيئاً لأهْلِ الثّغْرِ رَأيُكَ فِيهِمِ وَأنّك حِزْبَ اللّهِ صرْتَ لهم حِزْبَا

٢٣ـ وَأنّك رُعتَ الدّهرَ فيهَا وَرَيْبَهُ فإن شكّ فليُحدِثْ بساحتِها خَطبَا

٢٤ـ فَيَوْماً بَخيْلٍ تَطْرُدُ الرّومَ عنهُمُ وَيَوْماً بجُودٍ تطرُدُ الفَقرَ وَالجَدْبَا

---

٥) يعني بالغلام نفسه .

٦) نزارية : نسبة إلى نزار القبيلة المشهورة.

٧) عباب البحر : معظمه. يغشى : يغطي. عب : زخر وكثر موجه.

٨) العصب : ضرب من برود اليمن.

٩) هلا : اسم صوت تزجر به الخيل. القصب : المعي.

٢٥ـ سَرَاياكَ تَترَى وَالدُّمُستُقُ هارِبٌ وَأصْحَابُهُ قَتْلى وَأمْوَالُه نُهْبى

٢٦ـ أتى مَرْعَشاً يَستَقرِبُ البُعدَ مُقبِلاً وَأدبرَ إذ أقبلتَ يَستَبعِدُ القُرْبَا

٢٧ـ كذا يَترُكُ الأعداءَ مَن يكرَهُ القَنا وَيَقفُلُ مَن كانتْ غَنيمتُهُ رُعبَا

٢٨ـ وَهَلْ رَدّ عَنْهُ باللُّقَانِ وُقُوفُهُ صُدُورَ العَوَالي وَالمُطَهَّمَةَ القُبَا(١٠)

٢٩ـ مَضَى بَعدَما التَفّ الرّماحانِ ساعَةً كما يتَلقّى الهُدبُ في الرّقدَةِ الهُدْبَا

٣٠ـ وَلكِنّهُ وَلّى وَللطّعْنِ سَوْرَةٌ إذا ذكَرَتْهَا نَفسُهُ لمَسَ الجَنْبَا(١١)

٣١ـ وَخَلى العَذارَى وَالبَطارِيقَ وَالقُرَى وَشُعثَ النصَارَى وَالقرابينَ وَالصُّلبَا(١٢)

ـ ٥ ـ

٣٢ـ أرَى كُلَّنَا يَبْغي الحَيَاةَ لِنَفْسِهِ حَرِيصاً عَلَيْهَا مُسْتَهَاماً بها صَبَا

٣٣ـ فحُبُّ الجَبَانِ النفس أوْرَدَهُ التُّقى وَحُبُّ الشجاعِ النَّفْسِ أوْرَده الحرْبَا

٣٤ـ وَيختَلِفُ الرّزْقانِ وَالفِعلُ وَاحِدٌ إلى أنْ تَرَى إحسانَ هذا لِذا ذَنْبَا

٣٥ـ فأضْحَتْ كأنّ السّورَ من فوْقِ بَدْوُهُ إلى الأرض قد شقّ الكوَاكبَ وَالتربَا(١٣)

٣٦ـ تَصُدّ الرّيَاحُ الهُوجُ عَنْهَا مَخافَةً وَتَفزَعُ فيها الطّيرُ أن تلقُطَ الحَبَا

٣٧ـ وَتَرْدِي الجِيادُ الجُرْدُ فوْق جبالها وَقد نَدَف الصّنّبرُ في طُرْقها العُطبَا(١٤)

---

١٠) القب : الضامرة.

١١) السورة : الحدة. وقوله لمس الجنب : أي ليعرف هل أصابته الطعنة أم لا.

١٢) الشعث جمع أشعث : المغبر الرأس يريد بهم الرهبان.

١٣) ضمير أضحت لمرعش. أي كان سور هذا البلد من أعلاه قد شق الكواكب، ومن أسفله قد شق الأرض.

١٤) ردى الفرس : رجم الأرض بحوافره، أو هو بين العدو والمشي. الصنبر : الريح الباردة . العطب : القطن أراد به الثلج.

٣٨ـ كَفَى عَجَباً أنْ يَعجَبَ النّاسُ أنهُ بَنـى مَرْعَشاً، تَبّاً لآرَائِهِمْ تَبّا

٣٩ـ ومَا الفَرْقُ ما بينَ الأنَامِ وَبَيْنَهُ إذا حَذِرَ احذورَ وَاستصْعبَ الصّعبَا

٤٠ـ لأمْرٍ أعَدّتْهُ الخِلافَةُ للعِدَى وَسَمّتهُ دونَ العالمِ الصّارِمَ العَضْبَا

٤١ـ وَلَم تَفْتَرِقْ عنهُ الأسِنّةُ رَحْمَةً ولَم تَترُكِ الشأمَ الأعادِي لهُ حُبّا

٤٢ـ وَلكِنْ نَفَاها عَنْهُ غَيرَ كَرِيمَةٍ كَرِيمُ الثّنَا ما سُبّ قَطّ وَلا سَبّا

٤٣ـ وَجَيشٌ يُثَنّي كُلَّ طَوْدٍ كَأنّهُ خَرِيقُ رِياحٍ وَاجَهتْ غُصُناً رَطْباً(١٥)

٤٤ـ كأنّ نُجُومَ اللّيلِ خافَتْ مُغَارَهُ فَمَدّتْ عَلَيها من عَجاجَته حُجبَا

٤٥ـ فمن كانَ يُرْضي اللؤمَ وَالكفرَ ملكُهُ فهذا الذي يُرْضي المَكارِمَ وَالرّبّا(١٦)

---

١٥) الخريق من الرياح : الشديدة الهبوب.

١٦) يقول : إن كان غيره من الملوك يرضي اللؤم والكفر، فهذا يرضي المكارم والاله بسخائه وجهاده.

وأحر قلباه

كان أبو الطيب معجباً بسيف الدولة، وكان سيف الدولة يبادله الاعجاب. ولكن أبا الطيب، كان يريد لدولة سيف الدولة أن تكون دولة القيم التي يتبناها أبو الطيب. وسيف الدولة قائد فارس شجاع. ولكنه مَلِك، يجمع حوله الأبطال والحاشية، وفي الأبطال من لهم مطامحهم ومطامعهم، وفي الحاشية، من يفتن ويدس. وكان سيف الدولة يتقن لعبة الملك، والاستمتاع باختلاف الرجال، والتسلي بالمشاحنات. ولم يكن أبو الطيب يطيق ذلك.

وكان قصر سيف الدولة، يعج بمناورات السائرين وراء سيف الدولة، العاملين في عهد التقية لخدمة مآربهم، سواء كانت عامة أو خاصة. وكان أبو الطيب، الذي لا يشرب ولا يزني ولا يكذب، والذي يرافق الأمير في معاركه، هدفاً للمناورين والمجّان.

ثم ان سيف الدولة، كان يريد من أبي الطيب أن يمدحه دائماً، وأبو الطيب، يكتفي بما يراه.

ويبدو أن أبا الطيب أحس بما أقلقه، فاضطر للمواجهة، وأنشد هذه القصيدة، في محفل حافل.*

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٢٤٧ ، ق ـ ١٩٤.

العكبري : ج ـ ٣، ص ـ ٣٦٢، ق ـ ٢٢٢.

والديوان: ص ـ ٣٣١.

ـ ١ ـ

١ـ وَاحَـرَّ قَلْبـاهُ مِمَّـنْ قَـلْـبُـهُ شَبِـمُ وَمَـنْ بِجِسْمِـي وَحـالي عِنْـدَه سَقَمُ(١)

٢ـ مَـالي أُكَتِّـمُ حُبّـاً قَـدْ بَرى جَسَدي وَتَدَّعـي حُـبَّ سَيْـفِ الدَوْلَـةُ الأُمَـمُ

٣ـ إنْ كَـانَ يَجْمَعُنـا حُـبٌ لِغُـرَّتِـهِ فَـلَـيْـتَ أَنَّـا بِـقَـدْرِ الحُـبِّ نَقْتَسِـمُ

٤ـ قَـدْ زُرْتُـهُ وَسُيـوفُ الهِنْـدِ مُغْمَدَةٌ وَقَـدْ نَـظَـرْتُ إلـيْـهِ والسُّيـوفُ دَمُ

٥ـ فَكـانَ أَحْسَـنَ خَـلْـقِ اللّـهِ كُلِّهِـمُ وَكانَ أَحْسَـنَ مَـا فِي الأَحْسَـنِ الشِّيَمُ(٢)

٦ـ فَـوْتُ العَـدوِّ الـذّي يَمْمْتُـهُ ظَفَـرٌ فِـي طِـيِّـهِ أَسَـفٌ فِـي طِـيَـهِ نِـعَـمُ(٣)

٧ـ قَدْ نَابَ عَنْكَ شَديدُ الخوْف واصْطَنَعَتْ لَـكَ المَهـابَـةُ مَـا لاَ تَصْنَـعُ البُهَـمُ(٤)

٨ـ أَلْزَمْـتَ نَفْسَـكَ شَيْئاً لَيْـسَ يَلْزَمُهُـا أَنْ لاَ تُـوارِيَـهُـمْ أَرْضٌ وَلاَ عَـلَـمُ(٥)

٩ـ أَكُلَّـمـا رُمْـتَ جَيْشـاً فانثَنى هَرَبـاً تَصَرَّفَـتْ بِـكَ فِـي آثـارِهِ الـهِـمَـمُ

١٠ـ عَـلَـيْـكَ هَزْمُهُـمُ فِي كُـلِّ مُعْتَـرَكٍ وَمـا عَلَيْـكَ بِـهِـم عَـارٌ إذا أُنهَـزَمُـوا

١١ـ أَمَـا تَـرى ظَـفَـراً حُلْواً سِوى ظَفَرٍ تَصافَحَـتْ فِيـهِ بِيْـضُ الهِنْـدِ واللَّمَـمُ(٦)

ـ ٢ ـ

١٢ـ يَا أَعْـدَلَ النَّـاسِ إلاّ فِي مُعَامَلَتـي فَـيـكَ الخِصـامُ وأَنْـتَ الخَصْـمُ والحَكَمُ

---

١) شَبِم : بارد. يريد أبو الطيب : أتلهف مِمَّن قلبه بارد إزائي، ومن يرى جسمي عليلاً وحالي سقيما.

٢) الشِّيم : جمع شيمة ، الخليقة.

٣) فوْت : هرب . يممت : قصدت . نِعَم : جمع نِعْمة.

٤) البُهَم : الشجعان . يريد : أن الفزع الذي تحدثه في نفوس اعدائك، ناب عنك، وفعلت مهابتك ما لا يفعل الشجعان.

٥) العلم : الجبل . يريد : أنك الزمت نفسك بالقضاء على أعدائك، حتى لا يستطيع سهل أو جبل أن يخفيهم.

٦) اللمة : الشعر . يريد: أنك لا ترى الظفر ظفراً حلواً الاّ اذا صافحت السيوف الرقاب.

١٣ـ أُعيذُها نَظَراتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أنْ تَحْسبُ الشَّحْنَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ

١٤ـ وَما انتِفاعُ أخي الدُّنيا بِناظِرِهِ إذا استَوَتْ عِنْدَهُ الأنوارُ والظُّلَمُ

١٥ـ أنا الذَّي نَظَرَ الأعْمَى إلى أدَبي وَأسْمَعَت كَلِماتي مَنْ بِهِ صَمَمُ

١٦ـ أنَامُ مِلءَ جُفوني عَنْ شَواردها وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاها وَيَخْتَصِمُ

ـ ٣ ـ

١٧ـ وَجاهِلٍ مَدَّهُ فِي جَهْلِهِ ضَحِكي حَتّى أتَتْهُ يَدٌ فَرّاسَةٌ وفَمُ

١٨ـ إذا رَأيْتَ نُيوبَ اللَيْثِ بَارِزَةً فَلا تَظُنَنَّ أنَّ اللَيثَ يَبْتَسِمُ

ـ ٤ ـ

١٩ـ وَمُهْجَةٍ مُهْجَتي مِنْ هَمِّ صَاحِبِها أدْرَكْتُها بِجَوادٍ ظَهْرُهُ حَرَمُ(٧)

٢٠ـ رِجْلاهُ فِي الرَّكْضِ رِجْلٌ واليَدانِ يَدٌ وَفِعْلُهُ مَا تُرِيد الكَفُّ والقَدَمُ

٢١ـ وَمُرْهَفٍ سِرْتُ بَيْنَ الجَحْفَلينِ بِهِ حَتّى ضَرَبْتُ ومَوْجُ المَوْتِ يَلْتَطِمُ(٨)

٢٢ـ فالخَيْلُ والليلُ والبَيداءُ تَعْرِفُني والسَّيْفُ والرُّمْحُ والقِرطَاسُ والقَلَمُ

٢٣ـ صَحِبْتُ فِي الفَلَواتِ الوَحْشَ مُنْفَرِداً حَتّى تَعَجَّبَ مِنّي القُورُ والأكَمُ(٩)

ـ ٥ ـ

٢٤ـ يَا مَنْ يَعِزُّ عَلينا أنْ نُفارقَهُمْ وَجْدانُنا كُلَّ شَيءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ

٢٥ـ مَا كَانَ أخْلَقَنا مِنْكُم بِتَكْرِمَةٍ لَو أنَّ أمْرَكُمُ مِنْ أمْرِنا أمَمُ(١٠)

---

٧) المهجة : النفس. يريد ان هنالك من كان يطلبني، ولكني أدركته بفرس مَن ركبها أمن.

٨) الجحفلان : الجيشان، ويروى بين الموجتين بالمعنى عينه (المعري، ج ـ ٣، ص ـ ٢٥٥). والمرهف : السيف.

٩) القور : جمع قارة. أكمة صغيرة . والأكم : جمع أكمة، الجبل الصغير.

١٠) أمم : قريب.

٢٦ـ إنْ كَانَ سَرَّكُمُ مَا قَالَ حَاسِدُنا فَمَا لِجُرْحٍ إذا أرْضَاكُمُ أَلَمُ

٢٧ـ وَبَيْنَنَا لَو رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةٌ إنّ المَعارِفَ فِي أهْلِ النُّهى ذِمَمُ(١١)

٢٨ـ كَمْ تَطْلُبونَ لَنا عَيْباً فَيُعْجِزُكُمْ وَيَكْرَهُ اللّهُ مَا تَأْتُونَ والكَرَمُ

٢٩ـ مَا أبْعَدَ العَيْبَ والنُّقْصانَ مِن شَرَفي أنا الثُّريا وَذانِ الشَّيْبُ والهَرَمُ

٣٠ـ لَيْتَ الغَمامَ الذَّي عِنْدي صَواعِقُهِ يُزيلُهُنَّ الي مَنْ عِنْدَه الدّيَمُ(١٢)

ـ ٦ ـ

٣١ـ أرى النَّوى تَقْتَضيني كُلَّ مَرْحَلَةٍ لاَ تَسْتَقِلُّ بِها الوَخّادَةُ الرُّسُمُ(١٣)

٣٢ـ لِئَنْ تركنا ضُميراً عَنْ مَيامِنِنا لَيَحْدُثَنَّ لِمَنْ وَدَّعْتُهُمْ نَدَمُ(١٤)

٣٣ـ إذا تَرَحّلتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدِرُوا أن لاَ تُفارِقَهُم فالرَّاحِلونَ هُمُ

٣٤ـ شَرُّ البِلادِ مَكانٌ لا صَديقَ بِهِ وَشَرُّ مَا يَكْسَبُ الانسانُ مَا يَصِمُ(١٥)

---

١١) الذمم : العهود. النهى ، جمع نُهْية : العقل. يريد : ان بيننا معرفة والمعرفة عند العقلاء ذمة لا تنقض.

١٢) الغمام : السحاب. والصواعق: نار ارتطام السالب والموجب في السحب. والديم : جمع ديمة، المطر المتواصل. يريد : أتمنّى لو يزيل السحاب، الذي عندي صواعقه، هذه الصواعق الى من عنده المطر الغزير، ويعني انه ينال صواعق سيف الدولة، وغيره ينال عطاءه الغزير، فليته يبعد الصواعق عني الى من نالوا عطاءه.

١٣) النوى : البعد. والوخد والرسم : نوعان من السير. يريد : أن الفراق يتطلب مني مراحل سفر بعيدة، لا تستطيعها الأبل القادرة.

١٤) الضمير : موقع قريب من دمشق. ويقع الآن على يمين الذاهب من دمشق الى حمص أو حلب، والذي يترك الضمير عن يمينه وهو قادم من حلب، قد يذهب الى بغداد، أو الى حوران فمصر.

١٥) يصم : يعيب.

٣٥ـ وَشَرُّ مَا قَنَصَتْهُ رَاحَتِي قَنَصٌ شُهْبُ البُزاةِ سَواءٌ فَيهِ والرَّخَمُ[١٦]

٣٦ـ بِأيِّ لَفْظِ تَقولُ الشِّعْرَ زِعْنِفَةٌ تَجوزُ عِنْدَكَ لاَ عُرْبٌ ولاَ عَجَمُ[١٧]

ـ ٧ ـ

٣٧ـ هَذا عِتابُكَ إلاّ أنَّهُ مِقَةٌ قَدْ ضُمِّنَ الدُّرَّ إلاّ إنَّه كَلِمُ[١٨]

---

١٦) الرخم : جمع رخمة، طائر يشبه النسر.

١٧) زعنفة : السُّقاط من الناس.

١٨) مقة : المحبة والمودة.

فربما صحّت الأجسام بالعلل

وساءت الأمور بين أبي الطيب وسيف الدولة، اثر القاء أبي الطيب قصيدته: واحر قلباه ممن قلبه شَبِمُ ..

ذلك أنه حين خرج، من القصر، بعد أن اضطرب المجلس، وجد رجالاً في انتظاره، وتبين السلاح تحت ثيابهم. فاستل سيفه، واخترق صفوفهم وسار.

وقد أرسل الخبر، عن طريق الحمام الزاجل الى أبي العشائر. فأرسل عشرة من خاصته. وانتظروا أول الليل، بباب سيف الدولة. وأُرسل الى أبي الطيب أن سيف الدولة يطلبه. فتوجه أبو الطيب اليه. وعند باب سيف الدولة التقى أبو الطيب بالرجال المنتظرين، فتحرك أحدهم ليلتقط عنان فرس أبي الطيب. فسل أبو الطيب سيفه. وقفز الرجل مبتعداً.

وقادهم أبو الطيب الى الصحراء، فرشقوه بالنشاب، وأصيب فرسه. وحين نفد نشابهم، هاجم أبو الطيب احدهم، فقطع وتره، وبعض القوس، وأصاب الذراع، وانشغل الرجالة بالمصاب، فتركهم أبو الطيب، وهنا التفت اليه احدهم وقال : نحن رجال أبي العشائر، فقال قصيدته التي مطلعها :

ومنتسب عندي الى من أحبه وللنبل عندي من يديه حفيفُ

(المعري : ج ـ ٢ ، ص ـ ٥٣٨ ، ق ـ ١٥٩)

وعاد أبو الطيب الى حلب في الليلة التالية، واختفى عند أحد اصدقائه.

وأخذ سيف الدولة يراسله، وينكر ان تكون له علاقة بما حدث. ولما تيقن أبو الطيب أن سيف الدولة راغب في استقباله، سار اليه، بعد تسع عشرة ليلة، من القطيعة. وتلقى غلمان سيف الدولة أبا الطيب، فألبسوه الخلع وطيبوه. وأدخل الى سيف الدولة. فسأله سيف الدولة عن حاله، باستحياء، ودعا له بطول العمر.

وعاد أبو الطيب الى بيته، يرافقه جمع كبير. وأتبعه سيف الدولة بطيب وهدية.

وكان من نتيجة ذلك ان قال هذه القصيدة، وأنشدها في شعبان، سنة ٣٤١*:

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٢٦٧، ق ـ ١٩٧.

والعكبري : ج ـ ٣، ص ـ ٧٤، ق ـ ١٨٢.

والديوان: ص ـ ٣٢٦.

- ١ -

١ـ أجابَ دَمْعِيَ وَما الدّاعي سِوَى طَلَلِ ... دَعـا فَلَبّاهُ قَبْلَ الرَّكْبِ والأُبُلِ(١)

٢ـ ظَلِلْتُ بين أصَيْحابي أُكَفْكِفُهُ ... وَظَلَّ يَسْفَعُ بَيْنَ العُذْرِ والعَذَلِ(٢)

٣ـ أشْكوَ النَّوى وَلَهُمْ مِنْ عِبْرَتي عَجَبٌ ... كَذاك كُنْتُ ومَا أشْكو سِوى الكَلَلِ(٣)

٤ـ وَمَا صَبَابَةُ مُشْتاقٍ عَلى أَمَلٍ ... مِن اللُقاءِ كَمُشْتاقٍ بِلا أَمَلِ

٥ـ مَتَى تَزُرْ قَوْمَ مَنْ تَهوَى زيارَتَها ... لاَ يُتْحِفوكَ بِغيْرِ البيضِ والأَسَلِ(٤)

٦ـ وَالهَجْرُ أقْتَلُ لِي مِمّا أُراقِبُهُ ... أنا الغَريقُ فَما خَوْفي مِن البَلَلِ

٧ـ مَا بالُ كُلِّ فُؤَادٍ في عَشيرَتِها ... بِه الذي بي ومَا بِي غَيْرُ مُنْتَقِلِ(٥)

٨ـ مُطاعَةُ اللَّحْظِ في الألْحاظِ مَالِكَةٌ ... لِمُقْلَتيها عَظيمُ المُلْكِ في المُقَلِ(٦)

٩ـ تَشَبّهُ الخَفِراتُ الآنساتُ بِها ... في مَشْيِها فَيَنَلْنَ الحُسْنَ بِالحِيَلِ

---

١) الطلل : بقايا الدور المهجورة، والمعنى: أن بقايا البيوت المهجورة دعته الى البكاء فأجاب دمعه، قبل ان يبكي الركب والابل ، لأن الابل تعرف ذلك الطلل.

٢) يقول : ظللت أكفكف دمعي، بين أصحابي، ولكن الدمع ظل ينهمر، رغم عذر العاذرين وعذل العاذلين.

٣) النوى : الفراق. وعبرة : دمعة. والكِلَل : جمع كِلّة، أي الستر، أو الحجاب. والمعنى : أنه يشكو الفراق، وهم يعجبون من انهمار دمعه، فكيف لو يعرفون انه كان يشكو الفراق وليس بينه وبين محبوبته الا ستار.

٤) البيض : السيوف . والأسل : الرماح.

٥) يريد : ما بال كل قلب في عشيرتها يحبها، مع أن حبه لها لم ينتقل لهم.

٦) يريد : ان عينيها تجذبان نظر العيون الأخرى، ولعينيها سلطان عظيم على العيون.

ـ ٢ ـ

١٠ـ قَدْ ذُقْتُ شِدَّةَ أيّامِي وَلَذَّتَها فَما حَصَلْتُ عَلى صَابٍ وَلا عَسَلِ(٧)

١١ـ وَقَدْ أراني الشَّبابُ الرُّوْحَ فِي بَدَني وَقَدْ أرَاني المَشيبُ الروحَ فِي بَدَلِي(٨)

١٢ـ وَقَدْ طَرَقْتُ فَتاةَ الحيِّ مُرْتَدِياً بِصاحِبٍ غيْرِ عِزْهاةٍ ولاَ غَزِلِ(٩)

١٣ـ فَباتَ بِيْنَ تَراقِينا نُدَفِّعُهُ وَلَيْسَ يَعْلَمُ بالشَّكوى وَلاَ القُبَلِ(١٠)

١٤ـ ثُمَّ اغتَدى وبِهِ مِنْ ردعِها أثَرٌ عَلى ذَؤابَتِهِ والجَفْنِ والخِلَلِ(١١)

١٥ـ لاَ أكْسبَ الذِّكْرَ إلا مِنْ مَضارِبِه أومِنْ سَنانٍ أصمِّ الكَعْبِ مُعْتَدِلِ(١٢)

ـ ٣ ـ

١٦ـ جَادَ الأميرُ بِهِ لِي في مَواهِبِه فَزانَها وَكَساني الدِّرْعَ في الحُلَلِ(١٣)

١٧ـ وَمِنْ عَليِّ بنِ عَبْدِاللهِ مَعْرَفَتي بِحَمْلِهِ، مِنْ كَعَبْدِاللهِ أوْ كَعَلي(١٤)

١٨ـ مُعْطِيُ الْكَواعِبِ والجُرْدِ السَّلاهِبِ والبيضِ القَواضِبِ وَالعَسَّالَةِ الذُّبُلِ(١٥)

---

٧) الصاب : شجر مُر.

٨) والمعنى : أنه رأى الشباب في جسمه وهو شاب، وهو يراه في غيره مع المشيب.

٩) عزهاة : جاف لا يصبو الى النساء. وطرقت: اي زرت ليلاً. ويعني أنه زار حبيبته، وهو متقلد سيفه الذي لا يجفوالنساء ولا يصبو اليهن.

١٠) اي ان السيف كان بينهما، وهما متعانقان، وكانا يدفعانه، وهو لا يحس بما يجري من التنهد والقبل.

١١) الردع : التطيب. والذؤابة : السير الذي في طرف قائم سيفه. والجفن : الغمد. والخِلَل : اي الأغطية التي يغطى السيف بها.

١٢) اي لا اكسب الذكر الجميل الا بالسيف والرمح.

١٣) أي أن السيف كان من هبات الأمير، فزانها، وكساني درعاً، وهو يهديني الحُلل.

١٤) علي بن عبدالله : سيف الدولة. وهو الذي علّمه حمل السيف. فمن كوالد سيف الدولة؟ ومن مثله.

١٥) الكواعب : الشابات من النساء. والجرد : الخيل. والسلاهب : الطويلة. والبيض: السيوف. والقواضب : القاطعة. والعسالة : الرماح المهتزة. والذبل : اللينة.

١٩ـ ضَاقَ الزَّمانُ وَوَجْهُ الأرْضِ عَن مَلِكٍ مِـلءِ الـزَّمـانِ وَمِـلءِ السَهْلِ وَالجَبَلِ(١٦)

٢٠ـ فَنَـحْنُ فِي جَذَلٍ والـرُومُ في وَجَـلٍ والـبـرّ في شُـغُـلٍ والـبَـحْـرُ في خَجَلِ(١٧)

٢١ـ مِنْ تَغْلبَ الغَالبينَ النَـاسَ مِنْصِبُهُ ومِنْ عَدِيّ أعَـادي الجُبْـنِ والـبُـخُـلِ(١٨)

٢٢ـ والمُدْحُ لابـنِ أبـي الهيْجـاءِ تُنْجِدُهُ بـالجَـاهِـليّـةِ عَيْـنُ العـيّ والخَطَـلِ(١٩)

ـ ٤ ـ

٢٣ـ لَيْـتَ المَـدائِـحَ تَسْتَوْفي مَناقِبَـهُ فَـمـا كُـلَـيْـبٌ وأَهْـلُ الأعْـصُـرُ الأوَلِ(٢٠)

٢٤ـ خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيئاً سَمِعْتَ بِـه في طَلْعَـةِ البَـدْرِ مَـا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ(٢١)

٢٥ـ وَقَدْ وَجَـدْتَ مَكـانَ القَوْلِ ذَا سِعَةٍ فَـإنْ وَجَـدْتَ لِسانـاً قَـائِـلاً فَـقُـلِ(٢٢)

٢٦ـ إنَّ الهُمَـامَ الـذي فَـخْـرُ الأنـامِ بِهِ خَـيْـرُ السّيـوفِ بِـكـفّـي خِيـرَةَ الدُوَلِ(٢٣)

٢٧ـ تُمْسي الأمانيُّ صَرْعَـى دَونَ مَبْلَغِهِ فَـمـا يَـقـولُ لِشَـيءٍ : لَـيْـتَ ذَلِـكَ لِـي

---

١٦) يعني : ان سيف الدولة كبير، يضيق بأعماله، ومناقبه الزمان، ولا تتسع لهما الأرض، كما أن الأرض تضيق بخيله ورجاله.

١٧) الجذل : الفرح. والوجل : الخوف. والبر مشغول بأعماله، والبحر خجلان من عطائه.

١٨) تغلب : قبيلة عربية معروفة ، وعدي فرع منها ، ينتسب له الممدوح.

١٩) يعني : عين الخطأ ان تستنجد بمآثر آبائه في الجاهلية لمدحه، لأن في مناقبه ما يكفي.

٢٠) يعني : ان الشعر لا يفي بذكر مناقبه، فما الذي يعنيه ذكر كليب وأهل العصور الأولى؟.

٢١) يعني : ان مدح سيف الدولة أجدى، لأنك تراه وترى مناقبه، فما يفيدك ذكر أناس لا تراهم، لأن الشمس التي نراها تغنينا عن زحل. ورأي المعري : ان هذا البيت من محاسن الشعر (المعري ، ج ـ ٣، ص ـ ٢٧٤).

٢٢) يعني : وهو يخاطب نفسه : لقد وجدت مجال المدح فسيحاً، فان وجدت القدرة تحدَّث.

٢٣) ان الهمام : يريد سيف الدولة، خير سيف بيد خير دولة، وهي دولة الخلافة العباسية. وهذه من مواقف أبي الطيب الثابتة في شعره، وقد سمّاها المعري دولة الاسلام (المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٢٧٥، ق ـ ١٩٧، ب ـ ٢٦).

٢٨ـ أُنظُـرْ إذا اجْتَمَـعَ السيفانِ في رَهَجٍ إلى اختلافِهما فِي الخَلْقِ والعَمَـلِ(٢٤)

٢٩ـ هَـذا الـمُعَـدُّ لِـرَيْـبِ الدَّهْرِ مُنْصَلِتاً أعَـدَّ هَـذا لِـرأسِ الفَـارِسِ البَـطَـلِ(٢٥)

٣٠ـ فَـالـعُـرْبُ مِـنْهُ مَعَ الكدريِّ طَائِرَةٌ والـرومُ طَـائِـرَةٌ مِـنْـهُ مَـعَ الـحَجَلِ(٢٦)

٣١ـ ومَـا الفِـرارُ الى الأجبـالِ مِنْ أسَدٍ تَـمْـشـي النَعـامُ بِـهِ فِي مَعْقِلِ الوَعِلِ(٢٧)

٣٢ـ جازَ الدُّروبَ الى مَا خَـلْـفَ خَرْشَنَةٍ وزَالَ عَـنْـهـا وذَاكَ الـروعُ لَـم يَـزُلِ(٢٨)

٣٣ـ فَكُلَّمَـا حَلِمتْ عـذراءُ عِـنْدَهُم فـإنّـمـا حَـلِـمـتْ بـالـسَّبـي والجَمَـلِ

٣٤ـإن كُنْتَ تَرْضَى بأنْ يُعْطوا الجِزَى بَذَلوا مِـنـهَـا رِضـاكَ وَمَـنْ للعـورِ بـالحَـوَلِ(٢٩)

---

٢٤) السيفان : سيف الدولة، والسيف الذي يحمله. والرهج: الغبار، وهما بالطبع مختلفان في العمل، لأن سيف الدولة صاحب القرار.

٢٥) هذا الأولى، تعود الى سيف الدولة، الذي أعد لمواجهة ريب الدهر، والمنصلت، المتجرد من الغمد، اي المستعد للقتال.

وهذا الثانية : للسيف الذي أعده سيف الدولة لرؤوس الفرسان الأبطال.

٢٦) الكدري : ضرب من القطا. والحجل : طائر، وخص العرب بالقطا، لأنها تكون في بلادهم، وخص الروم بالحجل، لأنها تعيش في الجبال.

٢٧) قصد بالأسد، سيف الدولة الذي لا يفيد معه الفرار، لأنه بالنعام، وهي سهلية (المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٢٧٧، ب ـ ٣١) ، يصل معاقل الوعول، في الجبال، اي أنه قادر على أن يفعل كل شيء، وقصد بالنعام الخيل لسرعتها، كما قصد أنه قادر أن يجعل النعام تفعل فعل الخيول .

٢٨) خرشنة : مدينة في بلاد الروم. ورد ذكرها.

٢٩) الجزى : جمع جزية.

ـ ٥ ـ

٣٥ـ نَـاديتُ مَجْدَكَ في شِعْرِيَ وَقَدْ صدرا يَـا غَـيْـرَ مُـنْـتَـحـلٍ فِي غَيْرِ مُنْتَحِلِ(٣٠)

٣٦ـ بالشَـرْقِ والغَـرْبِ أقـوامٌ نُـحِـبُّـهـمُ فَـطِـالِـعـاهُـمْ وَكُـونـا أبْـلَـغَ الـرُسُـلِ

٣٧ـ وَعَـرفـاهُـمْ بـأنّـي فِي مَـكـارِمِـه أقَـلُّـبُ الطَـرْفَ بَيْـنَ الخَيْـلِ والخَـوَلِ(٣١)

ـ ٦ ـ

٣٨ـ يَا أيُّها المُحْسِنِ المَشْكورُ مِن جِهَتي والـشـكـرُ مِـنْ قِـبَـلِ الإحسانِ لا قِبَـلي

٣٩ـ مَا كانَ نَوْمِـيَ إلا فَـوْقَ مَعْرفَتي بـأنَّ رأيَـكَ لاَ يُـؤْتَـى مِـن الـزَلَـلِ

٤٠ـ أقل أنل اقطعْ احمِلْ عَـلّ سَـلّ أعِدْ زِدْ هِـشَّ بِـشَّ تَـفَـضّلْ أدْنُ سُـرَّ صِـلِ(٣٢)

٤١ـ لَـعَـلَّ عُـتْـبُـكَ مَـحْـمـودٌ عَـواقِـبُـهُ فَـربَّـمـا صَـحَّـت الأجـسـامُ بـالـعِـلَـلِ

٤٢ـ ومَـا سَـمِـعْـتُ ولا غَـيْـري بِمُقْتَـدِرٍ أذبَّ مِـنْـكَ لِـزُورِ الـقَـولِ عَـنْ رَجُـلِ(٣٣)

٤٣ـ لأنَّ حِـلْـمَـكَ حِـلْـمٌ لاَ تَـكـلُّـفَـهُ لَـيْـسَ التَـكـحّـلُ فِـي العَينيـنِ كالكَحَلِ

---

٣٠) يقول أبو الطيب لسيف الدولة : اني أخاطب مجدك، وان شعري كمجدك إبداع ، ليس فيه انتحال. وكما صدر المجد عن سيف الدولة ابداعاً، صدر الشعر عن أبي الطيب.

٣١) الخَوَل : الخدم، جمع خائل.

٣٢) أقِلْ: أعذ الذي عثر. أنل : أعْطِ . أقْطِعْ: أعط اقطاعاً. أحمل من قولهم : حملته على فرس، عَلّ : إرفع. سلّ : أزل الهموم. أعِدْ: عد الى الحالة الأولى. زد : من الزيادة. وهش بش: من البشاشة. تفَضّل : من الافضال. أُدنُ : اي اقترب. وسُرَّ : قدم المسرة. صِلِ : إعطِ : أو أقم صلة (المعري : ج ـ ٣، ص ٢٨٠ ـ ٢٨١، ب ـ ٤٠).

٣٣) أذب : أكثر دفاعاً.

٤٤ـ وَمَا ثَنَاكَ كَلامَ النَاسِ عَنْ كَرَمٍ وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ العَارِضِ الهَطِلِ(٣٤)

٤٥ـ أنْتَ الجَوادُ بلا مَنٍّ ولا كَدَرٍ وَلا مِطالٍ وَلا وَعْدٍ ولاَ مَذَلِ(٣٥)

٤٦ـ أنْتَ الشُجاعُ إذا مَا لَمْ يَطَأْ فَرَسٌ غَيرَ السَنَوَّرِ والأشْلاءِ والقُلَلِ(٣٦)

٤٧ـ وَرَدَّ بَعْضُ القَنا بَعْضاً مُقارَعَةً كَأنَّها مِنْ نُفوسِ القَومِ في جَدَلِ(٣٧)

٤٨ـ لاَ زِلْتَ تَضْرِبُ مَنْ عَادَاكَ عَن عَرَضٍ بِعاجِلِ النَصْرِ فِي مُسْتَأْخَرِ الأجَلِ(٣٨)

---

٣٤) العارض : المطر . الهَطِل : المتتابع.

٣٥) المطال : المماطلة . والمَذَل : الضجر.

٣٦) السنوَّر : السلاح . والقلل : الرؤوس. اي أنت الشجاع الذي تثبت شجاعته وفرسه يدوس السلاح والأشلاء والرؤوس.

٣٧) القنا : الرماح. والمقارعة : التضارب. وجعل زحام الرماح كتزاحم الأفكار في الجدل.

٣٨) اي أنك تضرب أعداءك يمنة ويسرة فيأتيك النصر العاجل، ويتأخر أجلك.

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي

وأرسل ملك الروم رسالة، يطلب فيه تبادل الأسرى، وفداء من لا يطالهم التبادل.

فقال أبو الطيب هذه القصيدة *:

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٢٩٢، ق ـ ٢٠٤.

العكبري : ج ـ ٢ ، ص ـ ٣٠٤، ق ـ ١٥٢.

والديوان: ص ـ ٣٤٥.

_ ١ _

١ـ لِعَيْنَيْكِ مَا يَلْقَى الفُؤادُ ومَا لَقِي وَلِلْحُبِّ مَا لَمْ يَبْقَ مِنِّي ومَا بَقِي
٢ـ وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَدْخُلُ العِشْقُ قَلْبَهُ وَلَكِنَّ مَنْ يُبْصِرْ جُفُونَكِ يَعْشَقِ
٣ـ وبَين الرِّضى والسُّخْطِ والقُرْبِ والنَّوى مَجالٌ لِدَمْعِ المُقْلَةِ المُتَرقْرِقِ
٤ـ وَأحْلَى الهَوى مَا شَكَّ فِي الوَصْلِ رَبُّهُ وَفِي الهَجْرِ فَهْوَ الدَّهْرَ يَرْجُو وَيَتَّقِي
٥ـ وَغَضْبى مِن الإدْلالِ سَكْرى مِن الصِّبى شَفَعْتُ إلَيْهَا مِنْ شَبَابِي بِرِيِّقِ(١)
٦ـ وَأشْنَبَ مَعْسُولِ الثَّنِيَّاتِ وَاضِحٍ سَتَرْتُ فَمِي عَنْهُ فَقَبَّلَ مَفْرِقِي(٢)
٧ـ وَأجْيَادِ غُزْلانٍ كَجِيدِكِ زُرْتُنِي فَلَمْ أتَبَيَّنْ عَاطِلاً مِنْ مُطَوَّقِ(٣)
٨ـ وَمَا كُلُّ مَنْ يَهْوى يَعِفُّ إذا خَلا عَفافِي وَيُرْضِي الحُبَّ والخَيْلُ تَلْتَقِي

_ ٢ _

٩ـ سَقَى اللّهُ أيّامَ الصِّبى مَا يَسُرُّها وَيَفْعَلُ فِعْلَ البَابِلِيِّ المُعَتَّقِ(٤)
١٠ـ إذا مَا لَبِسْتُ الدَّهْرَ مُسْتَمْتِعاً بِهِ تَخَرَّقْتُ والمَلْبُوسُ لَم يَتَخَرَّقِ(٥)
١١ـ وَلَمْ أرَ كَالحاظِ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ بَعَثْنَ بِكُلِّ القَتْلِ مِنْ كُلِّ مُشْفِقِ(٦)

---

١) الريّق : أول الشباب. يقول : ورب امرأة غضبي من دلالها على المحب، سكرى من صباها، طلبت الشفاعة عندها بمطلع صباي.
٢) الأشنب : الثغر البراق. يقول : ورب ثغر حلو الترشف، سترت فمي عنه، فقبل رأسي. وهو ما يمكن أن تقوله النساء، ولكن أبا الطيب كان حريصاً على عرض عفته، بما ينسجم في ذلك مع مطامحه.
٣) العاطل : الذي لا حلي عليه. والمطوّق : لابس الطوق. يقول ورب نساء ذوات أعناق كأعناق الغزلان زرنني، فلم انظر اليهن لأعرف ذات العنق العاطل من ذات العنق المطوّق.
٤) البابلي المعتق : أي شراب بابل القديم.
٥) تخرق : صار خرقاً، أي بلي، يقول : اذا ما جعلت الدهر ثوباً ولبسته، واستمتعت به، بليت أنا وبقي الدهر لم يَبْلَ.
٦) المشفق : من الشفقة. وقيل الخائف، يقول : ولم أر كعيون الأحباء يوم رحيلهم، فانها كانت ترمي العاشق بالقتل، ولكنها تشفق عليه، أو تخاف عليه.

١٢ـ أَدَرْنَ عُيوناً حَائِراتٍ كَأَنَّها مُرَكَّبَةٌ أحْداقُها فَوقَ زَنْبَقِ(٧)

١٣ـ عَشِيَّةَ يَعْدُونَا عَنِ النَّظَرِ البُكا وَعَنْ لَذَّةِ التَّوْدِيعِ خَوفُ التَفَرُّقِ(٨)

١٤ـ نُوَدِّعُهُم والبَيْنُ فِينا كَأَنَّهُ قَنا ابْنِ أبي الهَيْجاءِ فِي قَلْبِ فَيْلَقِ(٩)

١٥ـ قَواضٍ مَواضٍ نَسْجُ دَاوِدَ عِنْدَها إذا وَقَعَتْ فِيهِ كَنَسْجِ الخَدَرْنَقِ(١٠)

١٦ـ هَوادٍ لأمْلاكِ الجُيوشِ كَأَنَّها تَخَيَّرُ أرْواحَ الكُماةِ وَتَنْتَقِي(١١)

١٧ـ تَقُدُّ عَلَيهِمْ كُلَّ دِرْعٍ وَجَوْشَنٍ وَتَفْري إلَيْهِمْ كُلَّ سُورٍ وَخَنْدَقِ(١٢)

١٨ـ يُغيرُ بِها بَيْنَ اللُّقانِ وواسِطٍ وَيُركِزُها بَيْنَ الفُراتِ وجَلَّقِ(١٣)

١٩ـ وَيُرْجِعُها حُمْراً كَأَنَّ صَحيحَها يُبَكِّي دَماً مِنْ رَحْمَةِ المُتَدَقِّقِ(١٤)

٢٠ـ فَلا تُبْلِغاهُ مَا أقولُ فَإنَّهُ شُجاعٌ مَتَى يُذْكَرْ لَه الطَّعْنُ يَشْتَقِ

---

٧) الزنبق : معدن رجراج . يقول : ان عيونهن كانت حائرة، فكأنما الأحداق ركبت فوق زنبق، ولذلك فانها كانت تتحرك دائماً.

٨) يعدونا : يصرفنا.

٩) فيلق : الجيش، ويعني الآن ثلاث فرق وتوابعها.

١٠) قواض مواض: أي ضرباتها قاضية، تشق صدور الأعداء. والخدرنق : العنكبوت. أي أنها لا تفرق بين الدروع المنسوبة الى داود، وبيوت العنبكوت.

١١) هوادٍ : تهدي . والأملاك : الملوك. والكماة، جمع كمي : الشجعان. أي هذه الرماح تهدي الى قادة الجيوش وتختار الشجعان.

١٢) تقد: تقطع، وروي تفك . وتفري : تقطع. والجوشن : الدرع. أي هذه الرماح تقطع الدروع، وتشق الأسوار والخنادق.

١٣) اللقان : وادٍ بأرض الروم. وواسط في العراق. وجلق : دمشق. يتحدث عن رماح سيف الدولة التي يغير بها من واسط في العراق الى اللقان، ويركزها من الفرات في الجزيرة الى دمشق. ويجعل هذا البيت في الشطر الأول طول الرقعة التي قاتل فيها سيف الدولة، كما يحدد حدود سلطة سيف الدولة، آنذاك.

١٤) المتدقق : المكَسَّر. يريد : أنه يعيد رماحه مصبوغة بالدماء، وكأن الصحيح منها غير المكسور يبكي دماً على المكسور.

٢١_ ضَـروبٌ بـأطـراف السُّيـوفِ بِنانُهُ لَعـوبٌ بـأطـراف الكَـلامِ المُشَقَّـقِ(١٥)

٢٢_ كَسَائِلِـهِ مَـنْ يَسْـأَلُ الغَيثَ قَطْـرَةً كَـعـاذِلِـهِ مِـنْ قَـالَ لِلْفَلَـكِ ارفُـقِ(١٦)

_ ٣ _

٢٣_ لَقَدْ جُدْتَ حَتّى جُدْتَ فِي كُلِّ مِلَّـةٍ وَحتّى أتـاكَ الحَمْـدُ مِـنْ كُـلِّ مَنْطِـقِ

٢٤_ رَأى مَلِـكُ الـرُّومِ ارتياحَـكَ للنَّدى فَـقـامَ مَـقـامَ المُجْتَـدي المُتَمَلِّقِ(١٧)

٢٥_ وَخَلّى الرِّمـاحَ السَمْهَرِيَّـةَ صَاغِـراً لأذْرَبَ مِـنْـهُ بـالـطِّعـانِ وأحْـذَقِ(١٨)

٢٦_ وَكَـاتَـبَ مِـنْ أرْضٍ بَعيـدٍ مَرامُها قَـريـبٍ عَـلى خَيْـلٍ حَـواليْكَ سُبَّقِ(١٩)

٢٧_ وَقَدْ سَارَ فِي مَسْراكَ مِنْهـا رَسُولُهُ فَـمـا سَـارَ إلاّ فَـوْقَ هَـامٍ مُـفَـلَّقِ(٢٠)

٢٨_ فَلَمّـا دَنـا أخْـفـى عَلَيْـهِ مكانَـهُ شُـعـاعُ الحَديـدِ البَـارِقِ المُتَأَلِّـقِ(٢١)

٢٩_ وَأقْبَل يَمْشي فِي البِساطِ فَمـا دَرَى إلى البَحْـرِ يَسْعَـى أمْ الى البَدْرِ يَرْتَقِـي

٣٠_ وَلَـمْ يَثْنِـكَ الأعْـداءُ عَنْ مُهُجَاتِهِمْ بِمِثْـلِ خُضـوعٍ فِـي قُـذال الـدُمُسْتُـقِ(٢٣)

---

١٥) البنان : الأصابع. والكلام المشقق : يقال فلان يشقق في كلامه، أي يتصرف في معانيه، يريد أن سيف الدولة شجاع وفصيح.

١٦) يريد : ان من يسأله، كمن يسأل الغيث قطرة واحدة فقط، ولائمه على جوده، كمن يقول للفلك مهلاً مهلاً. وهذا بالطبع غير ممكن.

١٧) المجتدي : طالب المعروف. والمتملق : الذي يرقق كلامه ملقاً. يريد : أن ملك الروم عرف سرورك بالكرم، فأخذ يسأل ويتملق.

١٨) السمهرية : الرماح. صاغر : خاضع. والدربة : العادة.

١٩) يريد : أن ملك الروم كتب من أرض بعيدة المرام، ولكنها قريبة، على خيلك السباقة.

٢٠) يريد : أن رسول ملك الروم، سار في الطريق الذي سرت فيهم اليهم، فسار فوق الرؤوس المقطعة.

٢١) يريد : أن الرسول، عندما اقترب، أعشاه شعاع السيوف والرماح فلم يعرف مكانه.

٢٢) يريد : ان الأعداء لا يردونك عن أرواحهم إلا بالخضوع والكلام الجميل.

٢٣) القذال : مؤخر الرأس. يريد : أن سيف الدولة، كان يكتب لملك الروم في الماضي، بالضربات التي يتركها في رأس قائد جيشه.

٣٢ـ فَـإنْ تُـعْـطِـهِ مِـنْـكَ الأمانَ فَسائِلٌ وإنْ تُـعْـطِـهِ حَـدَّ الحُسامِ فَـأَخْـلِـقِ(٢٤)

٣٣ـ وَهَـلْ تَرَكَ البِيضُ الصَّوارِمُ مِنْهُـمُ حَبيساً لِفَـادٍ أو رقـيـقـاً لِمُعْـتِـقِ(٢٥)

٣٤ـ لَقَـدْ وَرَدُوا وِرْدَ القَطَا شَفَراتِهـا وَمَـرُّوا عَـلَـيْـهـا رَزْدَقـاً بَـعْـدَ رَزْدَقِ(٢٦)

٣٥ـ بَلَغْتُ بِسَيْـفِ الدَّوْلَةِ النُّورِ رُتْبَـةً أَنَـرْتُ بِـهـا مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْـرِقِ(٢٧)

٣٦ـ إذا شَاءَ أنْ يَلْهُو بِلِحْيَـةِ أحْـمَـقٍ أراهُ غُبـاري ثُـمَّ قَـالَ لَـهُ الحَـقِ(٢٨)

٣٧ـ وَمَـا كَمَدُ الحُسّـادِ شَيءٌ قَصَدْتُـهُ وَلـكِـنَّـهُ مَـنْ يَـزْحَـمِ البَحْـرَ يَغْـرَقِ

٣٨ـ وَيَمْتَحِـنُ النَّـاسَ الأميـرُ بِرَأيِـهِ وَيُغْـضِـي عَـلى عِـلْـمٍ بِـكُـلِّ مُمَخْرَقِ(٢٩)

٣٩ـ وإطْراقُ طَرْفِ العَيْنِ لَيْسَ بِنافِـعٍ إذا كَـانَ طَـرْفُ الـقـلـب لَيْسَ بِمُطْرِقِ

٤٠ـ فَـيـا أيُّـهـا المَطْلوبُ جَاوِزْهُ تَمْتَنِعْ وَيَـا أيُّـهـا المَحْـرومُ يَمَّـمْهُ تَرْزَقِ(٣٠)

٤١ـ وَيَـا أجْبَنَ الفُرْسانِ صَاحِبْهُ تَجْتَرِئْ وَيَـا أشْـجَـعَ الشُّجْعـانِ فَـارِقْهُ تَفْرَقِ(٣١)

٤٢ـ إذا سَعَـتِ الأعْـداءُ فِي كَيْدِ مَجْدِهِ سَعَـى جِـدُّهُ فِي كَيْدِهِمْ سَعْيَ مُحْنَـقِ(٣٢)

٤٣ـ وَمَا يَنْصُرُ الفَضْلُ المُبينَ عَلى العِدى إذا لَمْ يَكُـنْ فَـضْـلَ السَّعيـدِ المُوفَّقِ(٣٣)

---

٢٤) يريد : لقد جاء رسول ملك الروم، فان تعطه الأمان، فلا بأس، لأنه يطلب ذلك، وان أعطيته حد السيف، فأنت جدير بذلك.

٢٥) وتساءل : ولكن هل تركت السيوف القواطع منهم حبيساً يفتدى أو عبداً يُعْتَق.

٢٦) الرزدق : الصف، فارسي معرب. يقول : ان جيوش الروم، وقعت على نصلات سيوفك وقوع القطا الوارد على الماء، صفاً بعد آخر.

٢٧) يقول : ان سيف الدولة هو النور، وقد بلغت به رتبة تنير المغرب والمشرق.

٢٨) يقول : ان سيف الدولة، اذا أراد أن يسخر من شاعر أحمق، أراه بعض ما قلت، وقال له : هات مثله. وقال غباري : على أساس أنه فارس سبّاق لا يشق له غبار، ولأن الغبار هو ما تثيره الحركة.

٢٩) المخرق : المدلس. يريد : ان سيف الدولة، يمتحن الناس، ولكنه يغضي، وهو عالم، عن كل مدلس.

٣٠) يممه : أقصده.

٣١) تفرق : تخاف.

٣٢) محنق : غاضب. وجدُّه : حظه.

٣٣) يريد : أن الفضل الظاهر، لا يغني عن الحظ القاهر.

القلب أعلم يا عذول بدائه

وطلب منه سيف الدولة، ان يجيز أبياتاً من الشعر لأبي ذر سهل بن محمد الكاتب، مؤدب سيف الدولة. والأبيات هي :

يَا لاَئِمي كُفَّ المَلامَ عَنِ الَّذي
أَضْنَاهُ طُولُ سَقامِهِ وَشَقَائِه
إنْ كُنْتَ نَاصِحَهُ فَداوِ سقامهَ
وأَعَنْهُ مُلْتَمِساً لأَمْرِ شِفائِه
حَتَّى يُقَالَ بأَنَّكَ الخِلُّ الذي
يُرْجَى لِشِدَّةِ دَهْرِهِ وَرَخَائِه
أوْ لاَ فَدَعْهُ فَما بِهِ يَكْفِيهِ مِنْ
طُولِ المَلامِ، فَلَسْتَ مِنْ نُصَحَائِه
نَفْسي الفداءُ لِمَنْ عَصَيْتُ عَواذِلاً
فِي حُبِّهِ لَم أَخْشَ مِنْ رُقَبائِه
فَالشَّمْسُ تَطْلُعُ مِن أَسرةِ وُجْهِهِ،
والبَدْرُ يَطْلُعُ مِنْ خَلالِ قبائِه

فقال أبو الطيب*:

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٣١٣، ق ـ ٢٠٨ و٢٠٩.
والعكبري : ج ـ ١، ص ـ ١، ق ـ ١.
والديوان: ص ـ ٣٥٠ و٣٥٢.

١ـ عَـذْلُ العَـواذِلِ حَوْلَ قَلْبـي التَّائِـهِ وَهَـوى الأحِبَّـةِ مِـنْهُ فِي سَـوْدَائِـه(١)

٢ـ يَشْكُـو المَـلامُ إلي اللّـوائِـمِ حَرَّهُ وَيَـصُـدُّ حِيـنَ يَـلُـمْـنَ عَـنْ بُرحَائِه(٢)

٣ـ وَبِمُهْجَتي يـا عَـاذِلـي المَلِـكَ الَّذي أسْخَطْـتُ أعْـذَلَ مِنْـكَ فِي إرضائِـهِ(٣)

٤ـ إنْ كَـانَ قَـدْ مَلَك القُلوبَ فَـإنَّـهُ مَلَـك الـزَّمـانَ بِـأرْضِـهِ وَسَمَـائِـهِ

٥ـ الشَّمْـسُ مِـنْ حُسّادِهِ والنَّصْرُ مِنْ قُـرَنـائِـهِ والسّيـفُ مِـن أسْمـائِـهِ

٦ـ أيْـنَ الثَّـلاثَـةُ مِـنْ ثَـلاثِ خِـلالِـهِ مِـنْ حُسْنِـهِ وإبـائِـهِ ومَضـائِـهِ

٧ـ مَضَـت الدُّهـورُ ومَـا أتيـنَ بِمِثْلِـهِ وَلَـقَـدْ أتـى فَعَجِـزْنَ عَـنْ نُظَـرائِـهِ(٤)

---

١) التائه : المتحير . والسودا، : الحبة السودا، في القلب . يقول : ان لوم اللائمين ما زال حول قلبي، لم يدخله، ولكن هوى الأحبة في سودانه.

٢) البرحا، : الشدة. واللوائم، جمع لائمة. يقول : ان الملامَ يشكو الى اللائمات الحرّ الذي في قلبي، ويتراجع، عندما يلمن، أمام شدة حرارته.

٣) يقول : وأفدي بمهجتي أيها اللائم الملك الذي أغْضَبْتَ من كانوا أكثر لوماً لي منك، وأنا أحاول أن أرضيه، يقصد سيف الدولة.

٤) النظرا، : جمع نظير، وهو الند والمِثْل.

واستزاده سيف الدولة، فقال :

١ـ الْقَلْبُ أَعْلَمُ يَا عَذولُ بِدَائِه ... وَأَحَقُّ مِنْكَ بِجَفْنِهِ وبِمَائِهِ(١)

٢ـ فَوَمَنْ أُحِبُّ لأَعْصِيَنَّكَ في الهَوى ... قَسَماً بِهِ وبُحُسْنِهِ وبَهَائِهِ

٣ـ أأُحِبُّهُ وأُحِبُّ فِيهِ مَلامَةً ... إنَّ المَلامَةَ فِيهِ مِنْ أعْدائِهِ

٤ـ عَجِبَ الوُشَاةُ مِن اللُّحاةِ وَقولِهِمْ : ... دَعْ مَا نَراكَ ضَعُفْتَ عَنْ إخْفائِهِ(٢)

٥ـ مَا الخِلُّ إلاّ مَنْ أوَدُّ بِقَلْبِهِ ... وَأرى بِطَرْفٍ لا يَرَى بِسِوائِهِ(٣)

٦ـ إنَّ المُعِينَ عَلى الصَبابَةِ بالأسَى ... أولَى بِرَحْمَةِ رَبِّها وإخائِهِ(٤)

٧ـ مَهْلاً فَإنَّ العَذْلَ مِنَ أسْقامِهِ ... وَتَرَفُّقاً فالسَّمْعُ مِنْ أعْضائِهِ(٥)

٨ـ وَهَبِ المَلامَةَ فِي اللّذاذةِ كالكَرى ... مَطْرُودَةً بِسُهادِهِ وبُكائِهِ(٦)

٩ـ لاَ تَعْذِلَ المُشْتاقَ فِي أشْواقِهِ ... حَتّى يَكونَ حَشاكَ فِي أحْشائِهِ

١٠ـ إنَّ القَتِيلَ مُضَرَّجاً بِدُمُوعِه ... مِثْلُ القَتِيلِ مُضَرَّجاً بِدِمَائِهِ(٧)

١١ـ والعِشْقُ كَالمَعْشوقِ يَعْذُبُ قُرْبُهُ ... للمُبْتَلى وَيَنَالُ مِنْ حَوْبائِهِ(٨)

---

١) يقول : أيها اللائم القلب أعلم منك بمرضه، وهو أحق منك بدمعه.

٢) الوشاة : جمع واشٍ . واللحاة ، جمع لاحٍ: الذي يزجر ويغلظ في الملامة.

٣) يقول : ليس الصديق الا الذي، أحب بقلبه، ورأى بعين لا يرى بسواها.

٤) يريد : أن الذي يحاول أن يعين على الصبابة باللوم والزجر، كان أولى به ان يرحم صاحب الصبابة، وان يواخيه.

٥) يقول للعذول : أرجو أن تتمهل، لأن اللوم من أمراض هذا المحب، وأرجو أن تترفق به لأن اذنه من أعضائه، وسمعه يزعجه الملام.

٦) يريد : اذا كنت أيها العذول ترى أن الملامة لذيذة كالنوم، فهبها مطرودة، كما يطرد الأرق والبكاء لذاذة النوم. أو : اذا كنت أيها العذول تستمتع بالملامة، كما يستمتع النائم بالنوم، فأوقف الملامة، لأن العاشق افتقد لذاذة الكرى، فهو لا يستمتع بالنوم، لتستمتع بملامته. وقد جرى خلاف على تفسير البيت (البرقوقي : ج ـ١، ص ـ ١٣١)، (اليازجي : ص ـ ٣٦٥)، (العكبري : ج ـ ١، ص ـ ٥ و٦).

٧) ان المحب الذي تغرقه الدموع، بسبب حبه، مثل الذي سقط في الحرب غارقاً بدمه. ويريد هنا أن يشبه انهمار الدموع بانهمار الدماء، ونزف الدمع بنزف الدم.

٨) الحوباء : الروح. يقول : ان الحُبَّ يعذب قربه على العاشق، كما يستعذب العاشق قرب المحبوب، وان كان ذلك يضعف نفس العاشق ويثقلها.

١٢ـ لَـوْ قُـلْـتُ للدَّنِـفِ الحَزِيـنِ فَدَيْتُهُ مِمَّـا بِـهِ لأَغَـرْتُـهُ بِفِـدائِـهِ(٩)

١٣ـ وقِيَ الأميرُ هَوى العُيـونِ فـإنَّـهُ مَـا لاَ يَـزولُ بِبَـأسِـهِ وَسَـخـائِـهِ

١٤ـ يَسْتَأسِـرُ البَطَـلَ الكَمـيَّ بِنَظْـرَةٍ وَيَحُـولُ بَيْـنَ فُـؤادِهِ وَعَـزائِـهِ(١٠)

١٥ـ إنّـي دَعَـوْتُـكَ للنوائِـبِ دَعْـوةً لَـمْ يُـدْعَ سَامِـعُـهـا إلى أكْفَائِهِ(١١)

١٦ـ فَـأتَـيـتَ مِـنْ فَوْقِ الزَّمَانِ وَتَحْتِـهِ مُتَـصِـلْـصِـلاً وأمـامِـه وَوَرائِـهِ(١٢)

١٧ـ مَـنْ لِلسّيـوفِ بِـأنْ يَكـونَ سَمِيَّها فِـي أَصْلِـهِ وَفِـرِنـدِهِ وَوَفـائِـهِ(١٣)

١٨ـ طُبِـعَ الحَـديـدُ فَكانَ مِنْ أجْناسِهِ وَعَـلـيٌّ المَـطْـبـوعُ مِـنْ آبـائِـهِ(١٤)

---

٩) يريد : أنك لو قلت للعاشق الحزين أفديك مما بك، لأثار ذلك غيرته، لأنه سيشعر ان هذا الفداء سيفقده من يحب.

١٠) الكمي : المدجج بالسلاح. يقول : اتمنى للأمير سيف الدولة ألا يقع في هوى العيون، لأن بأسه لا ينفع معه، وكذلك جوده (ب ـ ١٣)، ولأن هذا الهوى يأسر الشجاع المدجج بالسلاح، ويمنع فؤاده من أن يبلغ العزاء.

١١) الأكفاء : الأقران، والنظراء. يقول لسيف الدولة : استنجدت بك لمواجهة النوائب، وأنا أعرف أن هذه النوائب، ليست نداً لك، لأنك أقوى.

١٢) متصلصل : من صلصلة الحديد، أي جئت وسط صلصلة الحديد، وأحطت بالزمان من كل جانب.

١٣) يتساءل : من يكفل للسيوف أن تكون أنت سميها، ولكن في الأصل والجوهر والوفاء، لا الاسم فقط.

١٤) يريد : أن السيف طبع من الحديد، فكان من جنسه، وسيف الدولة علي بن حمدان، سيف طبع، ولكن من جنس آبائه.

وصار طويل السلام اختصاراً

والتقى سيف الدولة بأبي الطيب في الميدان، فلم يسلم عليه، كما جرت العادة، وكان سيف الدولة قد استبطأ أبا الطيب في مدحه، وعاتبه مراراً.

وعاد أبو الطيب الى بيته، وقال هذه القصيدة، يعتذر فيها عن تأخره في مدح سيف الدولة، ويعاتبه، ويذكره بمدائحه فيه*.

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٣٢٦، ق ـ ٢١١.

العكبري : ج ـ ٢، ص ـ ٩٤، ق ـ ٩٧.

والديوان: ص ـ ٣٦٥.

١ـ أرى ذَلِـكَ القُـرْبَ صَـارَ ازْوِرَارَا وَصَـارَ طَـوِيـلُ السَّـلام اختِـصَـارَا(١)

٢ـ تَـرَكْتَنِـيَ اليَـوْمَ في خَجْلَـةٍ أمُـوتُ مِـراراً وأحْـيَـا مِـرَارَا

٣ـ أُسَـارِقُـكَ اللَّحْـظَ مُسْتَحْيِـياً وَأزْجُـرُ في الخَيـلِ مُهـرِي سِـرَارَا(٢)

٤ـ وَأعْلَـمُ أنـيَ إذَا مَـا اعْتَـذَرْتُ إلَيـكَ أرَادَ اعـتِـذارِي اعـتِـذَارَا(٣)

٥ـ كَـفَـرْتُ مَكَـارِمَـكَ البَـاهِـرَا تِ إنْ كـان ذلـكَ منـي اختِـيـارَا

٦ـ وَلـكِـنْ حَمَـى الشِّعْـرَ إلاّ القَلِيـ لَ هَـمٌ حَمَـى النَّـوْمَ إلاّ غِـرَارَا(٤)

٧ـ وَمَـا أنَـا أسْقَمتُ جسمـي بـهِ وَلا أنَـا أضـرَمـتُ في القَلْـبِ نَـارَا

٨ـ فَـلا تُلْـزِمَنّـي ذُنُـوبَ الـزّمَـانِ، إلَـيّ أسَـاءَ وَإيّـايَ ضَـارَا(٥)

٩ـ وَعِنْـدِي لَـكَ الشُّـرُدُ السّائِـرَا تُ لا يختصِـصْـنَ مـن الأرْض دارَا(٦)

١٠ـ قَـوَافٍ إذا سِـرْنَ عَـنْ مِقْوَلـي وَثَـبْـنَ الجِبَـالَ وَخُـضْـنَ البحَـارَا

١١ـ وَلـي فيـكَ مَـا لـم يَقُـلْ قَائِـلٌ وَمَـا لـم يَسِـرْ قَمَـرٌ حَيْـثُ سَـارَا

١٢ـ فَلَـوْ خُلِـقَ النّـاسُ مـن دَهـرِهِـمْ لَـكـانُـوا الظّـلامَ وَكـنـتَ النّـهَـارَا

١٣ـ أشَـدُّهُـمُ فـي النّـدَى هِـزّةً وَأبْعَـدُهُـمْ فـي عَـدُوٍّ مُغَـارَا(٧)

١٤ـ سَمَـا بـك هَمّـيَ فَـوْقَ الهُمُـومِ فَـلَسـتُ أعُـدّ يَسَـاراً يَسَـارَا(٨)

١٥ـ وَمَـن كنـتَ بَحْـراً لَـهُ يـا عَـليُّ لَـمْ يَـقْـبَـلِ الـدُّرّ إلاّ كِـبَـارَا

---

١) ازورّ : مال وانحرف.

٢) سرار : من سارّه ، أي كلمه سراً.

٣) يريد : اذا اعتذرت اليك، ولم أذنب، كان يجب أن اعتذر لاعتذاري.

٤) الغرار : القليل من النوم.

٥) ضار : ضر.

٦) يريد : ان قوافيه السائرة في مدح سيف الدولة تصل كل مكان.

٧) مُغار : الغارة.

٨) اليسار : الغنى.

ليالي بعد الظاعنين

وسار سيف الدولة، من حلب الى ديار مضر، في سهول شرقي الفرات، لاضطراب وقع في البادية. فنزل حران قصبة ديار مضر، وأخذ رهائن من بني عُقيل وقشير والعجلان. وهناك قرر الهجوم على العدو. ولا يُعرف ان كانت خطرة خطرت له، كما يقول أبو الطيب في القصيدة، أو كانت خطة، أراد أن يخفيها، فاستغل اضطراب البادية للتحرك.

وعبر الفرات الى دلوك، ومن ثم الى قنطرة نهر صنجة أو سنجة ، بين ديار بكر وديار مضر، ومن هناك الى درب القلة، وشن الغارة على أرض عرقة وملطية، من بلاد الروم. وحين حاول العبور من درب موزار، وجد العدو قد أخذ الطريق، فرجع. ولكن العدو تابعه، فارتد سيف الدولة، وقتل كثيراً من الأرمن، ليعود الى ملطية. ومن هناك عبر نهر قباقب، حتى وصل نهر المخاض على الفرات، تحت حصن يعرف بالمنشار. ولم يتوقف بل سار الى بطن هزيط وسمنين، وهما ثغران من ثغور الروم، ونزل بحصن الران. ثم رحل الى سُميساط، وهي مدينة غربي الفرات. وفي هذه المدينة جاء من يخبره أن جيش الروم، دخل الأرض العربية. فقام سيف الدولة، واتجه الى دلوك فعبرها، وأدرك العدو على نهر جيحان، فاحتدمت المعركة، ودارت الدوائر فيها على الروم. وأسر قسطنطين ابن الدمستق، وأصيب الدمستق في وجهه، ولكنه استطاع الهرب. وقد ظل قسطنطين أسيراً، وبذل والده في فدائه ثمانمائة ألف دينار وثلاثة آلاف أسير. فلم يقبل سيف الدولة، ومات قسطنطين في الأسر، رغم عناية سيف الدولة به. ويقال بأنه مات مسموماً، وان والده أرسل من دس له السم.

وقال ابو الطيب الذي رافق سيف الدولة في هذه الغزوة، هذه القصيدة في جمادى الآخر، سنة اثنتين وأربعين وثلاث مائة، سنة ٩٥٣م.*

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٣٣٠، ق ـ ٢١٢.

والعكبري : ج ـ ٣ ، ص ـ ٩٥، ق ـ ١٨٧.

والديوان: ص ـ ٣٣٥.

_ ١ _

١ـ ليـالـيَّ بعـد الظـاعنينَ شُكـولُ طـوالٌ ولـيـل الـعـاشقـيـن طـويـلُ(١)
٢ـ يُبـنَّ لـيَ الـبـدرَ الـذي لا أريـدُه ويُـخـفـيـنَ بـدراً مـا اليـهِ سـبـيـلُ
٣ـ ومـا عشـتُ مـن بعد الأحبة سلوةً ولـكـنـنـي لـلـنـائـبـاتِ حـمـــولُ
٤ـ وانّ رحـيـلاً واحـداً حَـالَ بَـيْـنَـنـا وَفي المَـوْتِ مِـنْ بَعْـدِ الرَّحِيـلِ رحيلُ
٥ـ إذا كَـانَ شَـمُّ الـرَوْحِ أدنى إليكُمُ فـلا بَـرَحَـتْـنـي روضـةٌ وقَـبـــولُ(٢)
٦ـ ومـا شَـرَقـي بالمـاءِ إلاّ تـذكـراً لـمـآءٍ بـه أهـلُ الحبـيـبِ نـــزولُ
٧ـ يُـحـرّمـه لَـمْـعُ الأسـنَّـةِ فـوقَـه فـلـيـــسَ لِـظَـمْـآنٍ اليـهِ وصـــولُ

_ ٢ _

٨ـ أمـا في النُجومِ السائراتِ وغيرِها لِعيـنـي عـلى ضَـوءِ الصبـاحِ دَلـيـــلُ
٩ـ أَلَمْ يَـرَ هـذا اللَيلُ عَيْنَيكِ رُؤيَتي فَـتَـظْـهَـرُ فـيـه رِقّـةٌ ونُـحـــولُ
١٠ـ لَقيـتُ بـدَرْبِ القُلَّـةِ الفجـرَ لُقيَةً شَـفَـت كَـبِـدي والـلـيـلُ فـيـه قَتيلُ(٣)

_ ٣ _

١١ـ ويـومـاً كـأنَّ الحُسْنَ فيهِ عَلامةٌ بعـثـتُ بِـهـا والـشـمـسُ مـنـكِ رَسولُ
١٢ـ وماقبلَ سيف الدولةِ اثّارَ عـاشقٌ ولا طُـلـبَـت عـنـدَ الـظـلامِ ذُحولُ(٤)

---

١) شكول : متشابهة .
٢) الروح : الريح. والقبول : ريح الصبا. وبرحتني : فارقتني.
٣) درب القلة : مكان وراء الفرات . ويقول المعري: «موضع ببلاد الروم» (المعري: ج _ ٣، ص _ ٣٣٧)
٤) اثّار : أخذ ثأره. والذحول : الثارات (ج _ ٣، ص ٣٣٦_٣٣٧).

١٣ـ ولكنّه يأتي بكلِّ غَريبةٍ تروقُ على استغرابِها وتَهولُ

١٤ـ رَمى الدربَ بالجُرْدِ الجيادِ الى العدى وما عَلِموا أنّ السِهامَ خيولُ

١٥ـ شوائلَ تِشوالَ العقارب بِالقنا لها مَرَح من تَحْتِه وصَهيلُ(٥)

١٦ـ ومَا هِيَ إلاّ خَطْرَةٌ عَرَضَتْ لَهُ بِحرّانَ لَبّتها قناً ونُصولُ(٦)

١٧ـ هُمامٌ إذا ما هَمّ أمضى هُمومَه بأرعنَ وطء الموتِ فيهِ ثَقيلُ(٧)

١٨ـ وخيل براها الركض في كل بلدة اذا عَرّستْ فِيها فَليسَ تَقَيلُ(٨)

١٩ـ فَلمّا تَجلّى من دَلوكٍ وصَنْجَةٍ عَلَتْ كُلَّ طَوْدٍ رايةٌ ورَعيلُ(٩)

٢٠ـ على طُرُقٍ فيها على الطُرْقِ رفْعَةٌ وفي ذِكْرِها عندَ الأنيسِ خُمولُ(١٠)

٢١ـ فَما شَعَروا حتّى رأوْها مُغيرةً قباحاً وامّا خُلْقُها فَجميلُ

٢٢ـ سَحائِبُ يُمْطِرْنَ الحديدَ عَليْهُمُ فكلُّ مَكانٍ بالسُيوفِ غَسيلُ(١١)

٢٣ـ وأمسى السبايا يَنْتَحِبنَ بِعرْقَةٍ كأنَّ جيوبَ الشاكلاتِ ذُيولُ(١٢)

٢٤ـ وعادَتْ فَظَنّوها بموزارَ قُفّلاً وليسَ لَها الا الدخولَ قفولُ(١٣)

---

٥) شوائل : رافعة أذنابها .

٦) حران : مدينة بالشام، آنذاك .

٧) الأرعن : الجيش الكبير الذي يبدو مضطرباً لكثرته.

٨) وعرست: نزلت آخر الليل، ولم تتوقف حتى القيلولة، ولذلك قال : فليس تقيل.

٩) دلوك : مكان من بلاد الأرمن، صنجة : نهر، والرعيل : مجموعة من الخيل.

١٠) اي طرق غير معروفة، ولم تذكر من قبل.

١١) الحديد : السيوف التي كانت تغسل الأرض من العدو، وتغسله بدماء العدو.

١٢) عرقة : بلد بالشام، كما يقول المعري، (ج ـ ٣، ص ـ ٣٤٣). ويبدو أن السبايا نقلن اليه. ولا يحدد الواحدي اين يقع هذا المكان (ص ـ ٥١٧).

١٣) موزار : حصن ببلاد الشام. قفّل : راجعة.

٢٥ـ فَخَاضتْ نَجيعَ القومِ خوضاً كأنّهُ بكلِّ نَجيعٍ لم تَخُضْهُ كَفيلُ
٢٦ـ تُسايْرها النيرانُ في كلِّ مَنْزِلٍ به القومُ صَرْعى والديارُ طُلولُ
٢٧ـ وكَرَّت فمرّت في دماءِ مَلَطْيَةٍ مَلَطْيَةُ أمٌّ للبنينَ ثكولُ(١٤)
٢٨ـ وأَضْعَفْنَ ما كُلِّفْنَهُ من قُبَاقِبٍ فأضحى كأنَّ الماءَ فيه عَليلُ(١٥)
٢٩ـ وَرعنَ بنا قلبَ الفُراتِ كأنما تخرُّ عليهِ بالرجالِ سُيولُ
٣٠ـ يُطارِدُ فيه موْجَهُ كلُّ سابحٍ سَواءٌ عليهِ غَمْرَةٌ ومَسيلُ(١٦)
٣١ـ تَراهُ كأنَّ الماءَ مرَّ بجسمِهِ وأقبلَ رأسٌ وَحْدَه وتَليلُ(١٧)

ـ ٤ ـ

٣٢ـ وفي بَطْنِ هِنْريطٍ وسِمنينَ للظُّبى وصُمٌّ القَنا مِمّن أبدنَ بدَيلُ(١٨)
٣٣ـ طَلَعْنَ عَليهم طَلْعَةٌ يَعْرِفونها لها غُرَرٌ ما تَنْقَضي وحُجولُ
٣٤ـ تَمَلُّ الحصونُ الشُمُّ طولَ نِزالِنا فتُلقي إلينا أهْلَها وتَزولُ

---

١٤) ملطية : مدينة في بلاد الروم.
١٥) قباقب : نهر.
١٦) سابح : الحصان . الغمرة : معظم الماء. والمسيل : مجرى النهر، وأراد هنا : سواء عليه الحرب ولُجج الماء.
١٧) التليل : العنق.
١٨) هنريط وسمنين : موضعان من بلاد الروم.

— ٥ —

٣٥ـ وبِتنَ بِحصْنِ الرانِ رَزْحى مِن الوجى وكلُّ عزيزٍ للأميرِ ذَليلُ[١٩]

٣٦ـ وفي كلِّ نَفْسٍ ما خلاهُ مَلالةٌ وفي كلِّ سيفٍ ما خَلاهُ فُلولُ

٣٧ـ ودونَ سُميساطَ المطاميرُ والمَلا وأوديةٌ مجهولةٌ وهُجولُ[٢٠]

٣٨ـ لَبسنَ الدُجى فيها الى أرضِ مَرعشٍ وللرومِ خَطْبٌ في البلادِ جَليلُ[٢١]

٣٩ـ فَلَمّا رأوه وحدَه قبلَ جيشِهِ دَروا أنّ كلَّ العالمينَ فُضولُ

٤٠ـ وأنّ رماحَ الخَطِّ عنهُ قصيرةٌ وأنّ حديدَ الهندِ عنهُ كَليلُ

٤١ـ فأوْرَدَهم صَدْرَ الحصانِ وسيفَه فتىً بأسُه مِثْلُ العَطاءِ جَزيلُ[٢٢]

٤٢ـ جوادٌ على العلاّتِ بالمَالِ كلِّهِ ولكنَّه بالدارعينَ بَخيلُ

٤٣ـ فودّعَ قتلاهُمْ وشيّعَ فَلَّهُمْ بضربٍ حزونُ البَيضِ فيهِ سُهولُ[٢٣]

٤٥ـ على قَلْبِ قُسْطَنطينَ مِنْهُ تَعجّبٌ وإن كانَ في ساقيهِ منهُ كُبولُ[٢٤]

— ٦ —

٤٦ـ لعلَّك يوماً يا دمستقُ عائدٌ فكمْ هاربٍ ممّا اليهِ يؤولُ

٤٧ـ نجوتَ باحدى مُهْجَتيكَ جريحةً وخلّفتَ إحدى مُهْجَتيكَ تَسيلُ[٢٥]

٤٨ـ أتُسلمُ للخَطّيةِ اُبنَك هارباً ويَسْكُنُ في الدنيا اليكَ خَليلُ

---

١٩) الران : موضع ببلاد الروم. رزحى، متعبة. الوجى : الحفا.

٢٠) سميساط: مدينة. والمطامير : الآبار. والملا، جمع ملاة : الفلاة. الهجول : الأراضي المطمئنة.

٢١) مرعش : مدينة في الجزيرة الفراتية.

٢٢) اي كثير الشجاعة، كما هو جزيل العطاء.

٢٣) اي انه جواد بماله، حريص على رجاله.

٢٤) كبول : قيود.

٢٥) يقصد نجوت وتركت ابنك أسيراً.

٤٩ـ بوجهِكَ ما أنساكَه من مُرشّةٍ نَصيرُكَ مِنها رنةٌ وعَويلُ[٢٦]

٥٠ـ أغرَّكُم طولُ الجُيوشِ وعرضُها عليٌّ شروبٌ للجيوشِ أكولُ

٥١ـ إذا لم تَكُنْ لليثِ إلاّ فريسةٌ غَذاهُ ولم يَنْفَعْكَ أنّكَ فيلُ

٥٢ـ إذا الطَعْنُ لم تُدْخِلْكَ فيهِ شَجاعةٌ هِيَ الطعنُ لم يُدْخِلْكَ فيهِ عَذولُ[٢٧]

٥٣ـ وانْ تَكُنِ الأيّامُ أبصرنَ صولَه فَقَدْ عَلّمَ الأيامَ كيفَ تَصولُ

ـ ٧ ـ

٥٤ـ فَدتْكَ ملوكٌ لم تَسَمَّ مَواضِياً فإنَّكَ ماضي الشَفْرَتينِ صَقيلُ

٥٥ـ إذا كانَ بعضُ الناسِ سيفاً لدولةٍ ففي الناسِ بوقاتٌ لها وطُبولُ

ـ ٨ ـ

٥٦ـ أنا السابقُ الهادي إلى ما أقولُهُ إذِ القولُ قَبلَ القائلينَ مَقولُ

٥٧ـ وما لِكلامِ الناسِ فيما يُريبُني أصولٌ ولا للقائليهِ أصولُ

٥٨ـ أُعادَى عَلى ما يُوجبُ الحبَّ للفتى وأهْدَأُ والأفكارُ فيَّ تَجولُ

٥٩ـ سِوى وَجَعِ الحُسّادِ داوِ فإنَّه إذا حلَّ في قَلْبٍ فليسَ يَحولُ

٦٠ـ ولاَ تَطْمَعَنْ من حاسدٍ في مَودّةٍ وإنْ كنتَ تُبديها لَهُ وتُنيلُ

---

٢٦) مرشة : جراح ترش دماً .

٢٧) اي !ذا لم تقدك الشجاعة الى الطعان فلن يدخلك فيه عاذل.

_ ٩ _

٦١ـ وإنّا لَنَلْقَي الحادثاتِ بأنفسٍ كثيرُ الرَزايا عندَهنَ قَليلُ
٦٢ـ يهونُ عَلينا أن تصابَ جُسومناً وتَسْلَمَ أعراضٌ لنا وعُقولُ

_ ١٠ _

٦٣ـ فتيهاً وفخراً تَغْلِبَ ابنةَ وائلٍ فأنتِ لِخيرِ الفاخرينَ قَبيلُ
٦٤ـ يَغُمُّ عَلياً أن يموتَ عدوُّه إذا لم تَغُلْهُ بالأسنّةِ غولُ
٦٥ـ شريكُ المَنايا والنفوسُ غنيمةٌ فكلُّ مَمَاتٍ لَمْ يُمِتْهُ غُلولُ(٢٨)
٦٦ـ فإنْ تَكُنِ الدولاتُ قِسْماً فإنَّها لِمَن وَرَد الموتَ الزُؤامَ تَدولُ
٦٧ـ لِمَنْ هوَّن الدنيا على النفسِ ساعةً وللبيضِ في هامِ الكُماة صليلُ(٢٩)

---

٢٨) الغلول : الخيانة في الغنيمة .

٢٩) البيض : السيوف. والهام : جمع هامة، الرؤوس. والكماة : المدججون بالسلاح. والصليل : وقع ضرب السيوف.

لكل امرىء من دهره ما تعودا

كان سيف الدولة قد انتصر انتصاره المشهور، سنة ٣٤٢، الذي خلده أبو الطيب، بقصيدته :

ليالي بعد الظاعنين شكولُ..

وفي عيد الأضحى، من السنة عينها، عرض سيف الدولة قواته في الميدان في حلب، فأنشده أبو الطيب في ذي الحجة هذه القصيدة، وهما على فرسيهما*:

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٣٧٢، ق ـ ٢٢٠.

العكبري : ج ـ ١، ص ـ ٢٨١، ق ـ ٦٠.

والديوان: ص ـ ٣٧٠.

_ ١ _

١ـ لِكُلِّ امرئٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوّدا وَعادَةُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنُ فِي العِدى

٢ـ وَأَنْ يُكْذِبَ الإرْجافَ عَنْه بضدِّهِ وَيُمْسي بِمَا تَنوي أَعادِيه أسعَدا(١)

٣ـ وَرُبَّ مُرِيدٍ ضَرَّه ضَرَّ نَفْسَهُ وَهادٍ اليْهِ الجَيْشَ أَهْدى ومَا هَدى(٢)

٤ـ وَمُسْتَكْبِر لَمْ يَعْرف اللّهَ سَاعةً رَأى سَيْفَهُ في كَفِّهِ فَتَشَهدا

٥ـ هُوَ البَحْرُ غُصْ فِيهِ إذَا كَانَ سَاكِناً عَلى الدُّرِّ واَحْذَرْهُ إذا كَانَ مُزْبِدا

٦ـ فإنّي رَأيْتُ البَحْرَ يَعْثُر بالفَتَى وَهَذا الذي يَأتي الفَتى مُتَعَمّدا(٣)

٧ـ تَظَلُّ مُلوك الأرْض خَاشِعةً لَهُ تُفَارِقُه هَلْكَى وَتَلْقاهُ سُجّدا

٨ـ وتُحيي لَه المَالَ الصَّوارِمُ والقَنا ويَقْتُل مَا تُحيي التَبسُّمُ والجَدا(٤)

٩ـ ذَكِيٌّ تَظنيهِ طليعةُ عَيْنِهِ يَرَى قَلْبُه فِي يَوْمِه مَا تَرى غَدا(٥)

١٠ـ وَصولٌ إلى المُسْتَصْعَبَاتِ بخيله فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ ماءً لأوْرَدا(٦)

١١ـ لِذلِكَ سَمّى ابْنُ الدُمُسْتُقِ يَوْمَهَ مَمَاتاً وَسَمّاهُ الدُمُسْتَقُ مَوْلِدا

_ ٢ _

١٢ـ سَرَيْتَ إلى جَيحانَ مِنْ أرْضِ آمدٍ ثَلاثاً، لَقَدْ أدنَاكَ رَكْضٌ وأبْعَدا

---

١) الإرجاف : الخوض في الأخبار السيئة. يريد : أن سيف الدولة يكذب، ما يشاع من أخبار سيئة عنه.

٢) يريد : ربّ عدو حاول ايقاع الضرر بسيف الدولة، فوقع الضرر به، لأن الذي يدل الجيش عليه، يُهدي الجيش له.

٣) يريد : ان سيف الدولة بحر، كما قال في البيت السابق، رقم٥، تستطيع ان تغوص فيه اذا كان هادئاً، ولكن يجب ان تتجنبه اذا أزبد، الا أن سيف الدولة يتعمد مواجهة أقرانه، لأنه هو الذي يقصد أعداءه. وأما البحر، فيعثر بالفتى صدفة.

٤) الصوارم : السيوف. والجدا : العطاء.

٥) تظني : أي تظنن، من الظن، يريد : انه ذكي، ظنه طليعة رؤيته، وهو يرى بقلبه اليوم، ما ترى بعينك غداً.

٦) المستعصبات : الصعبة. وقرن الشمس : أعلى قرصها.

١٣ـ فَوَلّى وأعْطَاكَ ابنَه وَجُيوشَهُ جَميعاً، وَلَمْ يُعْطِ الجَميعَ لِيُحْمَدا

١٤ـ عَرَضْتَ لَهُ دُونَ الحَياةِ وَطَرْفِهِ وَأبْصَرَ سَيْفَ اللّهِ مِنْكَ مُجَرّدا(٧)

١٥ـ وَما طَلَبَتْ زُرْقُ الأسِنَّةِ غَيْرَهُ وَلكنَّ قُسْطَنطينَ كَانَ لَهُ الفِدى

١٦ـ فَأصْبَحَ يَجْتابُ المُسوحَ مَخافَةً وَقَدْ كَانَ يَجْتابُ الدّلاصَ المُسرَّدا(٨)

١٧ـ وَيَمشِي بِهِ العُكّازُ في الدَّيْرِ تَائِباً وما كَانَ يَرْضَى مَشْيَ أشْقَرَ أجْرَدا(٩)

١٨ـ وَمَا تَابَ حَتّى غَادَرَ الكرُّ وَجْهَهُ جَريحاً وَخلّى جَفْنَهُ النَّقْعُ أرْمَدَا(١٠)

١٩ـ فَلَوْ كَانَ يُنْجي مِنْ عَليٍّ تَرَهُّبٌ تَرَهَّبَتِ الأمْلاكُ مُثْنى وَمَوْحِدا

٢٠ـ وَكلُّ امرئٍ في الشَّرْقِ والغَرْبِ بَعْدَهُ يُعِدُّ لَهُ ثَوْباً مِن الشَّعْرِ أسْوَدا(١١)

ـ ٣ ـ

٢١ـ هَنيئاً لَك العَيْدُ الذّي أنْتَ عِيدُهُ وَعيْدٌ لِمَنْ سَمّى وَضَحّى وَعيّدا

٢٢ـ وَلاَ زَالَت الأعيادُ لبْسَكَ بَعْدَه تُسلِّمُ مَخْروقاً وَتُعْطى مُجَدَّدا(١٢)

٢٣ـ فَذا اليومُ في الأيّام مِثْلُك في الوَرى كَما كُنْتَ فِيْهِم أوْحَداً كَانَ أوْحَدا

٢٤ـ هُوَ الجَدُّ حَتّى تَفْضُلَ العَيْنُ أُخْتَها وَحتّى يَكونَ اليومُ لليومِ سَيّدا(١٣)

---

٧) طرف : عين. اي وقفت، بين الحياة وعينيه، فرأى فيك سيف الله المشهر.

٨) يجتاب : من جاب، قطع. وأراد هنا يلبس المسوح، ويقطعها. والمسوح : ثياب الرهبان السودا. والدلاص : الدروع. والمسرد : المشبك.

٩) أشقر : صفة للحصان الذي يوصف بالسرعة، والأجرد الذي يوصف بالعتق.

١٠) النقع : الغبار.

١١) يريد : اذا كان ينجي الترهب، ولبس السواد، كما في البيت السابق، رقم ١٩، فان كل امرئ في الشرق والغرب، يعد لنفسه ثوباً أسود، لأنه يخاف سيف الدولة.

١٢) مخروق : ممزق. يريد : أتمنى أن تظل الأعياد لباساً لك، تسلّم البالي، وتلبس الجديد.

١٣) الجد : الحظ. يريد : أنه الحظ، الذي قد يجعل العين تفضل أختها.

٢٥ـ فَيا عَجباً مِنْ دَائلٍ أنْتَ سَيْفُهُ أمَا يَتَوقَّى شَفْرَتي مَا تَقَلَّدا(١٤)

٢٦ـ وَمَنْ يَجْعَلِ الضِّرْغام للَصيدِ بَازَهُ تَصَيَّدَه الضِّرْغامُ فِيما تَصيَّدا(١٥)

ـ ٤ ـ

٢٧ـ رَأيْتُكَ مَحْضَ الحِلْمِ فِي مَحْضِ قُدْرَةٍ وَلَو شِئْتَ كَانَ الحِلْمُ مِنْكَ المُهَنَّدا(١٦)

٢٨ـ وَمَا قَتَلَ الأحْرارَ كالعَفْوِ عَنْهُمُ وَمَنْ لَكَ بالحُرّ الذي يَحْفَظُ اليَدا

٢٩ـ إذَا أنْتَ أكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَهُ وإنْ أنْتَ أكْرَمْتَ اللئيمَ تَمَرّدا

٣٠ـ وَوَضْعُ النَّدى فِي مَوْضع السَّيْفِ بالعُلَى مُضِرٌّ كَوَضْعِ السيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدا

٣١ـ وَلَكِنْ تَفوقُ النَّاسَ رَأياً وَحِكْمَةً كَما فُقْتَهُمْ حَالاً وَنَفْساً وَمَحْتِدا(١٧)

٣٢ـ يَدِقُّ عَلى الأفْكارِ ما أنْتَ فَاعِلٌ فَيُتْرَكُ مَا يَخْفَى وَيُؤْخَذُ ما بدا

ـ ٥ ـ

٣٣ـ أزِلْ حَسَدَ الحُسَّادِ عَنّي بِكَبْتِهِم فَأنْتَ الذَّي صَيّرتَهم لِيَ حُسَّدا

٣٤ـ إذَا شَدَّ زَنْدي حُسْنُ رأيكِ فِي يدي ضَرَبْتُ بِسيفٍ يَقْطُع الهَامَ مُغْمَدا(١٨)

٣٥ـ وَما أنا إلاّ سَمْهَرِيٌّ حَمَلْتَهُ فَزيَّنَ مَعْرُوضاً، وَرَاعَ مَسَدَّدا(١٩)

٣٦ـ وَما الدَّهْرُ إلا مِنْ رُواة قَصائِدي إذا قُلْتُ شِعْراً أصبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدا

---

١٤) دائل : صاحب الدولة، ويقصد الخليفة .

١٥) الضرغام : الأسد.

١٦) المهند : السيف.

١٧) المحتد : كرم الأصل.

١٨) مغمد : أي في غمده. والهام : الرؤوس.

١٩) سمهري : الرمح، منسوب الى سمهر، اسم رجل كان يقوم بعمل الرماح. والأصل : الصلابة. اسمهر الأمر: اشتد.

٣٧ـ فَسارَ بِهِ مَنْ لاَ يَسيرُ مُشمِّراً وَغنّى بِهِ مَنْ لا يُغنِّي مُغرّدا

٣٨ـ أَجِزْني إذا أَنْشَدْتُ شِعْراً فإنّما بِشِعْري أتاكَ المادِحونَ مُرَدّدا

٣٩ـ وَدَعْ كُلّ صَوْتٍ بَعْدَ صَوْتِي فَإنّني أنا الطَّائِرُ المَحْكيُّ والآخر الصَّدى(٢٠)

٤٠ـ تَرَكْتُ السُّرى خَلْفي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وأَنْعَلْتُ أفراسي بِنُعْماكَ عَسْجدا(٢١)

٤١ـ وَقيّدْتُ نَفْسي في ذُراك مَحبَّةً وَمَنْ وَجَد الإحسانَ قَيْداً تَقيّدا

٤٢ـ إذا سَأَلَ الإنسانُ أيّامِه الغِنى وَكُنْتَ عَلى بُعْدٍ جَعَلْنَكَ مَوْعِدا

---

٢٠) وروي : أنا الصانح المحكيّ وأنا الشاعر المحكي (المعري : ج - ٣، ص ـ ٣٨٥).

٢١) العسجد : الذهب.

والتفت عليك القبائل

ووصل رسول ملك الروم، سنة ٣٤٣ ـ ٩٥٤، فاستقبله سيف الدولة في ربيع الأول، أو صفر، فقال أبو الطيب هذه القصيدة، يذكر هذه المناسبة*:

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٣٩٠، ق ـ ٢٢٣.

والعكبري : ج ـ ٣، ص ـ ١١٢ ، ق ـ ١٨٩.

والديوان: ص ـ ٣٧٥.

ـ ١ ـ

١ـ دُروعٌ لِمَلْكِ الرُّومِ هَذي الرَّسَائِلُ يَردُّ بِها عَنْ نَفْسِهِ وَيُشاغِلُ
٢ـ هِي الزَّرَدُ الضافي عَليهِ وَلَفْظُها عَلَيْكَ ثَناءٌ سَابِغٌ وفَضائِلُ(١)
٣ـ وَأنّى أهتَدى هَذا الرَّسولُ بأرْضِهِ وَمَا سَكَنت مُذْ سِرْتَ فِيها القَساطِلُ(٢)
٤ـ وَمِنْ أيِّ مَاءٍ كانَ يَسْقي جِيادَهُ وَلَمْ تَصْفُ مِنْ مَزْجِ الدِّماءِ المَناهل(٣)

ـ ٢ ـ

٥ـ أتَاكَ يَكَادُ الرَّأسُ يَجْحَدُ عُنْقَهُ وَتَنْقَدُّ تَحْتَ الدِّرْعِ مِنْهُ المَفاصِلُ(٤)
٦ـ يُقَوِّم تَقْويمِ السَّماطينَ مَشْيَهُ إليكَ إذا مَا عَوَّجَتْهُ الأفاكِلُ(٥)
٧ـ فَقَاسَمَكَ العينينِ مِنْهُ وَلَحْظَهُ سَمِيُّكَ والخِلُّ الذَّي لاَ تُزايِلُ(٦)
٨ـ وَأبْصَرَ مِنْكَ الرِّزْقَ والرِّزْقُ مَطْمَعٌ وَأبْصَرَ مِنْهُ المَوْتَ والمَوْتُ هَائِلُ(٧)

---

١) الزرد : حلق الدروع. والضافي : التام.

٢) أنى : كيف. والقساطل ، جمع قسطل، الغبار الذي تثيره الخيل، يريد : كيف اهتدى هذا الرسول بأرضه التي ما زال غبار خيلك يثور فيها.

٣) المناهل : النبع ، وموضع الشرب من الوادي.

٤) يريد : أتاك خائفاً، حتى كأن رأسه أنكر عنقه، لأنه انكمش خوفاً، وكادت مفاصله تتناثر من الذعر. ويروى تحت الذعر (المعري: ج ـ ٣، ص ٣٩١) و(العكبري : ج ـ ٣، ص ـ ١١٣).

٥) السماطان : صفّان من الرجال يمتدان بين يدي الملوك في حفلات الاستقبال والمناسبات الرسمية. والأفاكل جمع الأفكل : الرعدة. يريد : أن الرسول يسير سيراً مستقيماً، بفضل صفي الرجال، اذا ما اعوج مشيه خوفاً.

٦) سميّ : الذي يحمل عين الاسم. ويريد هنا السيف. ويريد : ان عينيه توزعتا بينك وبين سيفك، وهو خليلك الذي لا يفارقك.

٧) يريد : ان الرسول رأى فيك الحياة لكرمك، والحياة في هذا الموقف مطمع، ورأى في سيفك الموت، والموت مخيف.

٩ـ وَقَبّلَ كُمّاً قَبَّلَ التُّرْبَ قَبْلَهُ وَكُلُّ كَمِيٍّ وَاقِفٌ مُتَضائِلُ(٨)

١٠ـ وَأَسْعَدُ مُشْتاقٍ وَأَظْفَرُ طَالِبٍ هُمامٌ إلى تَقْبيلِ كُمِّكَ وَاصِلُ

١١ـ مَكانٌ تَمنّاهُ الشِّفاهُ وَدُونَهُ صُدورُ المَذاكي والرِّماحُ الذَّوابِلُ(٩)

١٢ـ فَما بَلَّغَتْهُ مَا أرادَ كَرامَةٌ عَليكَ، وَلَكِنْ لَمْ يَخِبْ لَكَ سَائِلُ

١٣ـ وَأكبرُ مِنْهُ هِمَّةً بَعَثَت بِهِ إليكَ العِدَى واستَنْظَرَتْهُ الجَحافِلُ(١٠)

١٤ـ فَأَقْبَلَ مِنْ أَصْحابِهِ وَهْوَ مُرْسَلٌ وَعادَ الى أَصْحابِهِ وَهْوَ عَاذِلُ(١١)

١٥ـ تَحَيَّرَ فِي سَيْفٍ رَبيعةُ أَصْلُهُ وَطَابَعَهُ الرَّحْمَنُ وَالمَجْدُ صَاقِلُ(١٢)

١٦ـ وَمَا لَوْثُهُ مِمَّا تُحَصِّلُ مُقْلَةٌ وَلاَ حَدُّهُ مِمّا تَجُسُّ الأَنَامِلُ(١٣)

ـ ٣ ـ

١٧ـ إذا عَايَنَتْكَ الرُّسْلُ هَانَتْ نُفوسُها عَليها وَمَا جَاءت بِهِ والمُراسِلُ

١٨ـ رَجَا الرُّومُ مَنْ تُرْجَى النَوافِلُ كُلُّها لَديهِ ولا تُرجى لَديه الطَّوائِلُ(١٤)

---

٨) الكمي : الشجاع المكمي شخصه في الحديد. ومتضائل: متصاغر، يشعر بالصِغَر. يريد : ان الرسول قبّل الأرض بين يدي سيف الدولة، ثم قبّل كمه، وكان الشجعان الحاضرون يتضاءلون أمام هيبت.

٩) المذاكي : الخيل التي اكتملت أسنانها.

١٠) الجحافل : جمع جحفل، الجمع العظيم. يريد : أن اعدائك الروم بعثوا اليك من هو أكبر همة، وكانت جيوشهم تنتظر عودته. ويبدو شرح هذا البيت غامضاً (المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٣٩٣) و(العكبري : ج ـ ٣، ص ـ ١١٤) و(الافليلي: ج ـ ٢، ص ـ ٢١٧).

١١) عاذل : لائم.

١٢) يريد : ان سيف الدولة ليس كالسيوف، لأن السيوف من حديد، يطبعها الحداد، ويصقلها الصقل، اما سيف الدولة، فأصله من ربيعة، وطابعه الله، وصاقله المجد.

١٣) يريد : ويختلف سيف الدولة عن السيف في أن لون سيف الدولة، لا تحيط به العين كالسيف، وحده لا تفحصه رؤوس الأصابع.

١٤) النوافل : جمع نافلة، العطايا. والطوائل : جمع طائلة، الاحقاد والثارات، يريد : ان الروم قصدوا سيف الدولة، وهو معروف بأن الهبات ترجى منه، ولكن التنازل عن الثارات لا يُرجى عنده.

١٩ـ فَإنْ كَانَ خَوْفُ القَتْلِ والأسْرِ سَاقَهمْ فَقَدْ فَعَلوا مَا القَتْلُ والأسْرُ فَاعِلُ

٢٠ـ فَخَافَكَ حَتّى مَا لِقَتْلٍ زِيادَةٌ وَجَاوَكَ حَتّى ما تُزادُ السَّلاسِلُ

ـ ٤ ـ

٢١ـ أرَى كُلَّ ذِي مُلْكٍ إليكَ مَصيرُهُ كَأنَّكَ بَحْرٌ والمُلوكُ جَداوِلُ

٢٢ـ إذا مَطَرَتْ مِنْهُمْ وَمِنْكَ سَحائِبٌ فَوابِلُهُمْ طَلَّ وَطَلُّكَ وَابِلُ(١٥)

٢٣ـ كَريمٌ مَتى استوهبت ما أنْتَ رَاكِبٌ وَقَدْ لَقِحَتْ حَرْبٌ فَإنَّكَ نَازِلُ(١٦)

ـ ٥ ـ

٢٤ـ أذَا الجُوْدِ أعْطِ النَّاسَ ما أنت مالك وَلا تُعْطِيَنَّ النَّاسَ مَا أنا قَائِلُ(١٧)

٢٥ـ أفي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضِبْني شُوَيعِرٌ ضَعيفٌ يُقاويني قَصيرٌ يُطاوِلُ(١٨)

٢٦ـ لِساني بِنُطْقي صَامِتٌ عَنْهُ عَادِلٌ وَقَلْبي بِصَمْتي ضَاحِكٌ مِنْهُ هَازِلُ

٢٧ـ وَأتْعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لاَ تُجيبُهُ وَأغْيَظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لاَ تُشاكِلُ

٢٨ـ وَمَا التَّيهُ طِبّي فَيْهُمُ غَيْرَ أنَّني بَغيضٌ إليَّ الجاهِلُ المُتَعَاقِلُ

٢٩ـ وَأكْثَرُ تِيْهي أنَّني بِكَ واثِقٌ وَأكْثَرُ مَالِي أنَّني لَكَ آمِلُ

---

١٥) الوابل : اغزر المطر. والطل : اضعفه.

١٦) لقحت : اشتدت.

١٧) أذا : يا ذا الجود، يريد : يا صاحب الجود، ويريد : ان يعطي سيف الدولة مما يملك، ولا يعطي كلاماً كما يفعل أبو الطيب.

١٨) الضبن : ما تحت الابط الى الخاصرة، يريد : أنه يجد في كل يوم شاعراً ، لا يبلغ دون خاصرته، ومع ذلك فان هذا الشاعر، رغم ضعفه ينازع أبا الطيب بالقوة، ورغم قِصَره، يتطاول على أبي الطيب. وفي هذا تعريض بالشعراء المحيطين بسيف الدولة (المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٩٩٧).

_ ٦ _

٣٠ـ لَعَلَّ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ القَرْمِ هَبَّةٌ يَعيشُ بِها حَقٌّ وَيَهْلِكُ بَاطِلُ

٣١ـ رَمَيْتُ عِدَاهُ بالقَوافي وَفَضْلِهِ وَهُنَّ الغَوازي السَّالِماتُ القَواتِلُ(١٩)

٣٢ـ وَقَدْ زَعَموا أنَّ النُّجومَ خَوالِدٌ وَلَوْ حَارَبَتْهُ نَاحَ فِيها الثَّواكِلُ(٢٠)

٣٣ـ وَما كَانَ أدْنَاها لَهُ لَوْ أرادَها وَأَلْطَفَها لَوْ أنَّهُ المُتَنَاوِلُ(٢١)

٣٤ـ قَريبٌ عَليهِ كَلُّ نَآءٍ إلى الوَرَى إذا لَثَّمَتْهُ بالغُبارِ القَنابِلُ(٢٢)

٣٥ـ تُدبِّرُ شَرْقَ الأرْضِ والغَرْبَ كَفُّهُ وَليسَ لَها وَقْتاً عَنِ الجُودِ شَاغِلُ

٣٦ـ يَتَتَبَّعُ هُرَّابَ الرِّجالِ مُرادُهُ فَمَنْ فَرَّ حَرْباً عَارَضَتْهُ الغَوائِلُ(٢٣)

٣٧ـ وَمَنْ فَرَّ مِنْ إحْسانِهِ حَسَداً لَهُ تَلَقَّاهُ مِنْهُ حَيْثُما سَارَ نَائِلُ

٣٨ـ فَتىً لاَ يَرى إحسَانَه وَهْوَ كَامِلٌ لَهُ كَامِلاً حَتّى يُرى وَهْوَ شَامِلُ

_ ٧ _

٣٩ـ إذا العَرَبُ العَرْبَاءُ رَازَتْ نُفُوسَها فَأنْتَ فَتاها والمَليكُ الحُلاحِلُ(٢٤)

٤٠ـ أطاعَتْكَ في أرْواحِها وَتَصَرَّفَتْ بِأمْرِكَ والتَفَّتْ عَليكَ القَبائِلُ

---

١٩) يريد : أنه رمى أعداء سيف الدولة بالقوافي، وهي غازية وقاتلة، وتظل سالمة اذ لا يستطيع أحد قتلها.

٢٠) الثواكل : جمع ثاكلة، التي فقدت ولدها.

٢١ـ يريد : ان النجوم لو أراد وصولها لكانت قريبة، ولو تناولها لكانت لطيفة وسلمت له. وقد دار نقاش حول ألطفها برد الضمير الى النجوم، أو ألطفه برد الضمير الى سيف الدولة (العكبري : ج ـ ٣، ص ـ ١١٩) و(الواحدي: ص ـ ٥٤١).

٢٢) القنابل : الجماعات من الخيل، واحدها قنبلة، وهناك خلاف في العدد، ما بين ثلاثين الى خمسين. ولثمته : صنعت له لثاماً، يريد : اذا ما انطلقت خيله وأثارت الغبار، قرب عليه كل شيء.

٢٣) يتبع : يتتبع . والغوائل : جمع غائلة، الداهية.

٢٤) العرباء : العاربة، أي القديمة. رازت: اختبرت، والحُلاحِل: السيد، ورُوي فأنت قناها.

٤١ـ وَكُـلُّ أنـابـيـبِ الـقَـنـا مَـدَدٌ لَـهُ ومَـا تَـنْـكُـتُ الفُـرْسَانَ إلاّ العَوامِلُ(٢٥)

٤٢ـ رَأيتُكَ لَو لَمْ يَقْتَضِ الطَّعْنُ فيَ الوَغى إلـيـكَ انقيـاداً، لاَقْتَضَتْـهُ الشَمـائِـلُ(٢٦)

٤٣ـ وَمَـنْ لَـمْ تُعَلِّمْـهُ لَـكَ الـذُّلَّ نَفْسُـهُ مِـن النَّـاسِ طُـرّاً عَـلَّمَتْهُ المَنَاصِلُ(٢٧)

---

٢٥) أنابيب : جمع انبوب ، وهي العقدة الناشزة في القنا، وتنكت: تخز أو تسقط. والعوامل : جمع عامل، صدر الرمح.

٢٦) الوغى : الحرب. والشمائل : جمع شمال، الطباع. يريد : ان الانقياد لك، اذا لم تفرضه الحرب، فرضته طباعك.

٢٧) المناصل : جمع مُنْصُل ، وهو السيف.

كذا فليسر من طلب الأعادي

وكان سيف الدولة، بعد أن أخضع القبائل، سنة ٣٤٢، وانتصر على الروم، يرفل في ثياب مجده، وفي هذا الوقت خرجت عليه كلاب، بنواحي بالس، ما بين حلب والرقة. فسار اليهم سيف الدولة، وأدركهم بعد سير ليالٍ على مائين يعرفان بالغبارات والخرارات، من جبل يدعى : النسر.

وهاجم سيف الدولة، بني كلاب ليلاً، فهزمهم، وصار أمر النساء اليه، فأكرمهن وأحسن اليهن. وكان ابو الطيب يرافقه في هذه الحملة. وعندما عادت الحملة في جمادى الآخرة، من سنة ٣٤٣، قال أبو الطيب هذه القصيدة*:

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٤٠٥، ق ـ ٢٢٥.

والعكبري : ج ـ ١، ص ـ ٧٥، ق ـ ١٧.

والديوان: ص ـ ٣٨١.

١ـ بِغَيْرِكَ رَاعِياً عَبِثَ الذِّئَابُ وَغَيْرَكَ صَارِماً ثَلَمَ الضِّرَابُ(١)

٢ـ وَتَمْلِكُ أَنْفُسَ الثَّقَلَيْنِ طُرّاً فَكَيْفَ تَحُوزُ أَنْفُسَهَا كِلابُ(٢)

٣ـ وَمَا تَرَكُوكَ مَعْصِيَةً وَلَكِنْ يُعَافُ الوِرْدُ وَالمَوْتُ الشَّرَابُ(٣)

٤ـ طَلَبْتَهُمُ عَلَى الأَمْوَاهِ حَتَّى تَخَوَّفَ أَنْ تُفَتِّشَهُ السَّحَابُ

٥ـ فَبِتَّ لَيَالِياً لاَ نَوْمَ فِيهَا تَخُبُّ بِكَ المَسَوَّمَةُ العِرَابُ(٤)

٦ـ يَهُزُّ الجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبَيْهِ كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحَيْهَا العُقَابُ

٧ـ وَتَسْأَلُ عَنْهُمُ الفَلَوَاتِ حَتَّى أَجَابَكَ بَعْضُهَا وَهُمُ الجَوَابُ(٥)

٨ـ فَقَاتَلَ عَنْ حَرِيمِهِمُ وَفَرّوا نَدى كَفَيْكَ والنَسَبُ القُرَابُ(٦)

٩ـ وَحِفْظُكَ فِيهِمُ سَلَفِيْ مَعَدٍّ وَأَنَّهُمُ العَشَائِرُ والصِّحَابُ(٧)

١٠ـ تُكَفْكِفُ عَنْهُمُ صُمَّ العَوَالِي وَقَدْ شَرِقَتْ بِظُعْنِهِمُ الشِّعَابُ(٨)

١١ـ وَأُسْقِطَتِ الأَجِنَّةُ فِي الوَلَايَا وَأَجْهَضَتِ الحَوَائِلَ والسِّقَابُ(٩)

---

١) الصارم : السيف . والضراب : الضرب.

٢) الثقلان : الانس والجن.

٣) الورد : المورد، أي ورود الماء.

٤) تخب : تعدو، والخبب : ارفع السير، كما يقول (المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٤٠٧). والمُسوَّمة : المُعلمة من الخيل.

٥) الفلوات : جمع فلاة، الأرض الواسعة.

٦) النسب القراب: القريب جداً.

٧) يريد : أنهم ينتسبون الى معد من جهتي الأب والأم. ويروى النساب. أي أصل النسب، بدلاً من الصحاب (المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٤٠٨).

٨) تكفكف : تكف. والعوالي : الرماح. والظعن : جمع ظعينة، المرأة في الهودج. والشعاب: جمع شِعْب، وهو الطريق في الجبل.

٩) الأجنة : جمع جنين ، الطفل في بطن أمه. والولايا: جمع ولية، مثل البرذعة. وأجهضت: أسقطت. والحوائل، جمع حائل: الانثى من ولد الناقة. والسقاب: الذكر.

١٢ـ وَعَمْـرٌو في مَيامنهم عُمَورٌ وَكَعْبٌ فَي مَياسِرهم كِعابُ(١٠)

١٣ـ وَقَدْ خَذَلَت أبو بَكْرٍ بَنيها وَخَاذَلَها قُريطٌ والضِّبابُ(١١)

١٤ـ إذا مَا سِرْتَ في آثارِ قَومٍ تَخَاذَلَتِ الجَماجِمُ والرِّقابُ

١٥ـ فَعُدْنَ كَما أُخِذْنَ مُكَرَّماتٍ عَلَيْهُنَّ القَلائِدُ والمَلابُ(١٢)

١٦ـ يُثِبْنكَ بالذي أوْلَيتَ شُكْراً وَأيْنَ مِنَ الذَّي تُولي الثَّوابُ(١٣)

١٧ـ وَلَيْسَ مصيرُهُنَّ إليكَ شَيْناً وَلا فِي صَوْنِهِنَّ لَديكَ عَابُ(١٤)

١٨ـ وَلا فِي فَقْدِهِنَّ بَني كِلابٍ إذا أبْصَرْنَ غُرَّتَكَ اغترابُ

١٩ـ وَكَيْفَ يَتمُّ بأسُكَ فِي أُناسٍ تُصيبُهُمُ فَيَؤْلِمُكَ المُصابُ

ـ ٣ ـ

٢٠ـ تَرَفَّقْ أيُّها المَولى عَليهِمْ فَإنَّ الرِّفْقَ بالجاني عِتابُ

٢١ـ وإنَّهُمُ عَبيدُكَ حَيثُ كَانَوا إذا تَدْعو لِحادِثَةٍ أجابوا

٢٢ـ وَعَيْنُ المُخْطِئينَ هُمُ وَليسوا بأوَلِ مَعْشَرٍ خَطِئوا فَتابوا

٢٣ـ وَأنْتَ حَيَاتُهُم غَضِبَتْ عَليهم وَهَجْرُ حَياتِهم لَهُم عِقابُ

٢٤ـ وَمَا جَهِلَتْ أيادِيَك البَوادي وَلَكِنْ رُبَّما خَفِيَ الصَّوابُ

٢٥ـ وَكَمْ ذَنْبٍ مُولِّدُهُ دَلالٌ وَكَمْ بُعْدٍ مُولِّدُهُ اقترابُ

---

١٠) يريد : أن جموعهم انهزمت فتفرقت، لتصبح عمرو، وهي بطن من كلاب عموراً، وكعب كعاباً.

١١) يريد : أن أبا بكر، وهي بطن من كلاب، خذلت بنيها، وان القريط ويروى القريظ والضباب، وهما بطنان من كلاب أيضاً، قد خذلا أبا بكر.

١٢) الملاب : نوع من الطيب، فارسي معرب، حسب العكبري (ج ـ ١، ص ـ ٧٨). يريد : ان نساء بني كلاب عدن مكرمات، كما أخذن يحتفظن بقلائدهن وطيبهن.

١٣) يثبنك : أي يجزينك.

١٤) الشين : العيب، وكذلك العار.

٢٦ـ وَجُـرْمٍ جَـرَّهُ سُفَـهـاءُ قَـوْمٍ وَحَـلَّ بِـغَـيـرِ جَارِمِـهِ العَـذابُ
٢٧ـ فَـإِنْ هَـابُـوا بِجُرْمِهُمُ عَلِيّاً فَـقَـدْ يَرجـو عَلِيّاً مَـنْ يَـهـابُ
٢٨ـ وإِنْ يَـكُ سَيْـفَ دَوْلَـةِ غَيْـرِ قَيْسٍ فَـمِـنْـهُ جُـلـودُ قَيْـسٍ والثِّـيـابُ
٢٩ـ وَتَـحْـتَ رَبَـابِـهِ نَـبَـتـوا وَأَثُـوا وَفي أيّـامِـه كَـثُـروا وَطـابـوا(١٥)
٣٠ـ وَتَحْـتَ لِـوائِـه ضَـرَبُـوا الأعادي وَذلَّ لَـهُـمْ مِـن الـعَـرَبِ الصِّـعـابُ

ـ ٤ ـ

٣١ـ وَلَـوْ غَـيْـرُ الأمـيـرِ غَـزا كَـلاباً ثَـنـاه عَـنْ شُـمـوسِـهِـمُ ضَـبـابُ
٣٢ـ وَلاقـى دَونَ ثـأيِـهِـمُ طِـعـانـاً يُـلاقـي عِـنْـدَه الـذِّئْـبَ الـغُـرابُ(١٦)
٣٣ـ وَخَـيْـلاً تَغْـتَـذي رِيـحَ المَـوامي وَيَـكْـفـيـهـا مِـنَ المَـاءِ السَّـرابُ(١٧)
٣٤ـ ولـكِـنْ رَبُّـهُـم أسرى الـيـهـم فـمـا نـفـع الـوقـوف ولا الـذهـابُ
٣٥ـ وَلا لَـيْـلٌ أَجَـنَّ وَلا نَـهـارٌ وَلا خَـيْـلٌ حَـمَـلْـنَ وَلا رِكـابُ

ـ ٥ ـ

٣٦ـ رَمَـيْـتَـهُـمُ بِـبَـحْـرٍ مِنْ حَـديـدٍ لَـهُ فـي الـبَـرِّ خَـلْـفَـهُـمُ عُـبـابُ(١٨)
٣٧ـ فَـمَـسّـاهُـمْ وَبُـسْـطُـهُـمُ حَـريرٌ وَصَـبّـحَـهـم وَبُـسْـطُـهُـمُ تُـرابُ

---

١٥) الرباب : غيم متعلق بالسحاب من تحته، يميل الى السواد. وأثوا : كثروا وتمكنوا.
١٦) الثأي : جمع ثأية، الحجارة حول البيت، كأنها الحظيرة، ويريد : أن من يغزو كلاباً ، غير سيف الدولة، يجد طعاناً يكثر فيه القتلى، حتى يلتقي الذئب والغراب على الجثث.
١٧) المواميّ : جمع موماة ، الفلاة.
١٨) العباب : موج البحر.

٣٨ـ وَمَـن فـي كـفّـه مِـنْـهُـمْ قناةٌ كَـمَـن فـي كـفّـهِ مِـنْـهُـم خـضـابُ

٣٩ـ بـنـو قَـتْـلى أبـيـكَ بأرض نجدٍ ومـن أبْـقـى وأبـقـتـه الحـرابُ(١٩)

٤٠ـ عَـفـا عَـنْـهـم وأعتقهـم صِغاراً وَفـي أعْـنـاقِ أكـثـرهـمِ سِـخـابُ(٢٠)

٤١ـ وكلُّـكـم أتـى مـأتـى أبـيـه فـكـلُّ فعـالِ كُـلّـكـمُ عُـجـابُ

٤٢ـ كـذا فـليسرِ مـن طلب الأعـادي ومـثـل سـراكَ فَـلْـيَـلْـن الـطـلابُ

---

١٩) يريد : أن هؤلاء الذين هزمتهم، كان والدك قد قتل اباءهم. وكان ابو الهيجاء عبدالله بن حمدان قائداً مظفراً، خاض العديد من المعارك، لمصلحة الدولة العباسية، وكان اسمه يرعب القرامطة (الأزدي ، ص ـ ١٣) وقد أسره القرامطة، سنة ٣١٢، وقتل سنة ٣١٧ في معركة باسلة للدفاع عن الخليفة في قصره (الفسر، ج ـ ١، ص ـ ٢٠٣، و٢٠٤).

٢٠) سخاب : القلادة من القرنفل، أو حب الحنظل يلبسها الصبيان.

على قدر أهل العزم

تقع قلعة الحدث على جبل الأحيدب، بين ملطية وسميساط ومرعش، في لثغور. وكان أهلها أسلموها صلحاً، سنة ٣٣٧ . وقرر سيف الدولة استعادة الموقع، وبناء القلعة. وتحرك سنة (٤٤٣ ـ٩٥٤) فوصل ، يوم الأربعاء، لاثنتي عشرة ليلة، بقيت من جمادى الآخرة. وبدأ العمل، عند وصوله، فخط الأساس، وحفر اوله بيده. ووصل جيش الروم يوم الجمعة، اي بعد يومين، في نحو من خمسين ألف فارس وراجل، من الروم والأرمن والروس والبلغار والصقالب والخزر. ولكن المصافة لم تقع، الآ يوم الاثنين، انسلاخ جمادى الآخرة. واستعر القتال من أول النهار، الى العصر. وقام سيف الدولة، عصراً، بشن غارة بنفسه، يرافقه ، حوالي خمسماية من رجاله، على موكب ابن فقاس، فهزمه، وأسر حوالي ثلاثة آلاف من قادته ورجاله. وتفرغ بعد هذا النصر لبناء القلعة. وظل هناك الى أن أتمها، ووضع بيده آخر شرافة فيها، يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة، خلت من شهر رجب. وهناك قال أبو الطيب هذه القصيدة، وأنشدها في الحدث، بعد المعركة*:

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٤١٩، ق ـ ٢٢٦.

والعكبري : ج ـ ٣، ص ـ ٣٧٨، ق ـ ٢٢٥.

والديوان: ص ـ ٣٨٥.

ـ ١ ـ

١ـ عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأتي العَزَائِمُ وَتَأتي عَلى قَدْرِ الكِرامِ المَكارِمُ
٢ـ وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغارُها وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ العَظيمِ العَظائِمُ
٣ـ يُكَلِّفُ سَيْفُ الدَوْلَةِ الجَيْشَ هَمَّه وَقَدْ عَجِزَتْ عَنْه الجُيوشُ الخَضَارِمُ(١)
٤ـ وَيَطْلُبُ عِنْدَ الناسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ وَذَلِكَ مَا لاَ تَدَّعيهِ الضَراغِمُ(٢)
٥ـ وَيَفدِي أتَمُّ الطيرِ عُمْراً سِلاحَه نسورُ المَلا أُحْداثُها والقَشاعِمُ(٣)
٦ـ وَمَا ضَرَّها خَلْقٌ بِغَيرِ مَخالِبٍ وَقَدْ خُلِقَتْ أسيافُه والقَوائِمُ(٤)

ـ ٢ ـ

٧ـ هَلِ الحَدَثُ الحَمْراءُ تَعْرِفُ لَوْنَها وَتَعْلَمُ أيَّ الساقيينِ الغَمَائِمُ(٥)
٨ـ سَقَتْهَا الغَمامُ الغُرُّ قَبْلَ نُزولِه فَلَمّا دَنَا مِنْها سَقَتْها الجَماجِمُ(٦)
٩ـ بَناهَا فَأعْلى والقَنا يَقْرَعُ القَنا وَمَوجُ المَنايا حَوْلَها مُتَلاطِمُ
١٠ـ وَكانَ بِها مِثْلَ الجُنونِ فَأصْبَحَتْ وَمِنْ جُثَثِ القَتْلى عَليها تَمائِمُ(٧)
١١ـ طَريدةُ دَهْرٍ سَاقَها فَرَدَدتَها عَلَى الدِّينِ بالخطّي والدَهْرُ رَاغِمُ(٨)

---

١) الخضارم : جمع خِضْرِم ، الكثير من كل شيء.
٢) الضراغم : جمع ضرغام الأسد.
٣) الملا : الأرض الواسعة. والأحداث : جمع حدث، الحديث السن. والقشاعم : المسنة.
٤) القوائم : جمع قائم، أي قائم السيف.
٥) الحدث، هي القلعة المشار اليها، وسمّاها حمراء، لما رافق بناءها من سفك الدماء، ويقال لأنها بنيت بحجر أحمر، وهذا أضعف. والغمائم: جمع غمامة، السحائب.
٦) الغر : ذوات البرق، والأكثر ماء، أي ان المطر، كان يسقيها، فلما وصلها سيف الدولة، سقتها جماجم القتلى.
٧) التمائم : جمع تميمة، وهي ما يتم التعوذ به.
٨) طريدة : أي أن قلعة الحدث ساقها الدهر الى الروم، فأرجعها سيف الدولة للدين بالخطي: الرماح، رغم أنف الدهر.

١٢ـ تُفيتُ الليالِي كُلَّ شيءٍ أَخَذْتَه وَهُنَّ لِما يَأخُذْنَ مِنْكَ غَوارِمُ(٩)

١٣ـ إذا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فِعْلاً مُضارعاً مَضى قَبْلَ أنْ تُلْقَى عَليه الجَوازِمُ(١٠)

١٤ـ وَكَيْفَ تُرَجّي الرومُ والروسُ هَدْمَها وَذا الطَعْنُ آساسٌ لَها وَدَعائِمُ

١٥ـ وَقَدْ حَاكَموها والمَنايا حَواكِمٌ فَما مَاتَ مَظْلُومٌ ولاَ عَاشَ ظَالِمُ

ـ ٣ ـ

١٦ـ أتَوْكَ يَجُرّونَ الحَديدَ كأنّما سَروا بِجيادٍ مَا لَهُنَّ قَوائِمُ(١١)

١٧ـ إذا بَرَقوا لَمْ تُعْرفِ البيضُ مِنْهُمُ ثيابُهُمُ مِنْ مِثْلِها والعَمائِمُ(١٢)

١٨ـ خَميسٌ بِشَرْقِ الأرْضِ والغَرْبِ زَحْفُهُ وَفي أُذُنِ الجَوْزاءِ مِنْهُ زَمازِمُ(١٣)

١٩ـ تَجَمّعُ فِيْه كُلُّ لِسْنٍ وأُمَّةٍ فَما يُفْهِمُ الحُدّاثَ إلاّ التَّراجِمُ(١٤)

٢٠ـ فَلِلّه وَقْتٌ ذَوّبَ الغِشَّ نَارُهُ فَلَمْ يَبْقَ إلاّ صَارِمٌ أو ضُبَارِمُ(١٥)

٢١ـ تَقطَّعَ مَالاَ يَقْطَعُ الدّرْعُ والقَنا وَفَرّ مِن الفُرْسان مَنْ لا يُصادِمُ(١٦)

---

٩) غوارم : جمع غارمة، أي تدفع الغرامة، يريد: أن الليالي، تسمح بكل شيء أخذه سيف الدولة، ولكن ما تأخذه منه تدفع غرامته.

١٠) الجوازم : حروف الجزم والشرط، والفعل المضارع الذي يدل على الحال والاستقبال. والجزم يبطل مفعول المضارع.

١١) الجياد : الخيل، يريد: أنهم تدرعوا بالحديد، والبسوا خيلهم التجافيف، حتى أن أرجلها لا تبين.

١٢) برقوا : لمعوا، لأن دروعهم من الحديد، والبيض : السيوف. والعمائم، يقصد هنا أنهم اذا زحفوا، وهم بالدروع والخوذ، لم تعرف سيوفهم، لأن ثيابهم وخوذهم من الحديد أيضاً.

١٣) خميس : الجيش العظيم. والجوزاء : كوكب. ويقول المعري، أن أبا الطيب خصها، لأنها «على صورة انسان، وقد أمال عنقه، فجعلها تسمع الى أصواته» (المعري : ج ـ ٣، ص. ـ ٤٢٦). والزمازم : ج زمزمة، وهي كل صوت لا يفهم.

١٤) اللِسْن : اللغة.

١٥) صارم : سيف . وضُبارِم: أسد شديد، يريد: أن نار الحرب كشفت الغش، فلم يبق الا السيف الذي لا يكسر والأسد الشجاع.

١٦) يريد : تكسر كل سيف لا يقطع الدروع والرماح، وفرّ الفارس الذي لا يصادم الفرسان.

٢٢ـ وَقَفْتَ وَمَا فِي المَوْتِ شَكٌّ لِواقِفٍ كَأَنكَ فِي جَفْنِ الرَّدى وَهْوَ نَائِمُ

٢٣ـ تَمُرُّ بِكَ الأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ

٢٤ـ تَجَاوَزْتَ مِقْدارَ الشَّجَاعَةِ والنُهى إلى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بالغَيْبِ عَالِمُ

٢٥ـ ضَمَمْتَ جَناحَيهِم عَلى القَلْبِ ضَمَّةً تَموتُ الخَوافِي تَحْتَها والقَوادِمُ(١٧)

٢٦ـ بِضَرْبٍ أتي الهاماتِ والنَّصْرُ غَائِبٌ وصَارَ الى اللَّبَاتِ والنَّصْرُ قَادِمُ(١٨)

٢٧ـ حَقَرْتَ الرُدينيّاتِ حَتّى طَرَحْتَها وَحتّى كَأَنَّ السيفَ للرُمْحِ شَاتِمُ(١٩)

٢٨ـ وَمَن طَلَبَ الفَتْحَ الجَليلَ فَإنّما مَفاتيحُه البيضُ الخفافُ الصَوارِمُ(٢٠)

٢٩ـ نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ الأُحَيْدِبِ نَثْرَةً كَما نُثِرَتْ فَوْقَ العَروسِ الدَّراهِمُ

٣٠ـ تَدُوسُ بِكَ الخَيْلُ الوُكورَ عَلى الذُّرى وقَدْ كَثُرت حَوْلَ الوُكور المَطاعِمُ(٢١)

٣١ـ تَظُنُّ فِراخُ الفُتْخِ أَنَّكَ زُرْتَها بِأُمّاتِها وَهْيَ العِتاقُ الصَلادِمُ(٢٢)

٣٢ـ إذا زَلَقَتْ مَشْيَتَها بِبُطُونِها كَما تَتَمَشّى فِي الصَّعيدِ الأَراقِمُ(٢٣)

---

١٧) شبه جيش الروم بطير. وقال لسيف الدولة : لقد ضممت الجناحين على القلب ضمّة قوية، يموت بها الخافي والظاهر منهم، لأن الخوافي، ما خفي من ريش الجناح، والقوادم ما تقدم من الريش، وعليه المعوّل في الطيران.

١٨) الهامات : الرؤوس. واللبات : الصدور.. يريد : أنك ضربت الرؤوس والنصر غائب، ولكن سرعان ما وصلت سيوفك الصدور فجاء النصر.

١٩) الردينيات : الرماح.

٢٠) البيض الخفاف الصوارم : صفات للسيف.

٢١) يريد: ان خيل سيف الدولة وصلت الوكور في أعالي الجبال، وداستها، ولكنها ابقت طعاماً من جثث القتلى، حول الوكور.

٢٢) الفتخ : العقبان. والعتاق يراد بها الخيل. والصلادم : جمع صلدم، الفرس الشديد. يريد أن أصوات خيل سيف الدولة، جعلت فراخ العقبان تظن أمهاتها زارتها.

٢٣) الأراقم : الحيات.

ـ ٥ ـ

٣٣ـ أفي كُـلِّ يَـوْمٍ ذَا الدُمُسْتقُ مُقْدِمٌ قَـفَـاهُ عَـلى الإقْـدامِ للـوَجْـهِ لائِـمُ
٣٤ـ أينْكِـرُ رِيْـحَ اللَّيْـثِ حَتّى يَذُوقَهُ وَقَـدْ عَرِفَـتَ رِيْـحَ اللّيـوثِ البَهائِـمُ(٢٤)
٣٥ـ وَقَـدْ فَجَعَتْـهُ بابنِـهِ وابْنِ صِهْرِهِ وبالصِّهْـرِ حَمْـلاتُ الأميـرِ الغَواشِمُ(٢٥)
٣٦ـ مَضَى يَشْكُرالأصْحابَ فِي فَوْتِهِ الظُبا لِمـَا شَغَلَتْهـا هَـامُهُـمْ والمَعاصِـمُ(٢٦)
٣٧ـ وَيَـفْـهَـمُ صَـوْتَ المَشرفيّةِ فِيهِـمُ عَـلى أنَّ أصْـواتَ السُّيـوفِ أعاجِـمُ(٢٧)
٣٨ـ يُسَـرُّ بِمـا أعْطَاكَ لاَ عَنْ جَهالَـةٍ وَلـكِـنَّ مَغْنـومـاً نَجـا مِنْـكَ غَانِـمُ
٣٩ـ وَلَسْـتَ مَليـكـاً هَـازِمـاً لِنَظيـرِهِ وَلـكِـنَّـكَ التَـوْحيـدُ للشِّـرْكِ هَـازِمْ
٤٠ـ تَشَـرَّفُ عَـدْنـانُ بِـه لاَ رَبِـيعَـةٌ وَتَفْتَخِـرُ الـدُّنيـا بِـهِ لاَ العَـواصِـمُ

ـ ٦ ـ

٤١ـ لَـكَ الحَمْدُ فِي الدُّرِ الذي لِيَ لَفْظُهُ فَـإنَّـكَ مُعْطِيـهِ وإنّـيَ نَـاظِـمُ
٤٢ـ وإنّـي لَتَعْدو بِي عَطاياكَ فِي الوَغى فَـلا أنـا مَـذْمُـومٌ وَلا أنْـتَ نَـادِمُ
٤٣ـ عَلى كُلِّ طَيّـار إليهـا بِـرِجْـلِـهِ إذا وَقَـعَتْ فِي مَسْمَعيـه الغَماغِـمُ(٢٨)
٤٤ـ ألا أيُّهـا السَّيْفُ الذي لَيْسَ مُغْمَداً وَلا فِيـهِ مُـرْتَـابٌ وَلا مِـنْـهُ عَـاصِـمُ
٤٥ـ هَنيئـاً لِضَـرْبِ الهام والمَجْدِ والعُلى وَرَاجِـيـكَ والإسْـلامُ أنَّـكَ سَـالِـمُ
٤٦ـ وَلِمْ لاَ يقي الرَّحْمنُ حَلَيْكَ مَا وَقى وَتَـفْـلِـيـقُـهُ هَـامَ العِدى بِـكَ دَائِـمُ(٢٩)

---

٢٤) يريد : ان الحيوانات تشم رائحة الأسد، ولكن الدمستق، يظل ينكر أنه يشم رائحة الاسد، يعني سيف الدولة، حتى يذوقها.
٢٥) يريد : أن حَمَلات سيف الدولة، وللضرورة حَمْلات، فجعت الدمستق بابنه وبصهره، وابن صهره. والغواشم: جمع غاشمة، وأصله الظلم، وهي هنا القهر والغلبة.
٢٦) فوته : أي نجاته. الظُبى : جمع ظُبَة، حد السيف. والمعاصم : جمع معصم، الزند. يريد أن الانشغال بتقطيع رؤوس أصحاب الدمستق وزنودهم، أتاح له الفرصة أن ينجو، ولذلك فانه يشكر أصحابه هؤلاء.
٢٧) المشرفية : السيوف. يريد : رغم أن أصوات السيوف لا تفهم، الا أن الدمستق يفهم معنى أصوات السيوف في رؤوس أصحابه.
٢٨) الذي يطير برجله : يعني الفرس. والغماغم : الأصوات في الحرب.

وأنت لأهل المكرمات إمام

وبعد هزيمة الحدث، المشار اليها سابقاً، أرسل ملك الروم، يطلب الهدنة، فصحب فرسان الثغور في طرسوس وأذنة والمصيصة وفد ملك الروم. وكان اللقاء بسيف الدولة، يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم، سنة أربع وأربعين وثلاث مائة، وتسعماية وخمس وخمسين (٣٤٤_٩٥٥) وأنشد أبو الطيب هذه القصيدة وقت دخول الوفد على سيف الدولة.*

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٤٣٦، ق ـ ٢٢٧.

العكبري : ج ـ ٣، ص ـ ٣٩٣، ق ـ ٢٢٦.

والديوان: ص ـ ٣٩٠.

ـ ١ ـ

١ـ أراعَ كَـذا كُـلَّ الأنـام هُـمـامُ وَسـعَ لَـهُ رُسْـلُ المُلـوكِ غَمـامُ(١)

٢ـ وَدَانـتْ لَـهُ الـدُّنيا فَأَصْبَحَ جَالِسـاً وَأَيْـامُـهـا فَـيـمـا يُـريـدُ قِـيـامُ

٣ـ إذا زَارَ سيـفُ الـدّولـةِ الرُّومَ غَازيـاً كَـفـاهـا لِـمـامٌ لَـوْ كَـفـاهُ لِـمـامُ(٢)

٤ـ فَتىً تَتْبَعُ الأزمانُ في الناس خَطْـوه لِـكُـلِّ زَمـانٍ فـي يَـديـهِ زِمـامُ(٣)

٥ـ تَنـامُ لَديـكَ الـرُّسْـلُ أمْنـاً وغِبْطَـةً وأجـفـانُ رَبِّ الـرُّسْـلِ لَيْـسَ تَـنـامُ

٦ـ حِـذاراً لِمُعْـرَوري الجِيـادِ فُجـآءةً إلى الطَّعْـنِ قُبْـلاً مَـا لَـهُـنَّ لِـجامُ(٤)

٧ـ تَـعَـطَّـفُ فِـيـهِ والأعِنَّـةُ شَعْرَهـا وتُـضْـرَبُ فِـيـه والسِّيـاطُ كَـلامُ(٥)

٨ـ وَمَا تَنْفعُ الخَيْلُ الكِرامُ ولا القَنـا إذا لَـمْ يَـكُـنْ فَـوْقَ الكِـرامِ كِـرامُ

ـ ٢ ـ

٩ـ إلى كَـمْ تَـردُّ الـرُّسْـلَ عَمّا أتوا لَـهُ كَـأنَّـهُـمُ فِـيـمـا وَهَـبْـتَ مَـلامُ(٦)

---

١) أراع : الهمزة للاستفهام. وراع : أفزع. يريد : هل راع هذا الهمام ، وهو سيف الدولة، كل الأنام، ليتقاطر له رسل الملوك مثل الغمام.

٢) اللمام : الزيارة القصيرة، يريد : أن بلاد الروم بحاجة لحملة خاطفة، كالزيارة القصيرة، ولكن سيف الدولة لا يكتفي بذلك.

٣) زمام : المقود. ويريد : أن حكم سيف الدولة هو الجاري في الناس، وأن لديه زماماً لكل زمان. وتروى : خطوه أو حكمه (المعري. ج ـ ٣، ص ـ ٤٣٧).

٤) مُعروري : فاعل اعرورى، اذا ركب الفرس بلا سرج. وقُبْل : مقابلة. يريد : أن الأعداء يحذرون سيف الدولة الذي ينهض للحرب فجأة، ويركب الخيل بلا سرج ولا لجام.

٥) تَعطّف : أي تتعطف، بمعنى تنعطف وتميل في الطعان، وشعر اعرافها عنانها، وليست بحاجة للضرب، لأن الكلام يكفيها.

٦) يريد : أن سيف الدولة، يرفض المسالمة، ويسأله الى متى ترد الرسل فيما قدموا فيه، كأنك ترفض الملام فيما تهب.

١٠ـ فَـإنْ كُنْتَ لاَ تُعْطي الذِّمامَ طَواعةً فَـعَـوذُ الأعـادي بالكَـريـمِ ذِمـامُ(٧)

١١ـ وَأنَّ نُفـوسـاً أمّـتـكَ مَـنـيـعـةٌ وَأنَّ دمـاءً أمّـلـتْـكَ حَـرامُ(٨)

ـ ٣ ـ

١٢ـ إذا خَـافَ مَلْكٌ مِنْ مَليكٍ أجَرْتَـهُ وَسَيْفَـكَ خَـافـوا والجِـوارَ تُسـامُ(٩)

١٣ـ لَهُمْ عَنْكَ بالبيضِ الخفافِ تَفَـرقٌ وَحَـوْلَـكَ بـالكُتْـبِ للّطـافِ زِحـامُ(١٠)

١٤ـ تَغُـرّ حَـلاواتِ النُّفـوسِ قُلوبهـا فَتَخْتَـارُ بَعْـضَ العيْـشِ وَهْـوَ حِمامُ(١١)

١٥ـ وَشَرّ الحمامين الزُؤاميـنِ عَيشـةٌ يَـذِلُّ الـذّي يَخْتَـارُهـا وَيُضـامُ(١٢)

١٦ـ فَلـوْ كَـانَ صُلْحاً لَمْ يَكُنْ بِشفاعةٍ وَلـكـنّـه ذُلٌّ لَـهُـمْ وَغَـرامُ(١٣)

١٧ـ وَمَـنٌّ لِفُـرْسـانِ الثُّغـورِ عَليهُـمُ بِتَبليغِهِـم مَـا لاَ يَـكـادُ يُـرام(١٤)

---

٧) الذمام : جمع ذمة، العهد والعوذ : اللجوء. يريد : أنك ان لم تعطهم العهد طواعية، فان لجوء الأعداء الى كريم مثلك، يوجب لهم العهد.

٨) أممتك : قصدتك.

٩) يريد : أن سيف الدولة، يجير كل ملك خاف ملكاً آخر. وقد خاف الروم سيف سيف الدولة، وطلبوا الجوار.

١٠) البيض : السيوف. يريد : ان الروم يتفرقون أمام سيوف سيف الدولة، ولكنهم يزدحمون حاملين كتب السلام.

١١) الحمام : الموت، وقصد بحلاوات النفوس حب الحياة، يريد: أن حب الحياة يدفع الى بعض العيش، وهو المذلة، ولكن المذلة حمام.

١٢) الزؤام : العاجل السريع. ويضام : يُغْلَب.

١٣) غَرام : الشر الدائم. يريد : أن الصلح، يتم بين متساويين. وهذا ليس صلحاً، لأنه يتم بشفاعة فرسان الثغور، وانما هو خضوع وعقوبة.

١٤) منٌّ : تفضل. والثغور : جمع ثغر، موضع المخافة، وكانت تسمّى مدن الحدود ثغوراً. يريد : ان شفاعة فرسان الثغور هي التي سمحت بأن يصل رسل الروم اليك، وهو ما لا يستطيعون الوصول اليه.

١٨ـ كَتَائِبُ جَاءوا خَاضِعينَ فَأَقْدَمُوا وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا خَاضِعِينَ لخَامُوا(١٥)

١٩ـ وَعَزّتْ قَدِيماً فِي ذُراكَ خُيولُهمْ وَعَزُّوا وَعَامَتْ فِي نَداكَ وعَامُوا(١٦)

ـ ٤ ـ

٢٠ـ عَلى وَجْهِكَ المَيْمونِ في كلّ غارةٍ صَلاةٌ تَوالى مَنْهُمُ وَسَلامُ

٢١ـ وَكل أُناسٍ يَتْبَعونِ إمَامَهم وأنْتَ لأَهْلِ المُكْرَماتِ إمامُ

٢٢ـ وَرُبَّ جَوابٍ عَنْ كِتابَ بَعَثْتَهُ وَعُنْوانُه للنَّاظِرِينَ قَتامُ(١٧)

٢٣ـ تَضيقُ بِهِ البَيداءُ مِنْ قَبْلِ نَشْرِهِ ومَا فُضَّ بالبيداءِ عَنْهُ خِتامُ(١٨)

٢٤ـ حَروفُ هِجاءِ النّاسِ فيهِ ثَلاثَةٌ جَوادٌ وَرُمْحٌ ذَابِلٌ وَحُسامُ(١٩)

ـ ٥ ـ

٢٥ـ أذا الحَرْب قَدْ أتْعَبَتْهَا فالْهُ سَاعةً لِيُغْمَدَ نَصْلٌ أوْ يُحَلَّ حِزامُ(٢٠)

---

١٥) خام : جبن ونكص ، يريد : أن رسل الروم جاءوا خاضعين، ولولا ذلك لجبنوا عن المجيء، ويجوز أنه قصد بالكتائب فرسان الثغور الذين جاءوا وهم خاضعون لأمرك.

١٦) ذرى : أعالٍ، وقمم، وفي ذراك : ظلك، وعام : سبح.

١٧) القتام : الغبار، يريد : ان سيف الدولة، يرسل جواب كتاب ارسل اليه جيشاً، يثير الغبار، فيكون الغبار دليلاً عليه.

١٨) البيداء : القفر الواسع. وفضّ : كسر وفتح. والختام : الختم.

يريد : أن الجيش تضيق به الأرض الواسعة قبل انتشاره. ولما اعتبر الجيش جواب رسالة، قال : انه يملأ البيداء قبل أن يفضّ ختمه، أي ينتشر.

١٩) الحسام : السيف. يريد أن حروف الهجاء في هذا الكتاب، تقتصر على الحصان والرمح والسيف.

٢٠) أذا: أ : حرف نداء وذا : منادى. ويجوز إذا بالكسر (المعري: ج ـ ٣، ص ـ ٤٤٣).

٢٦ـ وانْ طَـالَ أعـمـارُ الـرِّماحِ بِهُدْنَـةٍ فـإنَّ الـذَّي يَعْمُـرنَ عِنْـدَكَ عـامُ(٢١)

٢٧ـ وَمَا زِلْتَ تُفْني السُّمْرَ وَهْيَ كَثيـرةٌ وَتُفْنـي بِهـنَّ الجَيْـشَ وَهْـوَ لُـهامُ(٢٢)

٢٨ـ مَتى عَاوَدَ الجَالونَ عَاوَدْتَ أَرْضَهَمْ وَفَـيـهـا رِقـابٌ للسّيـوفِ وَهـامُ

٢٩ـ وَرَبُّـوا لَـكَ الأوْلادَ حَتّى تُصيبَهَـا وَقَـدْ كَعَبَـتِ بِـنْـتٌ وَشَّـبَ غُـلامُ(٢٣)

٣٠ـ جَرى مَعَكَ الجارونَ حَتّى إذا انتَهوا إلى الغايـةِ القُصْـوى جَـرَيْـتَ وَقامـوا

٣١ـ فَلَيْـسَ لِشَمْـسٍ مُـذْ أَنَرْتَ إنـارةٌ وَلَيْـسَ لِبَـدْرٍ مُـذْ تَـمَمْـتَ تَـمـامُ

---

٢١) يريد : أن الهدنة تطيل اعمار الرماح، ولكن عمر الرماح لا يزيد عندك عن العام، لأنك لا تقبل هدنة أطول.

٢٢) السمر : الرماح. واللهام : الكبير.

٢٣) كعبت : أخذ صدرها بالنهود.

ذي المعالي فليعلون من تعالى

وفي هذا الوقت قرر الروم ان يهاجموا قلعة الحدث التي بناها سيف الدولة، في العام السابق. وجاء الخبر سيف الدولة، آخر ساعة يوم الثلاثاء لست خلون من جمادى الأولى، سنة أربع وأربعين وثلاث مائة، أن جيوش الدمستق وصلت ثغر الحدث يوم الأحد، ونصبت آلات الحرب. وان الجيش الرومي يضم الروس والصقالبة والبلغر. فما كان من سيف الدولة ألاّ أن نفر حالاً، وغادر حلب غداة يوم الأربعاء لسبع خلون، ونزل رعبان، بين حلب وسميساط. وكان أبو فراس الحمداني، قد بنى قلعتها. ولكن أخبار الحدث ظلت مبهمة، بالنسبة له. وفي سحر اليوم التالي، لبس سلاحه، وأمر أصحابه بمثل ذلك، وزحف. ولما اقترب من الحدث أخبرته الطلائع أن الجيش الرومي المحاصِر، ما إن سمع بوصوله، حتى عراه الاضطراب، ورحل تاركاً سلاحه.

وكانت حامية الحدث قد قاومت الجيش المهاجم، فلم يتمكن من اقتحام القلعة، وان تمكن من احداث ثقوب في حائط قديم، من حيطان المدينة.

ولما رأى المدافعون عن المدينة اضطراب الجيش المحاصر، وفراره، خرجوا وأوقعوا ببعض هذا الجيش، واستولوا على أسلحته، وضمّوها للأسلحة في حصنهم. فقال أبو الطيب هذه القصيدة*:

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٥٠٠، ق ـ ٢٣٢.

والعكبري : ج ـ ٣، ص ـ ١٣٤، ق ـ ١٩١.

والديوان: ص ـ ٤٠٩ .

_ ١ _

١ـ ذِي المَعَالي فَلْيَعْلُوْنْ مَنْ تَعالى هَكَذا هَكَذا وإلاّ فَلا لا

٢ـ شَرَفٌ يَنْطَحُ النُّجومَ بِرَوْقَيهِ وَعِزٌّ يُقَلْقِلُ الأجْبالا(١)

٣ـ حالُ أعْدائِنا عَظيمٌ وَسَيْف الـ ـدَوْلَةِ ابْنُ السُّيوفِ أعْظَمُ حالا

٤ـ كُلَّما أعْجَلوا النَّذيرَ مَسيراً أعْجَلَتْهُم جِيادُه الإعْجالا(٢)

٥ـ فَأتَتْهُمْ خَوارِقُ الأرْضِ مَا تَحْمِلُ إلاّ الحَديدَ والأبْطالا(٣)

٦ـ خَافِياتِ الألْوانِ قَدْ نَسجَ النَقْعُ عَليها بَراقِعاً وَجِلالا(٤)

٧ـ حَالَفَتْه صُدورُها والعَوالي لِتَخُوضَنَّ دَونَه الأهْوالا(٥)

٨ـ وَلَتَمْضِيَنَّ حَيْثُ لاَ يَجِدُ الرُّمْحُ مَداراً ولا الحِصانُ مَجالا(٦)

_ ٢ _

٩ـ لاَ ألومُ ابنَ لاَوُنٍ مَلِكَ الرُّو مِ وإنْ كَانَ مَا تَمَنّى مُحَالا

١٠ـ أقْلَقَتْهُ بَنيّةٌ بَيْنَ أُذْنَيهِ وَبانٍ بَغَى السَّمَاءَ فَنَالا(٧)

١١ـ كُلَّمَا رَامَ حَطَّها اتّسَعَ البَنْيُ فَغَطّى جَبينَه والقُذالا(٨)

---

١) روقاه : قرناه. ويقلقل : يحرك .

٢) النذير : المنذر، اي المُسْتَطْلِع. ويريد : ان الروم كلما استعجلوا طلائعهم، سبقتهم خيله.

٣) الخوارق : الخيل لشدة وطأ الأرض.

٤) النقع : الغبار. والبراقع : جمع برقع، ما ستر الوجه. والجلال: جمع جل، ما وضع تحت السرج.

٥) العوالي : الرماح.

٦) يريد : ان سيف الدولة يمضي، الى حيث لا يكون مكان لحركة الرمح، ولا ميدان لركض الحصان.

٧) بنية : البناء، ويريد قلعة الحدث. ويريد بين أذنيه، انها مبنية على مؤخرة رأسه.

٨) القذال : مؤخر الرأس.

١٢ـ يَجْمَعُ الرُّومَ والصقالِبَ والـ بُلْغارَ فِيها وَتَجْمَعَ الأجلا

١٣ـ وَتُوافِيهُمْ بِها فِي القَنا السُّمْـ ـرِ كَما وَافَتِ العِطاشُ الصِّلالا(٩)

١٤ـ قَصَدُوا هَدْمَ سُوْرِها فَبَنوهُ وأتَوا كَيْ يُقَصِّروهُ فَطالا

١٥ـ واستَجرُّوا مَكايِدَ الحَرْبِ حَتّى تَرَكُوها لَها عَلَيْهِمْ وَبالا(١٠)

ـ ٣ ـ

١٦ـ رُبَّ أمْرٍ أتاكَ لا تَحْمَدَ الفُعّالَ فِيهِ وَتَحْمَد الأفْعَالا

١٧ـ وَقِسِيٍّ رُمْيتَ عَنْها فَرَدَتْ فِي قُلوب الرُّماةِ عَنْكَ النِّصالا(١١)

١٨ـ أخَذوا الطُّرُقَ يَقْطَعونَ بِها الرُّسْلَ فَكانَ انقِطاعُها إرسالا

١٩ـ وَهُمُ البَحْرَ ذو الغَوارِبِ إلاّ أنّه صَارَ عِنْدَ بَحْرِك آلا(١٢)

٢٠ـ مَا مَضَوا لَم يُقاتِلوكَ وَلكِنَّ القِتالَ الذّي كَفاكَ القِتالا

٢١ـ والذّي قَطَّعَ الرِّقابَ مِنَ الضَرْ بِ بِكَفَّيْكَ قَطَّعَ الآمالا

٢٢ـ والثَّباتُ الذّي أجادُوا قَديماً عَلّمَ الثابِتِينَ ذَا الإجْفالا

٢٣ـ نَزَلُوا فِي مَصارِعٍ عَرَفوها يَنْدُبون الأعْمامَ والأخْوالا

٢٤ـ تَحْمِلُ الرِّيحُ بَيْنَهم شَعَرَ الهَا م وتُذْري عَلَيْهِم الأوْصالا

٢٥ـ تُنْذِرُ الجِسْمَ أنْ يَقومَ لَديها فَتُريهِ لِكُلِّ عُضْوٍ مِثالا

---

٩) القنا : الرماح. والسمر: نعت. والصلال : جمع صَلّة، الارض المطورة.

١٠) استجروا : جروا. مكايد الحرب : آلاتها. وكان جيش الروم قد ترك أسلحته عندما سمع بقدوم سيف الدولة.

١١) القسيّ : جمع قوس. يريد : أن أقواسهم التي رمتك تحوّلت الى سلاح يرد عنك النصال.

١٢) الغوارب : أعالي الموج. والآل: السراب.

٢٦ـ أَبْصَرُوا الطَّعْنَ فِي القُلوبِ دِراكاً قَبْلَ أنْ يُبْصِروا الرِّماحَ خَيالا(١٣)

٢٧ـ وإذا حَاولَتْ طِعانَك خَيْلٌ أبْصَرَتْ أذْرُعَ القَنا أمْيالا

٢٨ـ بَسَطَ الرُّعْبُ فِي اليَمينِ يَميناً فَتَولّوا وفي الشِّمالِ شِمالا(١٤)

٢٩ـ يَنْفَضَ الرَّوْعُ أيْدِياً لَيْسَ تَدْري أسَيوفاً حَمْلَنْ أمْ أغْلالا

٣٠ـ وَوَجوهاً أخافها مِنْكَ وَجْهٌ تَرَكَت حَسْنَها لَهُ وَالجَمالا

٣١ـ وَالعِيانُ الجَليُّ يُحْدِثُ للظَّنِّ زَوالاً وللمُرادِ انتِقالا(١٥)

ـ ٤ ـ

٣٢ـ وإذا مَا خَلا الجَبانُ بِأرْضٍ طَلَبَ الطَّعْنَ وَحْدَه والنِّزالا

٣٣ـ أقْسَموا لاَ رَأوكَ إلاّ بِقَلْبٍ طَالَما غَرَّتِ العُيونُ الرِّجَالا(١٦)

٣٤ـ أيُّ اعَيْنَ تَأمَّلَتْكَ فَلاقَتْ كَ وَطَرْفٍ رنَا إليكَ فآلا(١٧)

٣٥ـ مَا يَشُكُّ اللَّعينُ فِي أخْذِكَ الجَيْشَ فَهَلْ يَبْعَثُ الجُيوشَ نَوالا

٣٦ـ مَا لِمَنْ يَنْصُب الحَبائِلَ في الأرْضِ وَمَرْجاةَ أنْ يَصيدَ الهِلالا

٣٧ـ إنَّ دَوْنَ الّتي عَلى الدَرْبِ والأحدَبِ والنَّهْرِ مِخْلَطاً مِزْيالا(١٨)

---

١٣) يريد : ان الروم رأوا في الخيال الطعنات تتتابع في قلوبهم، قبل أن يبصروا رماحك.

١٤) يريد : أن الرعب ضرب يمينه في ميمنتهم، وحين هربوا، ضرب في الشمال شماله. وهناك أكثر من تفسير للبيت (المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٥٠٩) و(العكبري : ج ـ ٣، ص ـ ١٤٢).

١٥) يريد : أن ما رآه الروم واضحاً مكشوفاً أزال ظنهم، وغيّر مرادهم.

١٦) يريد : أن سيف الدولة، خدعهم مراراً، ولذلك أقسموا ألا يكتفوا برؤية العين. لأنها تغُرّ، وأن يروك رؤية القلب.

١٧) أدبر، رجع.

١٨) الدرب : الطريق الى الروم. والأحدب : جبل ، عليه قلعة الحدث. والمخلط: الذي يخلط بين الجيشين. والمزيال : الذي يفرق بينهما، ويقصد سيف الدولة.

٣٨ـ غَصَبَ الدَّهْرَ والمُلوكَ عَليها فَبنَاها فِي وَجْنَةِ الأرْضِ خَالا(١٩)

٣٩ـ وَحَماها بِكلِّ مُطَّرِدِ الأكْعُبِ جَوْرَ الزَّمانِ والأوْجَالا(٢٠)

٤٠ـ فَهْيَ تَمْشي مَشْيَ العَروسِ اختيالاً وَتَثَنّى عَلى الزّمانِ دَلالا

٤١ـ وَظُباً تَعْرِفُ الحَرامَ مِنَ الحِلِّ فَقَدْ أفْنَتِ الدِّماءَ حَلالا

٤٢ـ في خَميسٍ مِنَ الأُسودِ بنيسٍ يَفْتَرِسِن النُّفوسَ والأموالا

ـ ٥ ـ

٤٣ـ إنّما أنْفُسُ الأنيسِ سِباعٌ يَتَفارَسْنَ جَهْرةً واغتيالا

٤٤ـ مَن أطاقَ التماسَ شيءٍ غِلاباً واغتصاباً لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤالا

٤٥ـ كلَّ غادٍ لِحاجةٍ يَتَمنّى أن يَكونَ الغَضَنْفَر الرِّئبالا(٢١)

---

١٩) وجنة : خد. والخال : الشامة.

٢٠) مطرد الأكعب: رمح مُسْتو. والأوجال : جمع وجل ، الخوف.

٢١) الغضنفر : الرئبال ، الأسد.

الرأي قبل شجاعة الشجعان

وغزا سيف الدولة، سنة ٣٤٥ ـ ٩٥٦، فعبر نهر أرسناس، واجتاز بحصن الران، وهو في يده، ثم عبر بحيرة سمنين وهنريط. وما لبث الروم ان عبروا نهر أرسناس، فعاد سيف الدولة وعبر النهر الى تل بطريق، خلف الروم، وقتل من وجده فيها. وأقام أياماً على أرسناس، وبنى المعابر ليعبر بها.

وعاد سيف الدولة، فاعترضه البطريق قائد جيش الروم في الدرب. وفي هذه الأثناء هطل مطر غزير، ودار القتال، تحت المطر. وكان مع جيش الروم، نحو ثلاثة آلاف قوس، فابتلت أوتارها ولم تنفع. ورغم أن البطريق أبلى في القتال، الا أنه انهزم، وعجّل الهرب ليسلم.

وكان أبو الطيب يرافق سيف الدولة وحين وصلوا آمد، في آخر نهار يوم الأحد، لعشر خَلون من صفر، سنة خمس وأربعين وثلاث مائة، أنشد أبو الطيب **هذه القصيدة *:**

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٥٢٧، ق ـ ٢٣٥.

والعكبري : ج ـ ٤، ص ـ ١٧٤، ق ـ ٢٦٢.

والديوان: ص ـ ٤١٤ .

ـ ١ ـ

١ـ الـرَّأيُ قَـبْـلَ شَـجَـاعَـةُ الشُجْعانِ هُـوَ أوَّلٌ وَهْـيَ الـمَـحـلُّ الـثـانـي

٢ـ فَـإذا هُـمـا اجْـتَـمَـعا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَـلَـغَـتْ مِـنَ الـعَـلْـيـاءِ كُـلَّ مَكـانِ

٣ـ وَلَـرُبَّـمـا طَـعَـن الـفَـتـى أقْـرانَـه بالـرأيِ قَـبْـلَ تَـطـاعُـن الأقْـرانِ(١)

٤ـ لَـوْلا العُـقـولُ لَكـانَ أدْنـى ضَيْغَـمٍ أدْنـى إلى شَـرَفٍ مِـنَ الإنـسـانِ(٢)

٥ـ وَلَـمـا تَفَاضَلـتِ النُّفـوسُ وَدبَّـرت أيـدي الكُـمـاةِ عَـوالِيَ الـمُـرَّانِ(٣)

ـ ٢ ـ

٦ـ لَـولاَ سَـمـيُّ سُيوفِـه وَمَـضَـاؤُه لَـمَّـا سُلِّـلْـنَ لَكُـنَّ كـالأجـفـانِ(٤)

٧- خَـاضَ الحِمـامَ بِهـنَّ حَتّى مَا دَرَى أمِـنَ احـتِـقَـارِ ذَاكَ أمْ نِـسْـيـانِ

٨ـ وَسَعـى فَقَصَّـر عَـنْ مَـداهُ فِي العُلى أهْـلُ الـزَّمـانِ وأَهْـلُ كُـلِّ زَمـانِ(٥)

٩ـ تَخذوا المَجالِسَ في البُيوتِ وَعِنْـدَهُ أنَّ السُّـروجَ مَـجـالِـسُ الـفِـتْـيـانِ

١٠ـ وَتَوَهّموا اللَّعِبَ الوَغى والطَّعْنُ فِي الـ ـهَيْجـاءِ غَيْـرُ الطَّـعْـنِ فـي الـمَيْدانِ(٦)

---

١) يريد : أن الفتى قد يطعن أنداده بالرأي، قبل طعان الرماح.

٢) ضيغم : أسد. وأدنى الأولى : من الدناءة، والثانية : من القرب.

٣) الكماة : جمع كميّ. المدجج بالسلاح. والعوالي : جمع عالية، على قدر ذراعين من أعلى الرمح. والمران : الرماح.

٤) الأجفان : الأغماد . يريد : أنه لولا سيف الدولة وعزمه لكانت السيوف كالأغماد، عندما تسل.

٥) وسعى : ويروى وجرى (المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٥٣٠).

٦) الوغى والهيجاء : من أسماء الحرب.

١١ـ قَادَ الجِيادَ الى الطِّعانِ وَلَمْ يَقُدْ إلاّ الى العَاداتِ والأوْطانِ(٧)

١٢ـ كُلُّ ابنِ سَابِقَةٍ يُغيرُ بِحُسْنِهِ فِي قَلْبِ صَاحِبِه عَلى الأحزانِ

١٣ـ إنْ خُلِّيتُ رُبِطَتْ بِآداب الوغى فَدُعاؤُها يُغْنِي عَن الأرْسانِ

١٤ـ فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ العُيونَ غُبارُه فَكَأنَّما يُبْصِرْنَ بالآذانِ(٨)

١٥ـ يَرْمِي بِها البَلَدَ البَعيدَ مُظَفَّرٌ كُلُّ البَعيدِ لَهُ قَريبٌ دَانِ(٩)

١٦ـ فَكَأنَّ أرْجُلَها بِتُرْبَةِ مَنْبِجٍ يَطْرَحْنَ أيْدِيَها بِحِصْنِ الرانِ(١٠)

١٧ـ حَتّى عَبَرْنَ بِأرْسِناسَ سَوابحاً يَنْشُرْنَ فِيه عَمائِمَ الفُرْسَانِ(١١)

١٨ـ يَقْمُصْنَ فِي مِثْلِ المُدى مِنْ بَارِدٍ يَذَرُ الفُحولَ وَهُنَّ كالخِصْيانِ(١٢)

١٩ـ والمَاءُ بَيْنَ عَجَاجَتينِ مُخلِّصٌ تَتَفَرَّقانِ بِهِ وَتَلْتَقِيانِ(١٣)

---

٧) العادات : جمع عادة : يريد : أنه قاد خيله الى الحرب، ولكنه ما قادها الا الى ما تعودت عليه، من المعارك وغزو بلاد الروم. وعليه فكأنه «يقودها الى أوطانها التي تعودت الاقامة فيها» (المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٥٣١).

٨) جحفل : الجيش. يريد : أن الغبار لكثافته منع العيون من أن ترى. فسارت الخيل، وكأنها تبصر بآذانها.

٩) مُظَفَر : منتصر، أي سيف الدولة. يريد : أن سيف الدولة يقصد بخيله البلاد البعيدة، ولا غرابة، فكل بعيد قريب عليه.

١٠) يريد : ان خيل سيف الدولة سريعة جداً، فكأنها عندما تكون أرجلها في منبج، وهي مدينة بسورية، تكون أيديها في حصن الران، بأرمينيا، وبينهما مسيرة خمس ليالي، كما يقول المعري (ج ـ ٣، ص ـ ٥٣٢).

١١) ارسناس : نهر كبير في بلاد الروم، حسب المعري (ج ـ ٣، ص ـ ٥٣٢)، وفي بلاد الشام، حسب العكبري (ج ـ ٤، ص ـ ١٧٧)، والأرجح رأي المعري.

١٢) يقمصن : يثبن. والمُدى : السكاكين. يريد : أن الخيل تثب من لسعات البرد، وكأنما أصابتها وخزات سكاكين، وان البرد يقلص خصى الفحول، فتصير خصياناً.

١٣) العجاجة : الغبار. يريد : أن خيل سيف الدولة أثارت عجاجتين، واحدة على جهة النهر بعد العبور وواحدة على الجبهة الأخرى، وأن العجاجتين تفترقان حيناً، وتلتقيان حيناً آخر، لأن أول الخيل كان قد قطع النهر، بينما كان قسم منها لم يعبر. وسئل ابو الطيب عن ذلك فقال : انما وصفت ما عاينت (المعري : ج ـ ٣، ص ٥٣٣)، و(العكبري : ج ـ ٤، ص ـ ١٧٧).

٢٠ـ رَكَضَ الأميرُ وَكَاللُّجينِ حَبَابُهُ وَثَنى الأعِنَّةَ وَهْوَ كالعِقْيانِ(١٤)

٢١ـ فَتَلَ الحِبالَ مِنَ الغَدَائِرِ فَوْقَهُ وَبَنى السَّفينَ لَهُ مِنَ الصُّلْبانِ(١٥)

٢٢ـ وَحَشَاهُ عَادِيَةً بِغَيْرِ قَوائِمٍ عُقْمَ البُطونِ حَوالِكَ الألوانِ(١٦)

ـ ٤ ـ

٢٣ـ تَأتي بِمَا سَبَتَ الخُيولَ كَأنَّها تَحْتَ الحِسَانِ مَرابِضَ الغُزْلانِ(١٧)

٢٤ـ بَحْرٌ تَعَوَّدَ أنْ يُذِمَّ لأهْلِهِ مِنْ دَهْرِهِ وَطَوارِقِ الحَدَثانِ(١٨)

٢٥ـ فَتَرَكْتَهُ، وإذا أذَمَّ مِنَ الورَى رَاعَاكَ واسْتَثْنى بَني حَمْدانِ(١٩)

٢٦ـ المُخْفِرينَ بِكُلِّ أبْيَضَ صَارِمٍ ذِمَمَ الدُّروعِ عَلى ذَوي التيجَانِ(٢٠)

٢٧ـ مُتَصَعْلِكينَ عَلى كَثافَةِ مُلْكِهِمْ مُتواضِعينَ عَلى عَظيمِ الشَّانِ(٢١)

---

١٤) اللجين : الفضة . والعقيان : الذهب. والحباب : طرائق الماء. يريد: كان الماء كالفضة، فلما ثنى سيف الدولة عنانه، كان كالذهب، من سيلان دم الروم.

١٥) الغدائر : الذوائب من الشعر . يريد: أن سيف الدولة لكثرة ما قتل من الروم، فتل الحبال من شعور قتلاه، وصنع سفناً من الصلبان المكسرة.

١٦) العادية : الجارية . يريد ملأ النهر سفناً تمشي بلا قوائم، ولما شبهها بالخيل، جعلها عقيمة لا تلد. وحوالك : سودا.

١٧) يريد : أن هذه السفن تحمل ما سبته الخيول، فبدت، وهي تحمل السبايا كأنها مرابض الغزلان.

١٨) يُذِّم : يحفظ الذمة، أي العهد، يريد أن النهر كان يحمي أهله من الزمان وحوادثه الطارئة.

١٩) الورى : العالم، يريد : ولكنك، والخطاب موجه الى سيف الدولة، تركت النهر على غير عادته، فهو وان كان قد منع أهله أمام كل الناس، الا أنه راعاك واستنى بني حمدان.

٢٠) أخفرته : نقضت عهده. والأبيض : السيف . والصارم : القاطع. يريد : ان بني حمدان ينقضون عهود الدروع لذوي التيجان بأن تحميهم.

٢١) الصعلوك : الفقير. والمتصعلك : الذي يرمي الى ذلك، يريد أن بني حمدان يخوضون الحروب، ويعيشون متاعبها مثل الفقراء، رغم عظمة شأنهم.

٢٨ـ يَتَقَيلونَ ظِلالَ كُلِّ مُطَهَّمٍ أجَلِ الظَّليمِ وَرِبْقَةِ السِّرْحانِ(٢٢)

ـ ٥ ـ

٢٩ـ خَضَعَتْ لِمُنْصِلِكَ المَناصِلُ عَنْوَةً وأذلَّ دِينُكَ سائِرَ الأدْيانِ(٢٣)

٣٠ـ وَعَلى الدُّروبِ، وَفي الرُّجوعِ غَضاضَةٌ، والسَّيْرُ مُمْتَنِعٌ مِنَ الإمْكانِ(٢٤)

٣١ـ والطُّرْقُ ضَيِّقَةُ المَسالِكِ بالقَنا والكُفْرُ مُجْتَمِعٌ عَلى الإيمانِ(٢٥)

٣٢ـ نَظَروا إلى زُبَرِ الحَديدِ كَأنَّما يَصْعَدْنَ بَيْنَ مَناكِبِ العِقْبانِ(٢٦)

٣٣ـ وَفَوارِسٍ يُحْيي الحِمامُ نُفُوسَها فَكَأنَّها لَيْسَتْ مِنَ الحَيَوانِ(٢٧)

ـ ٦ ـ

٣٤ـ مَا زِلْتَ تَضْرِبُهم دِراكاً فِي الذُّرى ضَرْباً كَأنَّ السَّيْفَ فِيه اثنانِ(٢٨)

٣٥ـ خَصَّ الجَماجِمَ والوُجوهَ كَأنَّما جَاءَتِ إليكَ جُسُومُهم بِأمانِ

---

٢٢) يتقيل : ينام ظهراً، ويتقيل أباه، يتشبه به، ويروى : يتفيئون. والمطهم : الفرس التام. والربقة : ما تربط به الشاة. والسرحان : الذئب. يريد : أنهم يستريحون في ظلال خيولهم، من كل حصان اذا طارد ذكر النعام أهلكه، واذا طارد الذئب اضطره للوقوف، وكأنما ألقى رباطاً عليه.

٢٣) المنصل : السيف. وعنوة : قهر.

٢٤) الدروب : الطرق الى بلاد الروم. والغضاضة : الذل. يريد : أننا التقينا بهم على الدروب ، وكان في الرجوع ذل، ولكن السير كان ممتنعاً. ويكتمل المعنى في الأبيات التالية.

٢٥) القنا : الرماح. يريد : أن الرماح كانت تضيق الطرق، وكانت جيوش الكفر، اي الروم، تجتمع على جيوش الايمان ، اي المسلمين.

٢٦) زبر : قطع الحديد . يريد : ان الروم شهدوا فرسان سيف الدولة، وكأنها قطع حديد على ظهور عقبان طائرة، لسرعة الخيل.

٢٧) الحمام : الموت، يريد : ان فرسان سيف الدولة، يستثيرهم الموت، على غير طبيعة الكائنات الحيّة.

٢٨) دراكاً : تباعاً. والذرى : القمم، ويريد هنا الرؤوس.

٣٦ـ فَرَمَوا بِمَا يَرْمُونَ عَنْهُ وأدْبَروا يَطَأونَ كَلَّ حَنِيَّةٍ مِرْنَانِ(٢٩)

٣٧ـ يَغْشَاهُم مَطَرُ السَّحابُ مُفَصّلاً بِمُهَنَّدٍ وَمُثَقَّفٍ وَسِنَانِ(٣٠)

٣٨ـ حُرِمَوا الذَّي أمَلُوا وَأدْرَكَ مِنْهُمُ آمَالَه مَنْ عَادَ بالحِرْمَانِ(٣١)

٣٩ـ وإذا الرِّماحُ شَغَلْنَ مُهْجَةَ ثَائِرٍ شَغَلَتْه مُهْجَتُه عن الإخوانِ(٣٢)

٤٠ـ هَيْهاتِ عَاقَ عَنِ العِوادِ قَواضِبٌ كَثُرَ القَتيلُ بِها وَقَلَّ العاني(٣٣)

ـ ٧ ـ

٤١ـ وَمُهَذَّبٌ أمَر المَنايا فِيهِمُ فَأطَعْنَهُ فِي طَاعَةِ الرَّحْمانِ(٣٤)

٤٢ـ قَدْ سَوَّدَتْ شَجَرَ الجِبالِ شُعورُهُمْ فَكَأنَّ فِيهِ مُسِفَّةَ الغِرْبانِ(٣٥)

٤٣ـ وَجَرى عَلى الوَرَقِ النَجيعُ القانِي فَكَأنَّهُ النَارِنْجُ فِي الأغْصانِ(٣٦)

---

٢٩) حنية : قوس والمرنان : الشديدة الرنة. يريد : أن الروم رموا اقواسهم التي كانوا يرمون بها وداسوها.

٣٠) يريد : بمطر السحاب، جيش سيف الدولة. المهند : السيف. والمثقف : الرمح المقوّم. والسنان : الزج الذي في أسفل الرمح.

٣١) يريد : ان الأعداء حرموا من الذي أملوه بالانتصار على جيش سيف الدولة، والذي عاد سالماً أدرك أمله.

٣٢) ثائر : طالب ثأر. يريد : ان رماح جيش سيف الدولة، شغلت طالب الثأر عن ثاره، وعن اخوانه الذين قتلوا من قبل.

٣٣) العواد : الرجوع. والقواضب : السيوف. والعاني : الأسير. يريد : ولكن عاقهم عن الرجوع سيوف قواطع، أكثرت من القتلى، وقللت من الأسرى.

٣٤) مهذب : يريد سيف الدولة.

٣٥) مُسفَّة : دانية من الأرض . يريد : أن شعور قتلى الروم سوّدت الشجر في الجبال، فكأن على الشجر غربان مقتربة من الأرض.

٣٦) النجيع : الدم. يريد : أن دمهم سال على ورق الأشجار، فصار كأنه النارنج.

٤٤ـ إنَّ السُّيـوفَ مَـعَ النَّبِـيـنَ قُلوبُهُمْ كَقَلوبِهِنَّ إذا التَقى الجَمْعانِ

٤٥ـ تَلْقَى الحُسامَ عَلى جَراءَةِ حَدِّهِ مِثْلَ الجَبانِ بِكَفِّ كُلِّ جَبانِ(٣٧)

ـ ٨ ـ

٤٦ـ رَفَعَتْ بِكَ العَرَبُ العِمادَ وصَيَّرتْ قِمَمَ المُلوكِ مَواقِدَ النَيرانِ(٣٨)

٤٧ـ أنسابُ فَخْرِهُمُ إليكَ وإنَّما أنسابُ أصْلِهُمُ إلى عَدْنانِ

٤٨ـ يَا مَن يُقَتِّل مَن أرادَ بِسَيْفِهِ أصْبَحْتُ مِنْ قَتْلاكَ بالإحسانِ

٤٩ـ فَإذا رَأيْتُكَ حَارَ دُونَك نَاظِري وإذا مَدَحْتُك حَارَ فِيكَ لِساني

---

٣٧) الحسام : السيف.

٣٨) قمم الملوك : رؤوس الملوك. يريد أن رؤوس الملوك صارت أثافي للمواقد.

وكيف يعصمهم ما ليس ينعصمُ

جرى الحديث، بحضرة سيف الدولة، أن قائد جيش الروم،أقسم عند ملكه، أنه سيعترض سيف الدولة في الدرب، وسيعمل على مواجهته. وطلب امداده بالعدة والعديد.

وأوحى ذلك لأبي الطيب بهذه القصيدة التي أنشدها، سنة ٣٤٥ ـ ٩٥٦، وكانت آخر قصائده عند سيف الدولة*:

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٥٤٣، ق ـ ٢٣٦.

والعكبري : ج ـ ٤، ص ـ ١٥ ، ق ـ ٢٣٠.

والديوان: ص ـ ٤١٩ .

_ ١ _

١ـ عُقْبى اليَمينِ عَلى عُقْبى الوَغى نَدَمُ مَـاذا يَـزيُـدكَ فِي إقـدامِـكَ القَسَمُ(١)

٢ـ وَفي اليَميـنِ عَـلى مَـا أنْتَ واعِـدُهُ مَـا دَلَّ أنَّـكَ فِـي المِيعـادِ مُتَّهـمُ(٢)

٣ـ آلَى الفَتـى ابْـنُ شُمُشْقِيـقٍ فَأَحْنَثَـهُ فَتـىً مِـن الضَّـرْبِ تُنْسى عِنْدَه الكَلِمُ(٣)

٤ـ وَفَاعِـلٌ مَا اشتَهى يُغْنيهِ عَن حَلَفٍ عَـلَى الـفَـعـالِ حُضورُ الفِعْلِ والكَـرَمِ(٤)

٥ـ كُلُّ السُّيـوفِ إذا طَالَ الضِّرابُ بِهـا يَـمَـسُّـهـا غَـيْـرَ سَيْفِ الدَّوْلَـةِ السَّأمُ

٦ـ لَو كَلَّتِ الـخَـيْـلُ حَـتَّى لاَ تَحَـمَّـلُهُ تَـحَـمَّلَتْـهُ إلـى أعـدائِـه الـهِـمَـمُ(٥)

_ ٢ _

٧ـ أيْـنَ البَطاريقُ والحِلْفُ الذَّي حَلَفـوا بِمَفْـرَقِ المَلْـكِ والـزَّعْـمِ الـذّي زَعَموا(٦)

٨ـ وَلّـى صَـوَارِمَـهُ إكـذابَ قَـوْلِـهُـمُ فَـهُـنَّ ألْـسِـنَـةٌ أفْـواهُـهـا القِمَمُ(٧)

٩ـ نَـواطِـقٌ مُخْـبِـراتٌ فِـي جَماجِمِهم عَـنْـهُ بِـمـا جَـهـلوا مِنْهُ وَما عَلِموا(٨)

---

١) عقبى : نتيجة. والوغى: الحرب. يريد : أن نتيجة القسم على نتيجة «الحرب» ستكون الندامة. فلا يفيد البطريق ان يقسم، لأن القسم لا يزيد في اقدامه. وبالتالي فان القسم، لن يغير نتيجة الحرب.

٢) يريد : ان القسم على الوعد، يدل على أن المقسم غير واثق من نفسه، وأنه موضع اتهام.

٣) آلى : أقسم. والكَلِم : الكلام. يريد: أن ابن شمشقيق أقسم، ولكن ضرب الفتى سيف الدولة ينسي ابن شمشقيق كلامه ، أي قسمه.

٤) وفاعلُ ما اشتهى : يريد : سيف الدولة الذي يفعل ما يشتهي، وهو ما يغنيه عن القسم على فعل شيء، لأنه دائماً حاضر الفعل.

٥) كلّت : ضعفت . يريد : أن الخيل اذا ضعفت عن حمله، حملته الى أعدائه همته.

٦) مفرق الملك : رأسه.

٧) ولّى : فوض وكلّف. والصوارم : السيوف. والقمم : جمع قمة، الرأس. يريد : أن سيف الدولة كلف سيوفه تكذيب أقوالهم، لأن سيوفه السنة تخاطب رؤوسهم بقطعها.

٨) يريد : ان السيوف ناطقة ومخبرة، ولكن في جماجمهم، بما يجهلون من سيف الدولة، وما يعرفون.

١٠ـ الـرَّاجِـعُ الخَـيْـلَ مُحْفَـاةً مُقَوَّدَةً مِـنْ كُـلِّ مِثْـلِ وَبَـارٍ أهْلُـهـا إرَمُ(٩)

١١ـ كَـتَـلٌ بَطْـرِيـقِ المَغْرورُ سَـاكِنُهـا بِـأنَّ دَارَكَ قِـنِّـسْـريـنَ والأَجَـمُ(١٠)

١٢ـ وَظَـنَّـهـم أنَّـكَ المِصْباحُ فَي حَلَبٍ إذا قَصَـدْتَ سِـوَاهـا عَـادَهـا الظُّلَـمُ(١١)

١٣ـ والشَّمْسَ يَعْنُـونَ إلا أنَّـهـم جَهِلُوا والمَـوْتَ يَـدْعُـونَ إلاَّ أنَّـهُـم وَهِمُوا(١٢)

١٤ـ فَـلَـمْ تُـتِـمَّ سُـروجٌ فَـتْـحَ نَـاظِرِهـا إلاَّ وَجَيْـشُـكَ فِـي جَفْـنَـيـه مُـزْدَحِمُ(١٣)

١٥ـ والنَّـقْـعُ يَـأخُـذُ حَـرَانـاً وَبَقْعَتَهـا والشَّمْـسُ تُـسْـفِـرُ أحـيـانـاً وَتَلْتَثِمُ(١٤)

١٦ـ سُحْبٌ تَمُرُّ بِحِصْنِ الرَّانِ مُمْسِكَـةٌ وَمَـا بِـهَـا البُـخْـلُ لَـوْلا أنَّها نِقَمُ(١٥)

ـ ٣ ـ

١٧ـ جَيْـشٌ كَـأنَّـكَ فِـي أرْض تُـطَـاوِلُهُ فَـالأَرْضُ لاَ أَمَـمٌ والجَـيْـشُ لاَ أَمَـمُ(١٦)

---

٩) المحفاة : الحافية من الركض. ومقودة : تنقاد من بلد الى بلد. يريد : أن سيف الدولة يرجع بالخيل حافية من المطاردة، تقاد من بلد خراب، مثل وبار، وهي مدينة قديمة اكتشفت آثارها حديثاً، ويرى المعري (ج ـ ٣، ص ـ ٥٤٦) أنها من مدن قوم عاد، بين اليمن وعمان. وارم : قوم عاد الذين هلكوا.

١٠) تل بطريق : مدينة خربها سيف الدولة في بلاد الروم، قرب ملطية، وقنسرين والأجم : موضعان قرب حلب. يريد : ان سكان تل بطريق خدعوا أنفسهم لأنهم ظنوا ان دارك في حلب، وانك لا تصل اليهم.

١١) يريد : وغر الروم ظنهم أنك تضيء حلب بحضورك فيها، فاذا غبت انقلبت الأمور وعمتها الظلمات.

١٢) يريد : ان الروم جهلوا عندما ظنوك مصباحاً، لأنك الشمس، يعم نورها، ولأنك الموت، الذي لا يستعصي عليه أحد.

١٣) سروج : مدينة قريبة من حران، في ديار مضر، يريد : ان سروج أفاقت، وقبل أن تكمل فتح ناظرها، ازدحم جيشك ما بين جفنيّ الناظر.

١٤) النقع : الغبار . يريد أن الغبار يملأ بقعة حران، ويُغطي الشمس حيناً، ويتركها حيناً.

١٥) يريد : ان غبار جيش سيف الدولة سحاب، مَرّ بحصن الران، وهو من أملاك الدولة الحمدانية، دون أن يصب أمطاره، لأنه يحمل نِقَماً، ولا يريد ان يصبها على أرضه.

١٦) أرض تُطاوله : تباريه في الطول. والأمم : القرب. والأمم : اليسير. يريد : ان الجيش كبير، والأرض واسعة، وكأنها تباري الجيش في طولها، والأرض لا تنتهي، والجيش ليس قليلاً.

١٨ـ إذا مَضَى عَلَمٌ مِنْها بَدا عَلَمٌ وانْ مَضَى عَلَمٌ مِنْهُ بَدا عَلَمُ(١٧)

١٩ـ وَشُزَّبٍ أحَمْتِ الشِّعْرَى شَكَائِمَها وَوَسَّمَتْها عَلى آنَافِها الحَكَمُ(١٨)

٢٠ـ حَتّى وَرَدْنَ بِسَمْنينٍ بُحَيْرَتَها تَنشُّ بالماءِ فِي أشداقِها اللُّجُمُ

٢١ـ وأَصْبَحَتْ بِقُرى هِنْريطَ جَائِلَةً تَرْعَى الظُّبا فِي خَصيبٍ نَبْتُه اللِّمَمُ(١٩)

٢٢ـ فَمَا تَرَكْنَ بِها خُلْداً لَهُ بَصَرٌ تَحْتَ التُّرابِ وَلا بازاً لَهُ قَدَمُ(٢٠)

٢٣ـ وَلاَ هِزَبْرا لَهُ مِنْ دِرْعِهِ لَبَدٌ وَلاَ مَهاةً لها مِنْ شِبْهِها حَشَمُ(٢١)

٢٤ـ تَرْمِي عَلَى شَفَراتِ البَاتِراتِ بِهِمْ مَكامِنُ الأَرْضِ والغِيطَانُ والأَكَمُ(٢٢)

٢٥ـ وَجَاوزوا أرسناساً مُعْصِمَينَ بِهِ وَكَيْفَ يَعْصِمُهُم مَا لَيْسَ يَنْعَصِمُ(٢٣)

٢٦ـ وَمَا يَصُدُّكَ عَنْ بَحْرٍ لَهُمْ سِعَةٌ وَمَا يَرُدُّكَ عَنْ طَوْدٍ لَهَم شَمَمُ(٢٤)

---

١٧) علم : جبل. وعلم : راية. ان هذه الأرض الواسعة، لا يغيب منها جبل، حتى يبدو آخر. ورايات جيشك لا تغيب واحدة منها، الا لتظهر الأخرى.

١٨) الشُزَّب : جمع شازب، الضامر. والشعرى : نجم يطلع في الصيف. والشكائم : جمع شكيمة، رأس اللجام، والحكم، جمع حكمة، ما يقع على انف الفرس. يريد : أن الخيول الضامرة، أحمت الشعرى حديد لجمها، وتركت علامات كي على أنوفها.

١٩) اللمم : جمع لمة، وهو ما ألم بالمنكب من الشعر. يريد : ان الخيل أخذت تجول في قرى هنريط، وحدود السيوف ترعى في حقل خصيب نباته شعر الرؤوس.

٢٠) الخلد : نوع من الفأر لا يرى، ويعيش في انفاق تحت الأرض، والباز : معروف. يريد : ان سيف الدولة لم يترك رجلاً مختبأ تحت الأرض، ولا شاباً اعتصم بالجبال.

٢١) الهزبر : الأسد. ولَبَد : جمع لِبْدة ، ما تلبد على كتف الأسد من وبره. والمهاة : البقرة الوحشية. والحشم: الحاشية. يريد : أن سيف الدولة لم يترك شجاعاً ذا درع، ولا امرأة، يحيط بها خدمها.

٢٢) الباترات : القاطعات، والشفرات : جمع شفرة، حد السيف. والغيطان : جمع غائط، المطمئن الواسع من الأرض، والأكم : جمع أكمة : المرتفع من الأرض : يريد : أن مخابئ الأرض والسهول والمرتفعات تقذفهم على نصال السيوف.

٢٣) يريد : ان قوات الروم، عبرت النهر، لتعتصم به. ولكن كيف تعتصم به، وهو لا يستطيع ان يحمي نفسه.

٢٤) يصدك : يمنعك. والطود : الجبل. والشمم : الارتفاع.

٢٧ـ ضَـرَبْـتَـهُ بِصُـدُورِ الخَيْـلِ حَامِلَةً قَـوْمـاً إذا تَـلِـفـوا قُدْماً فَقَد سَلِموا(٢٥)

٢٨ـ تَجَفَّـلَ المَوْجُ عَـنْ لَبّـاتِ خَيْلِهِمُ كَمَـا تَـجَـفَّـلَ تَـحْـتَ الـغَارَةِ النَّعَمُ(٢٦)

٢٩ـ عَـبَـرتَ تَـقْـدُمُهـم فِـيْـه وفِـي بَلَدٍ سُكّـانُـه رِمَـمٌ مَـسْـكُـونَـهـا حِمَمُ(٢٧)

٣٠ـ وَفِـي أكُـفِّـهُـمُ النَّارُ التِّي عُـبِـدَتْ قَـبْـلَ المَجوسِ الى ذَا اليومِ تَضْطَرِمُ(٢٨)

٣١ـ هِنْدِيّـةٌ إنْ تُصَغِّـرْ مَعْشَـراً صَغُروا بِـحَـدِّهـا أوْ تُـعَـظِّـمْ مَعْشَـراً عَـظُـموا

٣٢ـ قَـاسَـمْـتَـهـا تَلَّ بطْرِيقٍ فَكانَ لَهـا أبْـطَـالُـهـا، وَلَـك الأطْـفـالُ والحَرَمُ(٢٩)

٣٣ـ تَـلْـقَـى بِـهِـمْ زَبَـدَ التَّيار مُقْرَبَـةٌ عَـلى جَـحـافِـلِـهـا مِـنْ نَضْحِهِ رَشَمُ(٣٠)

٣٤ـ دُهْـمٌ فَـوارِسُـهـا رُكّـابُ أبْطُنِـهـا مَـكْـدُودَةٌ وَبِـقَـوْمٍ لا بِـهـا الألَـمُ(٣١)

---

٢٥) يريد : ان سيف الدولة صادم النهر بصدور خيله، وهي تحمل قوماً، خاضوا في الموت من قبل، ولكنهم عاشوا.

٢٦) تَجفَّل : ارتد بسرعة، ولبات : صدور. يريد : ان الموج كان يتراجع امام صدور خيلك، كما تتراجع المواشي وتتفرق امام الغارة.

٢٧) الحمم : جمع حمة، ما احترق بالنار. يريد : أن سيف الدولة سار متقدماً جيشه، في بلد أهله موتى، وموجوداته محترقة.

٢٨) يريد : وفي أيدي الجيش سيوف كالنار، وهي أقدم من عبادة المجوس للنار، ولكنها ما زالت تلتهب وتتلظى.

٢٩) يريد أن سيف الدولة يتقاسم مع سيوفه مدينة تل بطريق : فكان الأبطال من نصيب السيوف، لأنها قتلتهم، وكان الأطفال والنساء، من نصيب سيف الدولة، لأنه سباهم.

٣٠) مقربة : الخيل التي تقرب من البيوت، ويقصد بها «السُفن» هنا. والجحافل : جمع جحفلة، شفة الحيوان، والرشم : بياض في شفة الفرس العليا. يريد : أن الزوارق التي تحملهم، حملت بياضاً على مقادمها، من الزبد، كالبياض في شفاه الخيل.

٣١) يريد : ان السفن سوداء، وفرسانها على بطنها لا على ظهرها، وهي متعبة، وان كان الألم بقوم غيرها، وهم الملاحون.

٣٥ـ مِنَ الجِيادِ التي كِدْتَ العَدُوَّ بِها وَمَا لَهَا خِلَقٌ مِنْها وَلا شِيَمُ(٣٢)

٣٦ـ نِتاجُ رأيِكَ فِي وَقْتٍ عَلى عَجَلٍ كَلَفْظِ حَرْفٍ وَعَاهُ سَامِعٌ فَهِمُ(٣٣)

٣٧ـ وَقَد تَمَنوا غَداةَ الدَّرْبِ فِي لَجَبٍ أنْ يُبْصِروكَ فَلَمَا أبْصَروكَ عَموا(٣٤)

ـ ٥ ـ

٣٨ـ صَدَمْتَهُم بِخَميسٍ أنْتَ غُرَّتُهُ وَسَمْهَرِيَّتُهُ فِي وَجْهِهِ غَمَمُ(٣٥)

٣٩ـ فَكانَ أثْبَتَ مَا فِيهِمْ جُسومُهُمُ يَسْقُطْنَ حَوْلَكَ والأرواحُ تَنْهَزِمُ(٣٦)

٤٠ـ والأعوجِيَّةُ مِلءُ الطُرْقِ خَلْفَهُمُ والمَشْرَفِيَّةُ مِلءُ اليَوْمِ فَوْقَهُمُ(٣٧)

٤١ـ إذا تَوافَقَت الضَرْباتُ صَاعِدةً تَوافَقَتْ قُلَلٌ فِي الجوِّ تَصْطَدِمُ(٣٨)

٤٢ـ وأسْلَمَ ابْنُ شُمْشُقِيقٍ أليَّتَهُ إلاّ انثنى فَهْوَ يَنْأى وَهْيَ تَبْتَسِمُ(٣٩)

٤٣ـ لاَ يَأْمَلُ النَفَس الأقْصى لمُهْجتِهِ فَيَسْرِقُ النَّفَس الأدْنى وَيَغْتَنِمُ(٤٠)

---

٣٢) يريد : أن هذه السفن، من الخيل التي تكيد العدو بها، وان كانت لا تشبه الخيل في أشكالها وطباعها.

٣٣) يريد : ان هذه السفن من اختراعك في وقت كنت فيه مسرعاً ، كما يفهم السامع الفهيم نطق حرف.

٣٤) لَجِب : صفة للجيش، ولجب : اختلاط الأصوات. يريد : أن الأعداء تمنوا ان يبصروك غداة كنت في موقع الدرب، ومعك جيشك الكبير، فلما حدث ذلك أصيبوا بالعمى، وهذا يحتمل وجهين : الأول : أن يكونوا قد هلكوا، والثاني : أن يكون نوره وجلاله قد ذهب بأبصارهم.

٣٥) خميس : جيش. والسمهرية : الرماح. غَمَم : كثرة الشعر على الناصية والقفا.

٣٦) يريد : ان أجسامهم، لم تستطع الحركة، ولذلك كانت تسقط حولك قتلى، أما أرواحهم فتنهزم.

٣٧) الأعوجية : خيل منسوبة الى أعوج، وهو فرس كريم، كان لكندة، وأخذه بنو سليم. والمشرفية : السيوف.

٣٨) يريد : ان الضربات كانت تتفق، وكانت من الأسفل الى الأعلى، وهكذا يفعل الحذاق بضرب السيف، ولذلك قال : صاعدة. وكان تساقط القلل، أي الرؤوس، يتوافق فتصطدم الرؤوس المتساقطة.

٣٩) يريد : أن ابن شمشقيق ترك قسمه بألا ينثني، أي يهرب، وكان قسمه يضحك وهو يبتعد.

٤٠) يريد : ان ابن شمشقيق ، وهو هارب، لا يأمل لنفسه الحياة الطويلة، فيسرق ما يستطيع من النفس، ويعتبره غنيمة.

٤٤ـ تَـرُدُّ عَـنْـهُ قَـنـا الفُرْسـانِ سَابِغَةٌ صَـوْبُ الأسِنَّـةِ فِي أثْـنـائِـهـا دِيَـمُ(٤١)

٤٥ـ تَخُـطُّ فِيهـا العَـوالي لَيْسَ تَنْفُذُهَـا كَـأَنَّ كُـلَّ سِـنـانٍ فَـوْقَـهـا قَـلَمُ(٤٢)

٤٦ـ فَلا سَقَى الغَيْثُ مَا وَارَاهُ مِنْ شَجَرٍ لَو زلَّ عَـنْـهُ لَـوارَتْ شَـخْـصَـه الرَّخَمُ(٤٣)

ـ ٦ ـ

٤٧ـ أَلْهَـى المَمالِـكَ عَنْ فَخْرٍ قَفَلْتَ بِهِ شُـرْبُ المُـدَامَـةِ والأوْتـارُ والنَّـغَـمُ(٤٤)

٤٨ـ مُقَلَّـداً فَـوْقَ شُـكْـرِ اللَّـهِ ذَا شُطَبٍ لاَ تُسْتَـدامُ بِـأَمْـضـى مِنْهُما النِّعَمُ(٤٥)

٤٩ـ أَلْقَـتْ إليكَ دُماءُ الرُّومِ طَاعَتَهـا فَـلَـوْ دَعَـوْتَ بِـلا ضَـرْبٍ أجابَ دَمُ(٤٦)

٥٠ـ يُسابِـقُ القَـتْـلُ فِيْـهِم كُلَّ حَادِثَةٍ فَـمـا يُصيبُهُـم مَـوْتٌ ولاَ هَـرَمُ(٤٧)

٥١ـ نَفَـتْ رُقَـادَ عَـلـيٍّ عَـنْ مَحاجِرِهِ نَفْسٌ يُفَـرِّجُ نَفْسـاً غَيْـرَها الحُلُـم(٤٨)

---

٤١) سابغة : درع ضافية. والديم : جمع ديمة، المطر المدرار. يريد : أن درعه الضافية ، ترد عنه، رماح الفرسان. وكان انهمار رؤوس الرماح، خلال ذلك كالمطر الغزير.

٤٢) العوالي : الرماح . يريد : ان الرماح تترك خطوطاً فيها، ولا تخترقها، وكأن كل ضربة سنان خط قلم.

٤٣) الغيث : المطر. والرخم: جمع رخمة، طائر يشبه النسر، ويروى : الرَّجَمْ، أي حجارة القبر. يريد : أن ابن شمشقيق اختفى بين الشجر، فلا نزل المطر على هذا الشجر. ولو أخطأ هذا الشجر، لأكلته الرخم، أو لوارى جسمه القبر.

٤٤) قفلت : رجعت. والمدامة : الخمر.

٤٥) مقلد: حامل. ذا شطب : سيف قاطع . يريد : ان سيف الدولة يحمله سيفه القاطع، اضافة الى شكر الله، ولا تدوم النعم بغير هذين.

٤٦) يريد : ان دماء الروم سلمت لك، فلو دعوت، لسال الدم، دون أن تضرب.

٤٧) يريد : ان سيوف سيف الدولة، هي التي تقرر مصير حياتهم، وعليه، فلا يهرمون، ولا يموتون ميتة طبيعية.

٤٨) عليّ : أي سيف الدولة. ومحاجره : حدقتا عينيه. يريد : أن نفس سيف الدولة نفت النوم عن عينيه، لأنها نفس يسر غيرها الحلم.

٥٢ـ القائِـمُ المَلِـك الهَادي الذَّي شَهِدَتْ قَـيـامَـه وهُـداه العُـرْبُ والـعَـجَمُ(٤٩)

٥٣ـ ابـنُ المُعَـفِّـرِ فِي نَجْـدٍ فَوارِسَها بِسَـيْـفِـهِ وَلَـهُ كَـوفَـانُ والـحَـرَمُ(٥٠)

٥٤ـ لاَ تَطْلُبَـنَّ كَـريمـاً بَـعْـدَ رُؤْيَتِـه إنَّ الكِّـرامَ بـأسـخَـاهُـمْ يَـداً خُتِمُـوا

٥٥ـ وَلاَ تُـبـالِ بِـشِـعْـرٍ بَعْـدَ شَـاعِرِهِ قَـدْ أُفْسِـدَ القَـوْلُ حَتّـى أُحْمِـدَ الصَّمَمُ

---

٤٩) يريد : ان سيف الدولة ملك قائم بأمور ملكه، هادٍ في شؤون دينه، وهو ما يشهد عليه العرب والعجم.

٥٠) المعفّر : الملقى على التراب. وكوفان : الكوفة. والحرم : مكة. وقد أشرنا الى دور أبي الهيجاء عبدالله بن حمدان، والد سيف الدولة، من قبل.

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر

وتوفيت خولة، أخت سيف الدولة الكبرى، بميافارقين من ديار بكر، لثلاث بقين من جمادى الآخرة، سنة اثنتين وخمسين وثلاث مائة.

وكانت أخته الصغرى، قد توفيت قبل ذلك، سنة ٣٤٤ فرثاها أبو الطيب بقصيدته:

ان يكن صبر ذي الرزية فضلا

تكـن الأفضــل الأغـر الأجلا

(المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٤٨٨، ق ـ ٢٣١).

ولكن ابا الطيب لم يرث أحداً بحرارة رثائه خولة أخت سيف الدولة الكبرى، مما حمل الأستاذ محمود محمد شاكر على القول بوجود علاقة حب بين أبي الطيب وبينها (محمود محمد شاكر : ص ـ ٢٢٥)

ويبدو أن خولة كانت امرأة تتحلى بمزايا عالية.. ولذلك، فانها، مثلاً، قدمت لسيف الدولة مائة ألف دينار، بعد أن غزا الروم حلب لمساعدته في اعداد جيشه وتعمير حلب.

ويبدو أيضاً أن أبا الطيب كان قد لمس من مزاياها، ما جعله يقول في رثائه لها «ولا ود بلا سبب».

وكان أبو الطيب في الكوفة، وعندما وصل خبرها، قال هذه القصيدة، وأملاها لثلاث خلون من شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وخمسين وثلاث مائة ـ ٩٦٣*.

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٥٦٢، ق ـ ٢٣٨.

العكبري : ح ـ ١، ص ـ ٨٦، ق ـ ١٨.

والديوان: ص ـ ٤٣٣.

_ ١ _

١ـ يَـا أُخْـتَ خَيْـرِ أخٍ يَا بِنْتَ خَيْرِ أبِ كِنايـةً بِهِمَـا عَـنْ أَشْـرَفَ النَسَـبِ
٢ـ أُجِـلُّ قَـدْرَكِ أنْ تُسمَـيْ مُـؤَبَّنَـةً وَمَـنْ يَصِـفُـكِ فَـقَـدْ سَمَّـاكِ لِلعَـرَبِ
٣ـ لاَ يَمْلِـكُ الطَّـرِبُ المَحْـزونُ مَنْطِقَهُ وَدَمْعَـهُ وَهُمَـا فِي قَبْضَـةُ الطَّـرَبِ(١)

_ ٢ _

٤ـ غَـدَرْتَ يَا مَوْتُ كَمْ أَفْنَيتَ مِنْ عَدَدٍ بِمَنْ أَصَبْتَ وَكَمْ أسْكَتَّ مِـنْ لَجَـبِ(٢)
٥ـ وَكَـمْ صَحِبْـتَ أَخَـاهـا فِي مُنازَلَةٍ وَكَمْ سَأَلْـتَ فَلَـمْ يَبْخَـلْ وَلَـمْ تَخِـبِ(٣)
٦ـ طَـوَى الجَـزِيـرةَ حَتَّـى جَاءَنِي خَبَرٌ فَـزِعْتُ فِـيهِ بِآمـالي إلى الكَـذِبِ
٧ـ حَتَّـى إذا لَـمْ يَـدَعْ لِي صِدْقُهُ أَملاً شَرِقْتُ بالدَّمْعِ حَتَّى كَـادَ يَشْـرَقُ بِـي
٨ـ تَعَثَّـرَتْ بِـهِ فـي الأفـواهِ أَلسُنُهـا والبُرْدُ فِي الطُّـرُقِ والأقْلامُ فِي الكُتُبِ(٤)

---

١) الطَّرِب : المصاب . الطَرَب، الخفة التي تصيب الانسان في حالتي الفرح أو الجزع. وقد غلب عليها جانب الفرح في الاستعمال الفصيح والعامي. يريد : ان المصاب بالحزن ، لا يملك منطقه ودمعه، وهما في قبضة الحزن.

٢) لجَب : جلبة الحرب. يريد : ان الموت كان غادراً، لأنه باختيار المتوفاة أفنى كثيراً من الجنود، وأسكت جلبة الجيوش. وهذا يعني أنها كانت تسهم في تعبئة الجيوش وتجهيزها، أو أنها كانت تعطي وتبذل، فمات الذين كانت تعطيهم بموتها. وقد أشرنا الى أنها قدمت لأخيها مبالغ كبيرة لاعمار حلب بعد أن هاجمها الروم، سنة ٣٥١.

٣) يريد : ان الموت رافق سيف الدولة، في حروب كثيرة، وان الموت كثيراً ما سأل، فلم يرد سيف الدولة الطلب، وبالتالي لم يخب الموت.

٤) يريد : أن الألسن تعثرت بالخبر في الأفواه، فلم تستطع النطق به، وحملة البريد في الطرق، والأقلام لدى كتابة الرسائل.

٩ـ كَـأَنَّ فِعْـلَـةَ لَـمْ تَمْـلأْ مَـواكِبُهـا ديَـارَ بَكْـرَ وَلَـمْ تَخْلَـعْ وَلَـمْ تَهِـبِ(٥)

١٠ـ وَلَـمْ تَـرُدَّ حَيـاةً بَـعْـدَ تَـوْلِيَـةٍ وَلَـمْ تُغِـثْ دَاعِـيـاً بالوَيْـلِ والحَـرَبِ(٦)

ـ ٣ ـ

١١ـ أَرَى العِراقَ طَويلَ الليلِ منذ نُعِيَـتْ فَكَيْفَ لَيْـلُ فَتـى الفِتْيـانِ فـي حَلَـبِ

١٢ـ يَظُـنُّ أنَّ فُـؤادي غَيـرُ مُلْتَهِـبٍ وأنَّ دَمْـعَ جُفـونـي غَـيْـرُ مُنْسَكِبِ

١٣ـ بَـلَى وَحُـرْمَـةِ مَـنْ كَـانَتْ مُراعِيَـةً لِـحُـرْمَـةِ المَـجْـدِ والقُصّـادِ والأَدَبِ

١٤ـ وَمَنْ مَضَـتْ غَيْرَ مَوْرُوثٍ خَلائِقُها وإنْ مَضَـتْ يَـدُهـا مَـوْرُوثَـةَ النَّشَـبِ(٧)

١٥ـ وَهَمُّهـا فِي العُـلى والمَجْـدِ نَاشِئَةً وَهَـمُّ أَتْـرَابِـهـا فِي اللّـهْـوِ واللَّـعِبِ(٨)

١٦ـ يَعْلَمْـنَ حِيـنَ تُحَيّـا حُسْنَ مَبْسَمِها وَلَيْـس يَعْلَـمُ إلاّ اللّـهُ بـالشَّـنَـبِ(٩)

١٧ـ مَسَـرَّةٌ فِي قُلـوبِ الطيبِ مَفْرِقُها وَحَسْـرَةٌ فِي قُلـوب البيـضِ واليَلَـبِ(١٠)

---

٥) يريد : أن خولة التي كنّى عنها فعلة، كأنها لم تكن تسير بمواكبها في ديار بكر، ولم تكن تهدي الملابس اي الخلع، وتهب الأموال.

٦) تولية : من ولّى، أي ذهب . والحرب: الهلاك. يريد : كأنها لم ترد حياة امرىءٍ ذهبت عنه، ولا أعانت مستغيثاً من الويل والهلاك.

٧) النشب : المال. يريد : انها ماتت ولم تورث طباعها، لأنها لا توجد الا فيها، وان ورثت أموالها.

٨) ناشئة : اي منذ نشأت. وأترابها: لداتها.

٩) المبسم : الثغر. والشنب : بَرْد الريق. يريد : ان اترابها ، يعرفن حسن ثغرها، ولكن ريقها لا يعرف به الا الله، لأنها لم تُقَبّل.

١٠) البيض : الخوذ، جمع خوذة، غطاء حديدي للرأس. واليلب : غطاء للرأس من الجلود، وقد يلبس تحت الخوذ. يريد أن قلوب الطيب تُسَرُّ لوضع الطيب على رأسها، ولكن هذه المسرة حسرة للخوذ وأغطية الرؤوس الأخرى، لأنها لا تستخدمها. واستعار القلوب للطيب، والبيض، وبالتالي صار ممكناً الحديث عن المسرة والحسرة.

١٨ـ إذا رَأى وَرَآهـــا رَأسَ لابِســـــهِ رَأى المَقـانِـعَ أعْـلى مِنْـهُ فِي الرُّتَبِ(١١)

١٩ـ وإنْ تَكُنْ خُلِقَتْ أُنْثى لَقَـد خُلِقَـتْ كَريمـةً غَيْـرَ أُنْـثـى العَقْلِ والحَسَبِ(١٢)

٢٠ـ وإنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الغَلْبَـاءُ عُنْصُرَهـا فإنَّ فِي الخَمْـرِ مَعْنـىً لَيْـسَ فِي العِنَـبِ

ـ ٤ ـ

٢١ـ فَلَيْـتَ طَالِعَـةَ الشَمْسيـنِ غَـائِبَـةٌ وَلَيْـتَ غَـائِبَـةَ الشَمْسيـنِ لَـمْ تَغِـبِ

٢٢ـ وَلَيْتَ عَيْـنَ التّـي آبَ النَّهَارُ بِهـا فِـداءُ عَـيْـنِ الـتَـي زَالَـتْ وَلَمْ تَؤُبِ(١٣)

٢٣ـ فَمـا تَقَلَّـدَ بالياقـوتِ مُشْبِهُهـا وَلاَ تَقَلَّدَ بالهِنْدِيَّـةِ القُضُـبِ(١٤)

٢٤ـ وَلاَ ذَكَـرتُ جَمـيـلاً مِنْ صَنائِعِها إلاّ بَـكَـيْـتُ ولا وُدٌ بِـلا سبَـبِ

٢٥ـ قَـدْ كَـانَ كُـلُّ حِجـابٍ دونَ رُؤْيَتِها فَـمـا قَـنِـعْـتِ لَهـا يَا أَرْضُ بالحُجُبِ(١٥)

٢٦ـ وَلاَ رَأيـتِ عُيـونَ الأُنْـسِ تُـدْرِكُها فَهَـلْ حَسَـدْتِ عَليهـا أَعْيُنُ الشُهُبِ(١٦)

٢٧ـ وَهَلْ سَمِعْتِ سَلاماً لـي أَلَمَّ بِـهـا فَـقَـدْ أَطَلْـتُ وَمَا سَلَّمْتُ مِن كَثَبِ(١٧)

---

١١) يريد : أن البيض أي الخوذ، اذا رأت رأسَ لابسها، ورأت خولة، رأت المقانع، وهي لباسها، اشرف رتبة.

١٢) يريد : انها خلقت انثى، ولكنها خلقت كريمة غير انثى العقل والشرف. وهذه نظرة أبي الطيب الى المرأة التي كررها في أكثر من مكان.

١٣) آب : رجع. والعين الأولى : قرص الشمس، والثانية: عين خولة. يريد : ليت قرص الشمس الذي عاد النهار به فداء عين خولة.

١٤) يريد : انها بلا شبه بين النساء اللواتي يتقلدن بالياقوت، ولا بين الرجال الذين يحملون السيوف.

١٥) يريد : أن رؤيتها لم تكن متيسرة، لأنها كانت تعيش وراء حجاب. ومع ذلك فان الأرض لم تكتف بهذه الحجب.

١٦) يريد : ان عيون الناس لم تكن تراها، فيا ايها الأرض، هل حسدت عليها عيون الكواكب.

١٧) كثب : قرب . يريد : أسألك أيتها الارض، هل سمعت سلامي عليها، لأني أطلت، ولكني لم أسلم عن قرب.

٢٨ـ وَكَيْفَ تَبْلُغُ مَوْتانا التي دُفِنَتْ وَقَدْ يُقَصِّر عَنْ أَحْيائِنا الغَيَبِ(١٨)

ـ ٥ ـ

٢٩ـ يَا أَحْسنَ الصَّبْرِ زُرْ أولى القُلوبِ بِها وَقُلْ لِصَاحِبِه يَا أَنْفَعُ السُّحُبِ(١٩)

٣٠ـ وَأَكْرَمَ النَّاسِ لاَ مُسْتَثْنِياً أَحَداً مِنَ الكِرامِ سِوى آبائِكَ النُجُبِ(٢٠)

٣١ـ قَدْ كَانَ قَاسَمَكِ الشَّخْصَينِ دَهْرُهُما وَعَاشَ دُرُّهُما المَفْدِيُّ بالذَّهَبِ(٢١)

٣٢ـ وَعَادَ فِي طَلَبِ المَتْروكِ تَارِكُهُ إِنَّا لَنَغْفَلُ والأيَّامُ فِي الطَّلَبِ(٢٢)

٣٣ـ مَا كَانَ اقصَرَ وَقْتاً كَانَ بَيْنَهُما كَأَنَّهُ الوَقْتُ بَيْن الوِرْدِ والقَرَبِ(٢٣)

٣٤ـ جَزاكَ رَبُّكِ بِالأحْزانِ مَغْفِرَةً فَحُزْنِ كُلِّ أخي حُزْنٍ أخو الغَضَبِ(٢٤)

٣٥ـ وَأَنْتُمُ نَفَرٌ تَسخو نُفُوسُكُمُ بِما يَهَبْنَ وَلا يَسْخونَ بالسَّلَبِ(٢٥)

٣٦ـ حَلَلْتُمُ مِنْ مُلوك الأَرْضِ كُلِّهِمُ مَحَلَّ سُمْر القَنا مِن سَائِر القَصَبِ(٢٦)

---

١٨) الغَيَب : جمع غائب. يريد : كيف يبلغ السلام الموتى الذين دفنوا، وهو لا يصل الى الأحياء الغائبين.

١٩) يريد : أيها الصبر زر سيف الدولة، أولى القلوب بالمرثية، وقل له : أنت انفع السحاب .

٢٠) النُجُب : جمع نجيب. وهو الكريم.

٢١) يريد : ان الدهر قاسمك اختيك، فعاشت الكبرى، وهي مثل الدر، التي افتديت بالصغرى، وشبهها بالذهب.

٢٢) يريد : أن الدهر عاد لطلب الذي تركه، وهو الأخت الكبرى، واذا كنا نغفل، فان الأيام تتابعنا بالطلب.

٢٣) يريد : ان الوقت بين موت الصغرى والكبرى قصير جداً، كالوقت بين القَرَب والوِرْد، وهو ليلة، من السير الى مورد الماء.

٢٤) يريد : أطلب من الله أن يغفر لك عن هذه الأحزان، لأن الحزن هو سخط على فعل من هو فوقك، كما يقول المعري (ج ـ ٣، ص ٥٧٦)، والغضب هو سخط على فعل من هو دونك.

٢٥) يريد : والحديث لسيف الدولة، أنتم قوم أسخياء، تسخون بما تهبون، ولكن ترفضون الاغتصاب.

٢٦) يريد : انتم بين الملوك قاطبة، مثل سمر الرماح، بين سائر القصب.

٣٧ـ فَـلا تَنَلْـكَ اللّيـالـي إنَّ أيْـدِيَـهـا إذا ضَـرَبْـنَ كَسَـرْنَ النَبْـعَ بالغَـرَبِ(٢٧)

٣٨ـ وَلاَ يُـعِـنَّ عَـدُواً أنْـتَ قَـاهِـرُهُ فَـإنّـهُـنَّ يَـصِـدْنَ الصَقْـرَ بـالخَرَبِ(٢٨)

٣٩ـ وإنْ سَـرَرْنَ بِمَحْبُـوبٍ فَجَعْـنَ بِـهِ وَقَـدْ أتَيْـنَـكَ فِي الحَـالِيـنِ بالعَجَـبِ

٤٠ـ وَرُبَّـمـا احْتَسَـب الإنسـانُ غَـايَتَها وَفَـاجَـأتُـه بِـأمْـرِ غَـيـرِ مُـحْتَسَـبِ

٤١ـ وَمَـا قَضـى أحَـدٌ مِـنْـها لُبَانَتَهُ وَلا انْـتَـهـى أرَبٌ إلاّ إلـى أرَبِ(٢٩)

ـ ٦ ـ

٤٢ـ تَخَالَـف النّاسُ حَتّى لا اتّفاقَ لَهُمْ إلاّ عَـلَى شَجَـبٍ والخُلْفُ فِي الشَجَبِ(٣٠)

٤٣ـ فَقيلَ : تَخْلُصُ نَفْسُ المَـرءِ سَالِمةً وَقيـلَ : جِسْـمَ المَـرْءِ فـي العَطَـبِ(٣١)

٤٤ـ وَمَـنْ تَـفَـكَّـرَ فِي الدُّنيا وَمُهْجَتِهِ أقَـامَـه الـفِـكْـرُ بَيْنَ العَجْزِ والتَّعَبِ(٣٢)

---

٢٧) النبع : شجر صلب تصنع منه القسي. والغَرَب : شجر ضعيف.

٢٨) الخرب : ذكر الحبارى.

٢٩) اللبانة : الحاجة.

٣٠) الشجب : الهلاك. يريد : ان الناس اختلفوا، الاّ على الموت، ومع ذلك اختلفوا فيه.

٣١) العطب : الهلاك. يريد : هناك من يقول ان النفس تسلم عند الموت، وهناك من يقول تشترك مع الجسم في الهلاك.

٣٢) يريد : ان من يفكر في أمر الدنيا وأمر نفسه، أوصله فكره الى مقام بين العجز والتعب.

ما لنا كلنا جو يا رسول

أرسل سيف الدولة لأبي الطيب رسالة، بعد خروج أبي الطيب من مصر، كما أرسل له هدايا. ومن الرسائل الرسالة التي بعث بها سيف الدولة الى أبي الطيب، في شوال، سنة ٣٥٢. ولا يعرف ان كانت هذه الرسالة هي الأولى، أو كانت قبلها رسائل. وهناك خلاف ، حول تاريخ الرسالة والقصيدة، ان كان سنة ٣٥١، أو ٣٥٢. وقد أجاب أبو الطيب سيف الدولة على رسالته، ولا أحد يعرف الجواب. ولكن أبا الطيب قال هذه القصيدة*:

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ٥٧٩، ق ـ ٢٣٩.

العكبري : ج ـ ٢٣، ص ـ ١٤٨، ق ـ ١٩٢.

والديوان: ص ـ ٤٢٩ .

_ ١ _

١ـ مَا لَنَا كُلُّنَا جَوٍ يَا رَسُولُ أنا أهْوَى وَقَلْبُكَ المَتْبولُ(١)
٢ـ كُلَّمَا عَادَ مَنْ بَعَثْتُ إليهَا غَارَ مِنِّي وَخَانَ فيما يَقولُ
٣ـ أفْسَدَتْ بَيْنَنَا الأمَانَاتِ عَينَا هَا وَخَانَت قُلوبَهُنَّ العُقولُ(٢)
٤ـ تَشْتَكي مَا اشتكيت مِنْ أَلَمَ الشَّوْ ق إليها والشَّوقُ حَيْثُ النُّحولُ(٣)
٥ـ وإذَا خَامَرَ الهَوى قَلْبَ صَبٍّ فَعَلَيه لِكُلِّ عَيْنٍ دَليلُ(٤)

_ ٢ _

٦ـ زَوَّدِينَا مِنْ حُسْنِ وَجْهِكِ مَا دا مَ فَحُسْن الوُجوهِ حَالٌ تحولُ(٥)
٧ـ وَصِلِينَا نَصْلُكِ فِي هَذِهِ الدُّنيَا فَإنَّ المُقَامَ فِيْهَا قَليلُ
٨ـ مَنْ رَآهَا بِعَيْنِها شَاقَهُ القُطّانِ فِيها كَما تَشوقُ الحُمولُ(٦)
٩ـ إنْ تَرَيْني أَدَمْتُ بَعْدَ بَيَاضٍ فَحَميدٌ مِن القَناةِ الذُّبولُ(٧)

---

١) جو : حزين. والمتبول : العاشق المستهام.

٢) يريد : ان من يرى عيني محبوبته، أحبها، وخان الأمانة، وخانت العقول قلوب أصحابها. لأنها لم تطلب من القلوب حفظ الأمانة.

٣) يريد : ان حبيبته تشتكي الشوق مثله. ولكن الشوق يقاس بمقدار النحول.

٤) خامر : خالط ، صب: شديد الشوق.

٥) تحول : تتبدل.

٦) القُطان : المقيمون. والحمول: الأحمال، والمتحملون. يريد : ان من رأى الدنيا بعينها، انجذب الى المقام فيها، كما ينجذب العاشق الى ركب المحبوبة.

٧) أدِمْتُ: أدم : مال لونه الى الأدمة، حمرة تضرب الى السواد، والقناة : قناة الرمح. والبياض الشيب. يريد: ان تغيّر لونه، بعد الشيب، وتحوله الى الأدمة، حميد، لأنه جاء نتيجة عبور الصاري، وطلب المعالي. ولأن اللين محمود في القناة، وغير محمود في غيرها.

_ ٤ _

١٠_ صَحِبَتْـنـي عَـلى الفَـلاةِ فَـتـاةٌ عَـادَةُ اللَّـوْنِ عِنْـدَهـا التَـبْـديـلُ(٨)

١١_ سَتَـرَتْـك الحِجـالُ عَـنْـهـا وَلكِنْ بِـكَ مِـنْـهـا مِـنَ اللَّـمـى تَقْبيـلُ(٩)

١٢_ مِثْـلُـهـا أنْـتِ لَـوَّحَـتْـنـي وَأسْقَـمْتِ وَزَادَتْ أبْهـاكُـمـا العُطْبـولُ(١٠)

_ ٥ _

١٣_ نَحْـنُ أدْرَى وَقَـدْ سَـأَلْـنَـا بِنَجْـدٍ أطَـويـلٌ طَـريـقُـنَـا أمْ يَـطـولُ

١٤_ وَكَـثـيـرٌ مِـن السُّـؤالِ اشْتِيـاقٌ وَكـثـيـرٌ مِـنْ رَدِّه تَـعْـلـيـلُ(١١)

١٥_ لاَ أقْـمـنَـا عَـلى مَكـانٍ وإنْ طَـا بَ وَلاَ يُـمْـكِـنِ المَكـانَ الـرَّحـيـلُ(١٢)

١٦_ كُـلَّـمَـا رَحَّبَـتْ بِنـا الرَّوْضُ قُلْنَـا حَلَـبٌ قَصْـدُنـا وَأنْـتَ السَّبيـلُ(١٣)

١٧_ فَـيْـكِ مَـرْعـى جِيـادِنَـا والمَطـايا وإلـيـهـا وَجـيـفُـنَـا والـذَّمـيـلُ(١٤)

---

٨) فتاة : يريد الشمس، لأنها تظل فتية، ومن عادتها أن تغير الألوان .

٩) اللمى : سمرة تعلو الشفة. الحجال : جمع حجلة، بيت العروس، يزين بالستور. يريد : أن الحبيبة سترتها عن الشمس الستائر، ومع ذلك فان بها منها سواداً في الشفة، وكأن هذا السواد أثر قبلة الشمس.

١٠) لَوّحه : غير لونه. والعطبول : الناعمة الجسم، الطويلة العنق: يريد أن حبيبته، مثل الشمس : لأن الشمس لوحته، وحبيبته أمرضته، ولكن الحبيبة الناعمة الطويلة العنق أبهى من الشمس.

١١) يريد : ان كثيراً من الأسئلة ناتج عن الاشتياق ، لا عن الجهل، وان كثيراً من الرد على السؤال مجرد تعليل للسائل. وفي هذا البيت استئناف للبيت السابق، لأنه قال نحن أعرف وقد سألنا بنجد ان كان طريقنا طويلاً فعلاً، أم أنه يطول بسبب الشوق.

١٢) يريد : اننا لا نقيم على المكان، حتى لو طاب المقام، لأن المكان لا يمكنه الرحيل معنا اليك، والخطاب موجه الى سيف الدولة طبعاً.

١٣) يريد : اننا نقول للحدائق كلما استبشرت بقدومنا، أنت لست الهدف، لأننا سائرون الى حلب، وأنت مجرد طريق.

١٤) الوجيف والذميل : السير السريع. يريد : أننا نقول للروض أنت مرعى لخيلنا وإبلنا، ولكن سيرنا السريع الى حلب.

١٨ـ وَالمُسَمَّـونَ بـالأميـرِ كَـثيـرٌ والأميـرُ الـذَّي بـهـا الـمَـأْمُـولُ

١٩ـ الـذّي زُلْـتَ عَنْـهُ شَرقـاً وَغَـرْبـاً وَنَـداهُ مُـقـابِـلـي مَـا يـزولُ

٢٠ـ وَمَعـي أيـنَـمـا سَلكْـتُ كَـأنّـي كُـلُّ وَجْـهٍ لَـهُ بِـوَجْـهـي كَـفـيـلُ(١٥)

٢١ـ وإذا الـعَـذْلُ فِي النَّدى زَارَ سَمْعَاً فَـفِـداهُ الـعَـذولُ والـمَـعْـذولُ(١٦)

٢٢ـ وَمَـوالٍ نُـحْـيِـيـهُـمُ مِـنْ يَـديـهِ نِـعَـمٌ غَـيْـرهُـم بِـهـا مَـقْـتُـولُ(١٧)

٢٣ـ فَـرسٌ سَـابِـقٌ وَرُمْـحٌ طَـويـلٌ وَدِلاصٌ زَغْـفٌ وَسَـيْـفٌ صَـقـيـلُ(١٨)

٢٤ـ كُـلَّـمـا صَـبَّـحَـتْ دِيـارَ عَـدوٍّ قَـالَ تِـلْـكَ الغُـيـوثُ هِـذي السُّيـولُ(١٩)

٢٥ـ دَهِـمَـتْـهُ تَطَايُـرُ الـزَّرَدَ المُحْكَـمَ عَـنْـهُ كَـمَـا يَـطـيـرُ الـنَّـسـيـلُ(٢٠)

٢٦ـ تَـقْـنِـصُ الخَيْـلَ خَيْـلُـهُ قَنَـصَ الوَحْشِ وَيَسْتَأْسِـرُ الخميـسَ الـرَّعـيـلُ(٢١)

٢٧ـ وإذا الحَـرْبُ أعْـرَضَـتْ زَعَـمَ الهَوْ لُ لِـعَـيْـنَـيـهِ أنَّـهُ تَـهْـويـلُ(٢٢)

---

١٥) يريد : ان نداه معي اينما مشيت، فكأنه متكفل بي اينما توجهت. هذا ما فسره به المعري (ج ـ ٣، ص ـ ٥٨٥)، والعكبري (ج ـ ٣، ص ـ ١٥٤). ومع ذلك فان الشطر الثاني يبقى بحاجة الى تفسير.

١٦) يريد : ان هناك من يلوم في السخاء، وهناك من يسمع، واللائم والسامع فدى سيف الدولة : لأنه لا يقبل لوماً في السخاء.

١٧) موالٍ : عبيد : يريد : وفدى له أيضاً عبيده وأتباعه الذين يعيشون بنعمه التي يموت بها غيرهم. إما لأنه ينعم عليهم بالمال والسلاح، فينتصرون على غيرهم، أو لأن الآخرين يحسدونهم.

١٨) دلاص : الدرع البراقة. والزغف : اللينة الملمس.

١٩) يريد : أن جيوش سيف الدولة، كلما صبحت ديار عدد، قال العدو : ان هذه السيول، من أمطار سيف الدولة.

٢٠) النسيل : الوبر الساقط عن البعير. يريد : أن جيوش سيف الدولة دهمت العدو، فطارت حلقات الدروع من الضرب، كما يطير الوبر عن البعير.

٢١) يقنص : يصيد : والقنص : الصيد : والخميس : الجيش، والرعيل : القطعة المتقدمة من الخيل.

٢٢) أعرضت : قربت وظهرت: يريد : ان الحرب اذا ظهرت، ادعى الخوف والرعب له أن الأمر مجرد تهويل، أي أن سيف الدولة لا يخاف الخطر.

٢٨ـ وإذا صَحَّ فَالزّمانُ صَحيحٌ واذا اعتَلَّ فَالزَّمانُ عَليلُ
٢٩ـ وإذا غَابَ وَجْهُهُ عَنْ مَكانٍ فِبِهِ مِنْ ثَنَاهُ وَجْهٌ جَميلُ

ـ ٦ ـ

٣٠ـ لَيْس إلاَّكَ يَا عَليُّ هُمامٌ سَيْفُه دَوْنَ عِرْضِهِ مَسْلولُ
٣١ـ كَيْفَ لاَ تَأمَنُ العِراقُ وَمِصْرٌ وَسَرايَاكَ دَونَهَا والخُيولُ
٣٢ـ لَوْ تَحَرَّفْتَ عَنْ طَرِيق الأعادي رَبَطَ السَّدْرُ خَيْلَهُمْ والنَّخيلُ
٣٣ـ وَدَرى مَنْ أَعَزَّهُ الدَّفْعُ عَنْهُ فِيْهِمَا أنَّهُ الحَقيرُ الذَّليلُ
٣٤ـ أَنْتَ طَوْلَ الحَيَاةِ لِلرُّوم غَازٍ فَمَتَى الوَعْدُ أنْ يَكونَ القُفولُ(٢٣)
٣٥ـ وَسِوى الرُّومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رُوْمٌ فَعَلَيى أيِّ جَانِبَيكَ تَميلُ
٣٦ـ قَعَدَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَن مَساعِيكَ وَقَامَتْ بِهَا القَنَا والنُّصولُ(٢٤)
٣٧ـ مَا الذي عِنْدَه تُدارُ المنايا كالذي عِنْدَه تُدارُ الشَّمُولُ(٢٥)
٣٨ـ لَسْتُ أرْضَى بِأنْ تَكونَ جَواداً وَزَمَانِي بِأنْ أراكَ بَخيلُ

ـ ٧ ـ

٣٩ـ نَغَّصَ البُعْدُ عَنْكَ قُرْبَ العَطايا مَرْتَعي مُخْصِبٌ وَجِسْمي هَزيلُ(٢٦)

---

٢٣) القفول : الرجوع.

٢٤) القنا : الرماح. والنصول : السيوف.

٢٥) المنايا : الموت، والشمول : الخمر.

٢٦) نغّص : نكد : يريد : ان الهدايا التي ترسلها، كدرها بعدي عنك، فأنا في مربع خصب من عطاياك. ولكني مريض لبعدي عنك.

٤٠ـ إنْ تَبَـوأتُ غَيـرَ دُنْيـايَ داراً وَأتـانِـي نَـيْـلٌ فَـأنْـتَ المُنيـلُ(٢٧)

٤١ـ مِنْ عَبيدي إنْ عِشْتَ لِي ألفُ كَافو رٍ وَلـي مِـنْ نَـداكَ رِيـفٌ وَنَـيـلُ

٤٢ـ مَـا أُبـالـي إذَا اتْـقَـتَـكَ اللَّيـالي مَـنْ دَهَـتْـهُ حُـبـولُـهـا والخُبـولُ(٢٨)

---

٢٧) تبوأت : سكنت.

٢٨) الحبول : الدواهي. والخبول : الفساد.

من الجآذر في زِيِّ الأعاريب

كان أبو الطيب قد وصل مصر، سنة ٣٤٦، ومدح كافور مرتين : الأولى بقصيدته :

كفى بك داءً ان ترى الموت شافيا

(المعري : ج ـ ٤، ص ـ ١٧، ق ـ ٢٣٤).

والثانية : بقصيدته :

انـمـا التهنئـات لـلأكـفـاء

(المعري : ج ـ ٤، ص ـ ٣٥، ق ـ ٢٤٥)

وان كان قد هجاه بقصيدته :

أريك الرضا لو أخفت النفس خافيا

(المعري : ج ـ ٤، ص ـ ٣٢، ق ـ ٢٤٤).

وقد حلف كافور أن يبلغ أبا الطيب كل ما في نفسه. فأنشد أبو الطيب القصيدة التالية، في انسلاخ شهر رمضان، سنة ٣٤٦، ـ ٩٥٧*.

---

* المعري : ج ـ ٤، ص ـ ٤١، ق ـ ٢٤٦.

العكبري : ج ـ ١، ص ـ ١٩، ق ـ ٣٤.

والديوان: ص ـ ٤٤٨ .

١ـ مَـنْ الجَـآذِرُ فِـي زِيِّ الأعـاريـبِ
حُمْـرُ الحُـلى والمَطـايـا والجلابيـبِ(١)

٢ـ إنْ كُنْـتَ تَسْأَلُ شَكَّـاً في مَعـارِفِهـا
فَـمـن بَـلاكَ بِتَسْـهـيـدٍ وَتَـعْـذِيـبِ(٢)

٣ـ لاَ تَجْـزِنـي بِضَنَـىً بـي بَعْدَها بَقَـرٌ
تَجـزِي دُمُوعِـيَ مَسْكُوبـاً بِمَسْكُـوبِ(٣)

٤ـ سَـوَائِـرٌ رُبَّـمـا سَـارَت هَـوادِجُـهـا
مَـنـيـعـةً بـيـن مَطْعُونٍ وَمَضْـرُوبِ(٤)

٥ـ وَرُبَّـمـا وَخَدَتْ أيـدي المطـيِّ بها
عَـلى نَجـيـعٍ مـن الفُـرْسـانِ مَصْبُـوبِ(٥)

٦ـ كَـمْ زَوْرَةٍ لـك فـي الأعْـرابِ خَـافيـةٍ
أدْهَـى وَقَـدْ رَقَـدوا مِـنْ زَوْرَة الـذِّيبِ(٦)

---

١) الجآذر : جمع جؤذر، ولد البقرة الوحشية. والجلابيب : جمع جلباب. ما تلبسه المرأة فوق الثياب، والحمرة دليل الرفعة والشأن.

٢) يريد : أن كنت تسأل عن هوية هؤلاء النساء، فهن اللواتي ابتلينك بالسهر وعذاب القلب.

٣) الضنى : المرض الطويل. وأراد ببقر النساء. يريد : أدعو ألا يكافئنني على الضنى الذي بي ضنى مثله، كما جزينني على دموعي المنهمرة دموعاً مثلها.

٤) سوائر : سائرات. والهوادج : مراكب النساء. يريد أنهن يسرن في مواكب منيعة، وعلى جانبي الطريق المطعون والمضروب.

٥) الوخد والوخيد : ضرب من السير السريع. والمطيّ: جمع مطية، الركوبة. والنجيع : الدم. يريد : أن أيدي الابل التي يركبنها، تعبر بسرعة على دماء الفرسان.

٦) يخاطب نفسه: كم من زيارة خفية قمت بها، وقد نام القوم، أدهى من زيارة الذئب.

٧ـ أَزُورُهُـمْ وَسَـوادُ اللَّـيْـلِ يَشْفَعُ بـي
وأَنْشـنـي وَبَـيـاضُ الصُّبْـحِ يُـغـري بـي(٧)

٨ـ قَـدْ وافقـوا الوحشَ في سُكْنى مَراتِعِها
وَخَـالَـفُـوهـا بِـتَـقْـويـضٍ وتَطنيـبِ(٨)

٩ـ جِيـرانُـهـا وَهُـمُ شَرُّ الجِوارِ لَـهـا
وَصَحْـبُـهـا وَهُـمُ شَـرُّ الأَصـاحـيـبِ(٩)

١٠ـ فُـؤادُ كـلُّ مُحِبٍّ فـي بُيـوتِـهِـمِ
وَمَـالُ كُـلِّ أَخيـذِ الـمَـالِ مَـحْرُوب(١٠)

١١ـ مَـا أَوْجُـه الحَضَـر المُسْتَحْسَناتِ بِهِ
كَـأَوْجُـه الـبَـدَويّـاتِ الـرَّعـابِـيـبِ(١١)

١٢ـ حُسْـن الحَضَـارَة مَجْلُـوبٌ بِتَطْـرِيـةٍ
وفـي الـبَـداوَةِ حُسْـنٌ غَـيْـرُ مجلوب(١٢)

---

٧) يريد : أنه عندما يزورهم : يحميه ظلام الليل. وعندما يغادرهم ، يكون الصبح قد طلع، وهو ما يهدد بكشفه، ولذلك قال : ان بياض الصبح يغري به.

٨) التقويض : الهدم. والتطنيب، شد الأطناب، أي نصب الخيام، يريد : انهم يشبهون الوحوش في العيش بالبراري، لأنهم يسكنون مراتعها، ويختلفون عنها بأنهم معنيون بنصب الخيام وتقويضها.

٩) يريد : أن الأعراب جيران الوحوش، ولكنهم لا يحافظون على الجوار، لأنهم يصيدونها، وهم اصحابها، ولكنهم شر الأصحاب، لأنهم يعيشون بينها ويقتلونها.

١٠) أخيذ : مأخوذ : والمحروب : الذي أخذ حريبه، أي ماله، أي نساؤهم يسبين الأفندة، ورجالهم يسبون الأموال.

١١) الرعابيب : جمع رَعبوبة، المرأة البيضاء الممتلئة الجسم. والحضر : سكان المدن، خلاف البدو.

١٢) التطرية : التربية. يريد : حسن الحضارة متكلف، وحسن البداوة أصيل، لا يأتي بالصنعة.

١٣ـ أيــنَ المَعيــزُ مــن الآرامِ نــاظِـرةً
وَغَـيــرَ نـاظـرةٍ بـالحُسـن والطَـيـبِ(١٣)

١٤ـ أفـدي ظِبـاءَ فَـلاةٍ مَـا عَـرَفْـنَ بها
مَضْـغَ الكَـلامِ ولاَ صبْـغَ الحَـواجِيبِ(١٤)

١٥ـ وَلاَ بَـرَزْنَ مِـنَ الحَـمّـامِ مَـائِـلـةً
أَوْرَاكُـهُـنَّ صَـقـيـلاتِ العَـراقِيـبِ(١٥)

١٦ـ ومِـنْ هـوى كُـلِّ مَـنْ لَيْسَت مُمَوَّهَةً
تَـركْـتُ لَـوْنَ مَشيبي غـيـرَ مَخْـضُوبِ(١٦)

١٧ـ ومِـنْ هـوى الصِّـدْقِ في قَـوْلي وَعَادَتِهِ
رَغِـبْـتُ عَـنْ شَـعَـرٍ فـي الوَجْه مَكْذُوب(١٧)

١٨ـ لَـيْـتَ الحَـوادِثَ بَـاعَتْني الذي أَخَذَتْ
مِـنّـي بِحِـلْـمـي الـذي أَعْطَتْ وَتَجْرِيبي(١٨)

١٩ـ فَـمـا الحَـدَاثَـةُ مِـن حِـلْـم بمانِعَـةٍ
قَـدْ يوجـد الحِلْمُ في الشُبّـانِ والشّيبِ(١٩)

---

١٣) المعيز : جمع معزى، والآرام : جمع رئم. يريد : أن الحضريات كالمعيز، وهي حضرية، والبدويات كالآرام، وهي تعيش في البرية. وهو يرى أن البدويات افضل في كل الحالات مقبلة ومعرضة.

١٤) الحواجيب : الحواجب . يريد : أفدي ظباء الفلاة، يقصد البدويات اللواتي لم يتعلمن بها مضغ الكلام، أي عدم ابانته، ولا صبغ الحواجب.

١٥) مائلة : أي شاخصة، وروي مائلة، والأول أرجح. والعراقيب : جمع عرقوب، وهو العصب الغليظ، فوق عقب الرجل، يريد : ان البدويات لسن كالحضريات، يخرجن من الحمام، أوراكهن بارزة، نتيجة شد خصورهن، وعراقيبهن صقيلة، بسبب نزع الشعر.

١٦) المموّه : المطلي بطلاء، وفي الأصل الذهب والفضة، ثم استعمل فيما عداه، وفيما يدل على التزوير والتغطية، يريد : أنني، حباً بكل امرأة طبيعية، لم تتبرج، تركت لون شيبي بلا أصباغ.

أود من الأيام ما لا توده

وقال، من قصيدة، يمدح بها كافورَ، في ذي الحجة سنة ٣٤٦، والقصيدة من ثمانية وأربعين بيتاً. وقد اخترنا منها الأبيات : ١ ـ ١٦، وهي *:

---

* المعري : ج ـ ٤، ص ـ ٥٨، ق ـ ٢٤٧.

والعكبري : ج ـ ٢، ص ـ ١٩، ق ـ ٨٤.

والديوان: ص ـ ٤٥٣ .

١ـ أوَدُّ مِـنَ الأيّـامِ مَـا لا تَـوَدّهُ ... وَأشكُـو إلَـيْـهَـا بَيْنَنَا وَهيَ جُندهُ(١)

٢ـ يُبَاعِـدْنَ حِبّـاً يَجْتَمِعـنَ وَوَصْلُـهُ ... فَكَيْـفَ بحِـبٍّ يَجْتَمِعـنَ وَصَـدّهُ(٢)

٣ـ أبـى خُلُـقُ الـدّنْيَـا حَبِيباً تُدِيمُهُ ... فَـمَـا طَلَبـي مِنهَـا حَبِيباً تَـرُدّهُ(٣)

٤ـ وَأسـرَعُ مَفْعُـولٍ فَعَلْـتَ تَغَيُّـراً ... تَكَلُّـفُ شـيءٍ فـي طِبَـاعِـكَ ضِـدّهُ(٤)

٥ـ رَعَـى اللّـهُ عِيسـاً فارَقَتْنَا وَفَوْقَهَا ... مَـهـاً كُلُّهَـا يُـولـى بجَفْنَيـهِ خَـدّهُ(٥)

٦ـ بـوَادٍ بـهِ مَـا بالقُلُـوبِ كَأنّـهُ ... وَقَـد رَحَـلُـوا جِيـدٌ تَنَاثَـرَ عِقـدُهُ(٦)

٧ـ إذا سَـارَتِ الأحـدَاجُ فَـوْقَ نَبَاتِـهِ ... تَـفَـاوَحَ مِسـكُ الغَـانِيَـاتِ وَرَنْـدُهُ(٧)

٨ـ وَحَـالٍ كإحـداهُـنّ رُمـتُ بُلُوغَهَـا ... وَمِـنْ دُونِهـا غَـوْلُ الطـرِيـقِ وَبُعـدُهُ(٨)

٩ـ وَأتـعَـبُ خَلْـقِ اللّـهِ مَـنْ زَادَ هَمُّـهُ ... وَقَـصّـرَ عَمّـا تَشتَهـي النفسُ وَجدُهُ(٩)

---

١) البين : الفراق. يريد : انه يود من الأيام ما لا تريده، ويشكو لها الفراق بينه وبين أحبابه، وهي أي الأيام، قوة الفراق.

٢) الحِب : المحبوب. يقول : ان الأيام يبعدن حبيباً التقت مع وصاله، فكيف اذا اجتمعت بصدوده؟.

٣) يريد : ان عادات الدنيا ألا تديم وصل حبيب، فكيف أطلب منها اعادة حبيب هاجر.

٤) يريد : ان أسرع ما يتغير مما تفعل، ان تتكلف شيئاً في طباعك ما هو ضده.

٥) العيس : الابل. والمها : بقر الوحش. والولي : المطر الثاني، بعد الوسمي. يقول : حفظ الله ابلاً فارقتنا وهي تحمل نساءً كلهن تسيل الدموع فوق خدودهن للمرة الثانية.

٦) الجيد : العنق، يريد : ان الأحباب كانوا بواد، وكان يحفل بهم، كما كانت القلوب تحفل بحبهم، ولكنه منذ رحلوا أصبح كالعنق الذي انفرط عقده.

٧) الأحداج : جمع حِدْج، مركب للنساء، والرند : الآس. يريد : اذا سارت مراكب النساء الحبيبات فاح طيبهن، وطيب الرند في الوادي.

٨) غوْل الطريق : أي بعد المسافة، وهو ما يغول. وبُعْدُه : أي هلاكه، ومن هنا جاءت يا بُعْدَك. ويقول : ورب حال، مثل احدى هؤلاء النساء، أردت بلوغها، وكان دونها الهلاك.

٩) الوجد : الغنى. يريد : ان أتعب الناس من علت همته، ولم يكن يملك من المال ما يحقق به شهوة نفسه.

١٠ـ فـلا يَنحَلِلْ في المَجدِ مالُكَ كلّـهُ فيَنحَـلَّ مجْـدٌ كـانَ بالمـالِ عَقـدُهُ(١٠)

١١ـ وَدَبّـرْهُ تَـدْبيـرَ الـذي المَجدُ كَفُّهُ إذا حَـارَبَ الأعـداءَ وَالمـالُ زَنْـدُهُ(١١)

١٢ـ فَلا مَجدَ في الدنْيَا لمَنْ قَلّ مَالُـهُ وَلا مـالَ فـي الدنيَـا لـمَـنْ قـلّ مَجدُهُ

١٣ـ وَفي النّاسِ مَن يرْضَى بميسورِ عيشهِ وَمَـرْكُـوبُـه رِجـلاهُ والثّـوْبُ جلـدُهُ

١٤ـ وَلكِـنّ قَلْبـاً بَيـنَ جَنْبَـيّ مَا لَـهُ مَـدى يَنْتَهـي بـي فـي مُـرَادٍ أحُـدُّهُ

١٥ـ يَـرَى جِسْمَـهُ يُكسَـي شُفوفاً تَرُبّهُ فيَخـتَـارُ أنْ يُـكسَـى دُرُوعـاً تهُدّهُ(١٢)

١٦ـ يُكَلّفُنـي التّهجِيـرَ فـي كُـلّ مَهْمَهٍ عَـليـقـي مَـرَاعِيـهِ وَزَادِيَ رُبْـدُهُ(١٣)

---

١٠) يريد: لا تصرف مالك كله من اجل المجد، لأن ذلك يسقط مجدك الذي عقد لك بالمال. ولا ينحللْ أي لا ينحلَّ .

١١) يريد : اهتم بموضوع المال، على أن تعتبر أن الذي يكون المجد كفّه، يكون المال زنده.

١٢) الشفوف : جمع شف. الثوب الرقيق.

١٣) التهجير : السير في حرارة الظهيرة. مهمه : مفازة. والعليق : ما يعلق للدابة لتأكله. ورُبْد : جمع ربداء، وأربد وأراد النعام، وسميت كذلك لسواد لونها.

بم التعلل لا أهل ولا وطن

وبلغ أبا الطيب أن قوماً نعوه في مجلس سيف الدولة، وكانت أحواله تسوء في مصر، بسبب امتناع كافُور عن اعطائه ولاية او ضيعة، لأنه يخشى توليته. ولأن مصر كانت تضطرب امام هجمات الفاطميين والانتفاضات الشعبية المؤيدة لهم، أو التي تتصارع من أجل الوصول الى السلطة.

ونعيه في مجلس سيف الدولة، يعني أن سيف الدولة كان ما زال معنياً به، ولذلك أراد أن ينفي عن نفسه الظن، ويؤكد أنه ما زال ينتظر وعد كافور. فقال هذه القصيدة، ولم ينشدها أمام كافور*.

---

* المعري : ج ـ ٤، ص ـ ١١٥، ق ـ ٢٥٤.

والعكبري : ج ـ ٤، ص ـ ٢٣٣، ق ـ ٢٧٣.

والديوان: ص ـ ٤٧١ .

_ ١ _

١ـ بِمَ التعللُ لا أهْلٌ ولاَ وطَنُ ولا نَديمٌ ولاَ كأسٌ ولاَ سكَنُ

٢ـ أريدُ منَ زَمني ذا أنْ يُبَلِّغَني ما ليسَ يَبْلُغُه من نَفْسِه الزَمَنُ(١)

٣ـ لا تلقَ دَهْرَكَ إلاّ غَيرَ مُكْترثٍ ما دامَ يَصْحَبُ فيهِ روحَكِ البَدَنُ

٤ـ فَما يُديم سرورٌ ما سُررتَ بهِ ولا يردُّ عليكَ الفائتَ الحَزَنُ(٢)

٥ـ مِما أضَر بأهل العِشْقِ انَّهُمُ هَووا وماَ عَرفوا الدُنيا وما فَطِنوا

٦ـ تَفنى عُيونُهمُ دَمْعاً وأنفُسُهم في إثْر كلِّ قبيح وَجْهُهُ حَسَنُ

٧ـ تَحَمَّلوا حَمَلَتْكُم كلُ ناجيةٍ فَكلُ بَيْنٍ عَليَّ اليومَ مُؤْتَمَنُ(٣)

٨ـ مافي هَوادِجِكُم من مُهْجَتي عوضُ إن مُتَّ شَوْقاً ولا فِيها لها ثَمَنُ(٤)

_ ٢ _

٩ـ يا مَنْ نُعيتُ على بُعْدٍ بمجلِسِه كلُّ بِما زَعَم الناعونَ مُرتَهَنُ

١٠ـ كَمْ قَدْ قُتلتُ وكم قَد مِتُّ عِنْدَكُمُ ثمّ انتفضتُ فزالَ القَبْرُ والكَفَنُ

١١ـ قَدْ كانَ شاهدَ دَفْني قَبْلَ قَوْلِهِمُ جماعةٌ ثَّم ماتوا قَبْلَ مَنْ دَفِنوا

١٢ـ مَا كلُّ مَا يَتمنى المرءُ يُدْرِكُه تَجْري الرياحُ بما لا تَشْتَهي السُفُنُ

---

١) اي أريد من الزمن ما لا يستطيعه.

٢) يُديم : يبقي. ويعني ان السرور لا يبقي ما سررت من أجله، والحزن لا يعيد ما فات أو مضى.

٣) الناجية : الناقة السريعة. وتحملوا : ارحلوا. يقول : أيها الأحباب ارحلوا، لأني ادعو بأن تحملكم النياق السريعة. فلست أخشى الفراق، لأن الفراق كله بات مؤتمنا علي.

٤) الهوادج : محامل النساء : اي أن نفسي أغلى عليّ من النساء.

١٣ـ رأيتُكم لا يصونُ العِرْضَ جارُكُمُ ولا يَدُرُّ على مَرْعاكُم اللَبَنُ

١٤ـ جزاءُ كلِّ قريب مِنكُم مَلَلٌ وحظُّ كلِّ محبٍ مِنْكُمُ ضَغَنُ

١٥ـ وَتَغْضَبونَ عَلى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمْ حتّى يُعاقِبَه التَنْغيصُ والمِنَنُ(٥)

١٦ـ فَغادَرَ الهَجْرُ ما بَيني وبَينكُمُ يَهْماءُ تُكْذِبُ فيها العَيْنُ والأُذُنُ(٦)

١٧ـ تَحْبو الرواسمُ من بَعْدِ الرَسيمِ بِها وَتَسْألُ الأرضَ عن أخفافِها الثَّفِنُ(٧)

ـ ٣ ـ

١٨ـ إني أُصاحِبُ حِلْمي وهو بي كَرَمٌ ولا أصاحِبُ حلْمي وهو بي جُبُنُ

١٩ـ ولا أقيمُ على مالٍ أذلُّ بِهِ ولا ألُذُّ بما عِرْضي بِه دَرِنُ

٢٠ـ سهرتُ بَعْدَ رحيلي وَحْشةً لَكُمُ ثمْ استمرَّ مَريري وأرعوى الوَسَنْ(٨)

٢١ـ وانْ بُليتُ بودٍ مِثلِ وُدِّكُمُ فإنني بفراقٍ مِثلِه قَمِنُ(٩)

ـ ٤ ـ

٢٢ـ أبلى الأجلّةَ مُهْري عِنْدَ غَيرِكُمُ وبُدِّلَ العُذْرُ بالفُسطاطِ والرَسَنُ(١٠)

٢٣ـعندُ الهُمام أبي المِسْكِ الذي غَرِقَتْ في جودِه مُضُرُ الحمراءُ واليَمَنُ

٢٤ـ وإنْ تَأخَّرَ عَنّي بعضُ مَوْعِدِه فما تَأخرُ آمالي ولا تُهِنُ

٢٥ـ هُوَ الوفيُّ ولكني ذكرتُ لَهُ مَوَدةً فَهْو يَبْلوها ويَمْتَحِنُ

---

٥) الرفد : العطاء .

٦) يهماء : أرض لا يُهتدى فيها.

٧) الرواسم : الابل التي تمشي بسرعة. والرسيم سرعة السير. الثفن : الأجزاء التي تمس الأرض من البعير اذا برك.

٨) استمر مريري : قويت.

٩) قمن : جدير.

١٠) الاجلة : الاحلاس، العُذْر جمع عِذار، ما امتد من اللجام على خدي الفرس.

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا

كانت العلاقات تتدهور بين أبي الطيب وكافور، أواخر سنة ٣٤٧، أوائل سنة ٣٤٨.

وكان أبو الطيب في آخر قصيدة مدح بها كافور، قد أشار الى أنه يطلب ضيعة أو ولاية، وأنه قد ملّ الانتظار. (المعري : ج ـ ٤، ص ـ ١٠٠، ق ـ ٢٥٣، ب ـ ٤، و١٥ و٢٢ و٢٤).

ثم بلغ أبا الطيب أنه نعي في مجلس سيف الدولة، فكتب قصيدته «بم التعلل؟ لا أهل ولا وطن» (المعري : ج ـ ٤، ص ـ ١١٥، ق ـ ٢٥٤).

وكانت مصر في هذا الوقت تغلي بالانتفاضات الشيعية. وكانت العامة قد شغبت بالقاضي ابي عبدالله محمد بن عبدالله الخصيبي، كما ذكرنا، وكان ابو الطيب يعيش مخاطر تلك المرحلة.

وفي هذه الظروف قال هذه القصيدة التي تفيض بالتأمل، وترى كل شيء صغيراً، لا يستحق الصراع، لولا مخافة الهوان. والملاحظ أنه لم يؤرخها، ولم ينشدها في مجلس كافور*.

---

* المعري : ج ـ ٤، ص ـ ١٢٢، ق ـ ٢٥٥.

والعكبري : ج ـ ٤، ص ـ ٢٣٩، ق ـ ٢٧٤.

والديوان: ص ـ ٤٧٤ .

وقد تضمن القسم الأول من الكتاب دراسة للقصيدة.

١ـ صَحِبَ الناسُ قَبْلَنا ذا الزَمانا وعَناهم من شأنه ما عَنانا

٢ـ وتَولّوا بغصةٍ كُلّهم منهُ وإن سُرّ بعضُهم أحيانا

٣ـ رُبّما تُحْسِنُ الصنيعَ لَياليهِ ولكن تُكّدرُ الاحسانا

٤ـ وكأنّا لم يَرْضَ فينا بريب آلِ دهرٍ حتّى أعانَه من أعانا(١)

٥ـ كلّما أنبتَ الزمانُ قناةً ركَّبِ المَرءُ فِي القناة سِنانا(٢)

٦ـ وَمُرادُ النُفوسِ أصغرُ مِن أنْ نَتَعادَى فيهِ وأن نَتَفانى

٧ـ غيرَ أنّ الفتى يُلاقي المَنَايا كَالحاتٍ ولاَ يُلاقي الهَوانا

٨ـ وَلَو انّ الحياةَ تَبْقى لحيٍّ لَعَدونا أضلَّنا الشُجعانا

٩ـ وإذا لم يَكُنْ من الموتِ بُدّ فَمِن العجزِ أن تكونَ جَبانا

١٠ـ كلُّ ما لم يَكُنْ مِن الصَعْبِ في الأنفسِ سهلٌ فيهَا إذا هُوَ كانا(٣)

---

١) ريب الدهر : حوادثه : ويعني : أننا لم نكتف بحوادث الزمان، فأخذ بعضا يعين الزمان علينا.

٢) اي : ان الزمان ينبت القناة والانسان يركب فيها السنان ، فيصيرها رمحاً.

٣) كل ما كان يبدو صعباً في الانفس ولم يقع، فانه يصبح سهلاً عندما يقع.

وإن أمرض فما مرض اصطباري

وكان أبو الطيب ، قد شعر أنه أخفق في مصر، وان كافور يراقبه. والتزم بيته، فأحس بضيق شديد .

وفي هذا الوقت كانت تنتابه الحمى الراجعة، فتأتيه ليلاً، وتغرقه بالعرق. فاذا ما جاء الصباح غادرته منهكاً.

فقال هذه القصيدة، يوم الاثنين لأربع ليال بقين من ذي الحجة، سنة ثمان وأربعين وثلاث مائة، ٩٥٩م .

وقد انتشرت القصيدة في مصر ، وتليت على كافور، فاستاء كثيراً*.

---

* المعري : ج ـ ٣، ص ـ ١٣٤، ق ـ ٢٥٧.

العكبري : ج ـ ٤، ص ـ ١٤٢، ق ـ ٢٥٣.

والديوان: ص ـ ٤٨٢ .

ـ ١ ـ

١ـ مَلُومُكُمَا يَجِلُّ عَنِ المَلامِ وَوَقْعُ فَعالِهِ فَوْقَ الكَلامِ(١)

٢ـ ذَراني والفَلاةَ بِلا دَليلٍ وَوَجْهي والهَجيرَ بِلا لِثامِ(٢)

٣ـ فَإنّي أَسْتَريحُ بِذي وَهذا وَأَتْعَبُ بالأناخَةِ والمُقامِ(٣)

٤ـ عُيونُ رواحِلي إنْ حِرْتُ عَيْني وَكُلُّ بُغامِ رازِحَةٍ بُغامي(٤)

٥ـ فَقَدْ أَرِدُ المِياهَ بِغَيْرِ هادٍ سِوَى عَدْوي لَها بَرْقَ الغَمامِ(٥)

٦ـ يُذِمُّ لِمُهْجَتي رَبّي وَسَيْفي إذا احتاجَ الوَحيدُ إلى الذِّمامِ(٦)

ـ ٢ ـ

٧ـ وَلاَ أُمْسي لأَهْلِ البُخْلِ ضَيْفاً وَلَيْسَ قِرىً سِوى مُخِّ النَّعامِ(٧)

٨ـ وَلَمّا صارَ وُدُّ النّاسِ خِبّاً جَزَيْتُ عَلى ابتِسامٍ بابتِسامِ(٨)

---

١) يقول : يا صاحبيّ ان ملومكما، ويعني نفسه، لا يستحق الملام، وهو أجل من أن يلام، وأفعاله فوق الشبهات، أو أنه يريد أن آثار الملام اوقع من الكلام، لأنها جارحة.

٢) ذَراني : اتركاني، والهجير : شدة الحر. يريد : اتركاني في الفلاة بلا دليل، لأني لا أحتاج له، وأتركا وجهي في الحر الشديد دون لثام، فهو لا يخاف الضياع في الفلاة، ولا يخشى شدة الحر على وجهه.

٣) الإناخة : النزول. والمقام : الاقامة: يريد : أنه يستريح في قطع الفلاة، ومواجهة الحر بوجهه، وترهقه الراحة.

٤) الرواحل : النياق . والبغام : صوت الناقة عند التعب. والرازحة : الناقة التي أرهقها السير، فأقعدها، ثم قامت. يريد : انه ان حار في الطريق. فعيون رواحله تهديه، لأنها تعرف الطرق، وأصوات الرواحل الرازحة، هو صوته. ويرى ابن فورجة غير ذلك (ابن فورجة : ص ـ ٣١٧).

٥) يقول : أنه يعرف مواقع الغيث، من عد البرق. وكانت العرب تفعل ذلك، فاذا عدوا للسحاب سبعين برقة، وقيل مائة، عرفوا أنها ماطرة، وقصدوا مواقع الغيث.

٦) يذم : يعطي الذمة، أي العهد، يقول : اذا احتاج الوحيد الى الذمام، كنت في ذمة ربي وسيفي.

٧) يريد : لا أقبل ضيافة البخيل، حتى لو انقطع الزاد، لأن النعام لا مخ له. ويروى أيضاً مح النعام، أي مح بيض النعام، (اليازجي ـ ٥٢١).

٨) الخب : الخديعة.

٩ـ وَصِرْتُ أَشُكُّ فَيمَنْ أصْطَفيهِ لِعِلْمي أنَّهُ بَعْضُ الأنامِ(٩)

١٠ـ يُحِبُّ العَاقِلونَ عَلى التَّصافي وَحُبُّ الجَاهِلينَ عَلى الوَسامِ(١٠)

١١ـ وآنفُ مِنْ أخي لأبِيَ وأُمّي إذا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الكِرامِ

ـ ٣ ـ

١٢ـ أرى الأجْدادَ تَغْلِبُها كَثيراً عَلى الأوْلادِ أخلاقُ اللِّئامِ(١١)

١٣ـ وَلَسْتُ بِقانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْل بِأَنْ أُعْزَى إلى جَدٍّ هُمامِ(١٢)

١٤ـ عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدٌ وَحَدٌ وَيَنْبو نَبْوَةَ القَضِمِ الكَهامِ(١٣)

١٥ـ وَمَنْ يَجِد الطَّريقَ إلى المعالي فَلاَ يَذَرُ المِطِيَّ بِلا سَنامِ(١٤)

١٦ـ وَلَمْ أَرَ فِي عُيوبِ النَّاسِ شيئاً كَنَقْصِ القَادِرينَ عَلى التَمامِ(١٥)

---

٩) اصطفيه : اختاره. والأنام : الناس.

١٠) الوسام : الوسامة.

١١) يريد : انه يرى أن أخلاق اللؤم، تغلب على الأولاد، أي أن الأولاد ينتسبون للؤم، ولا ينتسبون لأجدادهم.

١٢) يريد : أنه لا يكتفي أن ينسب الى جد همام، لأنه يريد، كما افصح اكثر من مرة، أن يكون جديراً بهذا النسب. وفي هذه الاشارة ما يؤكد نسبه الذي أشرنا اليه في القسم الأول من الكتاب الأول.

١٣) قد : قامة. وحَدٌّ : قوة قطع كحد السيف. وينبو : لا يقطع. القَضِم: المتكسر. الكهام : الكليل.

١٤) يريد : أعجب ممن يجد الطريق الى المعالي، فلا يرهق أبله، حتى يذوب سنامها.

١٥) يروى : عيباً كما يروى : شيئاً (المعري : ج ـ ٣، ص ـ ١٣٩) .

١٧ـ أَقَمْتُ بِأَرْضَ مِصْرَ فَلاَ ورائي تَخَبّ بِيَ الرّكابُ ولا أمامي(١٦)
١٨ـ وَمَلَّني الفِراشُ وَكانَ جَنْبي يَمَلُّ لِقاءَهُ فِي كُلّ عامِ(١٧)
١٩ـ قَليلٌ عائِدي سَقِمٌ فُؤدي كَثيرٌ حاسِدي صَعْبٌ مَرامي(١٨)
٢٠ـ عَليلُ الجِسْمِ مُمْتَنِعُ القِيامِ شَديدُ السُكْر مِنْ غَيْرِ المُدام(١٩)

ـ ٥ ـ

٢١ـ وَزائِرتي كَأَنَّ بِها حَياءً فَليْسَ تَزورُ إلاّ فِي الظَّلامِ
٢٢ـ بَذَلْتُ لَها المَطارِفَ والحَشايا فَعافَتْها وَباتَتْ فِي عِظامي(٢٠)
٢٣ـ يَضيقُ الجِلْدُ عَنْ نَفْسيَ وَعَنْها فَتُوسِعُهُ بِأَنْواعِ السَّقامِ
٢٤ـ إذا مَا فارَقَتْني غَسَّلَتْني كأنّا عاكِفانِ عَلى حَرامِ(٢١)
٢٥ـ كَأَنَّ الصُّبْحَ يَطْرُدُها فَتَجْري مَدامِعُها بِأَرْبَعَةٍ سِجامِ(٢٢)
٢٦ـ أراقِبُ وَقْتَها مِنْ غَيْر شَوْقٍ مُراقَبَةَ المَشوقِ المُسْتَهامِ(٢٣)
٢٧ـ وَيَصْدُقُ وَعْدُها والصِّدْقُ شَرٌّ إذا أَلْقاكَ فِي الكُرَبِ العِظامِ(٢٤)

---

١٦) تخب : نوع من المشي، يريد : أنه أقام بمصر، فما سارت الابل خبباً وراءه أو أمامه. ويعني بذلك أنه كان لا يتمتع بحرية التنقل.
١٧) يريد : أنه قاعد نائم وكان ينام مرة في العام.
١٨) عاندي : زائري . يقول : إن عدد زواره قليل، وقلبه معتل. ورغم ذلك فان حساده كثر، وما يهدف اليه صعب.
١٩) المدام : الخمر.
٢٠) المطارف والحشايا: المطارف : جمع مُطرف: أردية من الخز. والحشايا : جمع حشية : الفراش.
٢١) عاكف على حرام : مقيم على حرام. ويريد : أن الحمى كانت تتركه وقد غسلته بعرق، وكأنه كان يزني.
٢٢) سجام : جارية. يريد : ان الدمع كان ينهمر من أربعة مَجارٍ.
٢٣) المستهام : الذي أخذه الهيام.
٢٤) الكرب : جمع كربة : المحنة.

ـ ٦ ـ

٢٨ـ أَبِنْتَ الدَّهْرِ عِنْدي كُلُّ بِنْت فَكَيْفَ وَصَلْتِ أنْتِ مِنَ الزِّحامِ
٢٩ـ جَرَحْتِ مُجَرَّحاً لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَكانٌ لِلسُّيوفِ وَلا السِّهامِ
٣٠ـ اَلا يَا لَيْتَ شِعْرَ يَدي أَتُمْسي تَصَرَّفُ فِي عِنَان أوْزِمامِ(٢٥)
٣١ـ وَهَلْ أَرْمِي هَوايَ بِراقِصاتٍ مُحَلاةٍ المَقاوِدِ بِاللُّغامِ(٢٦)
٣٢ـ فَرُبَّتَما شَفَيْتُ غَليلَ صَدْري بِسَيْرٍ أوْ قَناةٍ أوْ حُسامِ(٢٧)
٣٣ـ وَضاقَتْ خُطَّةٌ فَخَلَصْتُ مِنْها خَلاصَ الخَمْرِ مِنْ نَسْجِ الفَدامِ(٢٨)
٣٤ـ وَفارَقْتُ الحَبيبَ بِلا وَداعٍ وَوَدّعْتُ البِلادَ بِلا سَلام

ـ ٧ ـ

٣٥ـ يَقولُ لِي الطَّبيبُ أَكَلْتَ شَيْئاً وَداؤُكَ فِي شَرابِكَ والطَّعامِ
٣٦ـ وَما فِي طِبِّهِ أنّي جَوادٌ أضَرَّ بِجِسْمِهِ طُولُ الجَمامِ(٢٩)
٣٧ـ تَعَوَّدَ أنْ يُغَبَّرَ فِي السَّرايا وَيَدْخُلَ مِنْ قَتامٍ فِي قَتامِ(٣٠)
٣٨ـ فَأُمْسِكَ لاَ يُطَالُ لَهُ فَيَرْعَى وَلاَ هُوَ فِي العَليقِ ولاَ اللِّجامِ
٣٩ـ فَإنْ أمْرَضْ فَمَا مَرَضَ اصطِباري وإنْ أُحْمَمْ فَما حُمَّ اعتزامي

---

٢٥) العنان والزمام : الرسن : وهو هنا يتساءل ان كان سيصبح قادراً على قيادة خيله وابله.

٢٦) اللغام : الزبد الذي يخرج من فم البعير. والراقصات : الابل السريعة والمقاود : الأعنة.

٢٧) قناة : رمح. وحسام : سيف. وسير : أي المسير.

٢٨) نَسْج الفدام : خرقة تشد على الابريق، ليصفى الشراب. يريد : ورب حالة صعبت فخرجت منها، كما يخرج الخمر من مصفاته. وهو يعني بذلك أنه يخرج من الأزمة أصفى.

٢٩) الجمام : الراحة . والجواد : الحصان.

٣٠) السرايا : جمع سرية، وحدة من المقاتلين. ويغبر : أي يقع عليه الغبار. والقتام : الغبار.

٤٠ـ وإنْ أَسْلَمْ فَما أَبْقى وَلَكِنْ سَلِمْتُ مِنَ الحِمامِ إلى الحِمامِ

ـ ٨ ـ

٤١ـ تَمَتَّعْ مِن سُهادٍ أوْ رُقَادٍ وَلاَ تَأْمَلْ كِرىً تَحْتَ الرِّجامِ(٣١)

٤٢ـ فَإنَّ لِشالِثُ الحالينِ مَعْنىَ سوى مَعْنى انتِباهِك والمَنامِ(٣٢)

---

٣١) الرجام : جمع رجم القبر.

٣٢) يريد : ان الموت حالة ثالثة غير الصحو والنوم.

أما في هذه الدنيا كريم

وقال يهجو كافور*.

---

* المعري : ج ـ ٤، ص ـ ١٦٢، ق ـ ٢٦٠.

والعكبري : ج ـ ٢٤، ص ـ ١٥١، ق ـ ٢٥٥.

والديوان: ص ـ ٥٠٣.

١ـ أَمَـا فِـي هَـذِهِ الـدُّنْيَـا كَـرِيـمُ تَـزُولُ بِـهِ عَـنِ القَلْـبِ الهُمُـومُ
٢ـ أمَـا فـي هَـذِهِ الـدُّنْيَـا مَكَـانٌ يُسَـرّ بِـأَهْـلِـهِ الـجَـارُ المُـقِـيـمُ
٣ـ تَشَـابَـهَـتِ البَهَـائِـمُ وَالـعِـبْدَى عَـلَـيْـنَـا وَالـمَـوَالـي وَالصَّمِـيـم(١)
٤ـ وَمَـا أدْرِي أذَا دَاءٌ حَـدِيـثٌ أصَـابَ النَّـاسَ أمْ دَاءٌ قَـدِيـمُ
٥ـ حَصَلتُ بِـأَرْضِ مِصرَ عَلى عَبيدٍ كَـأنّ الحُـرّ بَـيْـنَـهُـمُ يَـتِـيـمُ
٦ـ كَـأنّ الأسْـوَدَ الـلابـيّ فِـيـهِـمْ غُـرَابٌ حَـوْلَـهُ رَخَـمٌ وَبُـومُ(٢)
٧ـ أخَـذْتُ بِـمَـدْحِـهِ فَـرَأيْـتُ لَهْـواً مَـقَـالـي لِـلأُحَـيْـمِـقِ يَـا حَلِيـمُ
٨ـ وَلَـمّـا أنْ هَجَـوْتُ رَأيـتُ عِـيّـاً مَـقَـالـيَ لابـنِ آوَى يَـا لَـئِـيـمُ(٣)
٩ـ فَهَـل مْـن عَـاذِرٍ فـي ذَا وَفـي ذَا فَـمَـدْفُـوعٌ الـى السَّقَـمِ السَّقِـيـمُ
١٠ـ إذا أتَـتِ الإسَـاءَةُ مـن وَضِيـعٍ وَلَـم أُلَـمِ المُسِـيءَ فَـمَـنْ أُلُـومُ

---

١) العبَدى: العبيد ، جمع عبد. والموالي : الذين كانوا عبيداً، ثم ألحقوا بسادتهم. والصميم : الحر الخالص.

٢) اللابي : نسبة الى اللابة، الحجارة السوداء. أو الى اللاب ، بلدة في النوبة (اليازجي، ص ٥٤٥). الرخم طائر. والبوم : طائر معروف.

٣) ابن اوى : الثعلب.

عيد بأية حال عدت يا عيد

كانت العلاقات بين أبي الطيب وكافور تتدهور. وكان كافور يتطلع الى مدائح جديدة، ويطالب أبا الطيب بها. فقال أبو الطيب، في شوال سنة تسع وأربعين وثلاث مائة قصيدته :

منىً كنَّ لي ان البياض خضابُ

فيخفى بتبييض القرون شبابُ

(المعري : ج ـ ٤، ص ـ ١٤٦، ق ـ ٢٥٨).

وأشار أبو الطيب في هذه القصيدة أنه يطلب من كافور الود، ولا شيء غيره. ولكن الأمور لم تتحسن، ولذلك هجا أبو الطيب كافور، بعد القاء القصيدة المشار اليها أعلاه بقصيدته :

من أية الطرق يأتي مثلك الكرم

ابن المحاجم يا كافور والجَلَمُ

(المعري ك ج ـ ٤، ص ـ ١٥٩، ق ـ ٢٥٩). ثم هجاه مرة وأخرى. (المعري : ج ـ ٤، ص ـ ١٦٢، ق ـ ٢٦٠، وص ـ ١٦٥. ق ـ ٢٦١).

وحاول أبو الطيب أن يكتشف موقف كافور، فطلب منه السماح له بالسفر الى الرملة، ليحصّل مالاً له بها، فأجابه كافور : «لا والله ـ أطال الله بقاك ـ لا نكلفك المسير لتنجز مالك، ولكنا ننفذ رسولاً قاصداً يقبضه، ويأتيك به في أسرع وقت» (المعري : ج ـ ٤، ص ـ ١٦٦، ق ـ ٢٦٢). فهجاه أبو الطيب، بأبيات من الشعر بالقصيدة المشار اليها. ونوى أبو الطيب أن يرحل. ولذلك قاطع مجلس كافور مدة عام، وان كان أبو الطيب يسير مع كافور في الموكب. وأعد أبو الطيب العدة للفرار، وأخفى ما يريد أن يحمله، دون أن يعلم أحد من غلمانه، ودفن

الرماح في الرمال، وحمل من الماء ما يكفي لمسيرة عشر ليال، وتزود لعشرين، وسار. وكان قد قال القصيدة التالية، يوم عرفة من سنة خمسين وثلاث مائة، قبل فراره بيوم. وفي صبيحة يوم العيد خرج*:

---

* المعري : ج ـ ٤، ص ـ ١٦٧ ، ق ـ ٢٦٣).

العكبري : ج ـ ٢، ص ـ ٣٩٠، ق ـ ٨٦.

والديوان: ص ـ ٥٠٦.

والبديعي : ص ١٢٣ ـ ١٢٤.

ـ ١ ـ

١ـ عِيْدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَا عيدُ ... بِما مَضَى أمْ لِأمْرٍ فَيكَ تَجْديدُ

٢ـ أمّا الأحبةُ فالبيداءُ دُونَهُمُ ... فَلَيْتَ دُونَك بيداً دُونَها بِيدُ(١)

٣ـ لَوْلا العُلى لَمْ تَجُبْ بِي مَا أجوبَ بِها ... وَجْناءُ حَرْفٌ وَلا جَرْداءُ قَيدودُ(٢)

٤ـ وَكانَ أطْيَبَ مِنْ سَيْفي مُعانقةً ... أشباهُ رَوْنَقِهِ الغيدُ الأماليدُ(٣)

ـ ٢ ـ

٥ـ لَمَ يَتْرُكِ الدَّهْرُ مِن قَلْبيَ ولاَ كَبِدي ... شَيئاً تُتَيِّمُهُ عَيْنٌ وَلاَ جِيدُ(٤)

٦ـ يَا سَاقِيَيَّ أَخَمْرٌ فِي كُؤوسِكُما ... أمْ فِي كُؤوسِكُما هَمٌ وَتَسْهِيدُ

٧ـ أَصَخْرَةٌ أنا مالِي لاَ تُحَرِّكُني ... هَذي المُدامُ وَلا هَذي الأغاريدُ(٥)

٨ـ إذا أَرَدْتُ كُمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً ... وَجَدْتُها وَحَبيبُ النَّفْسَ مَفْقُودُ(٦)

٩ـ مَاذا لَقيتُ مِن الدُّنيا وأعجبُها ... أنّي بِما أنا شَاكٍ مِنْهُ مَحْسُودُ

١٠ـ أَمْسيْتُ أرْوَحَ مُثْرٍ خَازِناً وَيَداً ... أنا الغِنيُّ وَأموالي المَواعيدُ(٧)

---

١) البيداء : وجمعها بيد الفلاة الواسعة .

٢) جاب : قطع. والوجناء : الناقة ذات الوجنات. والجرداء : صفة للخيل. وهي القصيرة الشعر. والقيدود : الطويلة.

٣) الغيد : جمع غيداء، الحسنة العنق. والأماليد : جمع أملود، وهي اللينة الأعطاف الرخصة الناعمة. ويروى مضاجعة، بدلاً من معانقة (المعري : ج ـ ٤، ص ـ ١٦٩، ب ـ ٤).

٤) الجيد : العنق.

٥) المدام : الخمرة : والأغاريد : جمع أغرودة، الأغنية .

٦) كميت اللون : أحمر فيه سواد، ويريد الخمرة.

٧) يريد : أنه أمسى أكثر الأغنياء راحة، لأنه لا يملك شيئاً، ولأن أمواله مجرد مواعيد.

١١ـ إنّـيَ نَـزَلْـتُ بِكَـذّابيـنِ ضَيْفُهُـمُ عِـن القِـرى وَعَـن التّـرحـالِ مَحْدودُ(٨)

١٢ـ جَـودُ الـرّجـال مِن الأيْدي وجُودُهُـمُ مِـن اللّسَـان فَـلا كَـانـوا ولاَ الجُـودُ

١٣ـ مَا يَقْبِضُ المَوْتُ نَفْساً مِنْ نُفوسِهِمُ إلا وفـي يَـدِهِ مِـنْ نَتْـنِهـا عُـودُ(٩)

١٤ـ أكُلَّـما اغـتَـال عَـبْـد السُّوءِ سَيِّدَهُ أوْ خَـانَـه فَـلَـهُ فِي مِصْـرَ تَمْهِيـدُ

١٥ـ صَـارَ الخصـيُّ إمـامَ الآبقيـنَ بِها فَـالحُـرّ مَسْتَعْبَـدٌ والعَبْـدُ مَعْبُـودُ(١٠)

١٧ـ نَامَتَ نواطيرُ مِصْرٍ عَـنْ ثَعالِبِهـا فَقَـدْ بَشِمْـنَ وَمَـا تَفْنـى العناقيـدُ(١١)

١٨ـ ألْعَـبْـدُ لَيْـسَ لحُـرٍّ صَـالِحٍ بِـأخٍ لَـوْ أنَّـهُ فِي ثَـيـابِ الحُـرِّ مَـوْلُودُ

١٩ـ لاَ تَشْتَرِ العَبْـدِ إلاّ والعَصَـا مَعَـهُ إنَّ العَـبِـيـدَ لأنْـجـاسٌ مَـنـاكِـيـدُ

٢٠ـ مَـا كُنْـتُ أحْسَبَنـي أحْيَا إلى زَمَنٍ يَسـيءَ لـي فِيـهِ عَبْـدٌ وَهْـوُ مَحْمودُ

٢١ـ وَلاَ تَـوهَّمْـتُ أنَّ النَّـاسَ قَد فُقِدُوا وأنَّ مِـثْـلَ أبـي البَيْـضـاءِ مَوْجـودُ

٢٢ـ وَأنَّ ذَا الأسْـوَدَ المَـثْـقُـوبَ مِشْفَرُهُ تُطيـعُـهُ ذِي العَضَـاريـطُ الرَّعـاديدُ(١٢)

٢٣ـ جُوعانُ يَأكُلُ مِنْ زَادِي وَيُمْسِكُنـي لِكَـي يُقـالَ عَظيـمُ القَـدْرِ مَقْصـودُ

٢٤ـ إنَّ امـرأً أمَـةٌ حُبْـلى تُـدَبِّـرُهُ لَمُسْتَضـامٌ سَخيـنُ العـنيـنِ مَفْقُودُ

٢٥ـ وَيْـلُـمِّـهـا خِـطَـةً وَيْـلُـمِّ قَابِلِهـا لِمِثْـلِهـا خُلِـقَ المَهْـرِيَـةُ القَـودُ(١٣)

٢٦ـ وَعِنْدَهـا لَـذَّ طَعْـمَ المـوتِ شَارِبُـهُ إنَّ المَـنِّـيَـةَ عِـنْـدُ الـذُلِّ قِـنْـدِيـدُ(١٤)

---

٨) القرى : الضيافة. يريد : أن ضيفهم لا تقدم له واجبات الضيافة، ولا يسمح له بالسفر.

٩) يريد : ان نفوس هؤلاء العبيد منتنة، ولذلك لا يمسها الموت، الا وفي يده عود ليحملها.

١٠) الآبق : العبد الهارب من سيده.

١١) بشم : أتخم.

١٢) مِشفر: يعني شفة. العضاريط، جمع عضروط : التابع والخادم. والرعاديد، جمع رعديد: الجبان.

١٣) ويلهما : ويل لأمها، المهرية : ابل منسوبة الى مهرة، والقود : الطويلة الأعناق.

١٤) قنديد : الخمر المطيب.

٢٧ـ مَنْ عَلَّمَ الأَسْوَدَ المَخْصِيَّ مُكْرُمَةً أَقَوْمُهُ البيضُ أمْ آباؤُه الصِّيدُ(١٥)

٢٨ـ أَمْ أُذْنُهُ فِي يَدِ النَّخاسِ دَامِيَةً أَمْ قَدْرُهُ وَهْوَ بالفِلْسَينِ مَردودُ

٢٩ـ أوْلَى اللِّئامِ كَوَيفِيرٌ بِمَعْذِرَةٍ فِي كُلِّ لَوْمٍ وَبَعْضُ العُذْرِ تَفْنِيدُ

٣٠ـ وذاكَ أنَّ الفَحولَ البيضَ عَاجِزَةٌ عَنِ الجَمِيلِ فَكَيْفَ الخصيةُ السُّودُ

---

١٥) الصيد : السادة.

وأني وفيت وأني أبيت

فرّ أبو الطيب من مصر، وعبر سيناء، الى العراق، وقد سجل في قصيدته، التي نقدمها، الأماكن التي مَرّ بها، في الطريق. ووصل الكوفة، في صبيحة أحد أيام ربيع الأول، ٣٥١ ـ ٩٦٩.

وقد احتاجت الرحلة الى حوالى ثلاثة أشهر.

وقال عندما دخل الكوفة*:

---

* المعري : ج ـ ٤، ص ـ ١٩٠ ق ـ ٢٦٩.

العكبري : ج ـ ١، ص ـ ٣٦، ق ـ ٧.

والديوان: ص ـ ٥٠٩.

- ١ -

١ـ أَلاَ كُلُّ مَاشِيَةِ الخَيْزَلَى فِدى كُلِّ مَاشِيَةِ الهَيْدَبَى(١)

٢ـ وَكُلِّ نَجَاةٍ بَجاوِيَّةٍ خَنُوفٍ ومَا بِيَ حُسْن المِشَى(٢)

٣ـ وَلَكِنَّهُنَّ حِبالُ الحَيَاةِ وَكَيْدُ العُداةِ وَمَيْطُ الأذى(٣)

٤ـ ضَرَبْتُ بِها التيهَ ضَرْبَ القِما رِ إمّا لِهذا وإمّا لِذا

٥ـ إذَا فَزِعَتْ قَدِمَتْها الجيادُ وَبيضُ السُّيوفِ وَسُمْر القَنا(٤)

٦ـ فَمَرَّتْ بِنَخْلٍ وَفي رَكْبِها عَلى العَالَمينَ وَعَنْهُ غِنى(٥)

٧ـ وَأَمْسَتْ تُخَيِّرُنا بالنِّقا بِ وَادي المياهِ وَوَادي القُرَى(٦)

٨ـ وَقُلْنَا لَها أيْنَ أرضُ العِرَاقِ فَقَالَتْ وَنَحْنُ بِتُرْبَانَ هَا(٧)

---

١) الخيزلى : مشية النساء، وفيها تثنٍ. والهيدبى، مشية الابل، وفيها سرعة.

٢) نجاة : سريعة. بجاوية : منسوبة الى قبيلة بجاوة، من البربر، (ياقوت : ج ـ ١، ص ـ ٣٣٩)، وهي نوق يطاردون عليها في الحرب. والخنوف : التي تميل يدها في سيرها. والمشى : جمع مشية. يريد : أنه يعجب بمشية هذه الابل، ولا يعجب بحسن مشي النساء.

٣) ميط : الدفع ، يريد : ان الابل حبال الحياة، لأن الانسان ينجو بها، وهي وسيلة كيد الأعداء، ودفع البلية.

٤) فزعت : خافت. وقدمتها : تقدمتها. والجياد : الخيل.

٥) نخل : ماء. يريد : انهم مروا بنخل، ولم يكونوا بحاجة اليه، وهو في شمالي سيناء. (بلاشير : ص ـ ٣٨٣).

٦) النقاب : موضع على الجانب الغربي لوادي عربة. وهناك مفترق طريقين، تقود الأولى نحو وادي المياه، في الجنوب الغربي للميادين على الفرات، والثانية : نحو الجنوب والمدينة المنورة.

٧) تربان : موضع على الجانب الشرقي من وادي عربة.

٩ـ وَهَبَّتْ بِحِسْمَى هُبُوبَ الدَّبُو رِ مُسْتَقْبِلاتٍ مَهَبَّ الصبا(٨)

١٠ـ رَوَامِي الكِفَافِ وَكَبْدِ الوِهَادِ وَجَارِ البُوبرةِ وَادي الغَضَى(٩)

١١ـ وَجَابَتْ بُسَيْطَةَ جَوْبَ الرِّدا ءِ بَيْنَ النَّعامِ وَبَيْنَ المَهى(١٠)

١٢ـ إلى عُقْدةِ الجَوْفِ حَتّى شَفَتْ بِماءِ الجُراوِيِّ بَعْضَ الصَّدى(١١)

١٣ـ وَلاَحَ لَهَا صَوَرٌ والصَّباحُ وَلاَح الشُّغُوُر لَهَا والضُّحى(١٢)

١٤ـ وَمَسّى الجُمِيعَّي دَنْدَاؤُها وَغَادى الأَضَارِعَ ثُمَ الدَّنَا(١٣)

١٥ـ فَيَالَكَ لَيْلاً عَلى أَعْكَشٍ أَحَمَّ البلادِ خَفِيِّ الصُّوَى(١٤)

---

٨) حِسْمى : هي اليوم (حُسْمى) وهي هضبة، تمتد من الشمال الغربي من تبوك، الى جنوب وادي عربة (بلاشير : ص ـ ٣٨٤). والدبور : الريح التي تأتي من الغرب، وقيل : التي تستدبر القبلة، والصبا : الريح القادمة من المشرق. وقيل : الدبور التي تستدبر القبلة، والصبا التي تستقبلها (ابن جني : الفسر ، ١، ص ـ ١٣١). وهذا يعني أنه اتجه من الغرب الى الشرق.

٩) روامي : قواصد : والكفاف موضع، تدعى اليوم الكفوف، قرب وادي القرى. والكبد : يدعى اليوم مشاش الكبد، موضع في سماوة كلب، يقع شرقي سكة الحديد الحالية، نحو الدرجة الثلاثين من خط العرض.

١٠) جابت : قطعت، وجوب الرداء كما تقطع الثوب. وبسيطة : موضع في البادية بين الشام والعراق، وتسمى اليوم البسيطة. لأنها أرض مستوية، (بلاشير ص ـ ٣٨٤) و(ياقوت : ج ـ ١، ص ـ ٤٢٣).

١١) عقدة الجوف : موضع، والجراوي : ماء في وادي السرحان، شمال غربي الجوف (بلاشير : ص ـ ٣٨٤). والصدى : العطش.

١٢) صَوَرٌ : ماء. ويروى : صورى (ابن جني: الفسر، ١/١٣٢). والشغور : موضع أيضاً، وقيل : «اذا وردت الشغور أعرقت» (ابن جني ج ـ ١، ص ١ ـ ١٣٢).

١٣) الجميعي : موضع، وتسمى اليوم مشاش الجميعي. والأضارع (ياقوت : ج ـ ١، ص ـ ٢١٤) والدنا موضعان. ودنداؤها : مشي أرفع من الخبب، يريد : أنهم بلغوا الجميعيّ مساء، ووصلوا الأضارع غدوة.

١٤) أعكش : موضع قرب الكوفة، اسمه اليوم عكاش (بلا شير: ص ـ ٣٨٥) وأحم : اسود، والصوى : جمع صوة، الاشارات التي تنصب على الطرق.

١٦ـ وَرَدْنَا الرُّهَيْمَةَ فِي جَوْزِهِ وَبَاقِيهِ أَكْثَرُ مِمَّا مَضَى(١٥)

ـ ٣ ـ

١٧ـ فَلَمَّا أَنَخْنَا رَكَزْنَا الرِّمَا حَ بَيْنَ مَكَارِمِنَا والعُلَى
١٨ـ وبِتْنَا نُقَبِّلُ أَسْيَافَنَا وَنَمْسَحُهَا مِن دِمَاءِ العِدى
١٩ـ لِتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بالعِراقِ وَمَنْ بِالعَواصِمِ أَنِّي الفَتى
٢٠ـ وَأَنِّي وَفَيْتُ وأَنِّي أبيْتُ وَأَنِّي عَتَوْتُ عَلى مَنْ عَتا
٢١ـ وَمَا كُلَّ مَنْ قَالَ قَوْلاً وَفَى وَلاَ كُلُّ مَنْ سِيمَ خَسَفاً أَبَى(١٦)
٢٢ـ وَمَنْ يَكُ قَلْبٌ كَقَلْبِي لَهُ يَشُقُّ إلى العِزِّ قَلْبَ التَّوى(١٧)
٢٣ـ وَلاَ بُدَّ لِلْقَلْبِ مِنْ آلَةٍ وَرَأْيٍ يُصَدِّع صُمَّ الصَفَا(١٨)
٢٤ـ وَكُلُّ طَرِيقٍ أتاهُ الفَتَى عَلى قَدَرِ الرِّجْلِ فِيهِ الخُطى
٢٥ـ وَنَامَ الخَوِيدمُ عَنْ لَيْلِنَا وَقَدْ نَامَ قَبْلُ عَمىً لاَ كَرى(١٩)
٢٦ـ وَكَانَ عَلى قُرْبِنا بَيْنَنَا مَهامِهُ مِنْ جَهْلِهِ والعَمى(٢٠)
٢٧ـ لَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ الخَصِيِّ أنّ الرؤوس مَقَرُّ النُهى(٢١)

---

١٥) الرهيمة : قرية غربي الكوفة، وجوز : وسط. وفي البيت التباس، لأننا اذا اعتبرنا الهاء في جوزه، تعود لليل، لم يجز ان نقول وباقيه أكثر مما مضى، ولذلك، فان الهاء في جوزه، تعود لأعكش. ويريد : أننا وصلنا الرهيمة، وسط أعكش، وكان الباقي من الليل أطول مما مضى. وفسرها ابن جني، بأن أبا الطيب، يقصد بجوزه صدر الليل (ابن جني : الفسر : ج ـ ١، ص ـ ١٣٤) ورد عليه ابن فورجه (ص ـ ١٤٩).

١٦) سيم : كلف. والخسف : الظلم.

١٧) التوى : الهلاك.

١٨) الصفا : الصخر. والصم : الصلب، ويصدع : يشق.

١٩) كرى : نوم.

٢٠) مهامه : جمع مهمه، الفلاة الواسعة.

٢١) النهى : جمع نهية، العقول.

٢٨ـ فَلَمّا نَظَرْتُ الى عَقْلِهِ رأيت النُّهى كُلَّها في الخُصى

ـ ٤ ـ

٢٩ـ ومَاذا بِمَصْرَ مِنَ المُضْحِكاتِ وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كالبُكَا

٣٠ـ بَها نَبَطِيٌّ مِن اهْلِ السَّوادِ يُدرِّسُ أنْسابَ أهْلِ الفَلا(٢٢)

٣١ـ وَأسْوَدَ مِشْفَرُه نِصْفُهُ يَقالُ لَهُ أنْتَ بَدْرُ الدُّجَى(٢٣)

٣٢ـ وَشِعْرٍ مَدَحْتُ بِه الكَرْكَدَن بَيْنَ القَريضِ وبينَ الرُّقَى(٢٤)

٣٣ـ فَمَا كَانَ ذَلكَ مَدْحاً لَهُ وَلكِنَّهُ كَانَ هَجْوَ الوَرَى(٢٥)

٣٤ـ وَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ بأصْنامِهِم وَأمّا بِزقٍّ رِياحٍ فَلا(٢٦)

٣٥ـ وَذَاكَ صموتٌ وذَا نَاطِقٌ إذا حَرَّكُوهُ فَسا أو هَذى

٣٩ـ وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأى غَيْرُهُ مِنْه مَا لاَ يُرى

---

٢٢) نبطي : من النبط، ويقصد به ابو الفضل جعفر بن الفرات، ابن خنزابة (ابن جني : الفسر: ج ـ ١، ص ـ ١٣٨، والمعري : ج ـ ٤، ص ـ ١٩٨). عالم من أهل بغداد، نزح الى مصر، استوزره بنو الأخشيد، قبض عليه ابن طغج، والي الرملة، بعد موت كافور، وعذبه، ثم أطلق سراحه. وكان ابن خنزابة على خلاف مع ابي الطيب، ومن أسباب هجرته من مصر.

٢٣) مشفرَه : شفته. والدجى : الليل.

٢٤) الكركدن : حيوان من ذوات الحافر، عظيم الجثة، كبير البطن، قصير القوائم. ويرى المعري (ج ـ ٤، ص ـ ١٩٩). انها كلمة تقال لكل قبيح. والرقى : جمع رقية، من أعمال السحر، ويريد : ان شعره في كافور بين الشعر والرقية، أي أن فيه المفهوم ، وفيه المُلْغِز.

٢٥) الورى : العالم، البشرية.

٢٦) الزق : وعاء الجلد، وشبه كافور بزق الرياح.

الحزن يقلق والتجمل يردع

كان في أيام كافور رجل يعرف بأبي شجاع فاتك الكبير، ويُسمَى أحياناً بالمجنون. وقد أخذ صغيراً من بلاد الروم، وتعلم الخط في الرملة، وقد أعجب به ابن طغج، فضمه اليه.

وكان أبو شجاع فارساً شجاعاً كريماً، ومن أكبر قادة ابن طغج . فلما توفي ابن طغج، واستولى كافور على الأمر، أنف فاتك أن يكون تحت قيادته، فانتقل الى اقطاع له بالفيوم.

وكان كافور يخافه ويكرمه.

ويبدو أن ابا الطيب قرر أن يقيم علاقة معه، لتنظيم أمر مقاومة كافور. ولما كان ذلك يعتبر أمراً خطيراً، في نظر كافور، فقد تم ترتيب لقاء في الصحراء.

وأرسل فاتك ، بعد هذا اللقاء ألف دينار ذهباً، الى بيت أبي الطيب، ثم اتبعها بهدايا. فمدحه أبو الطيب، سنة ثمان وأربعين وثلاثة ماية، في جمادى الآخر بقصيدته التي مطلعها.

لا خيـــلَ عِندك تهديها ولا مالُ

فليسعد النطق أن لم يسعد الحالُ

(المعري : ج ـ ٤، ص ـ ٢٠٤، ق ـ ٢٧٢).

ولكن أبا شجاع، توفي ليلة الأحد عشاء لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال، سنة خمسين وثلاثماية، فرثاه أبو الطيب ، بهذه القصيدة :

_ ١ _

١ـ الحُـــزْنُ يُقْـلِـقُ والتَجَمّـلُ يَـــرْدَعُ والـدَّمْـــعُ بَيْـنَـهُـمـا عَـصـيٌ طَيِّـعُ(١)

٢ـ يَتَـنـازَعـــانِ دُمُـوعَ عَيْـنٍ مُسَهَّـدٍ هَـــذَا يَـجِـيءُ بِـهـا وَهَـذا يَـرْجِـعُ(٢)

٣ـ الـنَـــوْمُ بَـعْـدَ أبـي شُجـاعٍ نَافِـــرٌ وَاللَّـيْـلُ مُـعْـيٍ والـكَـواكِـبُ ظُلَّـعُ(٣)

٤ـ إنّـي لأَجْبُـنُ عَـنْ فِـراقِ أحِـبَّتـي وَتُحِـسُّ نَـفْـسِـي بـالحِمـامِ فَـأَشْجَـعُ(٤)

٥ـ وَيَـزِيـدُنـي غَـضَـبُ الأعادي قَسْـوَةً وَيُلِـمُّ بِـي عَتْـبُ الصَّديـقِ فَـأَجْـزَعُ(٥)

_ ٢ _

٦ـ تَصْفـو الحَيـاةُ لجَاهِـلٍ أوْ غَافِـلٍ عَـمّـا مَضَـى فِيـهـا وَمَـا يُتَوَقَّـعُ

٧ـ وَلِمَـنْ يُغَـالِـطُ فِي الحَقائِـقِ نَفْسَهُ وَيَسـومُـهـا طَـلَـبَ المُـحـالِ فَتَطْمَـعُ

٨ـ أيْـنَ الـذّي الهَـرَمـانِ مِـنْ بُنْيـانِـهِ مَـا قَـوْمُـهُ مَـا يَوْمُـهُ مَا المَصْـرَعُ(٦)

٩ـ تَتَخَلَّـفُ الآثـارُ عَـنْ أصْحـابِـهـا حِيـنـاً وَيُـدْرِكُـهـا الـفَـنـاءُ فَـتَتْبَـعُ

---

١) يقول : الحزن يقلقني والصبر يمنعني، والدمع يلتزم بالصبر مرة، ويطيع الحزن أخرى.

٢) يريد : أن الحزن والتصبر يتنازعان دموع عين الساهر، يعني نفسه، فالحزن يجيء بالدمع، والتصبر يرده.

٣) نافِر : من نَفر، أي فَرّ. ومعيٍ : أي أصابه الأعياء، وظُلَّع: أي تغمز في مشيها من التعب. يريد : أن النوم هرب منه، بعد وفاة أبي شجاع، والليل طويل متعب، والكواكب تظلع، وكأنها تمشي ببطء من الإعياء.

٤) الحمام: الموت. يريد : أنه يجبن أمام الفراق، ولكنه اذا رأى خطر الموت في الحرب زاد شجاعة.

٥) يريد : أنه يزداد قسوة أمام غضب أعدائه، ولكنه يجزع أمام عتب الصديق.

٦) يقول : اين الذي بنى الهرمين ، ومن قومه، ومتى كان، وكيف مات.

١٠ـ لَـمْ يُـرْضِ قَلْبَ أبي شُجاعٍ مَبْلَغٌ قَـبْـلَ المَمـاتِ وَلَـمْ يَسَعْهُ مَوْضِـعُ(٧)

١١ـ كُـنَّـا نَـظُـنُّ دَيـارَهُ مَـمْـلـوءَةً ذَهَـبـاً فَمـاتَ وَكـلُّ دَارٍ بَـلْـقَـعُ(٨)

١٢ـ وإذا المَكـارِمُ والصَّـوارِمُ والـقَـنـا وَبَـنـاتُ أَعْـوَجَ كُـلُّ شَـيءٍ يَجْمَـعُ(٩)

١٣ـ المَجْـدُ أَخْسَـرُ والمَكـارِمُ صَفْـقَـةً مِـنْ أنْ يَعـيشَ لَهـا الهُمـامُ الأَرْوَعُ(١٠)

١٤ـ والنَّـاسُ أَنْـزَلُ فِـي زَمـانِـكَ مَنْزِلاً مِـنْ أنْ تُـعـايِـشَـهُـم وَقَـدْرُكَ أَرْفَـعُ(١١)

١٥ـ بَـرِّدْ حَشـايَ إنْ اسْتَطَعْـتَ بِلَفْظَـةٍ فَـلَـقَـدْ تَـضُـرُّ إذا تَـشـاءُ وَتَـنْـفَـعُ(١٢)

١٦ـ مَـا كَـانَ مِنْـكَ إلى خَليلٍ قَبْلَهـا مَـا يُـسْتَـرابُ بِـهِ ولاَ مَـا يُـوجِـعُ(١٣)

١٧ـ وَلَـقَـدْ أراكَ وَمَـا تُـلِّـمُ مُـلِـمَّـةٌ إلاّ نَـفـاهـا عَـنْـكَ قَـلْـبٌ أَصْـمَعُ(١٤)

١٨ـ وَيَـدٌ كَـأَنَّ نَـوالَـهـا وَقِـتـالَـهـا فَـرْضٌ يَـحِـقُّ عَـلَـيْـكَ وَهْـوَ تَـبَـرُّعُ

---

٧) يريد : أن أبا شجاع لم يكن يرضى، بما يصل اليه، قبل الموت، ولم يكن يتسع له مكان.

٨) بلقع : خالية : يريد : أننا كنا نعتقد أن دياره مملوءة ذهباً، لكثرة ما يجود به، فلما مات اكتشفنا أنها خالية، لأنه لم يبق شيئاً.

٩) الصوارم : السيوف. والقنا : الرماح. وبنات أعوج : أعوج فَحل مشهور من خيل العرب.

١٠) الهمام : السيد الشجاع السخي. والأروع : الجميل. يريد : أن المجد والمكارم أخسر حظًّا، من أن يعيش لها هذا السيد الشجاع الأروع.

١١) يريد : أن قدر أبي شجاع أعلى من أن يعايش ناس زمانه، ولذلك مات. وربما كان يعني أبو الطيب أن أهل مصر، في ذلك الحين، لم يدركوا قدر أبي شجاع، ولذلك فانهم لا يستحقون أن يعيش معهم.

١٢) يقول مخاطباً أبا شجاع: ان حشاي يغلي بحرارة الحزن، فبرده بكلمة، لأنك كنت دائماً تستطيع ان تضر وتنفع.

١٣) يريد : أن أبا شجاع، لم يكن يصدر منه، قبل حالة الوفاة هذه، ما يبعث الريبة، أو يقود الى ألم.

١٤) تلم : تصيب. والملمة : المصيبة. والأصمع : الذكي. يقول لأبي شجاع: كنت أراك كلما أصابت مصيبة، ردها قلبك الذكي اليقظ.

_ ٤ _

١٩_ يَـا مَـنْ يُبَـدِّلُ كُـلَّ يَـوْم حُلَّةً ... أَنَـى رَضِيـتَ بِحُلَّـةٍ لاَ تُـنْـزَعُ(١٥)

٢٠_ مَا زِلْـتَ تَخْلَعُهـا عَلى مَنْ شَاءَها ... حَتّـى لَبِسْـتَ اليَـوْمَ مَا لاَ تَخْلَعُ(١٦)

٢١_ مَـا زِلْـتَ تَـدْفَعُ كُـلَّ أمْـرٍ فَادِحٍ ... حَتّـى أتـى الأمْـرُ الـذِي لاَ يُـدْفَعُ(١٧)

٢٢_ فَظَلِلْـتَ تَـنْـظُـرُ لاَ رِمـاحُكَ شُـرَّعٌ ... فِيـمـا عَـراكَ ولاَ سُـيـوفُـكَ قُـطَّعُ(١٨)

٢٣_ بِأبـي الـوَحِـيـدُ وَجَـيْـشُـهُ مُتَكاثِرٌ ... يَـبْـكِـي ومِـنْ شَـرِّ السِّـلاحِ الأدْمُـعُ(١٩)

٢٤_ وإذا حَصَلْتَ مِن السِّلاحِ عَلى البُكا ... فَـحَـشـاكَ رُعْـتُ بِـهِ وَخَـدُّكَ تَـقْـرَعُ(٢٠)

٢٥_ وَصَلَتْ إليكَ يَدٌ سَواءٌ عِنْدَهـا الـ ... بـازي الأُشَـيْـهَـبُ والغُـرابُ الأبْقَعُ(٢١)

_ ٥ _

٢٦_ مَـنْ للمَحافِـل والجَحافِـل والسُّرى ... فَـقَـدَتْ بِـفَـقْـدِكَ نَـيِّـراً لاَ يَـطْـلُـعُ(٢٢)

٢٧_ وَمَـنْ اتَّخَذْتَ عَلى الضُّيوفِ خَلِيفَةً ... ضَـاعـوا ومِـثْـلُـكَ لاَ يَـكـادُ يُضَيِّعُ(٢٣)

---

١٥) الحلة : اللباس . ولا يسمى كذلك إلا اذا كان من ثوبين. والحلة التي لا تنزع : الكفن : يريد : ان أبا شجاع، كان في حياته، يبدل ثيابه كل يوم. وقد يعني بذلك الغنى وأبهة الامارة، والسخاء، وقد يعني أيضاً التجدد، ويسائله : كيف رضيت بهذه الحلة التي لا تنزع ، وهي الكفن.

١٦) يقول : كنت تعطي حلتك لمن رغب فيها، حتى لبست الحلة التي لا تعطى لأحد.

١٧) يقول : كنت يا أبا شجاع، ترد كل بلية، حتى أتى الأمر الذي لا يدفع، وهو الموت.

١٨) يقول : لقد داهمك الموت، ولم تكن رماحك مسددة الى صدر عدوك، ولا كانت سيوفك، كالعادة، قاطعة.

١٩) يريد : أفدي أبا شجاع الذي يقف وحيداً، أمام الموت، وجيشه كثير، يبكي لأنه لا يستطيع رد الموت، وشر السلاح الدموع.

٢٠) يريد : اذ كان البكاء سلاحك، فانك تفزع نفسك، وتضرب بالدمع خدك.

٢١) الأشهب : ما غلب عليه البياض : وقد صغرها الأشيهب. والأبقع : في الطير كالأبلق في الدواب، الاسود، وكنى بالباز الكريم الشريف، وبالغراب الجبان الوضيع.

٢٢) الجحافل : جمع جحفل، الجيوش. والمحافل : المجالس والجماعات. والسرى : سير الليل، أي الزحف.

٢٣) ويتسامل : من تركت لضيوفك ليتعهدهم بعدك، لأنهم ضاعوا، ولم يكن من عادتك أن تضيع ضيفاً.

٢٨- قُبْحاً لِوَجْهِكَ يَا زَمَانُ فَإنَّه ... وَجْهٌ لَهُ مِنْ كُلِّ قُبْحٍ بُرْقُعُ(٢٤)

٢٩- أَيَموتُ مِثْلَ أَبي شُجاعٍ فَاتِكٌ ... وَيَعيشُ حَاسِدُهُ الخَصِيُّ الأَوْكَعُ(٢٥)

٣٠- أَيْدٍ مُقَطَّعَةٌ حَوَالي رَأْسِهِ ... وَقَفاً يَصيحُ بِها أَلا مَنْ يَصْفَعُ(٢٦)

٣١- أَبْقَيْتَ أَكْذَبَ كَاذِبٍ أَبْقَيْتَهُ ... وَأَخَذْتَ أَصْدَقَ مَنْ يَقُولُ وَيَسْمَعُ

٣٢- وَتَرَكْتَ أَنْتَنَ رِيحَةٍ مَذمُومَةٍ ... وَسَلَبْتَ أَطْيَبَ رِيحَةٍ تَتَضَوَّعُ(٢٧)

٣٣- فَاليَوْمَ قَرَّ لِكُلِّ وَحْشٍ نَافِرٍ ... دَمُهُ وَكَانَ كَأَنَّهُ يَتَطَلَّعُ(٢٨)

٣٤- وَتَصَالَحَتْ ثَمَرُ السِّياطِ وَخَيْلُهُ ... وَأَوَتْ إِلَيها سُوقُها والأَذْرُعُ(٢٩)

٣٥- وَعَفَا الطِّرادُ فَلاَ سِنَانَ رَاعِفٌ ... فَوْقَ القَنَاةِ وَلاَ حُسَامٌ يَلْمَعُ(٣٠)

٣٦- وَلَى وَكُلُّ مُخَالِمٍ وَمُنَادِمٍ ... بَعْدَ اللُّزومِ مُشَيِّعٌ وَمُوَدِّعُ(٣١)

٣٧- مَنْ كَانَ فِيهِ لِكُلِّ قَوْمٍ مَلْجَأٌ ... وَلِسَيْفِهِ فِي كُلِّ قَوْمٍ مَرْتَعُ(٣٢)

٣٨- إِنْ حَلَّ فِي فُرْسٍ فَفيها رَبُّها ... كِسْرَى تَذِلُّ لَهُ الرِّقَابُ وَتَخْضَعُ

٣٩- أَوْحَلَّ فِي رُومٍ فَفيها قَيْصَرٌ ... أَوْحَلَّ فِي عُرْبٍ فَفيها تُبَّعُ

٤٠- قَدْ كَانَ أَسْرَعَ فَارِسٍ فِي طَعْنَةٍ ... فَرَساً، وَلَكِنَّ المَنِيَّةَ أَسْرَعُ

٤١- لاَ قَلَّبَتْ أَيْدي الفَوَارِسِ بَعْدَهُ ... رُمْحاً وَلاَ حَمَلَتْ جَواداً أَرْبَعُ

---

٢٤) يريد : ان وجهك أيها الزمان قبيح جداً، كأن عليه براقع قبح، فما أقبحه.

٢٥) الخصي : الذي خُصي. والأوكع : في الأصل الذي أقبلت ابهام رجله على السبابة، حتى يرى أصلها خارجاً كالعقدة. ويقال عبد أوكع : أي لئيم.

٢٦) يريد : أن الأيدي حول رأسه مقطوعة لا تضرب، مع أن قفاه يطالب هذه الأيدي بأن تصفع.

٢٧) تتضوع : تنتشر، وريحة : رائحة، وقد راجت في العامية ريحة.

٢٨) يريد : أن دم الوحوش النافرة أمامه في الصيد استقر لها، وكان دمها كأنما ينتظر السيلان أو المداهمة.

٢٩) ثَمَر السياط : العقد في أطرافها. والسوق : جمع ساق. يريد : أن خيله بعد موته تصالحت مع سياطها، لأن الفارس توقف عن الركوب، وعادت الى الخيل سيقانها وأذرعها، لأنها توقفت عن الجري. وكأنها، كانت في الجري، تفرّ منها.

٣٠) يريد : أن مطاردة الفرسان توقفت، فلا يرى سنان يسيل دماً، أو سيف يلمع.

٣١) المخالم : المصادق. يريد : أن أبا شجاع ذهب، فشيعه أصحابه وودع كل منهم الآخر.

٣٢) يريد : أن أبا شجاع كان ملجأ من يطلب الحماية، وكان سيفه يرتع حيث يشاء.

توهم القوم ان العجز قرَّبنا

عاد من بغداد الى الكوفة، وهناك تذكر أبا شجاع ، فاتك الرومي، ورحلته من مصر الى الكوفة، فقال هذه القصيدة، وأنشدها في شعبان سنة اثنتين وخمسين وثلاث مائة*.

---

* المعري : ج ـ ٤، ص ـ ٢٣٨، ق ـ ٢٧٥.

والعكبري : ج ـ ٤، ص ـ ١٥٥، ق ـ ٢٥٧.

والديوان: ص ـ ٤٩٥ .

_ ١ _

١ـ حَتامَ نَحْنُ نُساري النَّجْمَ في الظُّلَمَ وَمَا سُراهُ عَلى خُفٍّ وَلاَ قَدَمِ(١)

٢ـ وَلاَ يُحِسُّ بأَجْفانٍ يُحِسُّ بِها فَقْدَ الرُّقادِ غَرِيبٌ بَاتَ لَمْ يَنَمِ(٢)

٣ـ تُسِوِّدُ الشَّمْسُ مِنّا بيضَ أوْجُهِنَا وَلاَ تُسَوِّدُ بِيضَ العُذْرِ واللِّمَمِ(٣)

٤ـ وَكانَ حَالُهُما فِي الحُكْمِ وَاحِدةً لَو احتَكَمْنا مِنَ الدُّنيا الى حَكَمِ(٤)

٥ـ وَنَتْرُكُ المَاءَ لاَ يَنْفَكُّ مِنْ سَفَرٍ مَا سَارَ فِي الغَيْمِ مِنْهُ سَارَ فِي الأَدَمِ(٥)

_ ٢ _

٦ـ لاَ أُبْغِضُ العَيْسَ لَكِّني وَقَيْتُ بِها قَلْبي مِنَ الحُزْنِ أوْ جِسْمي مِنَ السَّقَمِ(٦)

٧ـ طَرَدْتُ مِنْ مِصْرَ أيْدِيها بِأَرْجُلِهَا حَتّى مَرَقْنَ بِنَا مِنْ جَوْشَ والعَلَمِ(٧)

---

١) يقول : الى متى نسري مع النجم في ظلمات الليالي، وهو لا يسير مثلنا على خف كالأبل، ولا قدم، كالبشر. وبالتالي ، فنحن نتعب، وهو لا يتعب.

٢) يقول : ان النجم لا يحس، بما يحس به غريب بات لم ينم. ويقصد بالغريب نفسه وأمثاله.

٣) يقول : ان الشمس تسوّد الوجوه البيض، ولكنها لا تسوّد الشعر الأبيض في اللحية وفي الرأس.

٤) يقول : ان حال الوجه والشعر واحدة، لو تحاكمنا أمام حكم. فلماذا يسوّد الوجه الابيض، ولا يُسوّد الشعر الأبيض..!

٥) الأدَم : الجلود، ويريد هنا القِرَب. يريد : أن الماء لا يزال مسافراً، فما سار منه في السحاب، حملناه معنا في سفرنا بالقرب.

٦) العيس : الابل. يريد : إنّ إتعابي الابل في السفر، لا يعني أني أكرهها، ولكني بها أحمي قلبي من الحزن، لأني لم أقم على ذل، وجسمي من السقم، لأني لم أقم في مكان يمرضني.

٧) جوش والعلم : موضعان من حسمى، غربي تبوك، وهما على أربع مراحل.

٨ـ تَبْـري لَهُـنَّ نَعَـامُ الـدَّوِّ مُسْرَجَـةً تُعـارِضُ الـجُـدُلَ المُـرْخَـاةَ بـالـلُّجُمِ(٨)

٩ـ في غِـلْـمَـةٍ أخْطَروا أرْوَاحَهم وَرَضُوا بِـمـا لَـقِـيـنَ رِضَـى الأيْـسـارِ بالزَّلَـمِ(٩)

١٠ـ تَبْـدو لَـنـا كُـلَّـمـا أَلْـقُوا عَمَائِمَهم عَمَائِـمٌ خُـلِـقَـتْ سُـوداً بِـلاَ لُـثُـمِ(١٠)

١١ـ بِيـضُ العَوارِضِ طَعَّانُونَ مَنْ لَحِقوا مِـنَ الـفَـوارِسِ شَـلاَّلـونَ لِـلـنَّـعَـمِ(١١)

١٢ـ قَـدْ بَـلَّـغَـوا بِقَناهـمُ فَـوْقَ طَاقَتِـهِ وَلَـيْـسَ يَبْلُـغُ مَـا فِيهم مِـنَ الهِمَـمِ(١٢)

١٣ـ فِـي الجَـاهِـلِيـةِ إلاّ أنَّ أنْفُسَهُـمُ مِـن طِـيـبِـهِـنَّ بِـهِ فِي الأشْهُرِ الحُرُمِ(١٣)

١٤ـ نَـاشِـوا الـرِّمَاحَ وَكَانَتْ غَيرَ نَاطِقَـةٍ فَعَلَمُّوهـا صِـيـاحَ الطَّيـرِ فِي البُهَـمِ(١٤)

١٥ـ تَخدي الرِّكابُ بِنا بيضاً مَشَافِرُهـا خُضْـراً فَـراسِنُهـا فِي الـرِّغْـلِ واليَنَمِ(١٥)

---

٨) تبري : تعارض او تنبري : والدو : المفازة. والجُدُل : جمع جديل : الحبل من أدم أو شعر. وأرام بالنعام الخيل لطول سيقانها وسرعة جريها. يريد: أن هذه الابل تباري الخيل لسرعتها، فتكون اعنة اللجم في أعناقها بمنزلة الأزمَّة.

٩) غلمة : جمع غلام. أخطر : والخطر ما يتراهن عليه المتسابقان، أي خاطروا، والأيسار : جمع يسر. المجتمعون على الميسر، وهو ضرب من القمار. والزلم : السهم من سهام الميسر.

١٠) يريد : أنهم ان عرَّوا رؤوسهم من عمائمهم، ظهرت شعورهم السوداء ، ولم تكن لهم لحىً.

١١) العوارض : محط اللحية من الخد. والشل : الطرد. والنَعَم : الماشية، وخاصة الابل.

١٢) القنا : الرماح. وبَلَغوا، ورويت بَلَّغوا وبُلِّغوا، ويريد : أنهم حققوا برماحهم، فوق طاقتها، ومع ذلك، فان الرماح لا تصل الى ما لديهم من الهمم.

١٣) يريد : أن أصحابه يمارسون القتال دوماً، فكأنهم في الجاهلية، الا أن أنفسهم طابت بالرماح والقتال، فكأنهم في الأشهر الحرام، طمأنينة وعفة.

١٤) ناشوا : تناولوا. والبُهَم : جمع بهمة، الشجاع. يريد : تناولوا الرماح وهي غير ناطقة، فلما ضربوا بها دروع الشجعان صاحت صياح الطير.

١٥) تخذي : تسري وتسرع في السير. والمشافر : الشفاه لغير الانسان. والمشافر بيض، لأن الركاب، أي الابل، لا يسمح لها بالرعي. والفراسن : جمع فرسن، اسفل الخف. والرغل واليتم : من النبات، يريد : أن ابلنا تسرع ومشافرها بيضاء، لأننا لم نتركها ترعى، وبطون اخفافها خضراء من السير على العشب.

١٦ـ مَعْكُومَةً بسياطِ القَوْمِ نَضرِبُها عَنْ مَنْبِتِ العُشْبِ نَبْغي مَنْبِتَ الكَرَمِ(١٦)

١٧ـ وأيْنَ مَنْبتُهُ مِنْ بَعْدِ مَنْبتِهِ أبي شُجاعِ قَريعِ العُرْبِ والعَجَمِ(١٧)

١٨ـ لاَ فَاتِكٌ آخرٌ فِي مِصْرَ نَقْصِدُهُ وَلا لَهُ خَلَفٌ فِي النَّاسِ كُلِّهِم

١٩ـ مَنْ لاَ تُشابِهُهُ الأحْياءُ فِي شِيَمٍ أمْسى تُشَابِهُهُ الأمْواتُ فِي الرَّمَمِ

٢٠ـ عَدِمْتُهُ وَكَأنّي سِرْتُ أطْلُبُه فَمَا تَزَيَّدَني الدُّنيا عَلى العَدَمِ(١٨)

٢١ـ مَا زِلتُ أُضْحِكُ إبْلي كُلَّمَا نَظَرَتْ إلى مَنِ اختَضَبَتْ أخْفَافُها بِدَمِ(١٩)

٢٢ـ أُسيُرها بَيْن اصنامٍ أُشَاهِدُها وَلاَ أُشَاهِدُ فِيها عِفَّةَ الصَّنَمِ

٢٣ـ حَتّى رَجعْتُ وأقْلامي قَوائِلُ لِي المَجْدُ للسَّيْفِ لَيْسَ المَجْدُ لِلقَلَمِ

٢٤ـ أُكْتُبْ بِنا أبَداً بَعْدِ الكِتابِ بِهِ فَإنَّما نَحْنُ للأسياف كالخَدَمِ

٢٥ـ أسْمَعْتِني وَدَوائِي مَا أشَرْتُ بِهِ فَإنْ غَفِلْتُ فَدائِي قِلَّةُ الفَهَمِ(٢٠)

٢٦ـ مَنْ اقتَضَى بِسَوى الهِنديِّ حَاجَتَهُ أجابَ كُلَّ سُؤالٍ عَنْ هَلٍ بِلَمِ(٢١)

٢٧ـ تَوَهَّمَ القَوْمُ أنّ العَجْزَ قَرّبَنَا وَفي التَقَرُّبِ مَا يَدْعو إلى التُّهَمِ(٢٢)

---

١٦) معكومة : مشدودة الأفواه، يريد : أننا نمنعها من الرعي بقوة السياط، لأننا لا نطلب العشب، بل نطلب المجد.

١٧) قَريع : سيد. يقول : واين نطلب منبت الكرم، بعد أبي شجاع سيد العرب والعجم.

١٨) يقول : فقدته، وكأني سرت في طلبه، فلم تزدني الدنيا الا العدم.

١٩) يريد : ان إبله كانت تهزأ كلما ما نظرت الى الذين اختضبت اخفافها بدم في السير اليهم.

٢٠) يقول لا مَلامة : لقد سمعت منك، ودواني ما أشرت به علي، فان تجاهلت ذلك، يكون داني قلة الفهم.

٢١) الهندي : السيف. واقتضى : طلب، وهل ولم هنا فيهما سؤال : هل أدركت حاجتك؟ قال : لم أدركها.

٢٢) يريد : أن القوم الذين قصدناهم، توهموا أن العجز قربنا اليهم. ويضيف : وفي التقرب حقيقة، ما يدعو الى قيام مثل هذه التهمة.

٢٨ـ وَلَـمْ تَـزَلْ قِلَّةُ الإنْصـافِ قَاطِعَـةً بَيْـن الـرِّجـالِ وَلَـوْ كَانوا ذَوي رَحِـم(٢٣)

٢٩ـ فَـلا زِيـارَةَ إلاّ أَنْ تَـزُورَهُـمُ أيـدٍ نَشَـأن مَـعَ المَصْقُولَـةِ الخُـذُمِ(٢٤)

٣٠ـ مِـنْ كُـلِّ قَـاضِيَـةٍ بالمـوْتِ شَفْرَتُهُ مَـا بَـيْـنَ مُـنْـتَـقَـمٍ مِنْـهُ وَمُنْتَقِـمِ(٢٥)

٣١ـ صُنَّـا قَـوائِمَهـا عَنْهُـم فَمَا وَقَعَتْ مَـواقِـعَ اللُّـؤْمِ فِي الأيدي وَلاَ الكَرَمِ(٢٦)

٣٢ـ هَـوِّنْ عَـلَى بَصَـرٍ مَـا شَـقَّ مَنْظَـرُهُ فَـإنّـمـا يَـقَـظـاتُ العَـيْـنِ كـالحُلُـمِ(٢٧)

٣٣ـ وَلاَ تَـشَـكَّ إلـى خَلْـقٍ فَـتُشمِتُـه شَكْـوَى الجَرِيـح الى الغِربَـانِ والرَّخَمِ(٢٨)

٣٤ـ وَكُـنْ عَـلى حَـذَرٍ للنَّـاسِ تَسْتُـرُهُ وَلاَ يَـغُـرَّكَ مِـنْهُـم ثَـغْـرُ مُـبْـتَسِـمِ

٣٥ـ غَـاضَ الوَفـاءُ فَـمـا تَلْقَاهُ فِي عِدَةٍ وَأعْـوَزَ الصِّـدْقُ فِي الأَخْبـارِ والقَسَـمِ(٢٩)

٣٦ـ سُبْـحـانَ خَالِـقِ نَفْسـي كَيْفَ لَذَّتُها فِيـمَـا الـنُّـفـوسُ تَـرَاهُ غَايَةَ الأَلَـمِ(٣٠)

٣٧ـ الدَّهْرُ يَعْجَبُ مِـن حَملـي نَوائِبَهُ وَصَبْـرِ نَفْـسي عَـلى أحداثـه الحطم(٣١)

٣٩ـ وَقْـتٌ يَضيـعُ وَعُمْرٌ لَيْـتَ مُـدَّتَـهُ فِـي غَـيْـرَ أُمَّـتِـهِ مِـنْ سَالِـفِ الأمم(٣٢)

٤٠ـ أَتـى الـزَّمـانَ بَنوهُ فِي شَبَيبتِـهِ فَـسَـرَّهُـمْ وأتَيْـنَـاهُ عَـلَى الـهَـرَمِ

---

٢٣) يريد : أن قلة الانصاف، ما زالت السبب في القطيعة بين الرجال، حتى لو كانوا ذوي رحم ..!

٢٤) المصقولة الخُذُم : السيوف القواطع.

٢٥) يريد : أن لديه كل شفرة سيف قاضية بين صاحب الثأر والمثؤور منه.

٢٦) القوائم : جمع قائم، مقبض السيف. والكزم : قصر الأصابع. يريد : أننا منعنا هؤلاء القوم من امتلاك مقابض سيوفنا، فلم تقع في ايدي اللؤم، الأيدي والأصابع القاصرة العاجزة.

٢٧) ما شق منظره : أي ماكَرُه منظره. يريد : هوّن على بصرك ما ترى، مما تصعب رؤيته، لأن الصحو كالحلم، لا يلبث أن يزول.

٢٨) يريد : ولا تشتك الى الناس، لأنهم يشمتون، وهم كالغربان والرخم، التي تنتظر موت الجريح، لتأكله.

٢٩) غاض : نضب. والعدة : الوعد. يقول : ان الوفاء قد نضب كالماء الذي نفد، وأصبح الصدق مفقوداً في الرواية والايمان.

٣٠) يقول : سبحان الله الذي خلق نفسي كيف تستمتع بالحرب التي يراها الناس غاية الألم.

٣١) الحُطَم : جمع حطوم، يكسر من أصابه . يريد : ان الدهر يعجب من احتمالي شدائه. وصبري على أحداثه الكاسرة.

٣٢) يريد : ان وقته يضيع، ويتمنى لو كان عمره في أمة من الأمم السالفة.

مغاني الشعب طيباً في المغاني

وغادر أبو الطيب الكوفة الى أرجان للقاء ابن العميد، كما بينا في القسم الأول، من الكتاب الأول. وبقي عنده ثلاثة أشهر. وكان عضد الدولة، يرغب في لقاء أبي الطيب، ولم يكن يخفي أنه معجب به وبشعره. ويروي الأصفهاني أن أبا القاسم عبدالعزيز بن يوسف الحكامي، قال لعضد الدولة، وهو جالس في بستانه «الزاهر، يوم زينته وحفله، وأكابر حواشيه وقوف سماطين : «ما يعوز مجلس مولانا سوى أحد الطائيين»، يريد أبا تمام والبحتري، فقال عضد الدولة: «لو حضر المتنبي لناب عنهما».

ولما قرر أبو الطيب الرحيل، من عند ابن العميد، وصل كتاب عضد الدولة، الى ابن العميد بدعوة أبي الطيب، فأبلغ ابن العميد أبا الطيب بذلك، وَرغّبه. فقال أبو الطيب : «إني ملقًى من هؤلاء الملوك، أقصد الواحد، بعد الواحد، وأملكهم شيئاً، يبقى بقاء النيرين، ويعطونني عرضاً فانياً، ولي صخرات واختيارات، فيعوقونني عن مرادي، فاحتاج الى مفارقتهم على أقبح الوجوه».

وابلغ ابن العميد عضد الدولة بذلك، فأجاب عضد الدولة بأن أبا الطيب مملك مراده في الحل والترحال.

وسار أبو الطيب الى شيراز، فلما كان على أربعة فراسخ منها، كان أبو عمر الصباغ في انتظاره، مكلفاً من عضد الدولة. فالتقيا، وتسايرا، وطلب ابو عمر من أبي الطيب أن ينشده شعراً : فقال له أبو الطيب : الناس يتناشدون شعري فاسمعه. فقال له أبو عمر : هذا ما طُلب مني في المجلس العالي. فلما سمع أبو الطيب ذلك، أنشده قصيدته :

ألا كل ماشية الخيزلى فدا كل ماشية الهيدبى

وحين وصلا المدينة، أنزل أبو الطيب داراً مفروشة. ورجع ابو عمر الى عضد الدولة، وأخبره بما جرى، وأسمعه بعض أبيات قصيدة أبي الطيب المشار اليها، وهي :

فلما أنخنا ركزنا الرما ح حول مكارمنا والعلى
وبتنا نقبل أسيافنا ونمسحها من دماء العدى
لتعلم مصر ومن بالعراق ومن بالعواصم أني الفتى
وأني وفيت، وأني أبيت وأني عتوت على من عتا

فقال عضد الدولة : هو ذا يتهددنا المتنبي.

وبعد أن استراح أبو الطيب، ركب الى عضد الدولة، وأنشده قصيدته :

اوِ بديل من قولتي واها لمن نأت والبديل ذكراها

فأكرمه، وأجزل له العطاء.

ثم عاد وأنشده في الشهر عينه هذه القصيدة التي نجتزيء منها الأبيات ١ـ١٨، وهي مقدمتها. أما سائرها ففي مدح عضد الدولة وابنيه، وهي (١٩ـ٤٨).

ولم نجد في شعر أبي الطيب في عضد الدولة، أو عند عضد الدولة، ما يناسب هذه المختارات، غير هذه الابيات، وبضعة أبيات أخرى*.

---

* المعري : ج ـ ٤، ص ـ ٣١٥، ق ـ ٢٨٥
العكبري : ج ـ ٤، ص ـ ٢٥١، ق ـ ٢٧٨.
والديوان: ص ـ ٥٤١.
والأصفهاني : ص ١٩ ـ ٢٦.

ـ ١ ـ

١ـ مَغانِـي الشِّعْـبِ طِيبَاً فِي المَغانِي بِمَنْـزِلَـة الرَّبِيـعِ مِـنَ الـزَّمـانِ(١)
٢ـ وَلَـكِـنَّ الفَـتـى العَرَبِـيَّ فِيـهـا غَـرِيـبُ الـوَجْـهِ واليَـدِ واللِّسـانِ(٢)
٣ـ مَـلاعِـبُ جِنَّـةٍ لَـو سَـارَ فِيهـا سُـلـيـمـانٌ لَسـارَ بِتَـرْجُـمـانِ(٣)
٤ـ طَبَتْ فُرْسَانُنـا والخَيْـلُ حَتّـى خَشِيتُ وإنْ كَرُمْـنَ مِـنَ الحِـرانِ(٤)

ـ ٢ ـ

٥ـ غَـدَوْنَـا تَـنْـفُـضُ الأَغْصـانُ فِيـهـا عَـلَى أَعْـرافِـهـا مِـثْـلَ الجُـمـانِ(٥)
٦ـ فَسِـرْتُ وَقَـدْ حَجَبْـنَ الحَـرَّ عَنّـي وَجِـئْـنَ مِـنَ الضِّيـاءِ بِـمَـا كَـفـانـي
٧ـ وَأَلْـقَـى الشَّـرْقُ مِنْهـا فِـي ثِـيـابِي دَنَـانِـيـراً تَـفِـرُ مِـن البَـنـانِ(٦)
٨ـ لَهـا ثَمَـرَةٌ تُشِيـرُ إلـيـكَ مِنْـهُ بِـأَشْـرِبَـةٍ وَقَـفْـنَ بِـلا أوانِ(٧)
٩ـ وأمْـواهٍ تَـصِـلُّ بِـهـا حَصـاهـا صَـلِـيـلَ الحَـلْيِ فِـي أيْـدِي الغَـوانِي(٨)

---

١) يريد : أن مغاني الشعب من بين المغاني طيباً كالربيع من الزمان .

٢) الفتى العربي : يعنى نفسه. وغريب الوجه واليد واللسان، أي غريب بسحنته ولغته وفضله، وربما أراد بخطه (المعري : ج ـ ٤، ص ـ ٣٣٨).

٣) الجنة : الجن. وسليمان : سليمان الحكيم الوارد ذكره في التوراة، والعارف بمنطق الطير وسائر اللغات، الذي لو سار في هذا المكان لاحتاج الى ترجمان.

٤) طبت : استميلت. والحران : وقوف الخيل، ورفضها السير.

٥) الجمان : اللؤلؤ الصغار. يريد : ان الأغصان تسقط عندما تتحرك زهراً أبيض كأنه الجمان، حين يقع على أعراف الخيل. وهناك تفسيرات أخرى (المعري : ج ـ ٤، ص ـ ٣٣٩).

٦) الشرق : الشمس. يريد، أن الشمس، كانت ترسل من بين الأغصان دنانير تقع على ثيابنا، ولكن هذه الدنانير كانت تفر من بين الأصابع.

٧) يريد : أن الثمر لنقائه ونضارته، يبدو وكأنه شراب واقف دون آنية.

٨) يصلُّ : يطلق صوتاً، كأنه صوت المصاغ في أيدي الحسان.

١٠ـ وَلَوْ كَانَتْ دِمَشْقُ ثَنى عِنَانِي ... لَبيقُ الشُّرْدِ صِينيُّ الجِفانِ(٩)

١١ـ يَلَنْجُوجِيُّ مَا رُفِعَتْ لِضَيْفٍ ... بِهِ النّيرانُ نَدِيُّ الدُّخانِ(١٠)

١٢ـ يُحِلُّ بِهِ عَلَى قَلْبٍ شُجَاعٍ ... وَيُرْحَلُ مِنهُ عَنْ قَلْبٍ جَبانِ(١١)

١٣ـ مَنازِلُ لَم يَزَلْ مِنْها خَيالُ ... يُشَيِّعُني إلى النُّوْبندجَانِ(١٢)

١٤ـ إذا غَنّي الحَمامُ الوُرْقُ فِيها ... أجَابَتْه أغانيُّ القِيَانِ

١٥ـ وَمَنْ بالشِّعْبِ أحوجُ مِنْ حَمامٍ ... إذا غَنَّى وَنَاحَ الى البَيانِ(١٣)

١٦ـ وَقَدْ يَتَقَارَبُ الوَصْفانِ جِدّاً ... وَمَوْصُوفَاهُما مُتباعِدانِ(١٤)

١٧ـ يَقولُ بِشِعْبِ بَوّانٍ حِصاني ... أعَنْ هَذا يُسارُ الى الطِّعانِ

١٨ـ أبوكُمْ آدَمٌ سَنَّ المَعاصي ... وَعلَّمَكُمْ مُفَارَقَةِ الجِنانِ

---

٩) لبيق : حسن مليح طيب، والشرد : الشريد. والشريد اللبيق: المزين المحسن، والجفان : «الصواني»: أي الآنية الصينية.

١٠) يلنجوجي : منسوب الى اليلنجوج، وهو العود الذي يتبخر به. يريد : أن النار التي توقد للضيوف توقد بهذا العود.

١١) يريد : أن الضيوف، اذا حلوا في دمشق، حلّوا على مضيف مبادر، واذا رحلوا رحلوا عن مضيف ضعيف أمام رحيلهم. وهناك تفسيرات أخرى (العكبري : ج ـ ٤، ص ـ ٢٥٤).

١٢) النوبندجان : بلدة بفارس.

١٣) يريد : أن الناس الذين في الشعب أحوج الى الافصاح، من الحمام اذا غنّى وناح، إما لأنهم أعاجم، لا يستطيعون افهام ابي الطيب ما يريدون، أو لأن جمال الشعب يقصر عنه أي بيان.

١٤) يريد : أن الحمام اعجم، وأهل الشعب اعاجم. وقد تشابها، رغم الاختلاف الكبير.

وأنى شئت يا طرقي فكوني

وقرر أبو الطيب العودة الى الكوفة، في أوائل شعبان، سنة (٣٥٤ـ٩٦٤). فقال يودع عضد الدولة، ويَعِدُ بالعودة، ويُعلن، وعلى غير عادة، أنه لا يعرف اين سيقوده طريقه : رغم أنه يسير ، تحت حماية رضا عضد الدولة، كما قال.

وكانت القصيدة آخر ما روي عنه.

واخترنا منها الأبيات ٢٢ ـ ٢٥، و٣٤ ـ ٣٥، و٣٧ ـ ٣٩*.

---

* المعري : ج ـ ٤، ص ـ ٤١٠، ق ـ ٢٩٠.

العكبري : ج ـ ٢، ص ـ ٣٨٥، ق ـ ١٧٣.

والديوان: ص ـ ٥٦٦.

_ ١ _

١ـ وَكَمْ دُونَ الثَوِيَّةِ مِن حَزِينٍ
يقول له قدومي ذا بِذَاكا(١)

٢ـ ومِنْ عذْب الرُّضاب اذا أنخنا
يُقبِّلُ رَحْل (تُرْوَكَ) والوراكا(٢)

٣ـ يُحرِّم أن يَمَسَّ الطِّيبَ بَعْدِي
وَقَدْ عَلِقَ العَبيرُ بِهِ وَصَاكا(٣)

٤ـ وَيَمْنَعُ ثَغْرَهُ مِنْ كُلِّ صَبٍّ
ويمنحه البشامة والأراكا(٤)

_ ٢ _

٥ـ وَفِي الأَحْبابِ مُخْتَصٌّ بِوَجْدٍ
وآخرُ يَدَّعي مَعَهُ اشتراكا

٦ـ اذا اشْتَبَهَتْ دُموعٌ فِي خُدودٍ
تَبيَّنَ مَنْ بَكى مِمَّن تبَاكى

---

١) الثوية : مكان في الكوفة، ويقال : على ثلاثة أميال منها، ذكرَه أبو الطيب أكثر من مرة في شعره. وذا بذاك يريد : هذا السرور بالعودة، بدلاً من ذاك الغم بالفراق.

٢) الرضاب : الريق الحلو. يريد كم حبيب، حلو ريقه، سيقبل رحل الناقة تروك التي أهداها له عضد الدولة، والمخدة التي يضعها أبو الطيب تحت وركه في السفر،

٣) صاك : لصق. يريد : أن حبيبه لم يتطيب بعد، ورغم ذلك فان الطيب جزء من جسده .

٤) البشام والأراك : شجر. يريد أن حبيبه يمنع نفسه من كل عاشق، ويكتفي بتنظيف فمه بمساويك البشام والأراك.

ـ ٣ ـ

٧ـ فَـزُلْ يـا بُـعْـدُ عـن أيْـدي ركـابٍ
لَـهـا وَقْـعُ الأسِـنَّـةِ فِـي حَشـاكـا(٥)

٨ـ وأيّـاً شِـئْـتِ يـا طُرقـي فَكُونـي
أذاةً أوْ نَـجـاةً أو هَـلاكـا(٦)

٩ـ فَلَـوْ سِـرْنـا وَفِي تِشْرِيـنَ خَمْـسٌ
رَأونـي قَبْـل أنْ يَـرَوا السِّمـاكـا(٧)

---

٥) يريد : أيها البعد ابتعد عن طريق إبلي السائرة بمن تحملهم، مع أني أعرف أن سيرها مؤلم لك، كما لو أنها تضرب في بطنك برماحها، لأن مسير ركابي ينهيك. ولم يشرح البيت شرحاً كافياً في المعري (ج ـ ٤، ص ـ ٤٢٢)، والعكبري (ج ـ ٢، ص ٣٩٥).

٦) يريد : إني عائد، ولا يهمني ان كانت النتيجة أذاة أو نجاة أو هلاكاً، وهذا يعني أنه لم يكن واثقاً مما سيلاقيه، وأنه كان يعرف أن هناك مخاطر تنتظره، أكثر من المعتاد.

٧) يريد : أني أسير بسرعة، فلو بدأنا السير، بعد مرور خمسة أيام من تشرين، وصلنا، قبل أن يرى أهلي السماك في الكوفة. وقد اختلف الشراح في موعد ظهور هذا الكوكب (المعري : ج ـ ٤، ص ـ ٤٢٢)، و(اليازجي : ص ـ ٦٢٤). ويرى اليازجي أن السماك المقصود، هو الأعزل في السنبلة، وأنه يطلع في الثالث عشر من تشرين الأول، ويضيف اليازجي، وهذه مبالغة لأن بين شيراز والكوفة أكثر من عشرين مرحلة، وهو ما لا يمكن قطعه في اسبوع.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الاهداء	٥
المقدمة	٧
الكتاب الأول: في هويته وشعره	١١
القسم الاول: في هويته	١٣
هوامش القسم الاول	٨٥
القسم الثاني: في نقد شعره	١١٣
هوامش القسم الثاني	٢٢٥
الكتاب الثاني: المختارات	٢٥٣
الفهرس	٤٩٥

الرواد للنشر والتوزيع
بيروت، المنارة، شارع عبلا بناية
باركلين أوتيل - الطابق الرابع
ص.ب: ٥٢٠٦/١١٣ تلفون: ٨٠٤٣٤٩

هذا الكتاب

أبو الطيب المتنبي اسم لامع في عالم الشعر العربي، كما لم يلمع اسم آخر، في كل العصور، منذ حوالي ألف عام. ولم ينل شاعر عربي ما ناله ابو الطيب من الشهرة والعناية والدراسة، خلال هذه القرون العشرة.

ورغم ذلك، فما زال هناك الكثير الذي يجب ان يقال.

وفي هذا المجلد، يحاول المؤلف أن يعيد دراسة هوية الشاعر وشعره ونقد شعره، فيما اسماه الكتاب الأول، وفي الكتاب الثاني يقدم مختارات من شعر الشاعر، مبوبة تبويباً حديثاً، ومشروحة بطريقة جديدة، تستهدف إيضاح الكلمات والمعاني التي تحتاج الى إيضاح فقط، دون الغوص في اشكالات النحو والصرف الخ...

ويعود المؤلف في كل ذلك الى قراءة الديوان والشروح وكتب التاريخ والأدب والأنساب، بما يتجاوز المألوف المعروف ولعل قراءة هذا المجلد هي خير دليل على ما نقول.

الناشر